

کتابخانه مصنف سید کاظمی حرکات و سکن

نمبر و جلد ۱ ۲ ۳

تاریخ و جلد

نام کتاب

نوع کتاب

نمبر کتاب نوع و ذکر

~~S399~~
~~S/A~~

مَجَانِي أَرْزَادٍ

فِي
حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع
أحد الآباء اليسوعيين
مدرس البيان في كلية القديس يوسف
الجزء السادس



طُبِعَ ثَانِيَةً

فِي مَطْبَعَةِ الْآبَاءِ الْيَسُوعِيِّينَ فِي بَيْرُوتَ

سَنَةِ ١٨٨٥

حَقُوقُ طَبْعِهِ مَحْذُوظَةٌ لِلْمَطْبَعَةِ

| | |
|-------|-----------|
| ۲۵/۹ | داخل نمبر |
| ۲۵ | فن نمبر |
| ۱۱۰/۶ | کتاب نمبر |

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي الْخُطْبِ



محبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزنجشري

١ اللَّهُ إِنِّي أَعْمَدُكَ عَلَى مَا أَزَلَّتْ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزَلَّتْ
عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلأُولَى . وَكُنْتُ بِالثَّانِيَةِ أَوْلَى .
لَوْلَا فَضْلُكَ مِنِّي سَابِقُ حَمْدِ الْحَامِدِ وَرَاءَهُ يَتَطَفُّ . وَإِنْ أَعْنَقَ فَكَأَنَّهُ
مَصْفُودٌ بِرُسُفٍ . وَكَرَّمَ بِسَابِقِ شُكْرِ الشَّاكِرِ يَتَوَّعُ تَحْتَهُ بِجَنَاحِ مَنْ بَضِيَ .
وَإِنْ حَاقَ فَكَأَنَّهُ لَا صِقُ بِالْحُضِيِّضِ . ثُمَّ إِنِّي أَعْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ
عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيكَ مَعِيَ رِذَاً وَكَفَى بِهِ مِنْ رِذَاءٍ . تَلِي صُنْعِ
مَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا أَتَّصِلُ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَيْسِيرِ
الْفَيْتَةِ الَّتِي بِإِحْسَانِكَ الْمُنْتَظَاهِرِ جَذَبَتْ إِلَيْهَا بِضَيْغِي . وَاسْتَطْلَقَتْ
الْقَاهِرِ قَسْرَتِ عَالِمِهَا طَبْعِي . وَبَنَظْرِكَ الصَّادِقِ خَفَقَتْ تَلِي مَجَاشِيهِهَا
الْمُتَعَبَةِ . وَسَهَلَتْ تَكَالُفُهَا الْمُتَصَعَّبَةِ . وَفَكَفَتْ مِنْ رِقِّ التَّعَبَاتِ
عُنُقِي . وَمَنْنْتَ بِحُلِّ إِسَارِي وَعِنُقِي . وَرَقِيتَنِي إِلَى رُتَبَةِ التَّنَاعَةِ وَهِيَ
الرُّتَبَةُ الْعَالِمَا . وَزَهَّدْتَنِي فِي الْحِرْصِ عَلَى زُخْرِ الدُّنْيَا . وَطَيَّتَ
نَفْسِي بِغَوَارِزِ أَخْلَاقِهَا عَنِ الْغَرَارِ . وَتَرَضَّيْتُهَا بَعْدَ الدَّرَةِ بِالْغَزَارِ
٢ (الْمَقَالَةُ الْأُولَى) مَا يَخْفِضُ الْمَرْءَ عُدْمُهُ وَيُتَمُّهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

وَعِلْمُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ مَالُهُ وَآهْلُهُ . إِذَا خَفَضَهُ فُجُورُهُ وَجَهْلُهُ . أَلْعِلْمُ هُوَ
 الْأَبُ . بَلْ هُوَ لِلثَّامِي أَرَابُ . وَالتَّقْوَى هِيَ الْأُمُّ . بَلْ هِيَ إِلَى اللَّبَانِ
 أَضْمُ . فَأَحْرَزَ نَفْسَكَ فِي حِرْزِهَا . وَأَشَدُّ يَدَيْكَ بِغِرْزِهَا يَسِقُكَ
 اللَّهُ نِعْمَةً صَدَبَةً . وَيُحْيِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً

٣ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ) يَا ابْنَ آدَمَ أَصْلَكَ مِنْ صَلَاحٍ كَأَنْفَخَارٍ . وَفِيكَ
 مَا لَا يَسْمَعُكَ مِنْ آلِيهِ وَأَنْفَخَارٍ . تَارَةً بِالْأَبِ وَالْجِدِّ . وَآخَرَى بِالْدَوْلَةِ
 وَالْجِدِّ . مَا أَوْلَاكَ بِأَنْ لَا تُصْعِرَ خَدَّيْكَ . وَلَا تَفْتَخِرَ بِمَجْدَيْكَ تَبْصُرُ
 خَلِيلِي مِمَّ مُرَكَّبُكَ . وَإِلَى مَ مُنْقَلَبُكَ . فَخِخْضُ مِنْ غَاوَانِكَ . وَخَلْ
 بَعْضُ خِيَلَانِكَ

٤ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ) مَا أَسْعَدَكَ لَوْ كُنْتَ فِي سَلَامَةِ الصَّبِيرِ .
 كَسَالَةِ الْمَاءِ النَّمِيرِ . وَفِي النِّقَاءِ عَنِ الرِّيْبَةِ كِمِرَاةِ الْغَرِيبَةِ . وَفِي
 نَفَادِ الطَّيَةِ . كَهَضَرِ الْخَطِيَةِ . وَفِي اخْذِ الْأَهْبَةِ . كَأَلْوَاقِعِ فِي النَّهْبَةِ .
 لِكِنَّكَ ذُو تَكْدِيرٍ . كَرَجْرَجَةِ الْغَدِيرِ . وَمُتَلَطِّحٍ بِالْحَبَابِثِ . كَالْكَثِيرِ
 الْحَاثِثِ . وَذُو عِزٍّ وَتَوَانِي . كِمَكْسَالِ الْغَوَانِي . وَتَارِكُ لِلِاسْتِعْدَادِ .
 كَالشَّاكِّ فِي الْمَعَادِ

٥ (الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ) اسْتَمْسَكَ بِحَبْلِ مُوَاخِيكَ . مَا اسْتَمْسَكَ
 بِأَوَاخِيكَ . وَأَضْحَبَهُ مَا أَصْحَبَ لِلْحَقِّ وَأَذْعَنَ . وَحَلَّ مَعَ أَشْيَاعِهِ وَظَنَ .
 فَإِنْ تَنَكَّرْتَ أَنْحَاوَهُ . وَرَشَّحَ بِالْبَاطِلِ إِنَاوَهُ . فَتَعَوَّضَ مِنْ صُحْبَتِهِ وَإِنْ
 عَوَّضْتَ الشَّعْ . وَأَصْطَرَفَ بِحَبْلِهِ وَإِنْ أُعْطِيَ النَّسْعَ . فَصَاحِبُ

الصِّدْقُ أَنْفَعُ مِنَ التَّرْيَاقِ النَّافِعِ . وَقَرْنِ السُّوءَ أَضْرُثُ مِنَ الشَّمِّ النَّافِعِ .
 ٦ (الْمَقَالَةُ الْخَادِثَةُ عَشْرَةَ) الشَّمُّ الْحَذِرُ . بَعِيدُ مَطَارِحِ الْفَكْرِ .
 غَرِيبُ مَسَارِحِ النَّظَرِ . لَا يَرْفُدُ وَلَا يَكْرِي . إِلَّا وَهُوَ يَقْطُنُ الذِّكْرَى .
 يَسْتَنْبِطُ الْعِظَةَ مِنَ اللَّعْجِ الْحَيِّ . وَيَسْتَجْلِبُ الْعَبْرَةَ مِنَ الطَّرْفِ
 الْقَصِيِّ . فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ فَاسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ
 بَنِي نَعَشٍ فَاسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْجَوَائِزِ . أَنَّ تَرْوَحَ غَدًا
 عَلَى الْجَنَائِزِ

٧ (الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ) الْكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى الضَّمِيرِ نَبَا .
 وَالسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ الْحُسْفَى أَبِي . وَالرَّزِينُ الْمُحْتَجِي بِحِمَالَةِ الْحِلْمِ .
 يَنْفِرُ نَفْرَةَ الْوَحْشِيِّ عَنِ الظُّلَمِ . إِشْفَاقًا عَلَى ظَهْرِهِ أَنْ يَقْلَمَ . وَعَلَى
 ظَهْرِهِ أَنْ يُكَامَ . وَقَلَمًا عُرِفَتْ الْأَنْفَةُ وَالْإِبَاءُ . فِي غَيْرِ مَنْ شَرَفَتْ مِنْهُ
 الْأَبَاءُ . وَلَا خَيْرَ فَيْنَ لَمْ يَطْبَأْهُ عِرْقُ . وَذَنْبُ الْكَلْبِ مَا بِهِ طَرَقُ
 ٨ (الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ) الْوَجْهُ ذُو الْوَفَاحَةِ . مِنْ وَجْهِهِ الرِّقَاحَةُ .
 يُفِيءُ عَلَى صَاحِبِهِ الْأَنْفَالَ . وَيَفْتَحُ الْأَقْفَالَ . وَيُقْطِعُ الْأَرْطَابَ .
 وَيُلْقِيهِ مَا اسْتَطَابَ . وَيَجْسِرُهُ عَلَى قَوْلِ الْمُنْطِيقِ وَيُسِّرُهُ لِفِعْلٍ مَا لَا
 يُطِيقُ . وَكُلُّ ذِي وَجْهِ حَيٍّ . ذُو لِسَانٍ عَيٍّ . مُعْتَقِلٌ لَا يَنْشَطُ
 لِمَقَالٍ . وَلَا يَنْشَطُ مِنْ عِقَالٍ . وَلَا يَزَالُ ضَيَّقُ الدَّرْعَ . بِكَيْهِ الضَّرْعُ .
 يَشْعُغُهُ وَهُوَ طَيَّانٌ . وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رِيَّانٌ . وَلَكِنْ لَا كَانَ
 مَنْ يَتَوَخَّعُ لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَفَّهَ وَيَتَرَفَّحَ . فَلَعَمْرِي مَا النَّائِلُ الْوَتَحُ . إِلَّا مَا

نَالَهُ الْوَيْحُ . وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنَّ الرَّشْحَةَ فِي الْجَبِينِ . أَحْسَنُ مِنَ الشَّمِّ فِي
الْعَرْنِينَ . وَلَئِنْ تَفَرَّعَ رَضَاكَ وَمَا فِي سِقَاكَ جُرْعَةٌ . خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمْلِكَ
الْبَجَرَ وَمَا فِي وَجْهِكَ مَرْعَةٌ

٩ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ) عِزَّةُ النَّفْسِ وَبَعْدُ الْهِمَّةِ . الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ
وَالْحُطُوبُ الْمُدْهِمَةُ . وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مَنْهَلَ الذَّلِّ فَمَافَهُ . اسْتَعَذَبَ
تَقْبِيعَ الْعِزِّ وَدَعَاغَهُ . وَمَنْ لَمْ يَصْطَلِ بِحَرِّ الْهَيْجَاءِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ الْمُنْعَمِ .
وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ أَسَدِ الْقَاءِ لَمْ يُصِبْ أَطْرَاقًا كَالْمُنْعَمِ . وَتَحْتَ
عِلْمِ الْمَلِكِ الْمَطَاعِ . ذَكَرُ السُّيُوفِ وَالْأَنْطَاعِ . وَمَنْ لَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ
عُسْرٌ يَقْضَهُ . لَمْ يُقْضَ لَهُ يُسْرٌ يَقْضُهُ . وَمَا الْحِكْمَةُ إِلَّا لِهَيْئَةِ الْإِلَهِ
وَهِيَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي أُمِرَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ وَنُهِى . الْيَوْمَ عِزَاءٌ فِي كُلِّ
وَكْرَبٍ . وَغَدًا جِزَاءٌ بِزُلْفٍ وَقُرْبٍ

١٠ (الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ) لَا تَنْفَعُ بِمَا لَا تَنِي أَنْ تَبْدِي وَتَقْتِي .
وَتَعْتِي بِغَرَسٍ مَا لَا تَجْتِي . هَلُمَّ إِلَى اسْتِشَارَةِ عَمَّاكَ فَتَبْصُرْ . وَإِلَى
اسْتِخَارَةِ ذَهْنِكَ فَتَدَبَّرْ . وَقُلْ لِي إِذَا شَقَّ بَصْرُكَ . وَأَشَدَّ حَصْرُكَ .
وَعَايَتْ أَلْجَدَّ فَشَعْلَكَ عَنْ دَدِكَ . وَأَوْحَشَكَ تَقْرِيطُكَ فَسَقَطَ فِي
يَدِكَ . مَا يُغْنِي جَيْئِدَ عَنكَ بُيَاثُكَ . وَمَاذَا يُجِدِّي عَلَيْكَ قُبَاثُكَ .
وَهَلْ يَنْفَعُكَ تَخْلِيكَ الصَّنَوَانِ وَغَيْرِ الصَّنَوَانِ . أَمْ يَدْفَعُ عَنكَ مَا يُخْرِجُ
مِنْ طَلْعَمَا مِنَ الْقَنَوَانِ

١١ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ) خَلَّ عَنْ يَدِكَ الْبَاطِلَ وَاللَّدَدَ .

وَأَعْتَقَ الْجِدَّ وَالزَّمَّ الْجِدَدَ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَكَ جَدًّا لَاعِبًا. وَفَطَرَكَ
إِزِيدًا لَأَخْبِتًا. لَوْلَا أَنَّ نَفْسَكَ بِكْسِبِهَا الْحَيْثُ خَبِثَتْكَ. وَبَطَّخَ
عَمَلَهَا السَّيِّئَ لَوَثَمَتْكَ. فَأَرَحَيْتَ عِنَانَكَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مَزْجُورٌ. وَقَوْلَيْتَ
بِرُكْنِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مَأْجُورٌ. إِلْقَاءَ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ. وَإِضَاعَةَ
حَظِّكَ فِي عَظِيمِ الْمُهْلَكَةِ

١٢ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ) مَنْ لِعَمَلٍ كَالظَّهْرِ الدَّيْرِ. وَمَنْ
لِقَلْبٍ كَالْجُرْحِ الْغَيْرِ. دُويٌّ بِكُلِّ دَوَاءٍ فَلَمْ يَنْجِعْ. وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ بِكُلِّ
حِيلَةٍ فَلَمْ يَنْفَعْ. مَتَى رَفُوتَ مِنْهُ جَانِبًا انْتَهَضَ عَلَيْهِ آخَرُ. وَإِذَا سَدَدْتَ
مِنْ فُسَادِهِ مَخْرَجًا جَاشَ مَخْرَجٌ ضَاقَتْ عَنْ تَذْيِيرِهِ فِطْنُ الْإِنْسَانِيِّ.
وَأَعْضَلَ عِلَاجُهُ عَلَى الطَّبِيبِ النَّطَاسِيِّ. فَيَا وَيْلَنَا مِنْ هَذَا السَّقَامِ.
وَيَا غَوْنَنَا مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعَقَامِ. وَمَا أَحَقَّ بِمِثْلِي أَنْ يَبِيتَ بِلَيْلَةِ سَلِيمٍ.
كَلَّمَا تُلِيتَ: إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

١٣ (الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ) إِحْرِصْ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ. عَلَى أَنْ
تَكُونَ لَكَ نَفْسٌ بَقِيَّةٌ. فَلَنْ يَسْعَدَ إِلَّا اتَّقَى. وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُ فَهُوَ
شَقِيٌّ. قَبْلَ أَنْ تَرَى الشَّيْبَ أَهْجَلَ. وَالصُّلْبَ أَهْمَلَ. وَالْجِلْدَ الْمُشْتَنَ.
وَالرَّأْيَ الْمُتَفَنَّنَ. وَالتَّوَهَُّ الْمُتَخَاذِلَ. وَالْوَطْءَ الْمُتَقَاوِلَ. وَالرَّثِيَّةَ فِي
الْمَفَاصِلِ نَاهِيضَةً. وَالرَّعْشَةَ لِلْأَنَامِلِ نَافِضَةً. وَقَبْلَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى
مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَدِيرٌ. وَلَا تَصْدُرَ عَمَّا أَنْتَ عَنْهُ صَادِرٌ

١٤ (الْمَقَالَةُ الْخَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ) قَلْبُكَ آمِنٌ. وَجَاشُكَ مُتَطَمِّنٌ.

وَرَأَيْكَ فِي الشَّهَوَاتِ بَاتِرٌ. وَشَوْفَكَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ قَاطِرٌ. وَأَنْتَ مُتْرَفَةٌ مُتْرَفٌ. أَطْيَبُ قِطْفٍ لَكَ مُتَحَرِّفٌ. فِيهِ أَكْثَافُ السَّعَةِ رَاطِعٌ. وَلَا خِلَافَ الدَّعَةِ رَاضِعٌ. وَفِي تِيهِ الْغَفَلَاتِ هَائِمٌ. كَأَنَّكَ إِحْدَى الْبَهَائِمِ مَا هَذَا خُلِقَ الْمُؤْمِنُ. وَلَا هَكَذَا صِفَةُ الْمُؤْمِنِ. الْمُؤْمِنُ رَاهِبٌ رَاجِبٌ. سَاعِبٌ لَاجِبٌ. ذُو هَيْبَةٍ بَذَّةٌ. مُخْتَمٌ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ. إِنْ رَأَى مِنْ نَفْسِهِ جَمَاحًا أَلْجَمَ وَخَجَرَ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنْهَا مَطْمَعًا أَلْقَمَهَا الْحَجَرَ

١٥ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ) يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالِدِ رَهْمٍ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا. وَيَا أَسِيرَ الْخِرْصِ وَالطَّمْعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا. هَيَّاتِ لَاعْتِقَاقٍ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ الْمَزْقِ. وَلَا إِطْلَاقٍ أَوْ تُقَادِيَ بِخَيْرِكَ الْمَلْزَقِ. يَا مَنْ يُشْبِعُهُ الْفَرْصُ. مَا هَذَا الْخِرْصُ. وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ الْجَرِيعُ. مَا هَذَا الْجَبْرِعُ سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا تَدَدَّتْ. أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ. وَإِذَا لَقِيتَ الْمُنُونَ. لَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. مَا يَصْنَعُ يَا قَتَاطِيرِ الْمَقْطَرَةَ. عَابِرُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ. وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرْحَةِ. نَازِلُ ظِلِّ هَذِهِ السَّرْحَةِ

١٦ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثِينَ وَالْثَلَاثُونَ) لَمْ أَرِ فَرَسِي رِهَانِي. مِثْلَ الْحَقِّ وَالْأَبْرَهَانِ. لِلَّهِ دَرَاهِمُ مُتَخَاصِرِينَ. وَلَا عَدِمَتْهُمَا مِنْ مُتَخَاصِرِينَ. أَصْطَحَابَا غَيْرِ مُبَانِينَ. أَصْطَحَابَا أَبَانِينَ. مَنْ شَدَّ يَدَهُ بِغُرْزِهِمَا. فَقَدْ اعْتَرَّ بِغُرْزِهِمَا. وَمَنْ زَلَّ عَنْهُمَا فَهُوَ مِنَ الدَّلَّةِ أَذْلُ. وَمَنْ أَلْقَاهُ أَقْلُ

١٧ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثِينَ وَالْثَلَاثُونَ) أَيُّهَا الشَّيْخُ الشَّيْبُ نَاهِيكَ بِهِ نَاهِيًا.

قَالِي أَرَأَيْكَ سَاهِيًا لَاهِيًا. أَبَقِ عَلَى نَفْسِكَ وَأَرْبِعْ. فَهَذِهِ أُخْرَى الْمَرَّاجِلِ
الْأَرْبَعِ. وَمَنْ بَلَغَ رَابِعَةَ الْمَرَّاجِلِ. فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْحَيَاةِ السَّاحِلَ. وَمَا
بَعْدَهَا إِلَّا الْمَوْرِدُ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مُصَدِّرٌ. وَلَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو
يُورِدُهُ أَجْدَرُ. هُوَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَشْرَعٌ. جَمِيعُ النَّاسِ فِيهِ شَرَعٌ. وَأَحْسَنُهُمْ
بِالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ مَنْ شَارَفَهُ وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِشْفَاقِ لَهُ مَنْ قَارَفَهُ

١٨ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) مَا أَعْلَمَاءُ السُّوءِ جَمَعُوا عَزَائِمَ الشَّرْعِ
وَدَوَّنُوهَا. ثُمَّ رَخَّصُوا فِيهَا لِأَمْثَرَاءِ السُّوءِ وَهَوَّنُوهَا. لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ
يَرْغَوْا شُرُوطَهَا لَمْ يَعُوهَا. وَإِذْ لَمْ يُسَمِعُوهَا كَمَا هِيَ لَمْ يَسْمَعُوهَا. إِنَّمَا
حَفَظُوا وَعَلَّفُوا وَصَفَّقُوا وَحَلَّفُوا لِيَقْمُرُوا أَلْمَالَ وَيَسِيرُوا. وَيُقْفِرُوا
الْأَيَّامَ وَيُوسِرُوا إِذَا أَنْشَبُوا أَظْفَارَهُمْ فِي نَشَبٍ فَمَنْ يَخْلَصُ. وَإِنْ
قَالُوا لَا نَفْعَ لَوْ أَزَادَ كَذَابُ مَنْ يُنْقِصُ. دَرَارِيْعُ خِتَالَةٍ مِلَّوْهَا ذَرَارِيْعُ
قِتَالَةٍ. وَأَكْثَامُ وَاسِعَةٍ. فِيهَا أَصْلَالٌ لَاسِعَةٍ. وَأَقْلَامٌ كَانَهَا أَرْزَامٌ.
وَقَتَوَى. يَفْعَلُ بِهَا الْجَاهِلُ فِتْوَى. فَإِنْ وَازَنْتَ بَيْنَ هَوْلَاءِ وَالشَّرْطِ.
وَجَدْتَ الشَّرْطَ أَبْعَدَ مِنَ الشَّطْطِ. حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِالْدِّينِ الدُّنْيَا وَلَمْ
يُثِيرُوا الْقِتَّةَ بِالْقِتَا

١٩ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) أَهَبْ أُنْكَ أُنْقِيَتْ الْكِبَارِ الَّتِي
نُصِتْ. وَتَجَنَّبَتْ الْعِظَامِ الَّتِي فُصِتْ. وَرَضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرَّاغِبِينَ.
عَلَى أَنْ لَا تَخْوِضَ مَعَ الْخَائِضِينَ. فَمَا قَوْلُكَ فِي هُنَا تَوْجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ
ذَاهِلٌ. وَفِي هَقَوَاتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَلَعَلَّكَ مُمَزَّقُ الشِّلْوِ

مَا كُولُ . وَإِلَى الْمَوَازِدَةِ بِأَقْتَرِافِهَا مَوْكُولُ . فَمِثْلُكَ مِثْلُ الرِّيَالِ . فِي
مُحَامَاتِهِ عَنِ الْأَشْبَالِ . يَصُدُّ عَنِ التَّصَدِّي لَهَا الْبَطْلُ الْحَمِيسُ . بَلْ يَرُدُّ
عَنْ مَرَابِضِهَا الْحَمِيسُ . ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو السَّيْلِ وَالنَّمْلُ إِلَى آتِنِهِ كَالْحَبْلِ .
وَهِيَ بِأَوْصَالِهِ مُطِيقَةٌ . كَأَنَّمَا كَسَتْهُ قَطِيقَةٌ . فَمَا أَغْنَى عَنْهُ ذِيَادُهُ . حَتَّى
تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٢٠ (الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى جِدِّهِ . لَمْ
يَزَلْ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ . وَذُو الرَّأْيِ الْجَزَلِ مَنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْهَزْلِ .
وَكَيْفَ يَكُونُ حَازِمًا مَنْ هُوَ مَارِحٌ . هَيَّاتِ الْبَوْنَ بَيْنَهُمَا نَارِحٌ . وَكَهَاكَ
أَنَّ الْمَرْحَ مَقْلُوبُ الْحَزْمِ كَمَا أَنَّ الْحَزْمَ مَقْلُوبُ الْمَرْحِ . رَبُّ كَلِمَةٍ غَمَسَتْكَ
فِي الذُّنُوبِ . وَأَفْرَعَتْ عَلَى أَخِيكَ مِلَّةَ الذُّنُوبِ . فَإِنْ كَانَ حُرًّا
زَرَعْتَ الْغَمْرَ فِي سُوَيْدَانِهِ . وَإِنْ كَانَ عَبْدًا نَزَعْتَ الْعِمَابَةَ مِنْ أَحْسَانِهِ .
وَتَقُولُ إِنَّهَا مِرَاحَةٌ . وَعَلَيْكَ فِي أَنْ تَقُولَهَا مِرَاحَةٌ . وَيَحْكُ يَا تَلْعَابَةً .
لَوْ عَلِمْتَ مَا فِي الدُّعَابَةِ . لَأَطَمْتَ فِي أَطْرَاحِهَا نَهْأَتَكَ . وَلَمَّا عَرَّغْتَ
بِهَا لَهَاتَكَ أَسْرَكَ أَنْ دَاعَبْتَ الرَّجُلَ فَضَحَكَ . وَلَمْ تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذَلِكَ
فَضَحَكَ . حَيْثُ أَعْلَمَ لَوْ قَطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ . أَنَّكَ أَلَسَّجُ الْفُضْحُوكِ مِنْ
كَلَامِهِ . وَذَلِكَ مَا لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ . أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ السُّخْفَاءِ

٢١ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُونَ) شَبِتَ وَعُرَامُكَ مَا وَخَطَ عَارِضِيهِ
مَسْبَبٌ . وَشَحَتْ وَعُرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ . مَالِي أَرَاكَ صَغَبَ
الْمِرَاسِ . جَالِحَ الرِّاسِ كَانَ وَافِدَ الْمَشِيبِ لَمْ يَخْطِمْكَ . وَكَأَنَّ ارْتِقَاءَ

السِّنَّ لَمْ يَخْطُبَكَ . الشَّيْخُوخَةَ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سِنَمًا . وَأَنْتَ مَا أَكْبَرْتَكَ
 إِلَّا أَمَنَّا . لَوْ عَلِمْتَ أَيَّ وَفْدٍ حَلَّ بِفُودِكَ . لَتَبَرَّقْتَ حَيَاءً مِنْ وَفْدِكَ .
 وَلَكِنْ مُحْيَاكَ لَمْ يَعْلَمْ أَحْيَاءً . وَلَمْ يَهْجُجْ مِنْ حُرُوفِهِ أَحْيَاءٌ وَلَا أَلْيَاءٌ .
 تَنَابُ إِلَى الشَّرِّ كَمَا تَنَابُ الطِّبَاءُ . وَتَاهَتْ إِلَى اللَّهِو كَمَا يَلْهَثُ الظِّمَاءُ .
 إِنْ حُجِّمَ الْبَاطِلُ فَاسْمِعْ مِنْ سَمْعٍ . وَإِنْ هَمَّ هَمَّ الْحَقُّ فَكَا أَنْكَ بَلَا
 سَمْعٍ . حَمَلَتْ نَفْسَكَ عَلَى الرِّيَاضَاتِ وَهِيَ رِيضَةٌ . وَمَنْ يَحْتَابُ الْإِلَاءَ
 مِنَ اللَّبُوءَةِ الْمُغِيصَةِ

خطبة لبدیع الزمان الهمدانی

٢٢ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدىً . وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . وَإِنَّكُمْ
 وَارِدُوهُوهُ . فَأَعِدُّوا لَهُمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإِنْ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا .
 فَأَعِدُّوا لَهُمَا زَادًا . أَلَا لَا عُدْرَةَ قَدَّ بَيَّتَ لَكُمْ الْحُجَّةَ . وَأَخَذَتْ عَلَيْكُمْ
 الْحُجَّةَ . مِنَ السَّمَاءِ بِالْحَبِيرِ . وَمِنَ الْأَرْضِ بِالْعَبْرِ . أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ
 الْخَلْقَ عَلَيَّا . يُحْيِي الْعِظَامَ رَمِيمًا . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ . وَقَنْطَرَةٌ
 جَوَازٍ . مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ . وَمَنْ عَمَّرَهَا نَدِمَ . أَلَا وَقَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ الْقَنْعَ
 وَنَثَرْتُ لَكُمْ الْحَبَّ مِنْ بَرَدٍ . يَقَعُ . وَمَنْ يَلْقُطْ . يَسْفُطْ . أَلَا وَإِنَّ
 الْقَفْرَ حِلْيَةُ الْعَاقِلِ فَكَا سُوهَا . وَالْفَنَى حِلْيَةُ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا .
 كَذَبَتْ ظُنُونُ الْمُتَحِدِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الدِّينَ . وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُ عِزِينَ .
 إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ حَدَثًا . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا . فَحَذَرِ حَرَّ النَّارِ . وَبَدَارِ
 عُمَى الدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَاتِهِ . وَالْجَهْلَ أَفْجَى عَلَى

حَالَاتِهِ . وَإِنَّكُمْ أَشَقَى مَنْ أَظْلَمَهُ السَّمَاءُ . إِنْ شَقَى بِكُمْ الْعُلَمَاءُ . النَّاسُ
بِأَنْتِهِمْ . فَإِنْ أَنْقَادُوا بِأَرْمَتِهِمْ . تَجَاوَزُوا بِدِينِهِمْ . وَالنَّاسُ رُجُلَانِ عَالِمٌ
يَرْحَمُ . وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى . وَالْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٍ . وَرَاتِعٌ أَنْعَامٍ . وَيَلُ
عَالٍ أَمْرٌ مِنْ سَافِلِهِ . وَعَالِمٌ شَيْءٌ مِنْ جَاهِلِهِ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعْظُمُ النَّاسَ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ حَتَّامٌ إِلَى الْحَيَاةِ
رُكُوكُكَ . وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتُهَا سَكُونُكَ . أَمَا أُعْتَبِرْتَ بِمَنْ مَضَى مِنْ
أَسْلَافِكَ . وَبِمَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنْ آلَافِكَ . وَمَنْ فَجِعَتْ بِهِ مِنْ
إِخْوَانِكَ . وَنُقِلَ إِلَى دَارِ الْبَلَى مِنْ أَقْرَانِكَ :

فَهُمْ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مُحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالِ دَوَائِرُ
خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاضُهُمْ وَسَاقَتْهُمْ نَحْوَ الْمَنَاسِبِ الْقَادِرُ
وَحَلَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَصَمَّتْهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْخَفَاةُ
كَمْ أَخْلَسَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ . مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ . وَكَمْ غَيَّرَتْ
بِلَالَهَا . وَغَيَّتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا :

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكَبٌّ مُتَافِسٌ لِحُطَايَاهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَارِثٌ
عَلَى خَطَرِ تَمْشِيٍّ وَتَضَجٍّ لَاهِيَا أَتَذِيرِي بِمَاذَا لَوْ عَمَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنْ أَمْرًا يَسْعَى لِذَنْبَاهُ جَاهِدًا وَيَذْهَلُ عَنْ أَخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ
أَنْظُرِي إِلَى الْأُمَمِ الْحَالِيَةِ . وَالْمُلُوكِ الْفَانِيَةِ . كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمْ
الْأَيَّامُ . وَأَفْتَاهُمْ الْحِمَامُ . فَأَنْفَحَتْ آثَارَهُمْ . وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ :
فَأَضْحَوْا رِمِيمًا فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عَطَلَتْ وَمَقَاصِرُ

وَحَلُّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا قَارَ مِنْهُمْ غَيْرٌ مِنْهُ صَابِرٌ
وَحَلُّوْا يَدَارَ لَا تَرَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسْكَانِ الْقُبُورِ التَّرَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُمُوسًا ثَوَّوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ
كَمْ عَايَنْتَ مِنْ عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ . وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ . قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُقْيَاهُ .
وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ . فَبَنَى الْخُصُوفَ وَالْأَسَاكِرَ . وَجَمَعَ الْأَعْلَاقَ وَالسَّكِرَ :
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمُنِيَّةُ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ النَّخَارُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْخُصُوفُ الَّتِي بَنَى وَخَفَّتْ بِهِ أَنْهَارُهَا وَالْأَسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمُنِيَّةُ حِيلَةً وَلَا طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْأَسَاكِرُ
يَا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ . وَالْيَدَارَ الْيَدَارَ . مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَائِدِهَا .
وَمَا نَصَبْتَ لَكُمْ مِنْ مَصَائِدِهَا . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا . وَأَسْتَشْرَفَتْ
لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا :

وَفِي ذَوْنِ مَا عَايَنْتَ مِنْ فُجَاعَتِهَا إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَيَا زُهْدِ أَمِيرُ
فَجْدٌ وَلَا تَتَّقِلْ فَعَيْشُكَ بَارِدٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْمُنِيَّةِ صَابِرُ
وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنْ طَلَبَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ
وَكَيْفَ يَخْرُصُ عَلَيْهَا لَيْبٌ . أَوْ يُسْرِ بِهَا أَرِيْبٌ . وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ
فَنَائِهَا لَا تَحْبُونَ مِمَّنْ يَتَامُ وَهُوَ يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يَرْجُو الْقُوَّةَ :
أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَعْرِ نُفُوسَنَا وَتَشْغَلُهَا اللَّذَاتُ عَمَّا يُحَازِرُ
وَكَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشُ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَدَلٍ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّكَ سُدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مَصَائِرُ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مَخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا . فَلَسَمَ
تُنْعِشُهُ مِنْ عَثَرَتِهِ وَلَمْ تُقْلَهُ مِنْ صَرَعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ
تُشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرَفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمَوَازِرُ
تَسَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طَوْلُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكُبَارُ
بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَافَ مِنْ دُنْيَاهُ .
حَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِسْتِعْبَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ الْإِعْتَادُ :

أَحَاطَتْ بِهِ آخِرَانَهُ وَهُمُومُهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمُعَاذِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُجَادِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسَّتْ فَوْقَ أَمْنِيَّةِ نَفْسِهِ تُرَدُّهَا مِنْهُ الْأُلْهُى وَالْخَنَاجِرُ
فَالِى مَتَى تُرْفَعُ بِأَخْرِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ . إِنِّي
أَرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ . يَارَافِعُ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ . أَبْهَذَا أَمْرُكَ الرَّحْمَنُ . أَمْ
عَلَى هَذَا ذَلِكَ أَقْرَأَنُ :

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَاصِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَاكَأَكَ حَتْمُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَازِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ وَتَقْضِي وَدَيْنَكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

نُجَّةٌ مِنْ خُطْبِ الْحَرِيرِيِّ

٢٣ أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوبَانِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خِيَلَانِهِ . الْجَانِحُ فِي

جَهَالَاتِهِ . الْجَانِحُ إِلَى خُرْعَائِلَاتِهِ . إِلَى مَ تَسْتَرُ عَلَى غَيْكَ . وَتَسْتَرِي
مَرْنَى بَيْكَ . وَحَتَّى مَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ . وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ .
تُبَارِزُ بِمَعَصِيَتِكَ . مَا لَكَ نَاصِيَتِكَ . وَتَجَرِي بِبُقْجِ سِيرَتِكَ . عَلَى
عَالِمِ سِرِّكَ . وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيبِكَ . وَأَنْتَ بِرَأْيِ رَقِيبِكَ .
وَتَسْتَحْيِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْنِي حَافِيَةُ عَلَى مَلِكِكَ . أَتَظُنُّ أَنَّ
سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ . إِذَا أَنْ أَرْتَحَالَكَ . أَوْ يُنْقِذُكَ مَا لَكَ . حِينَ تُؤْبِقُكَ
أَعْمَالُكَ . أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ . إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ . أَوْ يُعْطِفُ عَلَيْكَ
مَعَشَرُكَ . يَوْمَ يَهْمُكَ مَخْشَرُكَ . هَلَا أَتَهَجَّتْ تَحْجَّةُ أَهْتِدَائِكَ . وَتَحَلَّتْ
مُعَالَجَةُ دَائِكَ . وَقَلَّتْ شَبَابَةُ أَعْدَائِكَ . وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَائِكَ . أَمَّا الْحَمَامُ مِيعَادُكَ . فَمَا إِعْدَادُكَ . وَبِالْمُشِيبِ إِذَا رَكَ . فَمَا
إِعْذَارُكَ . وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ . فَمَا قِيلُكَ . وَإِلَى اللَّهِ مُصِيرُكَ . فَمَنْ نَصِيرُكَ .
طَالَمَا أَيقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ . وَجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَنَاعَسْتَ . وَتَحَلَّتْ
لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ . وَحَصَصَ لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ . وَأَذْكُرَكَ الْمَوْتَ
فَتَنَاسَيْتَ . وَأَمَكَمَكَ أَنْ تُؤَابِي فَمَا آسَيْتَ . تُؤَثِّرُ فَلَسَا تُؤْعِيهِ . عَلَى ذِكْرِ
نَعِيهِ . وَتُخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ . عَلَى بَرِّ تُولِيهِ . وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ .
إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . وَتُغْلِبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَسْتَهِيهِ . عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ . أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّادَةِ . وَمُعَالَاةُ
الصَّدَقَاتِ . آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ . وَصَحَافُ الْأَلْوَانِ .
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ . آسُ لَكَ

مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنْ النُّكْرِ
وَلَا تَحْمَاهُ . وَتُزْجِرُ عَنْ الظُّلَمِ ثُمَّ تَعْشَاهُ . وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تُخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبَا لَطَالِبِ دُنْيَا تَنَى إِلَيْهَا أَنْصَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صَبَابَهُ

وله ايضا من خطبة

٢٤

أَيَا مَنْ يَدْعِي الْقَهْمَ إِلَى كَمْ يَأْلَخَا الْوَهْمُ تُعَيِّي الذَّنْبَ وَالذَّمَّ
وَتُخْطِي الْخَطَا الْجَمَّ
أَمَا بَانَ لَكَ الْغَيْبُ أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيْبُ وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبُ
وَلَا سَمْعَكَ قَدْ صَمَّ
أَمَا نَادَى بِكَ الْمَوْتُ أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ أَمَا تُخْشَى مِنَ الْقَوْتِ
فَتُخْطِطُ وَتَهْتَمُّ
فَكَمْ تَسْدِرُ فِي السُّهُوِ وَتُخْتَالُ مِنَ الزُّهُوِ وَتَنْصَبُّ إِلَى الْإِلَهْوِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ مَا عَمَّ
وَحَتَامَ تَجَافِيكَ وَإِبْطَاءَ تَلَاْفِيكَ طِبَاعًا جَمَعَتْ فِيكَ
عُيُوبًا شَتَلَهَا أَنْصَمُ
إِذَا أُنْخِطَ مَوْلَاكَ فَمَا تَفْلُقُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ
تَلَطَّيْتَ مِنَ الْهَمِّ

وَأِنْ لَّاحَ لَكَ النَّفْسُ مِنْ الْأَضْفَرِ تَهْتَشُ وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّفْسُ
تَغَامَتْ وَلَا غَمَّ
تُعَاصِي النَّاصِحَ الْبَرَّ وَتُعْتَصُ وَتَزُورُ وَتَقَادُ لِمَنْ غَرَّ
وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمَّ
وَتَسْعَى فِي هَوَى النَّفْسِ وَتَحْتَالُ عَلَى الْفُلْسِ وَتَتَسَى ظُلْمَةَ الرَّمَسِ
وَلَا تَذْكُرُ مَا نَمَّ
وَلَوْ لَاحَظَكَ الْخَطُّ لَمَا طَاحَ بِكَ الْخَطُّ وَلَا كُنْتَ إِذَا أَلُوْغَطُ
جَلَا الْأَحْزَانَ تَغْتَمُّ
سَتَذِرِي الدَّمَ لَا الدَّمَغَ إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعَ يَبْقَى فِي عَرَصَةِ الْجَمْعِ
وَلَا خَالَ وَلَا غَمَّ
كَأَنِّي بِكَ تَحْطُ إِلَى الْخُدِّ وَتَنْغَطُ وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ
إِلَى أَضِيقَ مِنْ سَمِّ
هُنَاكَ الْجِئِمُ مَمْدُودٌ لَيْسَتْ أَكِلَهُ الدُّودُ إِلَى أَنْ يَنْخَرُ الْعُودُ
وَيَمْسِي الْعَظْمُ قَدَرَمَ
وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَرْضِ إِذَا أُعْتُدَّ صِرَاطُ جِسْرِهِ مَدَّ
عَلَى النَّارِ لِمَنْ أَمَّ
فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلَّ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ ذَلَّ
وَقَالَ الْخَطْبُ قَدْ طَمَّ
فَبَادِرْ أَيُّهَا النُّمَرُ لِمَا يَحْلُو بِهِ الْمُرُّ فَقَدْ كَادَ يَهِي الْعُمُرُ

وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمِّ
وَلَا تَرَكْنِي إِلَى الدَّهْرِ وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ
فَقُلْنِي كَمَنْ أَعْتَرَّ
بِأَفْعَى تَنْفُثُ السَّمَّ
وَحَفِضْ مِنْ تَرَاقِيكَ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقِيكَ
وَسَارِي فِي تَرَاقِيكَ
وَمَا يَكُلُ إِنْ هَمَّ
وَجَانِبَ صَعَرَ الْحَدِّ إِذَا سَاعَدَكَ الْجَدُّ
وَزَمَّ اللَّفْظَ إِنْ نَدَّ
فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ
وَنَفْسٍ عَنْ أَخِي أَلْبَثْ وَصَدَّقْهُ إِذَا نَثَ
وَرُمَّ الْعَمَلَ الرِّثْ
فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمَّ
وَرِشَ مَنْ رِيشُهُ أُتْحَصَ بِنَا عَمَّ وَمَا خَصَّ
وَلَا تَأْسَ عَلَى النُّقْصِ
وَلَا تَحْرِصْ عَلَى الْلَمِّ
وَعَادِ الْخُلُقَ الرَّذْلَ وَعَوِذْ كَفْكَ الْبَذْلَ
وَلَا تَسْتَمِعِ الْعَذْلَ
وَرَزَّهَما عَنِ الضَّمِّ
وَزَوِّدْ نَفْسَكَ الْخَيْرَ وَدَعْ مَا يُعَقِبُ الضَّرِّ
وَهَيَّ مَرْكَبَ السَّيْرِ
وَخَفْ مِنْ لَجَّةِ الْيَمِّ
بِنَا أَوْصِيَتْ يَا صَاحَ وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاخَ
فَطُوبَى لِقَتَى رَاخَ
بِأَدَائِي يَا تَمَّ

وله من خطبة

٢٥ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَدُوحِ الْأَسْمَاءِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ

أَلْمُنْعَوِيَّ حَسْبِ الْأَوَّاءِ . مَا لِكَ الْأَمَمِ وَمُصَوِّرِ الرِّمَمِ . وَأَهْلِ السَّلَاحِ
 وَالْكَرَمِ . وَمَهْلِكِ عَادٍ وَإِرمِ . أَذْرَكَ كُلَّ سِرِّ عِلْمِهِ . وَوَسَّعَ كُلَّ مَصِيرِ
 حِلْمِهِ . وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ . وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ . أَحْمَدُهُ حَمْدُ مُوَحِّدِ
 مُسْلِمِ . وَأَدْعُوهُ دُعَاءُ مُؤْمِلِ مُسْلِمِ . وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ
 الْأَحَدُ . الْعَادِلُ الْقَيُّمُ . مَا هَمَّ رُكَّامٌ . وَهَدَّرَ حَمَامٌ . وَسَرَّحَ سَوَامٌ .
 وَسَطَّاحُ حَسَامٌ . إِنَّمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلِ الصَّحَابِ . وَأَتَكُدُّوا لِمَعَادِكُمْ كَدَحِ
 الْأَعْنَاءِ . وَأَرْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَدْعِ الْأَعْدَاءِ . وَأَعِدُّوا لِلرَّحْلَةِ إِعْدَادِ
 السُّعْدَاءِ . وَأَدْرِعُوا حُلَّ الْوَرَعِ . وَدَاوُوا عِلَّ الطَّمَعِ . وَسَوُّوا أَوْدَ
 الْعَمَلِ وَعَاصُوا وَسَاوِسَ الْأَمَلِ . وَصَوِّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حَوُولَ الْأَحْوَالِ .
 وَحَاوِلِ الْأَهْوَالِ . وَمُسَاوِرَةِ الْأَعْلَالِ . وَمُصَارِمَةِ الْمَالِ وَالْأَلِ .
 وَادْكِرُوا الْجِمَامِ وَسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ وَالرَّمْسِ وَهَوْلَ مُطْلَعِهِ . وَاللَّحْدِ وَوَحْدَةَ
 مُودَعِهِ . وَالْمَلِكِ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمُطْلَعِهِ . وَأَخْوَا الدَّهْرِ وَلَوْثُ كَرِهِ .
 وَسَوْجَالِهِ وَمَكْرِهِ . كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا . وَأَمَرَ مَطْعَمًا . وَلَحَطَّ عَرْمَرَمًا .
 وَدَمَّرَ مَلِكًا مَكْرَمًا . هُمُ سَكُّ الْمَسَامِعِ . وَسَحُّ الْمُدَامِعِ . وَإِكْنَادِ
 الْمَطَامِعِ . وَإِرْدَاءِ الْمُسْتَعِمِ وَالسَّامِعِ . عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعِ .
 وَالْمُسُودَ وَالْمَطَاعِ . وَالْمُخْشُودَ وَالْحُسَادَ . وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ . مَا مَوْلَ
 إِلَّا مَالٌ . وَعَكْسُ الْأَمَالِ . وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ . وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ .
 وَلَا سِرَّ إِلَّا وَسَاءَ . وَلَوْثُ وَأَسَاءَ . وَلَا أَصْبَحَ إِلَّا وَلَدَ الدَّاءِ . وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءِ .
 اللَّهُ اللَّهُ . رَعَاكُمْ اللَّهُ . إِلَى مِ مِ دَاوِمَةِ اللَّهِ . وَمُواصَلَةِ السُّهُوِ . وَطُولِ

الْإِصْرَارِ . وَحُلُّ الْأَصَارِ . وَأَطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ
السَّمَاءِ . أَمَّا الْهَرَمُ حَصَادُكُمْ . وَالْمَدْرُ بِهَذَاكُمْ . أَمَّا الْحِمَامُ مُدْرِ بِكُمْ .
وَالصِّرَاطُ مُسَلِّكُمْ . أَمَّا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ . وَالسَّاهِرَةُ وَرْدُكُمْ . أَمَّا
أَهْوَالُ الطَّائِمَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ . أَمَّا دَارُ الْعُصَاةِ الْخُطْبَةُ الْمُؤَصَّدَةُ .
حَارِسُهُمْ مَالِكٌ . وَرَوَاؤُهُمْ حَالِكٌ . وَطَعَامُهُمُ السُّبُومُ . وَهَوَاؤُهُمْ
السُّبُومُ . لَا مَالَ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدَ . وَلَا عَدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ . أَلَا رَحِمَ
اللَّهُ أَمْرًا مَلَكَ هَوَاهُ . وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ . وَأَحْكَمَ طَلَاعَةَ مَوْلَاهُ .
وَكَدَحَ لِرُوحِ مَأْوَاهُ . وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُسْرُ مُطَاوِعًا . وَالذَّهْرُ مُوَادِعًا .
وَالصَّحَّةُ كَامِلَةً . وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً . وَإِلَّا دَهْمُهُ عَدَمُ الْمُرَامِ . وَحَصْرُ
الْكَلَامِ . وَالْإِلَامُ الْأَلَامِ . وَجُحُومُ الْحِمَامِ . وَهُدُوءُ الْحَوَاسِ . وَمِرَاسُ
الْأَزْمَاسِ . آهَاهَا حَسْرَةُ الْمَهَامُ مُؤَكَّدٌ . وَأَمْدُهَا سَرْمَدٌ . وَمُمَارِسُهَا
مُكْنَمَدٌ . مَا لَوْلَاهُ حَاسِمٌ . وَلَا لِسَدْمِهِ رَاجِمٌ . وَلَا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ عَاجِمٌ .
أَلْهَمَكُمْ اللَّهُ أَحْمَدَ الْإِلَهَامِ وَرَدَّكُمْ رِذَاءَ الْإِكْرَامِ . وَأَحَاكُمُ دَارَ
السَّلَامِ . وَأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ . وَهُوَ أَسْمَحُ
الْكَرَامِ . وَالْمُسْلِمِ وَالسَّلَامِ

وَلَهُ مِنْ خُطْبَةٍ أُخْرَى

٢٦ مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ وَأَيُّ مُسْكِينٍ . رَكْنٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ رَكْنٍ .
وَأَسْتَعْصَمُ مِنْهَا بَغِيرُ مَكِينٍ . وَذُبُجٌ مِنْ حَبِهَا بَغِيرُ سِكِينٍ . يَكْفُ بِهَا
لِغَاوَتِهِ . وَتَكَابُ عَلَيْهَا لَشَقَاوَتِهِ . وَيَعْتَدُّ فِيهَا لِمُفَاخَرَتِهِ . وَلَا يَتَرَوَّدُ مِنْهَا

لَا خَيْرَ لَهُ . أَفَسِمُ مِنْ مَرَجِ الْبَحْرَيْنِ . وَنُورِ الْقَرَيْنِ . وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجَرَيْنِ .
 لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ . لَمَا نَادَمَ . وَلَوْ فَكَّرَ فِي مَا قَدَّمَ لَبَكَى الدَّمَ . وَلَوْ ذَكَرَ
 الْمَكَاةَ . لَأَسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ . وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَالِ . لَحَسَنَ فَنَجَّ
 الْأَعْمَالِ . يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ . لِمَنْ يَفْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهِبِ . فِي اكْتِنَازِ
 الذَّهَبِ . وَخَزَنِ النَّسَبِ لِدَوِي النَّسَبِ . ثُمَّ مِنْ الْبِدْعِ الْعَجِيبِ أَنْ
 يَعْظَكَ وَخَطُ الْمَشِيبِ . وَتُوْذِنَ تَمْسُكَ بِالْمَغِيبِ . وَلَسْتَ تَرَى أَنْ
 تَتِيبَ . وَتَهْدَبَ الْمَغِيبِ . ثُمَّ أَنْدَفَعَ يُلْشِدُ لِشَادٍ مِنْ يُرْشِدُ .

يَا وَبِخٍ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ وَهُوَ عَلَى عِيِ الصَّبَا مِنْكُمْ شِ
 يَعْشُو إِلَى نَارِ الْهَوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضَعْفِ الْهَوَى يَرْتَعِشُ
 وَيَمْتَطِي اللَّهُو وَيَعْتَدُهُ أَوْطَأَ مَا يَقْتَرِشُ الْفَقْرِشُ
 لَمْ يَهَبِ الشَّيْبُ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومُهُ ذُو اللَّابِ إِلَّا دُهِشُ
 وَلَا أَنْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ إِلَهِي عَنْهُ وَلَا بَالِي بِعَرَضِ خُذِشُ
 فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُخِّتَ لَهُ وَإِنْ يَعِشُ عُدَّ كَانَ لَمْ يَعِشُ
 لَا خَيْرَ فِي حَيَا أَمْرِي لَشَرُهُ كَاشَرَ مَيِّتٍ بَعْدَ عَشْرِ نَاشِ
 وَحَبَّذَا مَنْ عَرَضَهُ طَبِّ يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بَرْدِ رُقِشُ
 قُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ هَلَكْتَ يَا مُسَكِّينُ أَوْ تَنْقِشُ
 فَأَخْلَصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسُ بِهَا مِنْ الْخَطَايَا السُّودِ مَا قَدْ نُقِشُ
 وَعَاشِرِ النَّاسِ يُخْلِقُ رِضَى وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشُ
 وَرِشَ جَنَاحَ الْحَرِّ إِنْ حَصَّهُ زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشُ

وَأُحْيِدِ الْمَوْتُورَ ظُلْمًا فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِتْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَأَنْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذَوْكَبُورٍ عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْعِشْ
وَهَاكَ كَأْسُ النَّصِيحِ فَاشْرَبْ وَجِدْ بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إِيْخْوَانِي أَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ عَمَلٍ فِي الْأَيَّامِ خَيْرًا حُجِدَ أَمْرُهُ . وَمَنْ
أَقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عَمْرَهُ . سَيَنْدِمُ غَدًا مَنْ قَصَرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ .
وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ . وَيَبْكِي هَاجِرُ الْهَدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ .
إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادِرَةٌ تَذْهَبُ . وَاعْتَمَامُ أَيَّامٍ تَنْهَبُ . فَبَادِرْ بِعَمَلِكَ قَبْلَ
الْقَوْتِ . وَاعْتَمِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ . يَا مَنْ يَعْصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ .
وَيُبَارِزُهُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ فِي دَارِ
الْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ . وَلَا يَشُوقُهُ الْوَعْدُ وَلَا يَخُوفُهُ الْوَعِيدُ .
أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ الْعُمْرُ بِمُدِيدٍ . وَالْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ فَحُجِدْهَا أَقْسَى
مِنْ الصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ الْحَدِيدِ . تَقْطُ يَا مَعْرُورُ وَأَفْهَمُ يَا بَلِيدُ . فَلَا أَمَلُ
طَوِيلُ وَلَا أَمِنْ عَزِيزٌ عَزِيزٌ . وَطَرِيقُ الْعِقَابِ بَعِيدٌ بَعِيدٌ . كَيْفَ تَرْجُو
الْبَقَاءَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ وَالرَّحِيلَ . تَأْمَلُ الرِّضَا وَالزَّمَانَ قَدْ مَضَى فِي
غَيْرِ الْجَمِيلِ . أَعَدَدْتَ الْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى
الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ . فَإِلَى مَتَى تُضَيِّعُ الْوَقْتَ الشَّرِيفَ . وَحَتَّى مَتَى تَتَقَرَّبُ
إِلَى الْمَلِكِ اللَّطِيفِ . وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِتَحْقِيقِ التَّكْلِيفِ . وَأَيْنَ
تَأْتِيرُ الْإِنْدَارَ عِنْدَكَ وَالْتَّخْوِيفُ . يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

وَتَحْلَفَ . وَإِذَا وَعَدَ بِتَوْبَةٍ تَمَادَى وَأَخْلَفَ . وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ قَوَّانِي
وَسَوَّفَ . وَإِذَا أَدَّى وَاجِبًا شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ . وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى
مِنَ الْمُخَازِي لَمْ يَتَأَنَّ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ . وَإِذَا بَارَزَ بِالْمَعَاصِي لَمْ يَتَحَذَّرْ وَلَمْ
يَتَخَوَّفْ . هَذَا مَيْدَانُ الْجِهَادَةِ فَأَيْنَ أَجْتِهَادُكَ . هَذَا الرُّجِيلُ قَدْ دَنَا
فَأَيْنَ زَادُكَ . هَذَا الصِّرَاطُ قَدْ قَدَّ فَأَيْنَ اسْتَعْدَادُكَ . هَذَا رُكْنُ الْقَنَاءِ
وَتَيْقُ فَأَيْنَ اعْتِمَادُكَ . هَذَا الْإِعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ . هَذَا نَذِيرُ
الرُّجِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مَرَادُكَ . وَكَيْفَ نَسِيتَ مَارَبَكَ فَأَثَرْتَ عَلَى
يَقِينِكَ أَرْتَابَكَ . أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيحَكَ وَعِتَابَكَ حَتَّى مَلَيْتَ مِنَ الْخَطَايَا
كِتَابَكَ . لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَصَابَكَ . حَتَّى اخْتَرْتَ خَطَاكَ
وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ . أَلَسَيْتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ . أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ
جَوَابَكَ . يَا هَذَا الْبَكَّ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ خَزِينًا وَجَلًّا . قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمُ الْحُسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرِقٌ مُجَلًّا . وَكُنْ عَلَى طَلَبِ الْخَلَاصِ بِالْإِخْلَاصِ
مُسْتَسْهِلًا . قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَنَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلًا . كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ الْخَلَائِقُ مِنَ الْقُبُورِ وَفَارَ الْبَحْرُ السُّجُورُ .
وَتَدَكَّدَتْ الْجِبَالُ وَالصُّخُورُ . وَتَمَزَّقَتِ السَّمَاءُ وَهِيَ تُمُورُ . وَتَقَطَّعَتْ
الْأَرْضُ وَهِيَ تَحُورُ . فَهَلْ تَرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ قُورٍ . كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا انْكَشَفَتْ غَدَا الْأُمُورُ . وَأَنْهَكَتْ مِنَ الْمُذْنِبِينَ
السُّورُ وَبَرَزَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ . وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورُ . وَتَجَلَّى
الْعَزِيزُ الْغُورُ . وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَعْرُورُ . فَتَادَيْتَ بِالْوَلِيلِ

وَالْثُبُورِ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قُدِمَتْ غَدَاةُ النَّجْبِ لِلْمُطِيعِينَ .
وَأَنْقَطَعَتْ أَنْتَ فِي جُمْلَةِ الْمُنْقَطِعِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ
غَدَاةُ أَعْلَامِ التَّائِبِينَ . وَبَقِيَتْ أَنْتَ مَعَ الْخَائِبِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ
إِذَا حُشِرَ النَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبَتْ أَنْتَ
مَعَ الْأَسَارَى . وَدُمِعَتْ يَسِيحُ . وَجَفُنْكَ قَرِيحُ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى وَكَيْدُكَ
حَرَى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبُ . وَقَوَادُكَ يَذُوبُ . وَظُلْمُ الْمَعَاصِي قَدْ
أُنْكَشَفَتْ وَالشَّدَايدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحْفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ .
وَالرَّبَائِثُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَالْجَحِيمُ قَدْ أَزْقَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدْ
أَنْهَكَكَ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدْ أَشْهَرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدْ
لَتَهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدْ اسْتَعْبَرَتْ . تَلْتَفِتْ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ . وَقَدْ
خَابَتْ مِنْكَ الْأَمْالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : الْحَرِيقُ . كَيْفَ أَمْضِي وَأَيْنَ
الطَّرِيقُ . فَيَحْنُذِيهِرُبُ مِنْكَ الْأَخُ الشَّقِيقُ . وَيُنَالُ الْحِلَّ الْوَدُودُ
وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ . اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَاجْعَلْنَا مِنْ
تُبَاعِ الْفَائِزِينَ مِنَ الْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواظ لسان الدين الخطيب

٢٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ . الْمُبْدِي الْمُعِيدِ . الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنْ
الْعَبِيدِ . الْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . نُحْيِي رُبُوعَ
الْعَارِفِينَ بِحَيَاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ وَمُغْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ

الْأَفْقَارِ إِلَى الْأَرْضِ الرَّهِيدِ . وَتُخَلِّصُ خَوَاطِرَ الْمُتَحَقِّقِينَ مِنْ مُجْزُونَ
 دُجُونِ التَّقْيِيدِ إِلَى فَسْحِ التَّجْرِيدِ . نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظَمَةُ دُرَرُهُ فِي
 سُلُوكِ الدَّوَامِ وَتُسْمُوطِ التَّأْيِيدِ . حَمْدٌ مِنْ تَرَهُ أَحْكَامَ وَحَدَائِثِهِ وَأَعْلَامَ
 فَرَائِثِهِ عَنْ مَرَايِطِ التَّقْيِيدِ . وَتَخَابِطِ الطَّيْعِ الْبَلِيدِ . وَتَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ
 أَقْتَضَعَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ . وَتَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 شَهَادَةٌ تَنْحَطُّ بِهَا مَعَالِمُ الْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ عَلَى كِبِدِ التَّغْرِيدِ . آه
 أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ اللَّهِ تَعَالَى يَا أَحِبَّائِنَا لِيَسْمَعْ . وَفِيَا ذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يُطْمَعُ . يَا مَنْ يُعْطِي وَيُمْنَعُ إِذَا لَمْ تَقُمْ الصَّنِيعَةُ فَمَاذَا
 نَصْنَعُ . إِبْجَعْنَا بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ . وَلَيْنَ حَدِيدِهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ
 فَقَدْ اسْتَعَاذَ الْحَكِيمُ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ . اْعْلَمُوا
 رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْحِكْمَةَ صَالَةُ الْمُؤْمِنِ . يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ
 وَمِنْ الْجَمَادِ وَالْحَيَوَانِ . وَمَا أَمْلَاهُ الْمُلُوكَانِ . فَإِنَّ الْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ
 صَدَرَ مِنَ الْحَامِلِ . وَلَا يَقْصُرُ عَنْ مَحْمُولِهِ احْتِقَارُ الْحَامِلِ . وَأَنْتُمْ تَذَرُونَ
 أَنْكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ الْغَايَةِ رِحْلَةٌ . وَلَا تَتَأَتَّى مَعَهَا
 إِقَامَةٌ وَلَا مَهْلَةٌ . مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى الْوُجُودِ إِلَى النُّبُورِ إِلَى
 النُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارِي الْبَقَاءِ أَفِي اللَّهِ شَيْءٌ . فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا
 فِي الْبَرِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَ رُشٍ وَيَمْهَدُ وَيُرْشُ أَلَمْ تَكُونُوا تَصْحَكُونَ مِنْ جَهْلِهِ .
 وَتَعْبُونَ مِنْ زَكَاتِهِ عَلَيْهِ . وَوَاللَّهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَوَاعِلُكُمْ عَنْ
 اللَّهِ الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ إِلَّا بَقَاةُ سَفَرٍ فِي قَفَرٍ . أَوْ أَعْرَاسٍ فِي لَيْلَةٍ نَفَرٍ .

كَانَكُمْ بِهَا مَطْرَحَةٌ تَعْبُرُ فِيهَا الْمَوَاشِي . وَتَلْبُو الْعِيسُونَ عَنْ خَبَرِهَا
 الْمَلَاشِي . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَذَاتُكُمْ فَتْنَةٌ . وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ مَا بَعْدَ
 الْمَقِيلِ إِلَّا الرِّجْلُ . وَلَا بَعْدَ الرِّجْلِ إِلَّا الْمَنْزِلُ الْكَرِيمُ أَوِ الْمَنْزِلُ
 الْوَيْلُ . وَإِنَّكُمْ تَسْتَعْبِلُونَ أَهْوَالَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ بَوَاكِرِ حَسَابِهَا . وَتَعْتَبُ
 أَبْوَابَهَا . فَلَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا لَذَهَلَتْ الْعُقُولُ وَطَاشَتْ
 الْأَلْبَابُ . وَمَا كُلُّ حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ أَفَلَا أَعَدَدْتُمْ لِهَذِهِ الْوَرُظَةِ حِيلَةً . وَأَظْهَرْتُمْ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِهَا حِيلَةً . أَتَعْوِيلاً عَلَى عَفْوِهِ مَعَ الْمُقَاطَعَةِ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي
 مَقَامِ التَّهْدِيدِ . إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . أَمَّا مِنْ مَكْرِهِ مَعَ الْمُنَابَذَةِ . وَلَا
 يَأْمَنْ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَطْمَئِنَّا فِي رَحْمَتِهِ مَعَ الْخُلَافَةِ كَمَا
 قِيلَ : فَسَاكِبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَوْ مُشَاقَّةً وَمُعَانَدَةً . وَمَنْ يَشَاقِقْ
 اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ :

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْغُرُورُ

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 وَمَا عَدَا عَمَّا بَدَأَ وَرَسُولُكُمْ الْخَرِيصُ عَلَيْكُمْ الرُّوُوفُ الرَّحِيمُ يَقُولُ
 لَكُمْ : الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ
 نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَتَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي . فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعُولُ . وَمَاذَا
 يَتَأَوَّلُ . أَتَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي نُفُوسِكُمْ وَأَنْصَحُوهَا . وَاعْتَمِنُوا فُرْصَ
 الْحَيَاةِ وَارْجُوهَا . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

اللَّهُ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّائِرِينَ . وَتُنَادِي أُخْرَى : هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ
تَسْتَعِثُ أُخْرَى : يَا لَيْتَنِي زُرْتُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ . وَتَقُولُ أُخْرَى :
رَبِّ أَرْجِعُونِي . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ . وَقَدَّمَ
لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ تُجْرَى إِلَى الْمَوْتِ . وَالْغَفْلَةَ تَقُودُ إِلَى
الْقَوْتِ . وَالصِّحَّةَ مَرْكَبُ الْأَلَمِ . وَالشَّيْبَةَ سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَرَمِ .
وَلَهُ أَيْضًا مِنْ عَطَاةٍ

٢٩ إِيخْوَانِي ضَمَّتْ الْأَذَانُ وَالنَّدَاءُ جَهِيرُ . وَكَذَّبَ أَلْيَانُ وَالْمُسَارُ
إِلَيْهِ شَهِيرُ . أَيْنَ الْمَلِكُ وَأَيْنَ الظَّهِيرُ أَيْنَ الْخَاصَّةُ أَيْنَ الْجَمَاهِيرُ أَيْنَ الْقَبِيلُ
وَالْعَشِيرُ أَيْنَ ابْنُ أَرْدَشِيرِ . صَدَقَ وَاللَّهِ النَّاعِي وَكَذَّبَ الْبَشِيرُ وَغَشَرَ
الْمُسْتَشَارُ وَأَثَرَهُمُ الْمَشِيرُ . وَسُئِلَ عَنْ الْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى الْأَتْرَابِ الْمَشِيرِ :
خُذْ عَنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ الْآلَاتِي وَبَدَارِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِي
لَا تَعْتَرِزْ فَهُوَ السَّرَابُ بَقِيعَةٌ قَدْ خُودِعَ الْمَاضِي بِهِ وَالْآتِي
يَا مَنْ يَوْمَهُ لُوعِظًا وَمَذَكَّرًا يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ الْغَفْلَاتِ
هَلَّا أَعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبَرَةٍ بِمَدَافِنِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ
قِفْ بِالْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ فَلَكُمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ
دَرَجُوا وَلَسْتُ بِجَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ مُتَمَيِّزٌ عَنْهُمْ يَوْصَفُ حَيَاةَ
وَاللَّهُ مَا اسْتَهْلَتْ حَيًّا صَارِيحًا إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الْأَمْوَاتِ
لَا قُوَّةَ عَنْ دَرَكِ الْجِمَامِ لِهَارِبِ وَالنَّاسُ صَرَعُوا مَعْرَكَ الْأَقَاتِ
كَيْفَ الْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ سِنَّةَ الْكُرَى بِمَدَارِجِ الْحَيَاتِ

أَسَفًا عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَمُوتِ لَا نَنْفُكُ عَنْ شُغْلِ بَهَاكَ وَهَاتِ
 وَيَعْمُرُنَا لِمَعَ السَّرَابِ فَتَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ
 يَا مَنْ عَدَا وَرَاحَ وَأَلْفَ الْمَرَاحِ . يَا مَنْ شَرِبَ الرِّيحَ مَمْرُوجَةً
 بِالْعَذَابِ الْقَرَّاحِ . وَقَعَدَ لِعَيَانِ صُرُوفِ الزَّمَانِ مَقْعَدَ الْإِقْتِرَاحِ .
 كَأَنَّكَ وَاللَّهِ بِاخْتِلَافِ الرِّيحِ وَسَمَاعِ الصَّبَاحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ
 الْأَجْتِيَاحِ . فَأَدِيلُ الْخَفُوفِ مِنَ الْأَرْتِيَاحِ . وَنَسِيتُ أَصَوَاتُ الْغَنَاءِ
 بِرَنَاتِ الرِّيحِ . وَعَوِضْتُ عَرْدَ النَّوْبِ الْقِيَاحِ . مِنْ غُرْرِ الْوُجُوهِ
 الصَّبَاحِ . وَتَنَاولْتُ الْجُسُومَ النَّاعِمَةَ أَيْدِي الْإِطْرَاحِ . وَتَنَوَّسَيْتُ
 الْعُهُودَ الْكَرِيمَةَ بِمَرِّ الْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَالصَّبَاحِ . وَأَصْبَحْتُ كَمَاةَ الْإِطْرَاحِ مِنْ
 تَحْتِ الْإِطْرَاحِ . وَخَمَلْتُ الْمُهَنْدَةَ وَالرَّمَاحَ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ الْجَمَاحِ
 تَبًّا لِطَائِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَضَرُّفِهَا حُلُمٌ
 صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سَرَاوُهَا ضَرْرٌ أَمَلَتْهَا عَدْرُ أَنْوَارِهَا ظَلَمٌ
 شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَتْهَا سَقَمٌ لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
 فَخَلَّ عَنْهَا وَلَا تَزَكَّنْ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نَعَمٌ فِي طَيْهَا نِقَمٌ
 يَا مُسْتَغَلًّا بِدَارِهِ . وَرَمَّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى النُّجَاةِ وَبِدَارِهِ .
 يَا مَنْ صَاحَ بِإِنذَارِهِ . شَيْبُ عَذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ اعْتِدَارِهِ
 بِأَقْدَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بَعْدَ مَزَارِهِ . وَثَقُلَ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَلِّقًا بِنَظَرِ هُجُومِ
 جَزَارِهِ . يَا مَنْ أَمَعَنَ فِي خَيْرِ الْهُوَى خَفَ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ
 مَوْلَى رِقَّةٍ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَةِ تَرْدٍ . يَا مَقْتُونًا بِأَنْفُسٍ تُعَدُّ .

يَا مَعُولًا عَلَى الْإِقَامَةِ وَالرِّحَالُ تُشَدُّ. كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوْتِقَ الشَّدُّ
وَالصِّقُّ بِالْوَسَادَةِ اخْذُ. وَالرِّجْلُ تَقْبِضُ وَالْأُخْرَى تُمَدُّ. وَاللِّسَانُ
يَقُولُ يَا لَيْتَا نَزَدُ :

إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّا لَهُ مَا أَشْغَلَ الْإِنْسَانَ عَنْ شَأْنِهِ
يَرْتَاحُ لِلْأَثْوَابِ يُزْهِى بِهَا وَأَخْطِطُ مَغْزُولٌ لَا كُفَّاهِ
وَيُخْزِنُ الْفُلْسَ لَوْرَائِهِ مُسْتَفِدًّا مَبْلَغُ أَكْوَانهِ
قَوْضٍ عَنِ الْفَانِي رِحَالُ أَمْرِي مَدَّ إِلَيْهِ عَيْنَ عِرْقَانِهِ
مَا تَمَّ إِلَّا مَوْقِفٌ زَاهِدٌ قَدْ وَكَّلَ الْعَدْلُ بِمِيزَانِهِ
مُقَرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِهِ وَنُحْسِنُ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ
يَا هَذَا خَفِيَ عَلَيْكَ مَرَضُ اعْتِمَادِكَ . فَأَتَبَسَّ الشَّخْمُ بِالْوَرَمِ .
جَهَلَتْ قِيمَ الْمَعَادِنِ فَبِعَتْ الشَّبَّهَ بِالذَّهَبِ . فَسَدَ حُسْنُ ذَوْقِكَ فَتَمَكَّهَتْ
بِحُظْلَةٍ . أَيْنَ حِرْصُكَ مِنْ أَجْلِكَ . أَيْنَ قَوْلُكَ مِنْ عَمَلِكَ . يُذِرُكَ
أَحْيَاءُ مِنَ الطُّفْلِ فَتَحَامِيَ حِمَى الْفَاحِشَةِ فِي الْبَيْتِ بِسَبِّهِ . ثُمَّ تَوَاقَعُهَا
بِعَيْنِ خَالِقِ الْعَيْنِ وَمُقَدِّرِ الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ . تَأَلَّهَ مَا فَعَلَ فَعَلَكَ بِمَعْبُودِهِ
مَنْ قَطَعَ بوجُودِهِ . مَا يَكُونُ مِنْ تَجَوُّى ثَلَاثَةٍ إِلَى عَلِيمٍ تَعُودُ عَلَيْكَ
مَسَاعِي الْجَوَارِحِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَطَّرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ فَتَجْبُلُ مِنْهَا فِي سَبِيلِهِ بِفُلْسٍ . وَاحِدُ الْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ إِمَّا التَّكْذِيبُ
وَإِمَّا الْحَقَاقَةِ وَجَمْعُكَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ نَجِيبٌ . يَرْزُقُكَ السِّنِينَ الْعَدِيدَةَ
مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ وَتُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ تَوْجِبُ الْحَقَّ

وَتَعْتَذِرُ بِالْعَفْلةِ . فَمَا بِالْأَتَمَادِي تَتَرَفُّ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ فِي الْإِضْرَارِ
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خُبْتُ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكَدًا .
يَا مُدْعِي اللِّسَانِ مَاذَا فَعَلْتَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ . يَا مُعْتَذِرًا بِالْعَفْلةِ أَيْنَ ثَمَرَةُ
التَّنْبِيهِ . يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ . يَا ذُبابَةَ الْحَرِّصِ كَمْ ذَا تَلَجُّجُ
فِي وَرَطَةِ الشَّهْدِ . يَا تَائِمًا لِمَلْءِ عَيْنِهِ حَذَارِ الْأَجَلِ قَدْ أَنْذَرَ . يَا تَمَلُّ
الْإِعْتِرَارِ قُرْبُ خُمَارِ النَّدَمِ . تَدْعِي الْحَذَقَ بِالصَّنَاعِ وَتَجْهَلُ هَذَا الْقَدَرَ .
تَبْذُلُ التَّنْصِيحَ لِغَيْرِكَ وَتَتَعَشُّ نَفْسَكَ هَذَا النَّفْسُ . إِنْ دَمَلَ جُرْحُ تَوْبَتِكَ
عَلَى عَظَمِ قَامٍ بَنَى عِزَّتِكَ عَلَى رَمَلٍ . تَبَتَّ خَضْرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى
دِمْنَةٍ . عَقَدْتَ كَهْفًا مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ
فَرَأَاهُ حَسَنًا . فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . إِذَا غَامَ جَوْ
هَذَا الْمَجْلِسِ وَابْتَدَأَ رَشْ غَمَامِ الدُّمُوعِ قَالَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ : حَوَالِنَا
لَا عَلَيْنَا . قَدَّاتِ رِيَّاحُ الْعَفْلةِ وَتَحَابُّ الصِّيفِ هَفَّافٌ كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ
الْعَزِيمَةِ عَلَى دُرَّةِ التَّوْبَةِ صَانَعَتْهُ ظُهُرُ الشَّهْوَةِ عَنْ ذَلِكَ يَعْصُفُورٌ . إِذَا
ضَيَّقَ الْخَوْفُ فِئْصَةَ الْمَهْلِ سَرَقَ الْأَمَلُ حُدُودَ الْجَارِ . قَالَ بَنُضُ
الْفَضْلَاءِ : كَانُوا إِذَا فَقَدُوا قُلُوبَهُمْ . تَفَقَّدُوا مَطْلُوبَهُمْ . وَلَوْ صَدَقَ
الْوَعْدُ لَا تَرَى . اللَّهُمَّ لَا أَكْثَرَ طَيِّبٌ يَدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ عَالِي . وَالْخَطْبُ
جَلِيلٌ وَالْمُنْطَبِنُ قَلِيلٌ فَهَلْ إِلَى الْخُلَاصِ سَبِيلٌ . اللَّهُمَّ أَنْظِرْ إِلَيْنَا
بِعَيْنِ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ الْأَشْيَاءَ وَشَمَلَتْ الْأَمْوَاتَ وَالْأَحْيَاءَ .
يَا دَلِيلَ الْخَائِرِينَ دُلَّنَا . يَا عَزِيزُ أَرْحَمْ دُلَّنَا . يَا وَلِيَّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ كُنْ لَنَا

كُلْنَا . إِنِ اعْرَضْتَ عَنَّا فَمَنْ لَنَا نَحْنُ الْمَذْنُبُونَ وَأَنْتَ غَفَّارُ الذُّنُوبِ .
فَقَلْبُ قُلُوبِنَا يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ . وَأَسْتَرْ عِيُونَنَا يَا سِتَّارَ الْعُيُوبِ . يَا أَمَلَ
الطَّالِبِ وَيَا غَايَةَ الْمَطْلُوبِ

٣٠ ولسان الدين في المراءض ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ونصه
إِذَا لَمْ أُنْجِ يَوْمًا عَلَى نَفْسِي أَلْتِي بِحِرَائِمِهَا أَحْيَيْتُ كُلَّ حَيِّبٍ
وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ عَادِيَةَ الرَّدَى تَدِبُ لَهَا وَاللَّهُ كُلَّ دَيِّبٍ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهَا بِأَذْمِعِي إِذَا كُنْتُ مَوْصُوفًا بِرَأْيِ لَيْبٍ
كَمْ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَيِّبٍ تَعَارُ مِنْ إِرْسَالِ طَرْفِكَ بِكِتَابِ
الْهُوَى إِلَى إِنْسَانِهِ . وَقَدْ ذَلَّتْ بِالسُّقْمِ رَجِسَةُ لَحْظِهِ وَذَوَتْ وَرْدَةُ
خَدِّهِ وَأَصْفَرَّتْ لَغَيْبِ الْفِرَاقِ شَمْسُ حُسْنِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ أَلْتِي كَانَ
يَجْعَلُ مِنْهَا بِالنَّفْسِ . يُخَاطِبُ بِلِسَانِ حَالِهِ مُسْتَرْجِمًا . وَلَيْتَ الْفُجْلُ يَهْضِمُ
نَفْسَهُ وَأَنْتَ عَلَى أَرْ مَسْجِيهِ إِلَى دَسْتِ الْحُكْمِ . وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ
بِي وَلَا بِكُمْ . وَمِنْهَا تَأَلَّهَ لَوْلَمْ يَكُنِ الْخُبْرُ صَادِقًا لِلشَّبِّ بِحُلُقِ الْعَيْشِ
بَعْدَهُ شَوْكَةُ الشَّكِّ :

وَلَوْ أَنَا إِذَا مُتًا تَرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مُتًا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فَالْحَازِمُ مَنْ بَتَرَ أَلَا مَالَ طَوْعًا . وَقَالَ : بِيَدِي لَا يَدُ عَمْرٍو .
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرُبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبَنَّكُمْ
بِاللَّهِ التَّوَرُّو . وَقَالَ أَمِيرُ الْوُعَاظِ : وَبِضِدِّهَا تَمَيِّزُ الْأَشْيَاءِ . يَا مَقْتُولَا

مَا لَهُ طَالِبٌ نَارٍ يَرِيدُ الْمَوْتَ مُطْلَقُ الْأَعْتَةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يَنْجُمُكَ حِصْنُ
 ثَوْبٍ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَائِفَاتِ أَنْفَاسِكَ . وَالْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ
 ذَرَاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتِ الزَّمَانِ قُوَّةً فِي النَّسْجِ الضَّعِيفِ . فَيَا سُرْعَةَ
 التَّنْزِيلِ يَا رَابِطًا مَنَاهُ بِحَيْطِ الْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ الْقَتْلِ صَيَّادُ التَّلَفِ
 قَدْ بَثَّ الصُّفُورَ . وَأَرْسَلَ الْعُقْبَانَ وَنَصَبَ الْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ الْأَوَادَ فَكَيْفَ
 السَّلَامَةُ . تَهَيَّأْ لِسُرْعَةِ الْمَوْتِ وَأَشَدِّ مِنْهَا قَلْبُ الْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا
 يُوَوَّلُ أَمْرُ . مَرْكَبُ الْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ الْبَدَنِ بِرُخَاءِ الْأَنْفُسِ . وَلَا
 بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ قَاصِفٍ لِفُلُوكِهِ وَيُغْرِقُ الرُّكَّابَ :

فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
 (وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبٍ التَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَأَنْهَزَتْ بِجُنُودِ
 الْأَمَلِ . وَإِذَا بَلَكَ الْمَوْتَ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطِّ طَيْفِ الشَّدَايِدِ
 مِنْ قِيَانِ الْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ كِتَابَ الذَّبِيحِ وَحَارَ الْبَصَرُ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ .
 وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عَنْ الْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ
 عَنْ الْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ النَّارِ . وَجَمِيعُ الْخَلُوقَاتِ تَسْتَوِكِفُ الْخَبَرَ
 وَالْكَوْنُ كُلُّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صِيحَةٍ : سَعْدٌ فَلَانٍ أَوْ شَقَاءٌ فَلَانٍ . فَهَئَاكَ تَنْجَلِي
 أَبْصَارِ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيُحَسِّسُ تَهَيَّأْ لِمَا
 السَّاعَةِ حَصَلَ زَادًا قَبْلَ الْقَوْتِ :

تَمَتَّعْ مِنْ سِيمِ عَرَارٍ تَجِدُ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارٍ
 مِثْلَ لَعِينِكَ سُرْعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ فِي

وَقَتِ الْأَنْسِرَ فَأَفْصَلَهُ فِي وَقْتِ الْإِطْلَاقِ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
أَتَأْمُلُ فِي الدُّنْيَا تُجِدُّ وَتُعْمَرُ وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُثْبِرُ
تُلْجُ آمَالًا وَتَرْجُو نَسَاجًا رَعْمُكَ بِمَا قَدْ رُجِّيهِ أَقْصَرُ
تَحْمُومٌ عَلَى إِذْرَاكِ مَا قَدْ كُفِّيَتْهُ وَتُقْبَلُ بِالْأَمَالِ فِيهِ وَتُدْبِرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ وَلَيْلَتُهُ تَعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وِرْزُقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِمَّا مُجْجَلٌ عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرٌ
وَلَا حَوْلُ مُحْتَالٍ وَلَا وَجْهٌ مَذْهَبٍ وَلَا قَدَرٌ لُجِّيهِ إِلَّا الْمَقْدَرُ
وَقَدْ قَدَّرَ الْأَذْرَاقُ مَنْ لَيْسَ عَادِلًا مِنْ الْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِيمَا يُقَدَّرُ
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تُخُونُ وَتَعْدُرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ وَلَا الرِّئَقُ إِلَّا رَيْثًا يَتَغَيَّرُ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرٌّ شَارِقٌ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلٌ عَمْرِكَ يَتَصَرُّ
تَطَهَّرَ وَالْحَقُّ ذَنْبُكَ الْيَوْمَ تَوْبَةٌ لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطَهَّرَ
وَسَيَّرَ فَقَدْ أَبَدَى لَكَ الْمَوْتَ وَجْهَهُ وَلَيْسَ يَبَالُ الْقُورُ إِلَّا الْمُسْتَمِرُّ
فَهَذِي اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتُكَ بِالْبَلِي تَرْوَحُ وَأَيَّامُكَ كَذَلِكَ تَبْكُرُ
وَأَخْلَصَ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَبَيَّةً فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيُظْهِرُ
وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ فَيُظْهِرُ عَنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ
تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَايِرٌ إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحِفْرَةٍ بِأَثْلَاهَا تَطْوَى إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

نخبة من حُطَب الاعياد السديّة لابن الحديثي المعروف بابي الحليم
لعيد الميلاد المجدي المقدّس

٣١ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوَصْفِ الْاَحَدِيَّةِ وَلَا يُقَاسُ بِالْاَحَادِ .
وَيُمَيِّزُ بِثَلَاثِ صِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَاتِلُ خَصَائِصَ الْأَعْدَادِ .
وَعَلَا يَعْزِزُ الْعَظَمَةَ وَالْاِقْتِدَارَ عَنِ النُّظَرَاءِ وَالْأَشْبَاهِ وَالْاَنْدَادِ .
وَتَقْدَسُ بِسُلْطَانِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْاِعْتِلَاءِ عَنْ دَمَائِمِ اَوْصَافِ الْعِبَادِ .
الَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعِ صُورِ الْخَلْقِ الْكُونِيَّةِ فِي قَوَالِبِ الْمَوَادِّ . وَأَخْرَجَهَا
إِلَى نُورِ كَمَالِ الْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ الْقُوَّةِ وَالْاِسْتِعْدَادِ . وَأَرْشَدَنَا
فِي تَبِهُ ظَلَامِ الْأَضَالِيلِ بِنُورِ الْاِهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ الْجَوَادِ . وَفَصَّمْ عَنْ
أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ الْخَطَا يَا يَوْمَ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ الْمَطْلَعِ الْبُتُوْلِيِّ بِالْمِيلَادِ .
نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُرَآءُ مِنَ الْمَغَايِبِ وَالْتَرْتِيفِ فِي صَدَقِ حَدَقَةِ النُّقَادِ .
وَلَشُكْرُ سَوَائِعِ نِعَمِهِ الْجَسِيْمَةِ شُكْرًا تَنْتَرَحُ لِرُوتَقِ بَيْتِهِ شَوَائِحُ الْأَطْوَادِ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا أَشْرَفُ الْأَيَّامِ . وَالْأَلْفُ الْمَوَاقِفِ
الْمُعْظَمَةِ وَبِكُرِّ الْأَعْيَادِ الْكَرَامِ . يَوْمُ الْقَرَحِ الْأَعْظَمِ وَالسُّرُورِ
الْكَامِلِ . يَوْمُ الْاِسْتِشَارِ الْأَكْرَمِ وَالْخُبُورِ الشَّامِلِ . يَوْمُ الْهَنَاءِ الْأَوْفَرِ
وَالْجَذَلِ الْجَدِيدِ . يَوْمُ الْاَعْيَادِ الْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ النَّجْلِ الْوَحِيدِ . يَوْمُ اِهْتِمَاجِ
الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . يَوْمُ إِزَالَةِ الذُّنُوبِ بِالْفَقْرِانِ . يَوْمُ أَنْذَرَتْ بِهِ
الْبَشَائِرُ النَّبَوِيَّةُ . يَوْمُ جَلَّ عَنِ النُّظَايِرِ وَالْأَشْبَاهِ الْمِثْلِيَّةِ . يَوْمُ تَفَتَّحَتْ
فِيهِ أَبْوَابُ السَّعَادَاتِ أَمَامَ الْبَشَرِ . وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ الْإِفَادَاتِ

مِيلَادِ الْمَسِيحِ الْمُنْتَظَرِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أُفْتَرَتْ فِيهِ نَوَاجِدُ الْخَلَائِقِ .
 وَتَبَيَّنَتْ سُورُ الْجُودِ وَالْإِنْعَامِ فِي وُجُوهِ الْخَلَائِقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
 كُنِيتَ فِيهِ صُكُوكُ الْخَلَاصِ الْمُنْطَلَقِ . وَأَسْفَرَ لَيْلُ الشُّكُوكِ عَنْ غُرَّةِ
 الصَّبَاحِ الْأَشْرَقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَأَلَّقَ فِيهِ كَوَكَبُ الْحَيَاةِ مِنْ
 أَفْرَاقِنَا . وَحَقَّقَ لَنَا فِي الْعَالَمِ الْمَلَكُوتِيِّ حِصَّةً فِي الثُّورِ وَإِرْثًا . هَذَا
 الْيَوْمُ الَّذِي أَشْرَقَ فِيهِ لِلْأَتَقِيَاءِ شَمْسُ الْبَرَادَةِ . وَذَرَّتْ مِنَ الْفَلَاحِ
 الْمُرِيحِيِّ فِي آفَاقِ الْمَعَارَةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَهْتَرَتْ لَعْرَحَتُهُ أَعْطَافُ
 الْجُودِ . وَأَنْشَقَّتْ بِمَدَى الْخَلَائِقِ أَصْدَافُ الْوَعْدِ . وَتَلَأَلَّتْ أَضْوَاءُ
 دُرَّةِ الْحَيَاةِ فِي أَكْثَافِ قَرِيَةِ دَاوُدَ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي ظَوَّرَ فِيهِ السَّيِّدُ
 الْمَسِيحُ مِنَ الْمُقْصُورَةِ الْبَتُولِيَّةِ . مُجَلِّبًا بِالنَّاسُوتِ عَلَى نُورِ الْأَزَلِيَّةِ .
 وَبَشَّرَتْ فِيهِ بِصَالِحِ الرَّجَاءِ أَصْقَاعُ الْبَرِّيَّةِ . وَتَمَيَّنَ بِمَوْلِدِهِ الْجَسَدِيُّ
 أَبْنَاءُ الْجَبَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ . الْيَوْمَ قَرَّتْ شَقَاشِقُ أَسْعِيَا النَّبِيِّ الْمُعْجَدِ فِي
 الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْبَتُولَ الطَّاهِرَةَ تَحْبِلُ وَتَلِدُ أَشْرَفَ الْأَبْنَاءِ . الْيَوْمَ أَنْتَضَى
 الْكَوَكَبُ الصُّنْبُجِيُّ فِي فَلَكِ آلِ يَعْقُوبَ . وَقَضَّ بِنُورِهِ أَعْسَاقَ الضَّلَالِ
 مِنْ آفَاقِ الْقُلُوبِ . الْيَوْمَ تَصَلَ خِضَابُ الْأَضَالِيلِ . أَصْحَرَتْ هِضَابُ
 الْأَبَاطِيلِ . تَنَازَلَتْ أَوْرَاقُ الرِّذَائِلِ . بَدَأَ الْإِيزَاقُ فِي أَنْعَصَانِ
 الْقَضَائِلِ . الْيَوْمَ تَبَلَّجَتْ أَقْمَارُ الْخَلَائِقِ . فَتَحَتْ الذُّخَايِرُ وَالْكُنُوزُ .
 فَضِيَّتْ سُتُورُ الْأَسْرَادِ عَنْ وُجُوهِ الْأَمْثَالِ وَالرُّمُوزِ . الْيَوْمَ تَدَكَّدَتْ
 أَعْرَانُ الضَّلَالِ . تَبَرَّكَتِ الْأَذْهَانُ بِمِيلَادِ مُفِيدِ الْكَمَالِ . تَنَهَّسَ صَبَاحُ

السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . تَسَرَّيْتَ جُبْلَهُ آدَمَ مِنْ فَخْرِ الْوِلَادَةِ الْمَسِيحِيَّةِ
 اِسْنَى حُلَّةً وَأَبْهَى سِرْبَالٍ . الْيَوْمَ أَتَجَمَّ سَحَابُ الْعَطَايَا . أَتَجَمَّ خَبَابُ
 الْخَطَايَا . فُتِحَتْ خَزَائِنُ الْمَوَاهِبِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ الْأَذْخَارِ لِكُلِّ آتٍ
 وَذَاهِبٍ . الْيَوْمَ سَقَطَتْ أَجْنَةُ الطُّغْيَانِ . لُيَسَتْ جُنَّةُ الْفُتْرَانِ . ظَهَرَتْ
 سُنَّةُ الْإِيمَانِ . تَهَقَّرَتْ الْأَكِنَّةُ عَنِ الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . الْيَوْمَ
 أَصْبَحَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَذْرَانِ مَحْمُومَةً . وَأَعْصَانُ الذُّنُوبِ مِنَ الْأَذْهَانِ
 مَحْمُومَةً . وَالْأُمَّةُ الْيَهُودِيَّةُ عِنْدَ الْأَنَامِ مَذْمُومَةً . وَحِجَارُ الْهَيْجَاءِ وَالْمَذَامِ
 مَحْضُوبَةٌ مَرْجُومَةٌ . فَيَتَبَنَّى لَنَا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَجْتَلِي مَحَاسِنَ الْأَعْيَادِ
 بِأَبْصَارِ الْبَصَائِرِ . وَتَسْتَشْفِ بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ هَذِهِ النِّعَمَ الْغَزَائِرَ . فَإِنَّا
 نَرَى حَبَلًا تَنْزَهُ عَنْ مَسَافِطِ النُّطْفِ الرُّزْغِيَّةِ . مِيلَادًا لَمْ تَنْقُضْ بِهِ
 الْحُتُومَ الطَّبِيعِيَّةَ . أَمَا قَدْ شَاخَ مَعَهَا اسْمُ الْبَتُولِيَّةِ . خَطِيبًا يُفْصَحُ بِالْقَاءِ
 عَنِ الْقُدْرَةِ الْعَالِيَةِ . مِعْلَقًا أَرْدَى بِرَوْثِهِ عَلَى السَّدِّ السُّورِيَّةِ . مَعَارَةً
 أَرَبَتْ شَرْفَاعًا عَلَى الْأَوَاوِينَ السَّرِيَّةِ . رِعَاةَ شَبَوَانٍ شَطَايَا الْعِصِيِّ نَارًا
 مُضِيَّةً . مَجُوسًا تُقَرِّبُ الْقَرَابِينَ وَتُذْنِي الْهَدِيَّةِ . مَلَانِكَةً تُنَادِي
 بِالسَّلَامِ وَالرَّجَاءِ فِي أَرْجَاءِ الْبَرِيَّةِ . كَوَكَبًا يَهْدِي مَوَكِبًا مِنْ أَقْيَالِ
 أَجْجُوسٍ إِلَى وَصِيدِ الْمَغَارَةِ الَّتِي لَحْمِيَّةٌ . قُطَا تَشْرَفَتْ بِهَا الْأَعْلَامُ
 وَالْبُنُودُ الْمَلَانِكِيَّةُ . طِفْلًا تَرْتَجُّ لِهَيْتِهِ أَقْطَابُ الْكُرَاتِ الْفَلَكَيَّةِ . فَهَلُمُّوا
 الْآنَ يَا أَصْفِيَاءَ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ . تَنْثُرْ مِنْ صَدَفِ الْأَفْوَاهِ لَاكِيَّ
 الْمَسِيحِ . نُكْثِرْ مِنَ التَّحْيِيدِ لِهَذِهِ الرَّاقَةِ . وَنَقِفْ أَمَامَ اللَّهِ بِالرَّعْدَةِ

وَالْحَقَاقَةِ . تَتَوَهَّبُ الصَّغَاتِ وَخَسَائِسَ الْأَحْقَادِ . وَتَحُلُّ أَحْيَادَ الْعَقَائِدِ
بِقَالِسِ عُمُودِ الْإِعْتِقَادِ . تَغْسِلُ مِنْ دَسَائِيرِ الْقُلُوبِ أَسَاطِيرَ الشُّكُوكِ .
وَتُخْرِجُهُ سُبْحًا يَرَايِنُ الْأَعْمَالِ مَعَ الْمُلُوكِ . نَخْلَصُ النِّيَّاتِ وَالسَّرَائِرَ .
وَنُعِدُّ لَنَا فِي ظُلْلِ النُّورِ أَخِيرَ الذَّخَائِرِ . تَتَطَهَّرُ مِنْ أَوْضَارِ الْجُسُومِ
وَخَطَايَا النُّفُوسِ . وَنُقَدِّمُ لَهُ الطَّاعَةَ الْقَلْبِيَّةَ مَعَ هَدَايَا الْجُيُوسِ . نَقْرَبُ
لِمَوْلَاهُ مَعَ رِعَاةِ الْأَنْعَامِ وَنُسْرٍ بِالْفَرَحَةِ الَّتِي عَمَّتِ الْيَوْمَ كُلَّ الْأَنَامِ .
نَسْتَشِيرُ هَذِهِ الْمُنَاقِبَ وَالْمُنَاقِبَ . وَنَسْتَشْفِ مَا ثَرَّ الْعِيدِ السَّعِيدِ بِالْأَرَاءِ
الْثَوَاقِبِ . وَنَقِفُ فِي هَذَا السِّرِّ الشَّرِيفِ وَقُوفَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ .
وَنَتأملُ الْأَشْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ بَعُيُونِ الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَنَضْرَعُ إِلَى
الَّذِي هَدَانَا مِنْ مَتَابِهِ الْأَضَالِيلِ . وَقَادَنَا إِلَى مَدَارِجِ الْهُدَى بِخَرَائِمِ
أَوَامِرِ الْإِنْجِيلِ . أَنْ يُشْرِفَ جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِهِ . وَيُضَاعِفَ مَرَامِحَنَا
بِرَأْفَتِهِ . وَيَسْدُلَ عَلَى أَبْوَابِ حَوَائِصِنَا سُورَ عِصْمَتِهِ . وَيَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ
السَّعِيدَ مَبَارَكًا عَلَى أُمَّتِهِ مَيُّونَ النَّقَائِبِ عَلَى شَعْبِهِ الْقُدُّوسِ وَرِعِيَّتِهِ .
وَيُزْرِعَ الْأَلَمَةَ وَالْحَبَّةَ فِي بَيْعَتِهِ . وَيُخَمِّدَ نَوَائِرَ الْفَتَنِ الثَّوَابِرِ فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ بِرَحْمَتِهِ . وَيُعِيدَ كُلَّ خَالِيلٍ حَائِدٍ عَنْ جَدَدِ الْإِسْتِسْوَاءِ إِلَى
زُمرَتِهِ . وَيُقْصِي كُلَّ مَرِيدٍ خَافَ رَبِّيَّةَ الطَّاعَةِ عَنْ أَظْلَالِ عَنَابَتِهِ .
وَيَجْعَلَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانًا فِي اكْتِنَافِ الْحَرَمِ الْحَرِيِّزِ
الْأَمْنِ . وَالْطَّافِ الظِّلِّ الْمُدِيدِ الْأَوْسَعِ . وَأَعْرَافِ الْحِمَى الْعَزِيزِ
الْأَشْرَسِ . وَأَعْلَى ذُرُوتِ الْعِزِّ الشَّدِيدِ الْأَقْصَى . وَأَنْ يُسَبِّحَ ظِلَّهُ

الظِّلِيلَ النَّاصِرِيَّ . عَلَى شَعْبِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ لِيُجْمَعَ سَرِبُهُمْ
 مِنْ الْأَذْدَاءِ بِصَارِمِ عَذْلِهِ . وَتُخْرَسَ شُرْبُهُمْ مِنَ الْأَقْدَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ
 وَعَزِيزِ فَضْلِهِ . لِشِفَاعَةِ الْأَطْهَارِ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْمُؤَيَّدِينَ . وَصَلَاةِ الْأَخْيَارِ
 مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُتَرَهِّدِينَ . آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَغَرِّدِ بِالْكَمَالِ فِي عِزَّةِ اقْتِدَارِهِ . وَالْمُتَوَحِّدِ بِالْجَلَالِ
 فِي سُرَادِقِ نَجْدِهِ وَوَقَارِهِ . الْمُتَلَقِّبِ عَنْ لَهَاتِ الْأَبْصَارِ بِسُورِ
 أَنْوَارِهِ . الْمُتَلَقِّبِ عَنْ لَهَاتِ الْأَفْكَارِ بِنُورِ أَسْتَارِهِ . الَّذِي عَجَزَتْ
 الْأَفْهَامُ مَوَانِعَ مَعْرِفَتِهِ . وَعَجَزَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ . وَذَهَلَتْ
 الْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ . وَدَهَشَتْ أَبْصَارُ النُّظَارِ فِي صَنَائِعِ
 حِكْمَتِهِ . الَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوَجَّهَهُ الْإِيمَانَ مُلْقَعَةً بِرِذَاءِ الضَّلَالِ .
 وَمَلَأَ الْجَهْلَ وَالْبُهْتَانَ . سَاجِبَةً الدَّلَازِلَ وَالْأَذْيَالَ . وَمَرَاتِعُ
 الْفَضَائِلِ دَارِسَةُ الْمَعَالِمِ وَالْأَطْلَالِ . وَمَرَاتِعُ الرِّذَائِلِ مُخْصِبَةُ الْأَخْلَاءِ
 مُتَمِّدَةُ الْأَطْلَالِ . فَسَدَدَ بَلْفُظُهُ الْأَقْدَامَ الْعَاثِرَةَ . وَشَدَّ بَوَظُّهُ
 الْأَعْلَامَ الدَّائِرَةَ . وَرَدَّ الْخَلْقَ مِنْ فِتْجَاجِ الرَّدَى بِالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ .
 وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ الْهُدَى بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ . حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ
 الْإِيمَانِ مِنْ انْكَدَارِ رَنَقِهِ . وَأَشْرَقَ الْحَقُّ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي دَائِرَةِ
 قَلْبِهِ . وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ الْهُدَى فِي جَوْهِ وَمَشْرِقِهِ . وَتَجَلَّى الدِّينُ
 الْمَسِيحِيُّ فِي أَفْخَرِ أَنْوَابِهِ وَبَهَاءِ رَوْنِقِهِ . نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ حَسَرَ فِي أَدَاءِ

فَرَأَيْتُ الطَّلَاعَاتِ عَنْ سَافِهِ وَمَرْقَمِهِ . وَشَكَرُهُ شُكْرًا تَبْلُجُ أَهْلَهُ
الْإِخْلَاصَ عَلَى جَبِينِهِ وَمَرْقَمِهِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ذَا يَوْمٍ الْقِيَامَةِ وَبِدَايَةِ
الْجُلُوسِ عَلَى الْيَمِينِ . فَلْتَفْرَحْ بِهَذَا الْعِيدِ وَلِيُعَاقِبْ بَعْضُنَا بَعْضًا . أَلْيَوْمُ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ أَلْسُخِيَّةٍ وَمَبْدَأُ التَّجْدِيدِ . وَأَشْرَفُ الْمُبَادِي أَلْيَمِينَةِ وَأَوَّلُ الْعَالَمِ
الْعَتِيدِ . يَوْمٌ أَبَدَرْتُ فِي سَمَائِهِ أَهْلَهُ الْإِنْعَامِ . وَأَلْبَسْتُ الْجَبَلَةَ
الْبَشَرِيَّةَ فِي أَثْنَائِهِ حُلَّةَ الْحَمْدِ وَالْإِكْرَامِ . يَوْمٌ لَاحَتْ عَلَى مَقَارِقِهِ طُرُ
الْكَمَالِ . وَامْتَدَّتْ عَلَى جَبِينِهِ غُرُرُ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . يَوْمٌ تَحَلَّتْ
بِعُودِ مَنَاقِبِهِ الْمَعَالِمُ وَالْأَجْيَادُ . وَتَطَوَّقَتْ بِقَلَانِدِ فَخْرِهِ وَخُورِ الْمَوَاقِيتِ
وَالْأَعْيَادِ . يَوْمٌ عَطَّرَ أَتَوَابَ الزَّمَانِ تَارِجُ نَشْرِهِ . وَأَقْمَرُ لَيْلِ الْأَذْهَانِ
بَتَلْجِ فَجْرِهِ . يَوْمٌ لَاحَ عَلَى جَبِينِ الْحَمْدِ إِشْرَاقُ مُجَاجِهِ . وَبَاحَ بِأَسْرَارِ
السَّعْدِ إِسْفَارُ صَبَاحِهِ . وَتَهَلَّلَتْ وَجْوهُ الْإِقْبَالِ بِنُورِ قَدَاحِهِ . وَاهْتَرَّتْ
مَعَاطِفُ الْقُلُوبِ بِحُمَا رِيحِهِ وَنَشْوَةِ رَاحِهِ . يَوْمٌ أَضَاءَتْ فِي حَنَادِسِ
الْكَاكِتَةِ مَطَالِعُ جَلَالِهِ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ
وَطَالِعَ إِقْبَالِهِ . يَوْمٌ ظَهَرَتْ عَلَانِيَتُ الْبَرَكَاتِ عَلَى صَفْحَاتِهِ . وَهَبَتْ لَسَانُ
الْخَيْرَاتِ عَنْ نَفْحَاتِهِ . وَقُدِحَتْ أَنْوَارُ السَّعَادَةِ مِنْ زُرُودِهِ . وَعَرَسَتْ
رَكَابُ الْجُودِ عَلَى مَنَازِلِهِ وَوَرُودِهِ . وَحُلَّتْ مَعَاقِدُ الْأَحْزَانِ لِقَرَحَتِهِ .
وَقَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى قَدَمِ الْإِبْتِهَاجِ فِي صُبْحَتِهِ . يَوْمٌ
بَشَرْنَا بِالْفَلَاحِ أَدِيمِهِ . وَنَشَرْنَا رَايَةَ الْفَرَاخِ نَسِيمَهُ . وَزَالَتْ عَنْ
الْحَلَاقِقِ ضَرَاؤُهُ . وَانْحَسَرَتْ عَنْ مُعْرِفِ الْحَقِّ نَكَارَتُهُ . وَتَجَلَّتْ فِي

مَلَابِسِ الْإِشْرَاقِ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَفَرَّتْ أَعْسَاقُ الضَّلَالِ عَنْ
 الْقُلُوبِ بِطَوَالِحِ نُورِهِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ
 الْكَمَالِ . وَأَضْحَكَتْ بِدَائِعِ أَسْرَارِهِ مَبَايِمَ الْأَمَالِ . وَبَسَطَتْ فَرْحَتَهُ
 قَوَائِصُ الْأَسِيرَةِ . وَأَنْهَلَتْ الْقُلُوبُ مِنْ وَخْشَةِ الْأَخْزَانِ إِلَى أَنْسِ
 الْمَسَرَّةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَذْهَلَتْ أَلْأَلْبَابَ غَرَائِبُهُ . وَأَخْرَقَتْ الْعُقُولَ
 عَجَائِبُهُ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْمُجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ الْأَعْيَادِ
 مَنَاقِبُهُ . الْيَوْمُ نَكَسَتْ بُدُورُ الْأَضَالِيلِ . تَكَشَّفَتْ سُورُ الْأَبَاطِيلِ .
 تَشَقَّقَتْ رُؤُوسُ الْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نُفُوسُ الْأَخْيَارِ . خَرَجَ هَلَالُ
 النَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظِلَمِ السَّرَارِ . ظَهَرَ مُخْلَصُ الْكُلِّ مِنَ الْمَطْلَعِ الْقَهْرِيِّ
 مُبَرِّقًا يَرْدَاءَ الْأَنْوَارِ . الْيَوْمَ عَطَسَتْ أَنْوْفُ الْجُودِ . تَفَرَّقَتْ شُفُوفُ
 الْوُجُودِ . فُتِحَتْ خَزَائِنُ النِّعْمَةِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ الْحِكْمَةِ . تَبَيَّنَتْ
 أَقْمَارُ الْمَعَارِفِ . تَجَلَّتْ الْأَبْدَانُ بِأَبْهَى الْمَطَارِفِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
 أَصَحَّتْ فِيهِ غُرُرُ الْأَمَالِ مَبِيضَةً . وَلَطَائِمُ الْإِقْبَالِ مُنْقَضَةً . وَمَوَاكِبُ
 الشَّيْطَانِ مُرْفُضَةً . وَكَوَاكِبُ الْبَهْتَانِ مُنْقَضَةً . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَبَيَّنَتْ
 الْحَقَائِقُ فِي سَدْقَتِهِ . وَابْتَهَجَتْ الْخَلَائِقُ فِي صُحَّتِهِ . صَبَّتِ الْبَرَكَاتُ فِي
 بُكَرَتِهِ . وَعَمَّتِ الْخَيْرَاتُ بَيْنَهُ وَبَرَكَتِهِ . أَيُّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ
 رَبُّ هَلُمُّوا بِنَبْهَجٍ وَتَفَرَّحْ فِيهِ (مز مود ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِبُشْرَى الْقِيَامَةِ فِي أَيْرُكِ الْبُكْرِ وَأَيِّمِنِ الْأَصْلَاحِ . وَقَدِمْتُ
 عَلَيْكُمْ رَكَائِبَ الْبَهْجَةِ بَادِيَةِ الزَّرَرِ وَالْأَوْضَاحِ . وَذَرَّتْ عَلَيْكُمْ مِنْ

أَشْرَفَ الْمَطَالِيعِ نُمُوسُ الْمَسْرَةِ وَالْأَفْرَاحِ . فَالْهَنَاءُ بِالْقِيَامَةِ الْمَسِيحِيَّةِ
إِسَارَةُ الْجُسُومِ وَالْأَرْوَاحِ . فَهَلُّوا الْآنَ نَوْمُ الْمَدِينَةِ الْقُدْسِيَّةِ بِأَقْدَامِ
الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَتَلَمَّحِ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بَعْيُونَ الْبَصَائِرِ وَالْإِعْتِبَارِ .
زَهْهُ مُتَالِفًا مِنَ الْمَطْلَعِ الْقُبْرِيِّ . مُمَزَّقًا مَلَابِسَ الْمَوْتِ عَنْ طَبْعِهِ الْبَشَرِيِّ .
تَنْظُرُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِالْحُلُلِ النُّورِيَّةِ . جَائِعَةً عَلَى صَهْوَةِ السُّدَّةِ
الْقُبْرِيَّةِ . تَبْتَهِجُ مَعَ مَرِيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ وَيُوحَنَّا . تُسَرُّ بِالْقِيَامَةِ الْبَكْرِيَّةِ
مَعَ سَمْعُونَ الصَّفَا وَيُوحَنَّا . تَسْعُ بِأَقْدَامِ الْهِمَمِ إِلَى جَلِيلِ الْجَلَالِ .
تَتَلَقَّى مَخْلَصَ الْكُلِّ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِجْلَالِ . تَتَهَادَى بِالسَّلَامِ وَحُسْنِ
الْثَنِّيَّةِ . وَنَهْزَ أَعْطَافَ الْقُلُوبِ بِنَشْوَةِ أَرْيَحِيَّةِ . تَسْتَسِيلُ السَّخَامِ
وَالْأَحْقَادَ بِالْقَبْلَةِ . وَتَسْتَبْشِرُ بِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مَعَ الزُّمَرَةِ السَّالِحَةِ .
تَبْعُ الْهِمَمِ مِنْ فُجُورِ الْعَقْلَةِ وَالْإِهْمَالِ . وَتُسْرِ عَنْ سُوقِ الْعِزَائِمِ
تَشْيِيرَ الرِّجَالِ . وَنَعْدًا لَنَا فِي خَزَائِنِ الْمَلَكُوتِ صَوَائِحِ الْأَعْمَالِ . وَتَسْتَعِدُّ
بِالْمَصَابِيحِ وَالْأَضْوَاءِ لِيَوْمِ الْمَالِ . أَيُّ فَلَتَمَتَّرِبِ الْآنَ عَلَانِيَةً إِلَى كُرْسِيِّ
نَعْمَتِهِ . لِنَنْظُرَ بِالْمَرَاكِمْ وَنَحْمَدَ النِّعْمَةَ لِعَاوُنِ فِي زَمَانِ الضِّيقِ (عِبْرَانِيِّينَ
٤ : ١٦) . وَنَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ السَّعِيدَ . وَالْيَوْمَ
الْأَشْرَفَ الْمَجِيدَ . مُبَارَكًا عَلَيْكُمْ مَيُّونَ النَّقَائِبِ . مُؤَذِّنًا بِالسَّعَادَاتِ
الْحَافِظَةً الْأَعْلَامِ الْمُتَمَدِّدَةَ الذُّوَابِ . وَتَقْبَلُ مِنْكُمْ مَا أَسْلَفْتُمُوهُ مِنْ
الْأَعْمَالِ الصَّوَالِحِ . وَذَخَرْتُمُوهُ فِي خَزَائِنِ الْمَلَكُوتِ مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَرَاكِجِ .
وَلَا يَرْحَمُ مَكْنُوفِينَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَارِفَةٍ الْأَظْلَالِ . وَمِنْحَةً صَافِيَةً

الْأَهْدَابِ وَالْأَذْيَالِ . يَتَّارِجُ فِي الْأَفَاقِ نَشْرُ رِيَاهَا . وَيَبْلُجُ فِي سَمَاءِ
 الْإِشْرَاقِ بَشْرُ مُحْيَاهَا . رَاتِعِينَ فِي أَخْلَاءِ سَعَادَاتٍ مُتَبَلِّجَةِ الْبُدُورِ .
 وَادِيعِينَ فِي أَثْنَاءِ مَوَاهِبِ مُتَبَهِّجَةِ الْوُجُوهِ بِاسْمَةِ الثُّنُودِ . وَلَا يَرَحَتْ
 شَوَارِدُ النَّعِيمِ لَدَيْكُمْ ثَاوِيَةً . وَمَوَارِدُ الْحُكْمِ لِقُلُوبِكُمْ رَاوِيَةً . وَزُنُودُ
 الْقَضَائِلِ فِي أَلْيَابِكُمْ وَارِيَةً . وَجُنُودُ الرِّدَائِلِ عَنْكُمْ مُتَوَارِيَةً . حَتَّى
 تَتَلَقَّوْا مَوْرِدَ مُخْلِصِكُمْ يَوْمَ النَّشْأَةِ الْآخَرَى . وَالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى . بِوُجُوهِ
 مُتَبَلِّجَةِ الْوُضَاءِ . وَقُلُوبِ لَهْجَةٍ بِالنَّشَاءِ . تَرْفُلُونَ فِي أَثْوَابِ النَّعِيمِ
 الْأَبَدِيِّ فِي الْعِرَاصِ الْمَلَكُوتِيَّةِ . وَتَقْتَعِدُونَ مَرُورَ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ . مَعَ
 الْأَوْلِيَاءِ الْخَوَاصِّ وَالزُّمَرِ الْمَلَانِيكَةِ . بِشَفَاعَةِ الْأَبَاءِ وَالْقَدِيسِينَ .
 وَسَائِرِ الشُّهَدَاءِ وَالْمُتَخَجِّينِ . آمِينَ

اللَّهُمَّ زِدْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَصْرًا وَاعْتِزًّا . وَأَدِمَّ
 أَيَّامَ دَوْلَتِهِ الَّتِي أَصْحَحْتَ عَلَى ثَوْبِ الزَّمَانِ طِرَازًا . وَاجْعَلِ الْعِزَّ
 وَالْإِقْتِدَارَ بِأُطْنَابِ سُرَادِقِهِ مُحْتَمًّا . وَالنَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى ذَوَائِبِ
 أَعْلَامِهِ مَنْشُورًا وَمُلْتَمًّا . وَمَطَالِعِ السَّعْدِ مُشْرِقَةً الْأَضْوَاءِ عَلَى مَوَاقِيهِ .
 وَبُودِ الطُّفْرِ خَافِقَةً عَلَى جُنُودِهِ وَكِتَابِيهِ . وَسَائِمِ النَّصْرِ وَالْإِجْلَالِ
 هَابَةً عَلَى أَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَسَائِمِ الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ لَافِحَةً لَوْجُوهِ
 أَضْدَادِهِ وَأَعْدَائِهِ . حَتَّى تَمُدَّ أَظْلَالَ دَوْلَتِهِ عَلَى الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ .
 وَيُذْعِنَ لِعِزَّتِهِ بِالسُّطُورَةِ وَالْعَلَاءِ كُلُّ ضِدٍّ مُبَايِنٍ وَعَدُوٌّ مَارِقٍ . بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . آمِينَ

لعيد الصليب العظيم

٣٣ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مُؤَلَّفٍ بِدَائِدِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى النِّظَامِ اَلْعَجِيبِ .
 وَنَاطِلِمِ شَرَائِدِ الْخُلُوقَاتِ عَلَى اَحْسَنِ الْهَيَّاتِ وَالتَّرْتِيبِ . الَّذِي رَقَّانَا
 بِالشَّرِيعَةِ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى اَعْلَى مَرَاتِبِ التَّهْذِيبِ . وَهَدَانَا إِلَى مَلَكُوتِ
 السَّمَاءِ فِي اَنْهَجِ الطَّرُقِ وَاَقْرَبِ الْأَسَالِيبِ . وَوَعَدَ الطَّائِعِينَ بِالنَّعِيمِ
 الْأَبَدِيِّ فِي الْحُلِّ الْأَقْسَمِ الرَّحِيبِ . وَأَوْعَدَ الْعَاصِينَ بِنَوَازِلِ الْبَلَاءِ
 وَقَوَارِعِ التَّأْدِيبِ . وَخَصَّ الْأُمَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ بِالْعُقُولِ الرَّوَاجِحِ وَالرَّأْيِ
 الصَّالِحِ . وَمَيَّزَهُمْ عَنِ الْأَضْرَابِ وَالْأَكْفَاءِ بِالشَّرِيعَةِ الْفَضْلِيَّةِ وَمِنْ
 بَرَكَاتِ الصَّالِحِ . تَحْمَدُهُ حَمْدًا نَسْتَمِطِرُ بِهِ مِنْ عَنَائِمِ رَحْمَتِهِ أَغْرَارَ الدِّيمِ
 وَالشَّائِبِ . وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا يُحْظِنُنَا مِنْ جَلَائِلِ نِعَمِهِ بِأَوْفَرِ حَظٍّ
 وَأَجْزَلِ نَصِيبٍ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ إِذَا وَطَّئَتْ دِيَارَهُمْ
 سَنَابِكُ خُيُولِ الْأَعْدَاءِ . وَتَحَبَّ الْعُحَارِيُونَ لَهُمْ عَلَى ذِمَارِهِمْ ذُبُولُ
 الْأَذْدَاءِ . زَلُّوا عَنْ صَهَوَاتِ الْقُلُلِ الْعَوَاصِمِ وَأَعْتَدُوا لِلنِّصَالِ . وَتَرَحَّضُوا
 عَنْ سُدَدِ الْمَمَالِكِ بِالْهَمَمِ الْقَوَاصِمِ لِقِرَاعِ الْأَبْطَالِ . عُقِدَتْ عَلَى
 رُؤُوسِهِمْ عَصَابُ الْبُودِ وَالْأَعْلَامِ . وَتَسَلَّحُوا بِالْقُضْبِ الْبَوَازِ
 وَاللَّهَازِمِ وَالسَّهَامِ . فَإِذَا اخْتَدَمَتْ بَيْنَ الصُّفُوفِ نَارُ الْحَرْبِ وَأَشْتَدَّ
 اللَّدْدُ . وَأَزْعَجَتْ الْقُلُوبَ غَمَمَةُ الْأَبْطَالِ وَصَلَصَلَةُ الصَّوَارِمِ .
 وَخَشَخَشَةُ الْعُدَدِ . وَتَغَشَّتِ الْأَبْصَارُ مِنْ هَبَوَاتِ الْمَعَارِكِ وَأَشْتَبَاكَ
 الْقَسَاطِلُ . وَأَذْهَشَتْ الْأَفْكَارَ شَعْشَعَةُ اللَّهَازِمِ . وَقَطَّ الْبَوَازِ

وَأَصْطَكَاكَ أَتَجَافِلُ . نَظَرُوا إِلَى جِهَةِ الْعَلَمِ الْمَشْدُودِ . وَاللَّوَاءِ
الْمَقْشُودِ . فَإِذَا رَمَقَتْهُ أَبْصَارُ الْأَنْصَارِ ظَاهِرًا مَشْهُورًا . مُقْسِمًا بِصَارِيهِ
عَلَى رُؤُوسِ الْكُفَاةِ وَالْأَبْطَالِ مَنُشُورًا . أَبَانُوا عَنْ حُسْنِ الْأَوْلَاءِ
وَالطَّاعَةِ . وَمِلَّتْ صُدُورُهُمْ بِالنَّجْدَةِ وَالسَّجَاعَةِ . وَثَبَّتْ قُلُوبُهُمْ
لِثَبَاتِ الْقَلْبِ . وَأَخْضُوا الْخُصُومَ وَالْأَعْدَاءَ بِنَقِطِ الطَّعْنِ وَشَكْلِ
الضَّرْبِ . حِينَئِذٍ تَجَزَّعَ قُلُوبُ الْأَعْدَاءِ خِزَعًا أَلْهِيَةً . وَيَبْزُورُ الْأَوْلِيَاءُ
الْمُنَاصِحُونَ بِأَكَلَةِ النَّصْرِ وَبَهْجَةِ الْغَنِيَةِ . وَاللَّوَاءُ الْمَقْشُودُ عَلَى الْأُمَّةِ
الْأَسِيحِيَّةِ . وَالْعَلَمُ الْمَنُشُورُ عَلَى رُؤُوسِ الْكُتَابِ السَّحِيحَةِ . هُوَ الصَّلِيبُ
الْمَسِيحِيُّ الْمُنْصُوبُ فِي مَذَابِحِ بَيْعَتِهِ . وَاللَّوَاءُ النُّورِيُّ الَّذِي مَدَّتْ عَلَى
أُمَّةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَضْوَاءُ أَشْعَتِهِ . بِهِ تَأْيِيدُ الرُّسُلِ الْأَظْهَارُ عَلَى مُنَاصَلَةِ
الشَّيَاطِينِ . وَشِدَّةُ فَتْحِ الدَّعْوَةِ أَمَامَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ . بِآيَاتِهِ
فَهَرُوا فَالَاسِفَةُ الْيُونَانِ . وَبُعْجَزَاتِهِ هَدَمُوا بُيُوتَ الْأَنْدَادِ وَهَيَاكِلَ
الْأَوْتَانِ . بِهِ أَصْحَبَ قُسْطَنْطِينُ الْمَلِكُ الرُّومِيُّ بَعْدَ جَمَاحِهِ وَإِبَائِهِ . وَحَلَّ
عَنْ قَلْبِهِ الزُّكِّيَّ عَقْدَ عَقَائِدِ أَسْلَافِهِ وَأَبَائِهِ . ظَهَرَتْ لَهُ عَلَى صَفْحَاتِ
السَّمَاءِ آيَتُهُ . تَشَكَّلَتْ بِالْكَوَاكِبِ النُّورِيَّةِ صُورَتُهُ . أَمَرَ بِرُكُزِهِ عَلَى
أَسِنَّةِ الرِّايَاتِ وَالْأَعْلَامِ . وَظَهَرَتْ لَهُ بِهِ يَوْمَ تَزَالُ الْأَعْدَاءُ بِوَاهِرِ
الْآيَاتِ الْعِظَامِ . تَشَرَّفَتْ بِهِ أَعْلَامُهُ وَبُودُهُ . تَبَرَّكَتْ بِشِكَاةِ
الرُّبَاعِيِّ جُيُوشُهُ وَجُنُودُهُ . تَشَجَّجَتْ بِرُؤْيَيْهِ هِمَمُ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ .
وَدَمَغَ بِهِ قُفُومَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ . إِنْ تَشَرَّبَ بِهِ فِي جَمِيعِ

أَلَا فَاقِ صَيْتُ دَوْلَتِهِ . وَأَرْغَمَ بِهِ مَعَاطِسَ الْأَعْدَاءِ حَتَّى أَذْغَعُوا لِشِدَّةِ
 بَأْسِهِ وَسَطَوْتِهِ . دَاسَ بِهِ حُمَى الْقَارِبِ الشَّيْطَانِيَّةِ . وَاسْتَقَادَ بِهِ هَمَمَ
 الْأَبَاعِدِ وَالْأَقَارِبِ مِنَ الْأُمَمِ الْيُونَانِيَّةِ . وَصَارَ بِهِ عِلْمًا مَشْهُورًا فِي
 دِينِ الْمَسِيحِ . وَمُضْبَحًا زَاهِرًا فِي الْبَيْعَةِ الْأَرْثَاذُكْسِيَّةِ بِالْإِيمَانِ
 الصَّحِيحِ . حَتَّى أَفْتَحَتْ مَمْلَكَةُ الْيُونَانِ بِرَوْتِقِ دَوْلَتِهِ . وَصَارَتْ أَيَّامُهُ
 غُرَّةً عَلَى جَبِينِ الدَّهْرِ تَرْهُو بِهَا أُمَّةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . وَآلُ دَعْوَتِهِ . بِنُورِهِ
 أَشْرَقَتِ النَّصْرَانِيَّةُ وَامْتَدَّ عَلَى الْأَفَاقِ شُعَاعُ الْمَلَكَةِ الرُّوحَانِيَّةِ . وَهُوَ
 قِبْلَةُ السَّاجِدِينَ . وَمَحْرَابُ الْمُتَحِدِينَ . وَدَلِيلُ الْمُهْتَدِينَ . وَسَبِيلُ
 الْمُجْتَنِبِينَ . هُوَ الْمَلْجَأُ الْعَاصِمُ مِنَ الْأَذَاءِ . وَالْذَوَاءُ الْحَاسِمُ كَوَامِنِ
 الْأَذَوَاءِ . هُوَ الْقَلَّةُ الْعَاصِمَةُ مِنَ الْغَنَاءِ . وَالْقِبْلَةُ الَّتِي يَتَوَجَّهُ نَحْوَهَا الدُّعَاءُ .
 بِظُهُورِهِ أَفْتَحَتْ الْأُمَّةُ . وَبُنُورِهِ انْخَسَرَتْ الْعَمَّةُ . هُوَ رَايِدُ السَّائِرِينَ
 فِي طُرُقِ الْحَيَاةِ . وَقَائِدُ الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ إِلَى أَمْصَارِ النِّجَاةِ . بِهِ
 يَسْتَأْنِسُ الْحُبَسَاءُ الْمُؤَيَّدُونَ فِي وَحْشَةِ الْحُلُوتِ . وَيَتَأَيَّدُ الْفَضَّلَاءُ
 الْمُجْتَهِدُونَ فِي مَوَاقِفِ الصَّلَوَاتِ . بِهِ مُثِّلَ الْحَيَّةُ الْفَخَّاسِيَّةُ حَيْثُ كَانَتْ
 حِذَاءَ الشَّعْبِ مُعَلِّقَةً . وَبِهِ شَبِهَتِ الْعُلَمَاءُ الْمُسَوِيَّةُ يَوْمَ حَرْبِ الْعَمَلَقَةِ .
 فِي تَقَاطِيعِ خُطُوطِهِ دَلَالَةٌ سِرِّ التَّوْحِيدِ . وَفِي النَّظَرِ إِلَيْهِ تَصَوُّرُ الْجِهَادِ
 الْمَلِكِيِّ بِالْغُلِّ الْوَحِيدِ . مَا أَرْتَفَعَتْ بِرَحْمَتِهِ يَدٌ إِلَّا رَفَعَتْ رَدًى . وَلَا
 اسْتَنْصَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ بِهِ عِدًى . مَا اعْتَصَمَ بِهِ مُمْنٌ بَلَمَ إِلَّا
 وَصَرَفَ عَنْهُ الْأَمَمَ . وَلَا اسْتَصْرَخَ بِهِ ذُوْغَمٌ إِلَّا وَجَلَّاعَنْ قَلْبِهِ غَمَرَاتِ

اَنْعَمَ . فَكَمْ مِنْ سَلِيبٍ اُلْقِيَ عَادَ بِهِ اِلَى الرِّصَاةِ . وَحَايِدٍ عَنْ
 اَسَالِيبِ الْفَضْلِ اُنْقَادَ اِلَى الْاَمَانَةِ . وَطَالَ مَا تَطَهَّرَ بِهِ الْمُوَصِّحُونَ .
 وَاسْتَظْهَرَ بِاَنْبِيَاءِ الْمُنَاصِحُونَ . وَقَامَ بِرُكْنِهِ الْمُتَعَدُّونَ . وَدَنَا بَيْنَ نَقَائِبِهِ
 الْاَبْعَدُونَ . فَعَظُمُوا اَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ وُجُودِهِ وَظُهُورِهِ . وَاجْلُوا أَقْدَاءَ
 الشُّبُهَاتِ عَنْ أَبْصَارِ الْبَصَائِرِ بِأَشْعَةِ نُورِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَوْمَ ظَهَرَتْ
 فِيهِ الْعَجَائِبُ . وَاشْتَهَرَتْ أَمَامَ الْجَمْعِ بَوَاهِرُ الْآيَاتِ الْفَرَائِبِ .
 وَنُشِرَ أَلَيْتُ أَمَامَ الْمَلِكَةِ . وَعُرِفَ أَنَّهُ صَلِيبُ مُخْلِصِ الْكُلِّ مِنْ عِمَارِ
 الْمَلَكَةِ . هُوَ الْغَرَسُ الَّذِي أَزْهَرَتْ الْبَرَكَاتُ مِنْ أَفْنَانِهِ . وَأَوْرَقَتْ
 الْحَبِرَاتُ مِنْ أَغْصَانِهِ . وَكَانَ اَلْتَّجَلُّ الْحَبِيبُ مُرْتَهُ . وَالتَّخْتَارُ النَّجِيبُ
 زَهْرَتُهُ . وَالتَّجَلُّهُ الْأَوْرَشْلِيمِيُّ أَصْلُهُ وَأَرْوَمَتُهُ . وَالْحَبِيبَةُ الْأَدَمِيَّةُ
 جَذْمُهُ وَجَرْتُومَتُهُ . وَأَرْضُ صِهْيُونِ مَنْبَتُهُ وَقَرَّاحُهُ . وَيُوسُفُ الْحَسِيبُ
 أَكَّارُهُ وَقَلَّاحُهُ . أَلَطَافٌ فِيهَا لَطَائِفُ . وَأَسْرَادٌ مِنْ وَرَائِهَا طَرَائِفُ .
 وَتَحْنُ الْآنَ نَطَابُ مِنْ مُقِيدِ الْخَلَاصِ . وَمُخْلِصِنَا بِشَرَعِ الْإِخْتِصَاصِ .
 أَنْ يَشْمَلَ الْعَالَمَ بِفَائِضِ نِعْمَتِهِ . وَيَكْنِفَهُمْ مِنْ مَوَاقِعِ الْأَذَاءِ بِرَأْفَتِهِ .
 وَيَكْلَأَهُمْ مِنْ نَوَازِلِ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِهِ . وَيُنْجِي الشُّعُوبَ اَلْمُسِيحِيَّةَ مِنْ
 اَلْمُكَارِهِ وَالْأَوَاءِ بِقُدْرَتِهِ . وَيَحْرُسَ دَوْلَةَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامَتِهِ . وَيَكْنِفُ أَنْصَارَهَا وَأَعْوَانَهَا بِجَنَاحِ حِرَاسَتِهِ . وَدَعِمَ
 بِالنِّقْمِ الدَّوَامِغَ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ . وَيُدْخِلُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ تَحْتَ أَطْلَالِ
 عَدْلِهِ وَسُلْطَانِ مَمْلَكَتِهِ . بِشَفَاعَةِ السَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ اَلْبَتُولِ . آمِينَ

الْبَابُ الثَّانِي فِي الْخُطْبِ الْحَمَاسِيَّةِ

تحرير خالد على القتال في الجنادين

٣٤ يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَصْبِرُوا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ . وَقَاتِلُوا
عَنْ حَرِيمِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَدِينِكُمْ . وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ تَجَاوُونَ إِلَيْهِ وَمَكْمَنٌ
تَكْمُنُونَ فِيهِ . فَأَقْرِئُوا الْمَنَاجِبَ وَقَدِّمُوا الْمَضَارِبَ . وَلَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمْرُكُمْ
بِالْحِمْلَةِ . وَلَتَكُنِ السَّهَامُ مُجْتَمِعَةً إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْكِبَادِ الْقِسِيِّ كَأَنَّهَا
تَخْرُجُ مِنْ كَيْدِ قَوْسٍ وَاحِدٍ . فَإِنَّهُ إِذَا تَلَاَحَقَتِ السَّهَامُ رَشْقًا كَأَجْرَادٍ لَمْ
يَحُلْ أَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْمٌ صَائِبٌ . وَأَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَارْتَقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ . وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ لَا تَلْقُونَ عَدُوًّا مِثْلَ هَذِهِ الْقِسَّةِ حَمَاتِهِمْ
وَأَبْطَالِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ وَلَمَّا حَانَ الْقِتَالُ خَرَجَ مَعَاذُ مَحْرَصًا النَّاسُ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الدِّينِ
وَيَا أَنْصَارَ الْهُدَى وَالْحَقِّ اعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُنَالُ إِلَّا
بِالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ وَلَا تُدْرِكُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْتِمَنِ وَيَغْيِرُ عَمَلُ مَرْضِيٍّ . وَلَا
يُؤْتِي اللَّهُ مَغْفِرَتَهُ الْوَاسِعَةَ إِلَّا الْصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ . فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَ أَنَّ
لَيْسَتْ خَلْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَاسْتَحْيُوا رَحِمَكُمْ

اللَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرَاكُمْ اللَّهُ مُنْهَزِمِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَكُمْ مُلْجَأٌ مِنْ دُونِهِ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ قَطَافَ بَيْنِ الصُّفُوفِ وَهُوَ شَاكٌّ فِي سِلَاحِهِ رَاكِبٌ فَرَسِهِ وَهُوَ يَقُولُ : مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْتُمْ الْعَرَبُ الْكِرَامُ السَّادَةُ الْعِظَامُ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِ الْأَعْلَاجِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ . وَاللَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْهُمْ الْيَوْمَ إِلَّا الطُّغْنُ وَالضَّرْبُ تَبْلُغُونَ بِذَلِكَ أَرْبَكُمْ وَتَتَأَلَوْنَ الْقُوزَ مِنْ رَبِّكُمْ . وَعَلِمُوا أَنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللَّهُ بِهِ أَلْهَمَ وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ . فَاصْدُقُوهُمْ الْتِتَالَ فَإِنَّ النَّصْرَ يَنْزِلُ مَعَ الصَّبْرِ . فَإِنْ صَبَرْتُمْ مَلَكَتُمْ أَمْصَارَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَاسْتَعْبَدْتُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . وَإِنْ وَلَّيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مَفَاوِزُ وَلَا تُقْطَعُ إِلَّا بِالزَّادِ الْكَثِيرِ وَالْمَاءِ الْغَزِيرِ وَهُوَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى دَارٍ وَقُصُورٍ . فَاثْبَعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتح الاندلس

٣٦ لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُونُ رَدْرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ حَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَقَرُّ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهُ إِلَّا الصَّدْقُ وَالصَّبْرُ . وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الْأَيَّامِ . فِي مَادِبَةِ اللَّيْلِ . وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ . وَأَسْلَحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مُؤَفَّرَةٌ

وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفُكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلَصُونَهُ مِنْ
أَيْدِي عَدُوِّكُمْ. وَإِنْ أَمَدَّتْ بِكُمْ الْأَيَّامُ عَلَى اقْتِفَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ
أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَوَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رَغَبِهَا عَنْكُمْ الْجُرَّاءُ عَلَيْكُمْ.
فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُتَاجَرَةِ هَذَا
الطَّاعِيَةِ. فَقَدْ أَلَقْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتَهُ الْحَصِينَةَ وَإِنْ أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهِ
لَمْ يَكُنْ إِنْ سَحَتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ. وَإِنِّي لَمْ أَحْذَرُكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ
بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النَّفُوسُ. أَبْدَأُ بِنَفْسِي.
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَةِ الْأَلَدِّ
طَوِيلًا. فَلَا تَزْعَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرٍ مِنْ حَظِّي.
وَقَدْ بَلَغْتُكُمْ مَا أَثْنَأْتُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيَّةِ. وَقَدْ
أَنْتَجَبْتُكُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ غُرَبَانَا.
وَرَضِيَكُمْ لِلْمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا. ثِقَّةٌ مِنْهُ بِأَرْتِيَا حِكْمُ
لِلطَّعَانِ. وَاسْتَمَاحُكُمْ بِجَالِدَةِ الْأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ. لِيَكُونَ خُطَّةٌ
مِنْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ. وَلِيَكُونَ
مَعْنَاهَا خَالِصَةٌ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ. وَاللَّهُ
تَعَالَى وَلِيُّ إِتْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ. وَاعْلَمُوا أَنِّي
أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي
عَلَى طَاعِيَةِ الْقَوْمِ لِدَرْيَقِ قِتَالِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَاجْهَدُوا مَعِيَ فَإِنْ
هَاجَتْ بَعْدَهُ فَقَدْ كَفَيْتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوزْكُمْ بَطْلٌ عَاقِلٌ تَسْنِدُونَ

أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ . وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وَصُولِي إِلَيْهِ فَأَخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي
هَذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَانْكُفُوا أَلْهَمَ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْجَبْرِيدَةِ بِقَتْلِهِ

خطبة ابن حمزة بالمدينة

٣٧ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : خَطَبَنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّ فِيهَا
الْمُسْتَبْصِرُ وَرَدَّتِ الْمُرْتَابُ . قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ
بِسُنَّتِهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَتَعْظِيمِ مَا صَغُرَتْ الْجَبْرِيدَةُ فِي حَقِّ اللَّهِ .
وَتَصْغِيرِ مَا عَظُمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ . وَإِمَانَةِ مَا أَحْيَا مِنَ الْجُورِ . وَإِحْيَاءِ مَا
أَمَاتُوا مِنَ الْحَقِّ . وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ وَيُعَصَى الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ فَالطَّاعَةُ
لِلْعِبَادِ وَلِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِخُلُوقٍ فِي مَنْصِبَةِ الْخَالِقِ نَدْعُو
إِلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَالْقِسْمِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ وَوَضْعِ الْأَنْفَاسِ فِي
مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا . إِنَّا وَاللَّهُ مَا خَرَجْنَا أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا لَهْوًا
وَلَا لِعِبَا . وَلَا لِدَوْلَةِ مَلِكٍ نُرِيدُ أَنْ نَخُوضَ فِيهَا وَلَا لِنَارٍ قَدْ نِيسَلْنَا .
وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ أَظْلَمَتْ وَمَعَالِمُ الْجُورِ قَدْ ظَهَرَتْ وَكَثُرَ
الْإِدْعَاءُ فِي الدِّينِ وَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِلَتِ الْأَحْكَامُ وَقُتِلَ الْقَائِمُ
بِالنِّسْطِ وَعُتِفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ . فَاجْتَنِبْنَا دَاخِي اللَّهِ الْآيَةَ فَأَقْبَلْنَا مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى قَلِيلِينَ
مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ . فَأَوَانَا اللَّهُ وَأَيَّدَنَا بِبَصَرِهِ فَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَعَلَى الدِّينِ أَعْوَانًا . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوَّلَكُمْ خَيْرُ أَوَّلٍ وَآخِرُكُمْ شَرُّ
آخِرٍ . إِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ قُرَاءَكُمْ وَفَقَّهَاءَكُمْ فَاخْتَانُوكُمْ عَنْ كِتَابِ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ

بِتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ . فَأَصْبَحْتُمْ عَلَى الْحَقِّ نَاكِينَ أَمْوَاتًا
 غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا تَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ وَأَسْقَمَ فَرْعُكُمْ . كَانَ
 آبَاؤُكُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْدِّينِ وَالْبَصَائِرِ النَّاقِذَةِ وَالْقُلُوبِ
 الْوَاعِيَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ . اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَأَذَلَّتْكُمْ
 وَالْأَمَانِي فَأَضَلَّتْكُمْ . فَفُتِحَ لَكُمْ بَابُ الدِّينِ فَأَفْسَدْتُمُوهُ . وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ
 بَابَ الدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ . سِرَاعٌ إِلَى الْفِتْنَةِ بَطَاءٌ عَنِ السُّنَّةِ . غَمِي عَنْ
 الْبَرْهَانِ . صُمُّ عَنِ الْعِرْقَانِ . عَيْدُ الطَّمَعِ حُلْفَاءُ الْجُرْعِ . نِعَمَ مَا وَرَثْتُمْ
 آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ وَبَسْمًا تَوَرِّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَسْكُوبُوا بِهِ . نَصَرَ
 اللَّهُ أَبْنَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ
 قَلِيلًا طَيِّبًا وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَبِيثٌ . اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى فَاَرَدَاكُمْ . وَاللَّهُو فَاَسْهَأَكُمْ .
 وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَرْجُرُكُمْ فَلَا تَرْتَدِّجُرُونَ . وَتُعَبِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ
 عَنْ وَلَا تَكُنْ هَؤُلَاءِ فَقُلْتُمْ وَاللَّهُ مَا فِيهِمُ الَّذِي يَعْلَمُ . أَخَذُوا أَمْثَالَ مِمَّنْ
 غَيْرِ صَلَافَةٍ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَّمُوا بِغَيْرِ مَا
 أُنْزِلَ اللَّهُ . وَاسْتَأْثَرُوا بِقِيَّتِنَا فَعَجَلُوهُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ
 تَعَالَوْا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَّمُوا
 بِغَيْرِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ . فَقُلْتُمْ : لَا نَشْأَى عَلَى ذَلِكَ وَوَدِدْنَا أَنَّا أَصْبَنَّا مَنْ
 يَكْفِينَا قَهْلَنَا : نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ثُمَّ اللَّهُ رَاعَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنْ ظَفَرْنَا
 لِنُعْطِينَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَحِجْنَا فَأَتَقَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا وَالسُّيُوفَ

يُجِوهَنَا فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ فَقَاتَلْتُمْوَنَافَا بَعْدَكُمْ اللَّهُ . قَوْلُ اللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ : لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَذْرَمَعَ أَنَّهُ لَا عُدْرَ لِلْجَاهِلِ .
وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي
الْآخِرَةِ
(العقد الفريد لابن عبد ربه)

تقاييد السلطان للمستنصر

(لَمَّا بُويع بالخلافة للمستنصر بالله سعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتاب منبراً فقرأ عليه
تقليد السلطان وهو من إنشائه . وصورته :)

٣٨ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَصْنَى عَلَى الْإِسْلَامِ مَلَأَ سَ الشَّرَفِ . وَأَظْهَرَ بَهْجَةً
دُرِّهِ وَكَانَتْ خَافِيَةً بِمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهَا مِنَ الصَّدَفِ . وَشَدَّ مَا وَهَى مِنْ
عَلَائِهِ حَتَّى أَنْسَى بِهِ ذِكْرَ مَنْ سَلَفَ . وَقَيَّضَ لِنَصْرِهِ مُلُوكًا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ
مَنْ اخْتَلَفَ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي وَقَعَتْ الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرُّوضِ
الْأَنْفِ . وَالطَّافِهِ الَّتِي وَقَفَ الشَّاكِرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهُ عَنْهَا مُنْصَرَفُ .
وَبَعْدُ فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوَّلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ . وَأَحَبُّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَامُ
رَاكِعًا وَسَاجِدًا لِتَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ . مَنْ سَعَى فَأَضْحَى سَعْيُهُ لِلْحَمْدِ
مُتَقَدِّمًا . وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُجِدًّا وَنَهْمًا . وَمَا بَدَتْ يَدُ
فِي الْمَكْرَمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَهَمْصًا وَلَا اسْتَبَاحَ بِسَيْفِهِ جَمِي وَعَمِي
إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَى مِنْهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ
مُخْتَصَّةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْمُؤَلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّؤُفِيِّ
شَرَفَهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ . ذَكَرَهُ الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ الْمُسْتَنْصِرِيُّ أَعَزَّ اللَّهُ

سُلْطَانُهُ تَنْوِيهَا بِشَرَفِ قَدْرِهِ . وَاعْتَرَاكَ بِصَنِيعِهِ الَّذِي تَقْدُّ الْعِبَارَةُ
الْمُسَهَّبَةُ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ
بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ . وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ تَحَاسِنَ
وَإِحْسَانٍ . وَغُتِبَ دَهْرُهَا أَلْسِي لَهَا فَأَعْتَبَ . وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنُهَا وَقَدْ
كَانَ صَالَ عَلَيْهَا صَوْلَةُ مُغْضِبٍ . فَأَعَادَ لَهَا سِلْمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا
حَرْبًا . وَصَرَفَ إِلَيْهَا اِهْتِمَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَاقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعًا
رَحْبًا . وَمُنَحَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ خُوقًا وَعُطْفًا . وَأَظْهَرَ مِنْ
أَوَّلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يَحْتَقِ . وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِ
الشَّرِيعَةِ وَالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْرَامَهُ غَيْرُهُ لَا مَتَعَ عَلَيْهِ . وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبَلِهِ
مُتَمَسِّكٌ لَا تَنْقَطِعَ بِهِ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ أَدْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ
لِيُثْقِلَ بِهَا مِيزَانَ ثَوَابِهِ . وَيُخَفِّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَالْأَسْعِدُ مِنْ
خَفَفَ مِنْ حِسَابِهِ . فَهَذِهِ مَتَقَبَّةٌ أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُجَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةٍ
صُنِعَ . وَمَكْرَمَةٌ تَضَمَّتْ لِهَذَا أَلَيْتِ الشَّرِيفِ لِحَمْعِهِ . بَعْدَ أَنْ حَصَلَ
الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُ لَكَ هَذِهِ الصَّنَائِعَ . وَيَعْتَرِفُ
أَنَّهُ لَوْلَا اِهْتِمَامُكَ لَا تَسَعَ الْحَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ . وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ
الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ . وَالدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ
وَالْقُرَّاتِيَّةَ . وَمَا يَجِدُّ مِنْ التُّسَوَّحَاتِ غَوْرًا وَتَجْدًا . وَقَوْضَ أَمْرٍ
جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِالْمَكَارِمِ قَرْدًا . وَلَا جَعَلَ مِنْهَا
بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحُصُونِ يُسْتَنْتَى . وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ

تُعَدُّ فِي الْأَعْلَى وَلَا فِي الْأَدْنَى . فَلَا حِظَّ أُمُورِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا
حَامِلًا . وَخَلَصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّعَاتِ الْيَوْمَ فَبِي غَدٍ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا
سَائِلًا . وَدَعِ الْإِغْتِرَارَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا . وَمَا رَأَاهَا
أَحَدٌ بِعَيْنِ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا حَامِلًا زَائِلًا . فَالْسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ مِنْهَا أَمَالَهُ
الْمَوْصُولَةَ . وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرِ التَّقْوَى مَرْدُودَةٌ لَا
مَقْبُولَةَ . وَابْسُطْ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ
وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ . وَكَفَّرْ بِهِ عَنِ الْمَرْءِ ذُنُوبًا كُتِبَتْ عَلَيْهِ وَأَتَامًا .
وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْهَا كِعِبَادَةِ الْعَالِدِ سِتِّينَ عَامًا . وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ
الْعَدْلِ إِلَّا وَاجْتَنَى ثَمَارَهُ مِنْ أَفْئَانٍ . وَرَجَعَ الْأَمْرُ بِهِ بَعْدَ تَدَاوِي أَزْكَانِهِ
وَهُوَ مُشِيدُ الْأَزْكَانِ . وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ زَمَانِهِ . وَالسَّعِيدُ مَنْ
تَحَصَّنَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَبْهَى مِنْ
الْأَعْيَادِ . وَأَحْلَى مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حُلِيَ بِهَا عَاطِلُ الْأَجْيَادِ . وَهَذِهِ
الْأَقَالِيمُ الْمَنْوُوطَةُ بِكَ تَحْتَاجُ إِلَى نُوَابٍ وَحُكَامٍ . وَأَصْحَابِ رَأْيٍ
مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ . فَإِذَا اسْتَعْنَتْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ
فَتَقَبَّ عَلَيْهِ تَنْقِيًا . وَاجْعَلْ عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيبًا . وَاسْأَلْ عَنْ
أَحْوَالِهِ فَبِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْئُولًا وَيَمَّا اجْتَرَمَ مَطْلُوبًا . وَلَا
تُؤَلِّمُهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا . وَأَمْرُهُمْ
بِالْإِنَاءَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرِّفْقِ . وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى إِذَا ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ الْحَقِّ .
وَأَنْ يُقَابِلُوا الضَّعْفَاءَ فِي حَوَاجِهِمْ بِالْتَّغَرِّ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهِ الطَّلَقِ . وَأَنْ لَا

يُعَامِلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ
تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا إِخْوَانًا. وَأَنْ يُسِعُوهُمْ بَرًّا وَإِحْسَانًا. وَأَنْ
لَا يَسْتَحْلُوا حُرْمَتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا. فَالْمُسْلِمُ أَخُو
الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ وَسُلْطَانًا. وَالسَّعِيدُ مَنْ تَسَبَّحَ وَلِلَّهِ فِي
الْخَيْرِ عَلَى مَنَوَالِهِ. وَاسْتَسْنَوْا بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ. وَتَحَمَّلُوا عَنْهُ
مَا تَعَجَّزَ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ. وَمِمَّا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُفْحَى مَا أُحْدِثَ مِنْ
سَيِّئِ السَّنَنِ. وَجِدَدٍ مِنَ الظُّلَامِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَحْشَى. وَأَنْ
يَشْتَرِيَ بِإِبْطَالِهَا الْحَامِدَ فَإِنَّ الْحَامِدَ رَخِيسَةٌ بِأَعْلَى ثَمَنِ. وَمِمَّا جَبِيَ
بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الذِّمِّ حَاصِلَةٌ. وَأَجْيَادُ الْخَزَائِنِ وَإِنْ
أَصْحَحَتْ بِهَا حَالِيَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ. وَهَلْ أَشَقَى يَمْنَنَ
أَحَقَّابَ إِثْمًا. وَاكْتَسَبَ بِالْمَسَاعِي الذِّمِّيَّةَ ذِمًّا. وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ
لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصْمًا. وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا. وَحَقِيقُ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْمُتَوَلَّى السُّلْطَانَ
الْمُلْكِي الظَّاهِرِي الرَّئِيسِي أَنْ تَكُونَ ظُلُمَاتُ الْأَنَامِ مَرْدُودَةً بَعْدَلِهِ.
وَعَزَائِمُهُ تُخَفَّفُ ثِقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِجَهْلِهِ. فَقَدْ أَصْحَى عَلَى الْإِحْسَانِ قَائِدًا.
وَصَنَعَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ جَاءَ
آخِرًا. فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِكَ إِمَامٌ هُدَى أَوْجَبَ لَكَ
مَرْيَّةَ الْعَظِيمِ. وَتَبَّ الْخَلَّاقُ عَلَى مَا أَفْضَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ. وَهَذِهِ أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تَلَاظِمَ وَتُرْعَى. وَأَنْ يُؤَالَى عَلَيْهَا حَمْدُ

اللَّهُ فَإِنَّ الْحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَمَلًا وَشَرْعًا . وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي
 الْأُمُورِ أَصْلًا وَصَادِرُكَ قَرَعًا . وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ
 الْجِهَادِ الَّذِي أَضْحَى عَلَى الْأُمَّةِ قَرْضًا . وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ
 مُسَوِّدُ الصَّخَائِفِ مُيَضًّا . وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِالْآخِرِ الْعَظِيمِ .
 وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ الْمَقَامَ الْكَرِيمَ . وَبِكَ صَانَ اللَّهُ حَيَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ
 يُتَنَذَلَ . وَيَعَزِّمَكَ حَفِظَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِظَامَ هَذِهِ الدُّوَلِ . وَسَيُفَكُّ أَثْرَ
 فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ قُرُوحًا لَا تَدْمِلُ . وَبِكَ يَرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ
 الْخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْأَوَّلِ . فَأَيُّقِظْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ
 جَفْنَا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِمًا . وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبِعًا
 لَا تَابِعًا . هَذَاكَ اللَّهُ إِلَى مَنَاجِحِ الْحَقِّ وَمَازَاتِ مُهْتَدِيَا إِلَيْهَا . وَأَلْزَمَكَ
 الْمُرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَبِيٍّ عَلَيْهَا . وَاللَّهُ مُمِدِّكَ بِأَسْبَابِ نُصْرِهِ وَيُوزِعُكَ
 شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَسْتَمُّ بِشُكْرِهِ

(للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يعري الاسود بن المنذر يقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه

مَا كُلُّ يَوْمٍ نَيْالُ الْمَرْءِ مَا طَلَبَا وَلَا يُسَوِّغُهُ الْقَدَارُ مَا وَهَبَا
 وَأَحْزَمَ النَّاسُ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُتَقَضِبًا
 وَأَنْصَفَ النَّاسُ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ سَقَى الْعَبَادِينَ بِالْكَاسِ الَّذِي شَرِبَا
 وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ ضَرْبَا
 وَالْعَفْوُ إِلَّا عَنِ الْأَكْمَاءِ مَكْرُمَةٌ مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ كَذْبًا
 قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي يَزِيدَ لَقَدْ رَأَيْتَ رَأْيَا يَجْرُؤُ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا
هُمْ جِرْدُوا السِّيفَ فَاجْعَلْهُمْ لَهُ جُرْأًا
إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
هُمْ أَهْلُهُ غَسَّانٍ وَنَجَّدَهُمْ
وَعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وَاصِفِينَ لَنَا
أَيُّجَبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلِبُهُمْ
عَلَامٌ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ
لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا
هُمْ جِرْدُوا السِّيفَ فَاجْعَلْهُمْ لَهُ جُرْأًا
إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
هُمْ أَهْلُهُ غَسَّانٍ وَنَجَّدَهُمْ
وَعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وَاصِفِينَ لَنَا
أَيُّجَبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلِبُهُمْ
عَلَامٌ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ

٤٠ قال صني الدين الحلي يحرض السلطان الملك الصالح على الاعتزال من الغول

ومنافرتهم عند اقبالهم وبينه بعيد النحر

لَا يَمِيطُيُ الْمُجَدَّ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَا
وَمَنْ أَرَادَ الْعَلَى عَفْوًا إِلَّا تَعَبٍ
لَا بُدَّ لِلشَّهِيدِ مِنْ نَحْلِ مُنْعِهِ
لَا يُبْلَغُ السُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مَوْلَةٍ
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لَوَّمَاتٍ مِنْ ظُلْمٍ
وَأَغْرَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ
فَقَدْ يُقَالُ عِثَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَتْ
مَنْ دَبَّرَ الْعَيْشَ بِالْأَرَاءِ دَامَ لَهُ
يَهْوَنُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي الْقَضَاءُ بِهِ
مَنْ فَاتَهُ الْعِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ
وَلَا يَبَالُ الْعُلَى مَنْ قَدَّمَ الْحَذَرَا
قَضَى وَلَمْ يَقْضَ مِنْ إِذْرَاكِهَا وَطَرَا
لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
وَلَا يَتِمُّ الْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
لَا يَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدْرَا
عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَاً بِالْغَيْرِ مُعْتَبَرَا
وَلَا يُقَالُ عِثَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَا
صَفَوْا وَجَاءَ إِلَيْهِ الْخُطْبُ مُعْتَذِرَا
مَنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَذِنُ الْقَدْرَا
بِالْبَيْضِ يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشَّرَرَا

بِكُلِّ أَيْضَ قَدْ أَجْرَى الْفِرْنَ دَبِهِ
خَاضَ الْحَاجَّةَ عُرْيَانًا فَمَا انْتَشَمَتْ
لَا يَحْسُنُ الْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى إِلَّا فَنِي شَرَفَتْ
كَالصَّالِحِ الْمَلِكِ الْمَرْهُوبِ سَطَوْتُهُ
لَمَّا رَأَى الشَّرَّ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ
رَأَى الْفَيْسِيَّ إِنَانًا عَنْ حَقِيقَتِهَا
فَجَرَّدَ الْعَزَمَ مِنْ قَبْلِ الصِّقَاحِ لَهَا
يَكَادُ يُقْرَأُ مِنْ عُتُونِ هِمَّتِهِ
كَالتَّجْرِ وَالْذَّهْرِ فِي يَوْمِي نَدَى وَرَدَى
مَا جَادَ لِلنَّاسِ إِلَّا قَبْلَ مَا سَأَلُوا
لَا مَوْهَ فِي بَذْلِهِ الْأَمْوَالِ قُلْتُ لَهُمْ
إِذَا عَدَا الْعُصْنُ غَضًّا مِنْ مَنَابِتِهِ
مِنْ آلِ أَرْتَقِ الشُّهُورِ ذِكْرُهُمْ
الْحَامِلِينَ مِنَ الْخَطِيئِ أَطْوَلَهُ
لَمْ يَرْحَلُوا عَنْ حِمَى أَرْضٍ إِذَا زَلُّوا
تَبَقَى صَنَائِعُهُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ
لِلَّهِ دَرْسًا الشُّهْبَاءِ مِنْ فَلَكَ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَايَ لِدَوْلَتِهِ
مَاءَ الرَّدَى فَلَوْ اسْتَقَطَرَتْهُ قَطَرًا
حَتَّى أَتَى يَدَمِ الْأَبْطَالِ مُوَزَّرًا
وَلَا يَلِيقُ الْوَقَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرًا
خِلَالَهُ فَاطَّاعَ الدَّهْرُ مَا أَمَرًا
فَلَوْ تَوَعَّدَ قَلْبَ الدَّهْرِ لَا نَفَطَرًا
وَالْعَدْرَعْنَ نَابَهُ لِلْحَرْبِ قَدْ كَشَرًا
فَعَاثَهَا وَاسْتَشَارَ الصَّارِمَ الذِّكْرًا
مَلِكٌ عَنْ أَيْضَ يَسْتَعْنِي بِمَا شُهِرًا
مَا فِي صَحَائِفِ ظَهْرِ الْعُتْبِ قَدْ سَطَرًا
وَاللَّيْثِ وَالْغَيْثِ فِي يَوْمِي رَيْى وَقَرَى
وَلَا عَفَا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ مَا قَدَّرَا
هَلْ تَقْدِرُ السُّحُبُ إِلَّا تَرْسِلَ الْمَطَرَا
مَنْ شَاءَ فَلْيَجْنِ مِنْ أَفْنَانِهِ الشُّرَا
إِذَا كَانَ كَالْمِسْكِ إِنْ أَخْفَيْتُهُ ظُورًا
وَالنَّاقِلِينَ مِنَ الْأَسْيَافِ مَا قَصَرَا
إِلَّا وَأَبَقُوا بِهَا مِنْ جُودِهِمْ أَثَرَا
وَالْغَيْثِ إِنْ سَارَا بَقِيَ بَعْدَهُ الزُّهْرَا
وَكُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ أَطْلَمْتَ قَمَرَا
ذِكْرُ أَطْوَى ذِكْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَا

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دُسْتُ فَقَدْ صَدَعَتْ
 فَأَوْقِعْ إِذَا عَدَرُوا سَوَاطِلَ الْعَذَابِ بِهِمْ
 وَأَرْعِبْ قُلُوبَ الْعَدَى تُنْصَرِ بِخِذْلِهِمْ
 وَلَا تُكْذِرْهُمْ نَفْسًا مُطَهَّرَةً
 ظَنُّوا تَأْنِيكَ عَنْ عِزِّ وَمَا عَلِمُوا
 أَحْسَنَتْهُمْ قُبْعُوا جَهْلًا وَمَا أَعْتَبَرُوا
 وَأَسْعَدَ بَعِيدِكَ ذَا الْأَضْحَى وَضَحَّ بِهِ
 وَأَحْرَجَ عِدَاكَ قِيَالًا لِنَعَامٍ مَا أَنْصَحُوا

٤١ ولصفي الدين الحلي يمرض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها ستة اثنين وسبعائة:

أَبْدَسْنَا وَجْهَكَ مِنْ حِجَابِهِ
 وَالْأَثْلُ لَا يُزْهَبُ مِنْ زَيْنِهِ
 وَالنَّجْمُ لَا يَهْدِي السَّيْلَ سَارِيَا
 وَالشَّهْدُ لَوْلَا أَنْ يُذَاقَ طَعْمُهُ
 إِذَا بَدَأَ نُورُكَ لَا يَصُدُّهُ
 وَلَا يَضُرُّ الْبَدْرَ وَهُوَ مُشْرِقُ
 قُمْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَلَكِنْ مِثْلَمَا
 كَمْ مُدْرِكٍ فِي يَوْمِهِ بِعِزِّهِ
 مَنْ كَانَتْ أَسْمَرُ اللَّيَالِي رُسُلُهُ
 فَالْسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ
 إِذَا اتَّعَدَى مُخْتَبِأً بِغَايِهِ
 إِلَّا إِذَا أَسْفَرَ مِنْ حِجَابِهِ
 لَمَّا غَدَا مُمِيزًا عَنْ صَاحِبِهِ
 تَرَأَّاهُ الْمَوَكِبُ فِي أَرْتِكَابِهِ
 أَنْ رَفِيقَ النِّعَمِ مِنْ نِقَابِهِ
 هَذَا الْحُسَامُ سَاعَةَ أَجْزَائِهِ
 مَا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ فِي حِسَابِهِ
 كَانَ بُلُوعُ النَّصْرِ مِنْ جَوَابِهِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ الصَّغِيرَ عَاجِزٌ هَلْ يَجْرَحُ اللَّيْثَ سِوَى ذُبَابِهِ
فَازِمٌ ذُرَى قَلْعَتِهِمْ بِقَلْعَةٍ تَقْلَعُ أَسْ الطُّودَ مِنْ تَرَابِهِ
فَإِنَّمَا إِذَا رَأَيْتَ مُقْبِلًا مَادَتْ وَخَرَّ السُّودُ لِاضْطِرَابِهِ
إِنْ لَمْ تَحَالِكِ الدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ فَإِنَّمَا تَحْكِيهِ فِي أَنْقِلَابِهِ
وَأَجَلُ لَهْمٍ عَزَمَ إِذَا جَلَوْتَهُ فِي اللَّيْلِ أَغْنَى اللَّيْلُ عَنْ شَهَابِهِ
عَزَمُ مَلِيكَ يَخْضَعُ الدَّهْرُ لَهُ وَتَسْجُدُ الْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
تُحَازِرُ الْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ وَتَجْزَعُ الْخُطُوبُ مِنْ خُطَابِهِ
قَدْ صَرَفَ الْحُجَابَ عَنْ حَضْرَتِهِ وَصَيَّرَ الْهَيْبَةَ مِنْ حُجَابِهِ
إِذَا رَأَى الْأَمْرَ بَعَيْنَ فِكْرِهِ رَأَى خَطَاءَ الرُّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
وَإِنْ أَجَالَ رَأْيَهُ فِي مُشْكَلٍ أَعَانَهُ الْحَقُّ عَلَى طَلَابِهِ
تَتَقَادُ مَعَ آرَائِهِ أَيَّامُهُ مِثْلَ انْقِيَادِ اللَّفْظِ مَعَ إِعْرَابِهِ
لَا يَزْجُرُ الْبَارِحُ فِي اعْتِرَاضِهِ وَلَا غُرَابُ الْبَيْنِ فِي تَنَاهِهِ
يَفْرَأُ مِنْ عُتْوَانِ سِرِّ رَامِهِ مَاسْطَرَّ الْقَضَاءِ فِي كِتَابِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بُيُورُهُ أَيَّامُهُ كَأَنَّمَا تَبَسُّمُ عَنْ أَحْسَابِهِ
يَكَادُ أَنْ تُلْهِيه عَنْ طَعَامِهِ مَطَالِبُ الْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ
مَا سَادَ لِلنَّاسِ ثَمَاءُ سَائِرِ إِلَّا وَحَطَّ رَحْلُهُ بِبَابِهِ
إِذَا اسْتَبَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ أَعَانَهُ الْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ
وَإِنْ كَسَا الدَّهْرُ الْأَنَامَ مَفْخَرًا ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ
يَا مَلِكًا يَرَى الْعَدُوَّ قُرْبَهُ كَالْأَجَلِ الْخُثُومِ فِي اقْتِرَابِهِ

لَا تَبْذُلِ الْحِلْمَ لِغَيْرِ شَاكِرٍ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى إِنْجَابِهِ
فَأَغْرُ الْعِدَى بِعِزَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا إِتَانُ حَزْمِ الرَّأْيِ مِنْ أَوْبَاهِ
تُسَلِّمُ أَرْوَاحَ الْعِدَى إِلَى الرَّدَى وَتَرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَى أَرْبَابِهِ
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبٍّ رُتْبَةً قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ
قَدْ رَفَعَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ فَشَمَرُوا السَّاعِدَ فِي طَلَابِهِ
رَنَوْا إِلَى الْمُلْكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ أَظْمَهُ حَامِكٍ فِي أَفْضَائِهِ
إِنْ لَمْ تُقَطَّعْ بِالْظُّبَى أَوْصَالُهُمْ لَمْ تُقَطَّعْ إِلَّا مَالٌ مِنْ أَسْبَابِهِ
لَا تَقْبَلِ الْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ قَدْ أَصَمَّ الصَّخِيفَ فِي كِتَابِهِ
قَسْوَةً الْمُقْلَعِ إِثْرَ ذَنْبِهِ وَتَوْبَةً الْغَادِرِ مَعَ عِقَابِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ لَمْ يُقَدِّمُوا يَوْمًا عَلَى أَرْتِكَابِهِ
فَأَصْرِمُ حِبَالِ عِزِّهِمْ بِصَارِمٍ قَدْ بَالَغَ الْفُيُونُ فِي أَفْئَابِهِ
يَعْتَذِرُ الْمَوْتُ إِلَى شَفَرَتِهِ وَتَقْصُرُ إِلَّا جَالٌ عَنْ عِتَابِهِ
يُذَيِّفُهُمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا أَذَاقَهُ الْفُيُونُ فِي شَبَابِهِ
يَا مَلِكًا يَتَذَرُ الدَّهْرُ لَهُ وَتَخْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
لَمْ يَكْ تَحْرِضِي لَكُمْ إِسَاءَةً وَلَمْ أَحُلْ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
وَلَا يَعْيبُ السِّيفُ وَهُوَ صَارِمٌ هَذَا يَدُ الْجَاذِبِ فِي اتِّدَابِهِ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ كِلَاهُمَا أَمْعَنَ فِي اتِّعَابِهِ
ذِكْرُ جَيْلٍ غَيْرِ أَنْ نَظْمُهُ يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ أَصْطِحَابِهِ
كَالَّذِي لَا يُظْهِرُ حُسْنَ عَقْدِهِ إِلَّا جَوَارُ السِّلَاحِ فِي أَثْقَابِهِ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَنَظَرَاتِ

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الأمير عبد الرحمن ابن
السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمْتَ فِيكَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْأَمْصَارُ. وَطَالَ بِهَا الْوُقُوفُ
عَلَى حُبِّكَ وَالْإِقْتِصَارُ. كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا وَيَمْشُلُ: أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى.
وَيُصَيِّحُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْنِي. وَيَتَلَوُّ إِذَا بُشِّرَ بِكَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا
نَنْجِي. تَمَرَّتْ (خَصْ) غَيْظًا. وَكَادَتْ تَفِيطُ فَيْظًا. وَقَالَتْ: مَا لَهُمْ
يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَخْرُصُونَ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. أَلَهُمُ السَّهْمُ الْأَسَدُ. وَالسَّاعِدُ الْأَشَدُّ. وَالنَّهْرُ الَّذِي
يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ الْجَزْرُ وَالْمُدُّ. أَنَا مِصْرُ الْأَنْدَلُسِ وَالنَّيْلُ نَهْرِي. وَسَمَاءِي
الْأَنْسُ وَالْجُجُومُ زَهْرِي. إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ. فَحَسْبِي أَنْ
أَفِضَ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ. وَإِنْ تَحْجَبْتُمْ بِأَشْرَفِ اللُّبُوسِ. فَأَيُّ إِزَارٍ
أَشْتَمَلُوهُ كَسَلْتُ لُبُوسَ. إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ أَيْدِيَةِ رِحَابٍ. وَرَوْضٍ
يَسْتَعْنِي بِنُضْرَتِهِ عَنِ السَّحَابِ. قَدْ مَلَأَتْ زَهْرَاتِي وَهَادًا وَأَنْجَادًا.
وَوَشَّخَ سَيْفُ نَهْرِي بِجَدَائِقِي نِجَادًا. فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا أَلْهَامٍ وَأَحَقُّ.
أَلَا نَحْصُصُ الْحَقَّ. فَظَنَرْتَهَا (قُرْطَبَةَ) شَزْرًا وَقَالَتْ: لَهْدٌ كَثُرَتْ
زَرًّا. وَبَذَرَتْ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ زَرًّا. كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنْ

الْمَذْيَانِ . وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَجِبُ مُسْتَحْسَنًا . وَمَنْ
 أَوْدَعَ أَجْنَانَ الْمُهْجُورِ وَسَنًا . أَقْنِ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ قَرَأَهُ حَسَنًا . يَا عَجَبًا
 لِمَا كَرِهَ نُدْمٌ عَلَى الْأَسِنَّةِ . وَلِلْإِثْقَارِ تَفَضُّلٌ عَلَى الْأَعِنَّةِ . إِنْ أَدْعَيْتُمْ
 سَبَقًا . فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . لِي أَلَيْتَ الْمُطَهَّرُ الشَّرِيفُ . وَالْأَسْمُ
 الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رِوَاغَهُ التَّعْرِيفُ . فِي بَقِيَعِي مَحَلُّ الرِّجَالِ الْأَفَاضِلِ .
 فَلْيَرْغَمْ أَنْفُ الْمُنَاضِلِ . وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ . فَحَسْبِي مِنْ
 نَبَاهَةِ الْقَدْرِ . فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَى يَهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْلَى . وَلَا أَرْضَى
 لَهُ أَنْ يُوْطَى غَيْرُ تَرَائِي نَعْلًا . فَلَقُرُّوْا لِي بِالْأَبْوَةِ . وَانْقَادُوا لِي عَلَى
 حُكْمِ الْبُؤَةِ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ . وَكُفُّوا
 عَنْ تَبَارِكِكُمْ . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ . (فَقَالَاتِ غُرْنَاطَةٌ) : لِي
 الْمَعْقِلُ الَّذِي يَمْتَسِعُ سَاكِنُهُ مِنَ النُّجُومِ . وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ الْغَيْثِ
 السُّجُومِ . فَلَا يَلْحَقُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ . وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خِيَالُ
 طَارِقٍ وَلَا طَيْفٌ . فَاسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا . فَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ اسْتَعْلَى .
 لِي بِطَاحٍ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا . وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرَهَا
 فَعَادَتْ أَفْلَاكًا . فَحَسْبِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُجْتَنَالُ . فَدَعُونِي فَكُلُّ
 ذَاتِ ذَنْبٍ تَخْتَالُ . فَأَنَا أَوَّلَى يَهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ . وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ
 وَلَا بَدَلٍ . وَلَمْ لَا يَعْطِفُ عَلَيَّ عِنَانُ مَجْدِهِ وَيَثْنِي . وَإِنْ أَشَدَّ يَوْمًا
 فَأَيَّايَ يَبْنِي :

بِأَلَدٍ بِهَا عَقُّ الشَّبَابِ تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابَهَا

فَمَا لَكُمْ تَعْتَرُونَ لِقَهْرِي وَتَلْمِزُونَ . وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مِيزَانِي
وَتَقْدُمُونَ . تَبَرُّوْا إِلَيَّ يَمَّا تَرْغُمُونَ . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
(قَالَتْ مَا لَقَئَهُ) : أَتَشْرُكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا . وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا .
وَلَمْ وَلِي الْبَحْرِ الْحَبَّاجُ . وَالسَّيْلِ الْحَبَّاجُ . وَالْجَنَاتِ الْأَشِيرَةُ . وَالْقَوَاكِبِ
الْكَثِيرَةُ . لَدَيَّ مِنَ الْبَهْجَةِ مَا تَسْتَعْنِي بِهِ الْحَمَامُ عَنْ الْهَدِيدِ . وَلَا تَحْجُجُ
الْأَنْفُسُ الرِّقَاقُ الْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ . قَالِي لَا
أُعْطِي فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا . وَلَا أَنْشُرُ فِي حَيْشٍ فَحَارِكُمْ أَعْلَامًا . فَكَانَ
الْأَمْصَارَ نَظَرَتْهَا أَرْدَرَاءُ . فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مِيزَانِ الذِّكْرِ إِجْرَاءً .
لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَنَظُنُّ الْبِلَادَ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ :
إِذَا نَظَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبُهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِبَابَتِهِ السَّكُوتُ
(قَالَتْ مَرْسِيَةُ) : أَمَامِي تَتَعَاطُونَ أَنْفَحَرَ . وَبِحَضْرَةِ الدَّرِّ .
تُنْفِقُونَ الصَّخْرَ . إِنْ عُدَّتِ الْفَاخِرُ قَلِي مِنْهَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . أَيْنَ
أَوْشَالِكُمْ مِنْ بَحْرِي . وَخَرَزُكُمْ مِنْ لَوْلُوءِ بَحْرِي . قَلِي الرُّوضُ الْتَضِيرُ .
وَالرَّأْيُ الَّذِي مَا لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . فَمِنْ دَوَحَاتٍ . كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ
وَرَوَحَاتٍ . وَمِنْ أَرْجَاءٍ . إِلَيْهَا تَعْدُ أَيْدِي الرِّجَاءِ . فَأَبْنَاءِي فِيهِ فِي الْجَنَّةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ . يَتَعَمَّونَ فِيهَا يَأْخُذُونَ وَيَدْعُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ . فَأَنْقَادُوا لِأَمْرِي . وَحَازِرُوا
أَصْطِلَاءَ جَمْرِي . وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِي زَيْدٍ . وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ
ضَرْبَ زَيْدٍ . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهَذَا الْمَلِكِ الْمُسْتَثْنَى بِالْعَظِيمِ . وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . (فَقَالَتْ بَلْئِيسَةً) : فِيمَ الْجِدَالِ وَالْفِرَاعِ . وَعَلَامَ
 الْإِسْتِهَامِ وَالْإِقْتِرَاعِ . وَإِلَامَ التَّعْرِيزِ وَالنَّصْرِيجِ . وَتَحْتَ الرُّغْوَةِ
 اللَّبَنِ الصَّرِيحِ . أَنَا أَحْوْزُهُ مِنْ ذُونِكُمْ . فَأَحْمَدُوا نَارِي تَحْرُكِكُمْ
 وَهْدُونِكُمْ . فَلَی الْحَاسِنُ الشَّائِخَةُ الْأَعْلَامِ . وَاجْتَنَاتُ الَّتِي تُلْقِي إِلَيْهَا
 الْأَفَاقُ يَدَ الْإِسْتِسْلَامِ . وَبِرِّ صَافِي وَجْهِ أَعَارِضُ مَدِينَةِ السَّلَامِ .
 فَأَجْمَعُوا عَلَى الْإِنْتِقَادِ لِي وَالسَّلَامِ . وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَانًا . وَأَقْرَعُوا أَسْنَانًا .
 فَأَنَا حَيْثُ لَا تَذَرِكُونِ وَإِنِّي وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .
 (فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْتَمَتْ جَمْرَةً تَذْمِيرًا بِالشَّرَارِ) وَأَسْتَدَّتْ أَسْهُمَهَا لِنُحُورِ
 الشَّرَارِ وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا . تَرَعَجِبًا . أَبْعَدَ الْعِصْيَانِ وَالْعُفُوقِ .
 تَهَيَّأَنَّ لِرُبِّ ذَوِي الْحَقُوقِ . هَذِهِ سَمَاةُ الْفَخْرِ فَمَنْ صَمَكَ أَنْ تُعْرِجِي .
 لَيْسَ بِشَيْءٍ فَأَذْرُجِي . لَكَ الْوَصَبُ وَالْجَبَلُ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ
 قَبْلُ . أَتَيْتِ الصَّائِنَةَ الْهَاعِلَةَ . مَنْ أَذْرَاكَ أَنْ تَضْرِبِي وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ . مَا
 الَّذِي يُجْدِيكَ الرُّوضُ وَالزَّهْرُ . أَمْ يُفِيدُكَ الْجَدُولُ وَالنَّهْرُ . وَهَلْ
 يُصْلِحُ الْعَطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ . هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحْطَرُ رَحْلِ النِّفَاقِ .
 وَمَنْزِلُ مَا لِسُوقِ الْحِصْبِ فِيهِ مِنْ نِفَاقٍ . ذَرَاكِ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ
 بِهَجُوعٍ . وَقِرَاكِ لَا يَسْتَمْنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . قَالَامَ تَبَرُّزُ الْإِمَاءِ فِي
 مَنْصَةِ الْعُقَايِلِ . وَلَكِنْ أَذْكُرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بَلْئِيسَةً بَيْنِي عَنِ الْقَلْبِ سَلَوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضُ لَا أَجْنُ لَزْهَرِكِ
 وَكَيْفَ يَجِبُ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ عَلَى صَارِمِي جُوعٍ وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

يَدُ أَتَى أَسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا نَحْمَدُ . وَيُسِيلَ
 مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدُ . وَيُطِيلَ عَلَيْكَ فِي الْجَمَالَةِ الْأَمَدُ . وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ
 نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَالِدِهِ . وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ
 أَعْدَائِهِ مِنْ قَوَائِدِهِ . وَيُمْكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشَغَّيْنِ وَيُنْقِيهُ
 وَجْهَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيَصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْيِيدًا .
 وَيَمْدِدْ لَهُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعَيْدِ عَيْدِهِ عَيْدًا . وَيُمْدِدْ عَلَى
 الدُّنْيَا بِسَاطِ سَعْدِهِ وَيَهَبْهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ
 ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَنَّ عِبَادًا وَنَشْرًا . وَيَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا وَبَشْرًا . عَلَى
 حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ . وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمُ السَّنَةِ الْجَلِيلَةِ . وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَبَرَكَاتِهِ

(نفع الطيب للمقري)

مغايرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين

٤٣ (قَالَ) : بَرَزَ الْقَلَمُ بِإِفْصَاحِهِ . وَنَشِطَ لِأَرْتِيَا حِهِ . وَرَقِيَ مِنْ
 الْأَنَامِلِ عَلَى أَعْوَادِهِ . وَقَامَ خَطِيبًا بِمُحَاسِنِهِ فِي حُلَّةِ مِدَادِهِ . وَأَلْفَتْ
 إِلَى السَّيْفِ وَقَالَ : اِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ .
 مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَجْنُونَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . وَشَرَّفَهُ
 بِالْقَسَمِ . وَخَطَّ بِهِ مَا قَدَّرَ وَقَسَمَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَلَمَ مَنَارُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا .
 وَنِظَامُ الشَّرَفِ وَالْعُلَمَاءِ . وَمَجَادِيحُ سُحُبِ الْخَيْرِ إِذَا أُحْتَاجَتْ إِلَيْهِمْ
 إِلَى السُّقْيَا . وَمِفْتَاحُ بَابِ الْيَمِينِ الْعَجْرَبُ إِذَا أَعْيَا . وَسَفِيرُ الْمَلِكِ الْمُحَجَّبُ .

وَعَذِيقُ الْمَلِكِ الْمَرْجَبُ . وَذِمَامُ أُمُورِهِ السَّائِرَةُ . وَقَادِمَةُ أَخْبَتِهِ
الطَّائِرَةُ . وَمُطْلَقُ أَرْزَاقِ عِفَاتِهِ الْمُتَوَاتِرَةُ . وَأَنْمَلَةُ الْهُدَى الْمَشِيرَةُ إِلَى
ذَخَائِرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . بِهِ رُقْمُ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ .
وَسُنَّةُ الْإِنِّي تَهْدِي الْخَوَاطِرَ الْخَوَاطِلَ . وَفِي مَرَاضِي الدُّوَلِ عَوْنَةٌ
لِلشَّائِدِينَ . وَبَيْنَ اللَّهِ فِي لِيَالِي النَّفْسِ تَقَلُّبُ وَجْهِهِ فِي السَّاجِدِينَ . إِنْ
نُظِمَتْ قَرَائِدُ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا هُوَ سِلْكُهَا . وَإِنْ عَاتِ أَسْرَةُ الْكُتُبِ فَإِنَّمَا
هُوَ مِلْكُهَا . وَرَقَّتْ بُرُودُ الْبَيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ جَلَالُهَا . وَإِنْ تَشَعَّبَتْ فُنُونُ
الْحُكْمِ فَإِنَّمَا هُوَ أَمَانُهَا وَمَأْلُهَا . وَإِذَا انْقَسَمَتْ أُمُورُ الْمَمَالِكِ فَإِنَّمَا هُوَ
عِصْمَتُهَا وَتِمْلُهَا . وَإِنْ اجْتَمَعَتْ رَعَايَا الصَّنَائِعِ فَإِنَّمَا هُوَ إِمَامُهَا الْمُتَلَقِّعُ
بِسَوَادِهِ . وَإِنْ زَخَرَتْ بِحَارِ الْأَفْكَارِ فَإِنَّمَا هُوَ الْمُسْتَخْرِجُ دُرَرَهَا مِنْ
ظُلُمَاتِ مِدَادِهِ . وَإِنْ وَعَدَ فِي بِجَلْبِ النَّفْعِ . وَإِنْ أَوَّعَدَ أَضَافَ كَأَنَّمَا
يَسْتَمِدُّ مِنَ النَّفْعِ . هَذَا وَهُوَ لِسَانُ الْمُلُوكِ الْخَاطِبُ . وَرَسِيلُهَا لَا بُكَارِ
الْفُتُوحِ وَالْخَاطِبِ . وَالْمُنْفِقُ فِي تَعْمِيرِ دَوْلَتِهَا عِصُولُ أَنْفَاسِهِ .
وَالْمُتَحَمِّلُ أُمُورَهَا الشَّاقَّةَ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ . وَالْمُسَيِّقُ لِحَيَادِ أَعْدَائِهَا
وَالسَّيْفُ فِي جَنْبِهِ نَائِمٌ . وَالْمُهَيَّزُ لِبَاسِهَا وَكَرَمُهَا جَيْشِي الْخُرُوبِ
وَالْمُكَارِمُ . وَالْجَارِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . وَالْأَسْوَدُ
النَّاصِرُ فَكَأَنَّمَا هُوَ لَعِينُ الدَّهْرِ إِنْسَانٌ . طَالَمَا ذَبَّ عَنْ حُرْمَتِهَا . فَشَدَّ
اللَّهُ أَرْزَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ وَقَامَ فِي الْحِمَامَةِ عَنْ دِينِهَا . أَشَعَثَ أَغْبَرَلَوْ
أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ وَقَاتَلَ عَلَى الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ فِي الْقُرْبِ . وَأَوْتِيَ

مِنْ مُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ نَوْعًا مِنْ النَّصْرِ بِالرُّغْبِ . وَبَثَّ حِمَافِلَ السُّطُورِ
 فَالْسَّقِيُّ دَالَاتُ وَالرِّمَاحُ أَلْقَاتُ وَالْأَلَامَاتُ لَامَاتُ . وَالْمُعْزَاتُ كَوَاسِرُ
 الطَّيْرِ الَّتِي تَتَّبِعُ الْجَحَافِلَ . وَالْأَثَرِبَةُ عَجَاجُهَا النُّحْمَرُ مِنْ دَمِ الْكَلَى
 وَالْمُفَاصِلِ . فَهُوَ صَاحِبُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَسَاجِبُ ذَيْلِي
 الْفَخَّارِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ . لَا يُعَادِيهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ . وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ
 وَطْبِعَ عَلَى قَلْبِهِ . وَفَلَّ الْجِدَالَ مِنْ غَرِبِهِ . وَخَرَجَ فِي وَزْنِ الْمُعَارَضَةِ
 عَنْ صَرِيهِ . وَكَيْفَ يُعَادِي مَنْ إِذَا كَرَعَ فِي نَفْسِهِ . قِيلَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
 الْكُوْزَ . وَإِذَا ذَكَرَ شَانِيهِ السِّيفُ قِيلَ إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . أَقُولُ
 قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الشَّرَفِ وَخِيَلَانِهِ . وَالْفَخَّارِ وَكِبَرِيَانِهِ .
 وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِيمَا حَكَمَ . وَأَسْأَلُهُ التَّدْبِيرَ فِيمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ . ثُمَّ
 أَكْتَفَى بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَدْوَانِهِ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَوَانِهِ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ
 الْقَائِلِ :

قَلَمٌ يُفْلُ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرٌ . وَالْيَيْضُ مَا سَلَتْ مِنَ الْأَعْمَادِ
 وَهَبَتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ نَشَأَهَا . كَرَّمَ السُّيُولَ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضَ السِّيفُ قَائِمًا عَجَلًا . وَتَلَمَّظَ لِسَانُهُ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلًا .
 وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
 عَزِيزٌ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . وَشَرَعَ حُدُودَهَا
 فِي ذَوِي الْعِصْيَانِ فَأَغْصَنَتْهُمْ بِمَاءِ الْخُتُوفِ . وَشَدَّ مَرَاتِبَ الَّذِينَ

يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيَانُ مَرْصُوصٍ وَعَقْدُ مَرْصُوفٍ .
وَأَجْنَاهُمْ مِنْ وَرَقِ حَدِيدِهَا الْأَخْضَرِ ثَمَارُ نَيْمِهَا الدَّائِنَةُ الْقُطُوفُ . أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ السَّيْفَ زَنْدُ الْحَقِّ الْوَرِيُّ وَزَنْدُهُ الْقُيُوتُ . وَحَدُّهُ الْفَارِقُ
بَيْنَ الرَّشِيدِ وَالْعُيُوتِ . وَالنَّجْمُ الْهَادِي إِلَى الْغَيْرِ وَسَبِيلُهُ . وَالنَّجْمُ
الْبَاسِمُ عَنْ تَبَاشِيرِ قَوْلِهِ . وَخَصَّهُ عَلَى الْأَقْلَامِ بِأَنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْهَا جَا .
وَأُطْلِعَهُ فِي لَيْلِي النَّفْعِ وَالشَّكِّ سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَفَتَحَ بَابَ الدِّينِ
بِمَصْبَاحِهِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ أَقْوَانًا . فَهُوَ ذُو الرَّأْيِ الصَّابِ .
وَشَهَابُ الْعَزْمِ الْقَاطِعِ . وَسَمَاءُ الْغَيْرِ الَّتِي زَيَّنَتْ مِنْ آثَارِهِ بَرْدِيَّةُ
الْكَوَاكِبِ . وَالْحَدُّ الَّذِي كَانَتْهُ مَاءٌ دَافِقٌ يُخْرِجُ عِنْدَ قَطْعِ الْأَجْسَادِ مِنْ
بَيْنِ الصُّلْبِ وَالْأَرْبَابِ . لَا تُجْعَدُ آثَارُهُ وَلَا يُنْكِرُ قَرَارُهُ . إِذَا أَشْتَبَتْ
فِي الدُّجَى وَالنَّفْعِ نَارُهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ الْبَاسِ وَالْكَرَمِ . وَيُصَاغُ
فِي طَوْقِ الْحَالَتَيْنِ فَهُوَ إِمَّا طَوْقٌ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَإِمَّا خُفَّالٌ فِي
عَرَاقِبِ أَهْلِ النِّقَمِ . وَيُجَسِّمُ بِهِ أَهْوَاءَ الْفَتَنِ الْمُضِلَّةِ . وَيُخَذِفُ بِهَيْمَتِهِ
الْجَارِمَةَ حُرُوفَ الْعِلَّةِ . وَإِذَا انْمَحَى فِي سَمَاءِ الْقِتَامِ بِالضَّرْبِ فَهُوَ
الْقُيُوتُ الْإِسْطِطَاعَةُ الطَّوِيلُ الْمُعْمَرُ . إِذَا قُصِفَ سِوَاهُ فِي سَاعَةٍ فَمَا
أَوْلَاهُ بِطُولِ الْإِحْسَانِ . وَمَا أَجَلَ ذِكْرَهُ فِي أَخْبَارِ الْمُعَرِّينِ وَمَقَاتِلِ
الْفَرَسَانِ . كَانَ الْغَيْثُ فِي غَمْدِهِ لِلطَّلَابِ الْمُتَمَتِّعِ . وَكَانَتْهُ زِنَادُ
يُسْتَضَاءُ بِهِ إِلَّا أَنْ دَفَعَ الدِّمَاءَ شَرَّهُ الْمُتَمَتِّعِ . كَمْ قَدْ مَدَّ فَأَدْرَكَ
الطَّلَابَ . وَدَمًا النَّصْرَ بِلِسَانِهِ الْأُخْمَرِ مِنْ أَثَرِ الدِّمَاءِ فَأَجَابَ . وَاشْتَعَبَتْ

الدُّوْلُ لِقَانِمِ نَصْرِهِ الْمُتَسْطِرِّ . وَحَازَتْ أَبْكَارَ الْفُتُوحِ بِحَدِّهِ الذِّكْرُ .
وَعَدَتْ أَيَّامَهَا بِذَاتِ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغُرَرٍ . وَشَدَّتْ بِهِ الظُّهُورَ .
وَحَدَّتْ عَلَائِقَهُ فِي الْأُمُورِ . وَاتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِيهَا . وَحِصْنًا
عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطْنَانِهَا . وَجَرَدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ الْأَقْدَارِ فِي شَانِهَا .
وَنَدِبَ قَمَاعَيْتَ عَلَيْهِ الْمَصَالِحُ . وَبَاشَرَ اللَّيْمَ هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَ
الْهُدَى وَالضَّلَالِ فَرَقٌ وَاضِحٌ . وَأَعَاثَ فِي كُلِّ فَضْلٍ هُوَ أَمَّا لِعَمْدِهِ
سَعْدُ الْأَخْيَةِ وَأَمَّا لِحَامِلِهِ سَعْدُ السُّعُودِ . وَأَمَّا لِضِدِّهِ سَعْدُ الذَّالِمِ
يَجْلِسُ عَلَى رُؤُسِ الْأَعْدَاءِ قَهْرًا . وَيُشْرَحُ أَنْبَاءَ الشُّجَاعَةِ قَابِلًا لِلْقَلَمِ :
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ الْمَوْتُ
عَلَى بَابِهِ . وَعَظُّ الْحَرْبِ الطُّرُوسَ بِنَابِهِ . وَقُدِفَتْ شَيَاطِينُ الْقِرَاعِ
بِشَبْهِهِ . وَمُنَحَّ آيَاتٍ شَرِيفَةٍ مِنْهَا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ . وَمِنْهَا : أَنَّ
اللَّهَ أَنْشَأَ بَرْقَهُ فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَضْرَعًا . وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا . أَقُولُ قَوْلِي
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَعُ . وَرَأْيِي إِلَى الْخِصَامِ يَنْجَحُ .
وَلِسَانٌ يُجَوِّهُ الدُّدَّ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ فَيَجْرَحَ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ
الْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ . وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ . ثُمَّ
اخْتَفَى فِي بَعْضِ الْخُمَائِلِ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

سَلِ السَّيْفَ عَنْ أَصْلِ الْفَخَّارِ وَقَرِّعِهِ فَإِنِّي رَأَيْتُ السَّيْفَ أَقْصَحَ مَقُولًا
(فَلَمَّا وَعَى الْقَلَمُ) خُطْبَتَهُ الطَّوِيلَةَ الطَّائِلَةَ . وَنَشْطَتَهُ الْجَلِيلَةَ الْجَائِلَةَ .
وَفَهِمَ كِنَايَتَهُ وَتَلَوِيحَهُ . وَتَعَرَّيْضَهُ بِالذَّمِّ وَتَصْرِيحَهُ . وَتَعْدِيلَهُ فِي

الْحَدِيثِ وَتَجَرِيحِهِ . اُسْتَعَاثَ بِاللَّفْظِ النَّصِيرِ . وَاحْتَدَّ وَمَا اَذْرَاكَ مَا حِدَّةُ
 الْقَصِيرِ . وَقَامَ فِي دَوَائِهِ وَقَعْدَ . وَاضْطَرَبَ عَلَى وَجْهِ الْقِرْطَاسِ وَارْتَعَدَ .
 وَعَدَلَ إِلَى السَّبِّ الصُّرَاحِ . وَرَأَى أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ تَكَلَّمَ وَلَكِنْ بِأَفْوَاهِ
 الْجِرَاحِ . فَأَتَحَرَّفَ إِلَى السَّيْفِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُعْتَرِّ بِطَبْعِهِ . الْمُعْتَرِّ بِلَمْعِهِ .
 النَّاقِضُ حَبْلُ الْإِنْسِ يَقْطَعُهُ . النَّاسِخُ بِهَجِيرِهِ مِنْ ظِلَالِ الْعَيْشِ
 قَيْئًا . السَّرَابُ الَّذِي يَنْحَسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .
 الْحَيْسُ الَّذِي طَالَمَا عَادَتْ عَلَيْهِ عَوَالِدُ شَرِّهِ . أَتَعَرَّضُ بِسَيِّ . وَتَعَرَّضُ
 لِمَكَائِدِ حَرْبِي . أَلَسْتُ ذَا الْحُدْعِ الْبَالِغَةِ وَالْحَرْبِ خُدْعَةً . وَالْمَنْ
 الْنَافِعَةُ وَلَا خَيْرَ قَيْنٍ لَا تَبْغِي الْأَنَامُ نَفْعَهُ . أَلَسْتُ الْمُسَوْدَ الْأَحَقَّ
 بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَا
 أَتَفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وَأَنْتَ لِلْقَطْعِ . وَأَنَا لِلْعَطَاءِ وَأَنْتَ
 لِلْمَنْعِ . وَأَنَا لِلصَّحِّ وَأَنْتَ لِلضَّرْبِ . وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلتَّخْرَابِ .
 وَأَنَا الْمُعْمَرُ . وَأَنْتَ الْمُدْمَرُ . وَأَنْتَ الْمُقْلَدُ وَأَنَا صَاحِبُ التَّقْلِيدِ . وَأَنْتَ
 الْعَابِثُ وَأَنَا الْمُجُودُ وَمَنْ أَوْلَى مِنَ الْقَلَمِ بِالْتَّجْوِيدِ . فَمَا أَفْجَحَ شَبَّهَكَ .
 وَمَا أَشْنَعُ يَوْمًا تَرَى فِيهِ الْعَيْنُ وَجْهَكَ . أَعْلَى مِثْلِي يُشَقُّ الْقَوْلُ .
 وَيَرْفَعُ الْمَصَوْتُ وَالصَّوْلُ . وَأَنَا ذُو اللَّفْظِ الْمَكِينِ . وَأَنْتَ مِمَّنْ دَخَلَ
 تَحْتَ قَوْلِ الْقُرْآنِ : أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينِ .
 فَهَذَا تَعَدَّيْتُ حَدَّكَ . وَطَلَبْتَ مَا لَمْ تَبْلُغْ بِهِ جَهْدَكَ . هَيْهَاتَ أَنَا الْمُنْتَصِبُ

لِمَصَالِحِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الْغَمْدِ طَرِيحٌ . وَالْمُتَعَبُ فِي تَهْمِيدِهَا وَأَنْتَ
 غَافِلٌ مُسْتَرِيحٌ . وَالسَّاهِرُ وَقَدْ هَدَّ لَكَ فِي الْغَمْدِ مَضْجَعٌ . وَالْجَالِسُ
 عَنْ يَمِينِ الْمَلِكِ وَأَنْتَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَيُّ الْحَالَتَيْنِ أَرْفَعُ . وَالسَّاعِي فِي
 تَذْيِيرِ حَالِ الْقَوْمِ . وَالْمُغْنِي لِنَفْعِهِمُ الْعُمَرُ إِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
 يَوْمٍ . فَأَقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ الْمُفَاخَرَةِ . وَاسْتُرْ أَنْبَاكَ عِنْدَ الْمُكَاشَرَةِ .
 فَمَا يَخْسَنُ بِالصَّامِتِ مُحَاوَرَةُ الْمُفْصِحِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ . عَلَى
 أَنَّهُ لَا يُبْكِرُ لِمَثَلِكَ الْتَصَدِّي . وَلَا يُسْتَعْرَبُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ التَّعَدِّي . مَا
 أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ الْبَارِي وَتَجَرَّأَتْ عَلَيْهِ . وَمَدَدَتْ يَدَ الْعُدْوَانِ إِلَيْهِ
 أَوْ لَسْتَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

شَيْخٌ بَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
 قَدْ سَلِمْتَ الرَّحْمَةَ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ . وَجَلَبَتِ
 الْفُسُوءَةُ فَكَمْ هَيِّتَ سُبَّةَ حُمْرَاءَ . وَأَثَرْتَ ذَهَاءَ . وَخَمَشْتَ الْوُجُوهَ
 وَكَيْفَ لَا وَأَنْتَ كَالظَّفِيرِ كَوْنًا . وَقَطَعْتَ اللَّذَاتِ وَلَمْ لَا وَأَنْتَ
 كَالصَّبْحِ لَوْنًا . أَيْنَ بَطْشُكَ مِنْ حِلْمِي . وَجَهْلُكَ مِنْ عِلْمِي . وَجِسْمُكَ
 مِنْ جِسْمِي :

شَتَانُ مَا بَيْنَ جِسْمِ صَبِيحٍ مِنْ ذَهَبٍ وَذَلِكَ جِسْمِي وَجِسْمِ صَبِيحٍ مِنْ بَهَقٍ
 أَيْنَ عَيْنُكَ الزَّرْقَاءُ مِنْ عَيْنِي الْكَحْلِيَّةِ . وَرَوَيْتُكَ الشَّنْعَاءُ مِنْ
 رَوَيْتِي الْجَمِيلَةِ . أَيْنَ لَوْنُ الشَّيْبِ مِنْ لَوْنِ الشَّبَابِ . وَأَيْنَ نَذِيرُ
 الْأَعْدَاءِ مِنْ رَسُولِ الْأَحْبَابِ . هَذَا وَكَمْ أَكَلْتُ الْأَكْبَادَ غِظًا .

وَحِمَتِ الْأَضْغَانَ قَيْظًا . وَشَكَّوتِ الصَّدَأَ فَسُقِيتَ وَلَكِنْ بِشَوَاطِئِ مِنْ
نَارٍ . وَأَخْنَتِ عَلَيْكَ الْأَيَّامُ حَتَّى أَتَّعَلَ بِأَبْعَاضِكَ الْحِمَارُ . وَلَوْلَا
تَعَرُّضُكَ إِلَيَّ لَمَا وَفَّقْتَ فِي الْمَقْتِ . وَلَوْلَا إِسَاءَةُكَ لَمَا كُنْتَ تُصْقَلُ فِي
كُلِّ وَقْتٍ . فَدَعَّ عَنْكَ هَذَا الْفَخْرَ الْمُدِيدَ . وَتَأَمَّلْ وَصْفِي إِذَا كُشِفَ
عَنْكَ الْغِطَاءُ فَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَأَقْبَهُمْ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

يَذَاقُصِي اللَّهُ فِي الْأَفْلامِ إِذْ بُرِيتَ أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرُهُفَتْ خَدَمُ
(فَعِنْدَ ذَلِكَ وَبِ السَّيْفِ) عَلَى قَدَرِهِ . وَكَأَدَ الْغَضَبُ يُخْرِجُهُ مِنْ

حَدِّهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُتَطَاوِلُ عَلَى قَصْرِهِ . وَالْمَأْشِي عَلَى طَرِيقِ غَرَرِهِ .
وَالْمُتَعَرِّضُ مِنِّي إِلَى الدَّمَارِ . وَالْمُتَحَرِّشُ بِي فَهُوَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ :

ذَنْبُهُ قَتْلُ وَيَحْتَرِسُ بِالنَّارِ . لَقَدْ شَمَرْتَ عَنْ سَافِكَ حَتَّى اغْتَرَفَكَ
الْفُغَرَاتُ . وَأَنْعَبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُدْرِكُ إِلَى أَنْ أَذْهَبَهَا التَّعَبُ

حَسَرَاتٍ . أَوْلَسْتَ الَّذِي طَلَمَّا أَرَعَشَ السَّيْفُ لِلْهَيْبَةِ عِطْفُكَ . وَنَكَّسَ
لِلْخِدْمَةِ رَأْسَكَ وَطَرَفَكَ . وَأَمَرَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ السَّكِينُ فَقَطَعَ

قَفَاكَ وَشَقَّ أَنْفَكَ . وَرَفَعَكَ فِي مُهْمَاتٍ خَامِلَةٍ وَحَطَّكَ . وَجَذَبَكَ
لِلْإِسْتِعْمَالِ وَقَطَّكَ . فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ جَسَرْتَ . وَعَبَسْتَ عَلَى مِثْلِي

وَبَسَرْتَ . وَأَنْتَ السُّوْفَةُ وَأَنَا الْمَلِكُ . وَأَنَا الصَّادِقُ وَأَنْتَ الْمُؤْتِفُكَ .
وَأَنْتَ لَصَوْنُ الْخُطَامِ وَأَنَا لَصَوْنُ الْمَمَالِكِ . وَأَنْتَ لِحِفْظِ الْأَزَارِعِ وَأَنَا

لِحِفْظِ السَّالِكِ . وَأَنْتَ لِلْفَلَاحَةِ وَأَنَا لِلْفَلَاحِ . وَأَنْتَ حَاطِبُ اللَّيْلِ
مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَا سَارِي الصَّبَاحِ . وَأَنَا الْبَاصِرُ وَأَنْتَ الْأَرْمَدُ . وَأَنَا

أَتُخْدَمُ الْأَبْيَضُ وَأَنْتَ الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ . وَأَقْسِمُ بِمَنْ صَدَّرَ فِي قَبْضِي
 أَنْوَاعَ الْإِنِّ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لِأَذَلِّ رُتْبَةٍ . وَعَنْ بَرِي كَهَيِّ
 لِأَخْيَبِ طَلْبَةٍ . فَإِنِّي لَا أَنْكُرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا :

أَفِ لِرِزْقِ الْكُتْبَةِ أَفِ لَهُ مَا أَضْعَبُهُ
 يُرْتَشَفُ الرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ الْقَصَبَةِ
 يَا قَلَمًا يَوْفَعُ فِي الطَّرْسِ لَوَجْهِ ذُبَّه
 مَا عَرَفُ الْمُسْكِينَ إِلَّا كَاتِبًا ذَا مَتْرَبَةٍ

إِنْ عَايَنْتَ الدِّيَّانَ وَقَعْتَ فِي الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ . أَوِ الْبَلَاغَةَ
 مَحَرَّتْ وَبَالَغَتْ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَوْ فَحَرَّتْ بِتَضِيدِ الْعُلُومِ فَمَا لَكَ
 مِنْهَا سِوَى لَحْمَةِ الطَّرْفِ . أَوْ يَرْقُمُ الْمَصَاحِفَ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
 حَرْفٍ . أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمَعْتَ لِاتِّكْسِيرٍ . أَوْ رَفَعْتَ إِلَى طَرَفِكَ
 رَجْعَ الْبَصَرِ خَاسِيًا وَهُوَ حَسِيرٌ . وَهَلْ أَنْتَ فِي الدُّوَلِ إِلَّا خِيَالٌ
 تَكْتَفِي أَلْهَمُهُمْ بِطَيْفِهِ . أَوْ إِصْبَعٌ تَلْعَقُ بِهَا الرِّزْقُ إِذَا أَكَلَ الضَّارِبُ
 بِقَائِمِ سِنْفِهِ . وَسَاعَ عَلَى رَأْسِهِ قَلٌّ مَا أَجْدَى . وَسَارَ رُبَّمَا أُعْطِيَ قَلِيلًا
 وَالَّذِي . ثُمَّ وَقَفَ وَانْكَدَى . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّي الْأَسْنَى وَكَهَيِّ الْأَغْنَى .
 وَمَا خُصِصْتُ بِهِ مِنْ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَرْضِ
 الْأَدْنَى . كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مَهْمِهِ . وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَائِكَ
 لِتَسْطِيرِ سَيِّئَةٍ . فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ . وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا
 قُلْتَ مَفْتُوقُ اللِّسَانِ مَجْرِي الْجَنَانِ . مُدَاخِلُ بَخْلِكَ بَيْنَ ذَوِي الْأَقْتِاصِ .

مَعْدُودٌ مِنْ شَيْءٍ طِينِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الطَّرْسِ وَالنَّسِ بَيْنَ بَاءٍ وَعَوَاصٍ .
 فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَحْفَى . وَصَحْتَ بِصَرِيكَ إِلَى أَنْ تَحْتَفَ وَتَحْفَى .
 لَمَا كُنْتَ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْمُدْرَةِ مِنَ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَالْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ
 الْخَضَمِ الطَّافِحِ . فَلَا تَعِدْ نَفْسَكَ بِمُعْجَزِي فَإِنَّكَ مِنْ يَمِينٍ . وَلَا تَخْلِفْ
 لَهَا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايِ فَلَيْسَ لِنَحْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينٌ . وَمِنْ صَلَاحِ تَجْمِكَ
 أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي الْأَكْبَرِ . وَتُؤْمِنَ بِمُعْجَزِي الَّتِي بَشَتْ مِنْكَ إِلَى
 الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ . لِنَسْتَوْجِبَ حَقًّا . وَتَسْلَمَ مِنْ نَارِ حَرٍّ تَأْطَى لَا
 يُضَلِّهَا إِلَّا الْأَشَقَى . وَإِنْ لَمْ يَتَضَخَّ لِرَأْيِكَ إِلَّا الْإِضْرَارُ . وَأَبَتْ
 حَصَانِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي النَّارِ . فَلَا رَعَى اللَّهُ عَزَائِكَ
 الْقَاصِرَةِ . وَلَا جَمْعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ الَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ
 السُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ . ثُمَّ قَطَعَ الْكَلَامَ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
 السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحُدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدَ الصَّخَاةِ فِي مُتُونِهِ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ الْقَلَمِ حَرَجَهُ . وَفَهِمَ مِقْدَارَ الْغَيْظِ الَّذِي
 أَخْرَجَهُ . وَسَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالََةَ الَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا الدَّمُ . وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ
 الْبَادِي بِهَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْبَادِي أَظْلَمُ . رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ . وَتَنَحَّى عَنْ
 طَرِيقِ قِرَاعِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الدَّهْرَ تَهَرُّهُ وَالْهَدْرَ عَلَى حُكْمِ الْوَقْتِ قَدَرُهُ .
 وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

لَهَا مُعَرَّبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مَلْحُونُ

فَأَنفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلْتَبُ فِي قَدْحِهِ . وَالْخَارِجُ عَمَّا نُسِبَ
إِلَيْهِ مِنْ صَفْحِهِ . مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي السَّبَابِ . وَالْإِطْفِيفُ فِي كَيْلِ
الْجَوَابِ . وَأَيْنَ عِلْمُ الشُّيُوخِ عِنْدَ جَهْلِ الشَّبَابِ . أَمَا كَانَ الْأَحْسَنُ بِكَ
أَنْ تَتْرَكَ هَذَا الرَّفَثَ . وَتَلَمْ أَخَاكَ عَلَى الشَّعَثِ . وَتَحْلُمَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ
السَّيِّدُ . وَتَرْكُوعِي الْغَيْظِ كَمَا يَذْكُوعِي النَّارِ الْحَيْدُ . أَمَا تَعْلَمُ أَيُّ مُعِينِكَ
فِي تَشْيِيدِ الْمَالِكِ . وَرَفِيقِكَ فِيمَا تَسْلُكُهُ لِنَفْعِهَا مِنَ الْمُسَالِكِ . أَمَا أَنَا
وَأَنْتَ لِلْمَلِكِ كَالْيَدَيْنِ . وَفِي تَشْيِيدِهِ كَالرُّكْنَيْنِ . وَمَا أَرَاكَ عِبْتِي فِي
الْأَكْثَرِ إِلَّا بِحَوْلِ الْجَسَدِ الَّذِي لَيْسَ خَلْقُهُ عَلَيَّ . وَضَعْفِهِ الَّذِي لَيْسَ
أَمْرُهُ إِلَيَّ . عَلَى أَنَّ أَزْكَى النُّسَبَاتِ أَعْلَاهَا وَأَذْنَفُهَا . وَهَذِهِ سَادَاتُ
الْعَرَبِ تُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهَا الْأَظْهَرِ . وَحُسْنِهَا الْأَشْهَرِ . وَلَوْ أَنَّكَ تَقُولُ
بِاتِّصَاحِهِ . وَتَقِفُ فِي هَذِهِ السَّاحَةِ . لَأَسْمَعْتُكَ فِي ذَلِكَ مِنْ
أَشْعَارِهِمْ . وَأَتَحَفُّكَ بِمَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنْ آثَارِهِمْ . فَيَا لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ
الْحُجَّةِ الْبَاطِلَةِ . وَالْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ . وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ مَا عِبْتِي بِهِ مِنْ
فَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَذُلِّ الْحُكَمَاءِ . عَلَى أَنَّ إِطْلَاقَاتِ مَعْرُوفِي مَعْرُوفَةٌ .
وَسَطَوَاتِ أَمْرِي فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ الْمَكْسُوفَةِ مَكْسُوفَةٌ . فَاسْتَغْفِرِ
اللَّهَ بِمَا قَرِطَ فِي مَقَالِكَ . وَالتَّقْوِيضُ مِنْ عَوَائِدِ أَحْتِمَالِكَ . فَلَا
تُسَيِّمُ بِنَا الْأَضْدَادَ وَلَا تُسَلِّطُ بِفِرْقَتِنَا الْمُسَيِّدِينَ فِي الْأَرْضِ .
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَأَغْضَضُ الْآنَ مِنْ خِيَلَانِكَ بَعْضَ هَذَا
الْفَضِّ . وَلَا تَشْكُ أَيُّ قَسِيمِكَ وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُهْدَدَ . وَتُجَرَّدَ

الشَّئْبَ وَتُحَدِّدَ . فَأَذْكُرُ مَحَلَّتَنَا فِي أَلْيَدِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْمُلْكِيَّةِ
 الْمُوَيَّدَةِ . أَيْدِ اللَّهِ نِعْمًا . وَجَارَى بِالْإِحْسَانِ شَيْبَهَا . وَأَيْقُظَ فِي
 الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ سَيْفَهَا وَقَلَمَهَا . وَلَا عَطَلُ مَشَاهِدِ الْمُدْحِ مِنْ أَنْسَهَا .
 وَلَا أَخْلَى فَرَايِضِ الْبَلَّاسِ وَالْكَرَمِ مِنْ قِيَامِ خَمْسَهَا . فَأَقْسَمَ مِنْ بَأْسِهِ
 بِاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَمَنْ يَشِرْ طَلْعُهُ بِالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَوْ تَجَاوَرَ
 الْأَسَدُ وَالْطَّبَاةُ بِتِلْكَ أَلْيَدِ لَوَرَدَا بِالْأَمْنِ فِي مَنْهَلٍ . وَرَتَمَا فِي
 رَوْضٍ لَا يُجْهِلُ . فَمَا يَتَّبِعِي أَنَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ غَيْرُ سُلُوكِ الْأَدَبِ .
 وَالْمُعَاوَدَةِ عَلَى نَحْوِ الْأَرْمَاتِ وَالنُّوَبِ . وَالْإِسْتَقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ وَلَا
 عِوَجَ . وَالْحَدِيثِ مِنْ تِلْكَ الرَّاحَةِ عَنِ النَّجَسِ وَلَا حَرَجَ . هَذِهِ نَصِيصَتِي
 إِلَيْكَ وَالِدَيْنِ النَّصِيحَةِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُطْلِعُكَ عَلَى مَعَانِي الرُّشْدِ
 الصَّرِيحَةِ . وَيَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّفْيِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَيُنْسِيكَ مَا تَقْدَمُ
 مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَكْسَ
 السَّيْفِ طَرْفَهُ وَقَبْلَ خَدِيمَةِ الْقَلَمِ قَائِلًا . لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ
 وَأَمْسَكَ عَنِ الْمُسَاعَبَةِ خِيفَةَ الزَّلَلِ . فَإِنَّ السُّيُوفَ مَعْرُوفَةٌ بِالْحُلَلِ .
 ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الضَّعِيفُ الْجَبَّارُ . الْبَارِزُ فِي لَيْلِ الْإِدَادِ نَجْمًا فِي النُّجُومِ
 غَرَّارُ . لَقَدْ تَظَلَّمْتَ مِنْ أَمْرِ أَنْتَ الْبَادِي بِظُلْمِهِ . وَتَسَوَّرْتَ إِلَى فَتْحِ
 بَابِ أَنْتَ السَّابِقُ إِلَى فَتْحِ خَتْمِهِ . وَقَدْ فَهِمْتَ الْآنَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ
 أَمْرِ أَلْيَدِ الشَّرِيفَةِ وَنَعَمَ مَا ذَكَرْتَ . وَأَحْسَنَ بِمَا أَشَرْتَ . وَمَا أَنْسَانِيهِ
 إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُهُ وَقَدْ تَعَاوَلْتَ عَنْ قَوْلِكَ الْأَحْسَنَ . وَرَدَدْتُكَ

إِلَى أُمِّكَ الدَّوَاةِ كَيْ تَقَرَّعِنَهَا وَلَا تَحْزَنَ . وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَزِيدَ مُحَاسِنَ تِلْكَ الْإِلَادَةِ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ فَإِنَّهَا أَلِيدُ الَّتِي :
لَوْ أَثَرُ التَّمْثِيلِ فِي يَدِ مُنْعِمٍ . لَهَا بِرَاجِمٍ كَفِّهَا التَّفْصِيلُ
وَالرَّاحَةُ الَّتِي :

تَسْعَى الْقُلُوبُ لِعَوْنِهَا وَلَعْنِهَا فَيَجِبُهُ التَّأْمِينُ وَالتَّأْمِيلُ
وَالْأَنَامِلُ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ بِالسِّيفِ وَالْقَلَمِ . وَمَكَّنَهَا مِنْ رُبَّنِي
الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَدَارَكَ بِكَرَمِهَا آمَالَ الْعَفَاةِ بَعْدَ إِنْ وَلَا وَلَمْ . وَلَوْ لَا أَنَّ هَذَا
الْمُضْمَارَ يَضِيقُ عَنْ وَضْعِهِ السَّابِقِ إِلَى غَايَةِ الْخُصْلِ . وَتَجِدُهُ الَّذِي إِذَا
جَرَّ ذِيْلُهُ وَدَّ الْفَضْلُ لَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْفَضْلِ . لِأَطْلُتُ أَلَا نَ فِي ذِكْرِي
مَجْدَهَا الْأَوْضَحَ . وَأَفْصَحْتُ فِي مَدْحِهَا وَلَا يُنْكَرُ لِمِثْلِهَا أَنْ أَنْطَقْتُ
الصَّامِتَ فَأَفْصَحَ . ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَزِيدِ . وَالْعِبَادَةِ
الَّتِي عَزَّأَ أَمْرُهَا عَلَى الْحَدِيدِ . أَقَرَرْتَ أَنَّ أَتْنَا لِلْمَلِكِ كَأَلْيَدَيْنِ . وَلَمْ
تُقَرَّرْ أَيْنَا أَلْيَمَيْنِ وَفِي آفَاقِهِ كَأَلْقَمَرَيْنِ . وَلَمْ تَذْكُرْ إِلَيْنَا الْوَاضِحَةَ
الْجَبِينِ . وَمَا يَشْفِي صَنَائِي وَيُزَوِّي صَدَائِي إِلَّا أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا مَنْ لَا
يُرَدُّ حُكْمُهُ . وَلَا يَتَّهَمُ فَهْمُهُ . فَيُظْهِرُ أَيْنَا الْمَفْضُولُ مِنَ الْفَاضِلِ . وَالتَّخَذُلُ
مِنَ الْخَاذِلِ . وَيُقْصِرُ عَنْ الْقَوْلِ الْمُنَاطِرُ . وَيَسْتَرِجُ الْمُنَاضِلُ . وَقَدْ
رَأَيْتُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا الْمَقَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَشْرَتْ إِلَى يَدِهِ الشَّرِيفَةِ .
وَتَوَسَّلَتْ بِحَاسِنِهَا الْلَطِيفَةِ . فَإِنَّهُ مَا لِكَ زِمَامِنَا . وَمُنْشَى عَمَامِنَا .
وَمُصْرَفُ كَلَامِنَا . وَحَامِلُ أَعْيَانِنَا . الَّذِي مَا هَوَى لِهَوَى وَصَاحِبُ

أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا وَتَأْلَهُ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . لِيَقْضَلَ الْأَمْرُ بِحُكْمِهِ .
وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ فَيُحْكِمَ بَيْنَنَا بَعْلِهِ . فَهَدِيمُ خَيْرِهِ اللَّهُ عَلَى
ذَلِكَ الْأَشْرَاطِ . وَقُلْ بَعْدَ تَقْيِينِنَا الْأَرْضَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْبَسَاطِ :
خَصَمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ .
وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . فَلَشِطَّ الْقَلَمُ قَرَحًا . وَمَشَى فِي أَرْضِ
الطَّرَسِ مَرَحًا . وَطَرِبَ لِهَذَا الْجَوَابِ . وَخَرَّ رَاكِمًا وَأَنَابَ . وَقَالَ : سَمِعَا
وَطَاعَا . وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ السَّاعَةِ

يَا بَرْدَ ذَلِكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَيْدِي

أَلَا نَظَهَرَ مَا تَغْيَانِ . وَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَقْيَانِ . وَحَكَمَ
بَيْنَنَا الرَّأْيُ الْمُنِيرُ . وَتَبَانَا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَا يُبْشِكُ مِثْلُ خَيْرِ . ثُمَّ
تَفَاصَلَا عَلَى ذَلِكَ . وَتَرَضِيَا عَلَى مَا يُحْكَمُ بِهِ الْمَالِكُ . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا وَأَنْتَبَهَ الْمَمْلُوكُ مِنْ سِنَةِ فِكْرِهِ . وَطَالَعَ بِمَا أَخْتَلَجَ سَوَادَ هَذِهِ
الْأَلِيلَةِ فِي سِرِّهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الَّتِي هِيَ
نِظَامُ الْمُنَاقِرِ . وَمَقَامُ الْمَآثِرِ . وَغَوْثُ الشَّاكِي وَغَيْثُ الشَّاكِرِ . وَبِمَتِّعُ
بِظِلَالِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا تُكْسِرُ الْأَيَّامُ مَقْدَارَ مَا هُوَ جَابِرٌ . وَلَا تُجْبِرُ مَا هُوَ
كَاسِرٌ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الوردي في السيف والقلم

٤٤ لَمَّا كَانَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ عُدَّتِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَعُمْدَتِي الدُّوَلِ
فَإِنْ عَدِمْتُهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُكْنِي إِسْنَادُ الْمُلْكِ الْمُعْرِبِينَ عَنْ

الْمُخْتَوِصُ وَالْمَرْفُوعُ . وَمُقَدَّمَتِي تَبِيحَةُ الْمَذَلِّ الصَّادِرِ عَنْهُمَا الْحُمُولُ
 وَالْمَوْضُوعُ . فَكَرْتُ أَيُّهُمَا أَعْظَمُ فُخْرًا . وَأَعْلَى قَدْرًا . فَجَلَسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ
 الْحُكْمِ وَالْقِتْوَى . وَمَثَلْتُهُمَا فِي الْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى . وَسَوَّيْتُ
 بَيْنَ الْخَصَمَيْنِ فِي الْأَكْرَامِ . وَأَسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا لِلْكَلَامِ .
 (فَقَالَ الْقَلَمُ) : بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا .
 وَاللَّيْلُ إِذَا نَفَسَاهَا . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بَارِي الْقَلَمِ . وَمُشْرِفِهِ بِالْقَسَمِ .
 وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ . وَجَعَلَ الْوَرَقَ بَعْضُهُ كَمَا جَعَلَ الْفُصْنَ بِالْوَرَقِ .
 وَالصَّلَاةَ عَلَى الْقَائِلِ : جَنَّتِ الْأَقْلَامُ . فَإِنَّ الْقَلَمَ قَصَبُ السَّبَاقِ .
 فَأَلْكَاتِبُ بِسَبْعَةِ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْكِتَابِ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ .
 جَرَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . وَتَابَ عَنِ اللِّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ . طَالَمَا أَرَبَى
 عَلَى الْبَيْضِ وَالسُّوْرِ فِي ضِرَافِهَا وَطَعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ
 فِي الْقُرْبِ وَلَمْ أَجْأَفَانِهَا . وَمَاذَا يُشَبِّهُ الْقَلَمَ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ . وَمَشِيهِ
 لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ . (قَالَ السِّيفُ) : بِسْمِ اللَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ .
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
 آيَةَ السِّيفِ ، فَعَظَّمْ بِهَا حُرْمَةَ الْجَرْحِ وَأَمِنَ خِيفَةَ الْحَيْفِ وَالصَّلَاةَ عَلَى
 الَّذِي نَفَذَ بِالسِّيفِ سَطُورَ الطُّرُوسِ . وَأَخَذَمَهُ الْأَقْلَامَ مَا شِئَ عَلَى
 الرُّؤُوسِ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَرْهَفَتْ سِيُوهُ . وَبَنِيَتْ بِهَا عَلَى
 كَسْرِ الْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ . فَإِنَّ السِّيفَ عَظِيمُ الدَّوْلَةِ . شَدِيدُ الصُّوْلَةِ .
 مَحَاسِنُ الطَّلَاعَةِ . وَأَسَاغَ مَمْنُوعُ الْإِسَاغَةِ . مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِهِ

فِي قَهْرِ الْأَعْدَاءِ تَبَّ . وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ الْحَدِيثَ الْجَدَّ وَاللَّيْبَ .
 فَإِنْ كَانَ الْقَلَمُ شَاهِدًا فَالْسِّيفُ قَاضِي . وَإِنْ أَقْتَرَبَتْ مُحَادَثَتُهُ بِأَمْرٍ
 مُسْتَقْبَلٍ قَطَعَهُ السِّيفُ بِفِعْلِ مَا ضِي . بِهِ ظَهَرَ الدِّينُ . وَهُوَ الْعُدَّةُ
 لِقَمْعِ الْمُتَمِدِّينَ . حَمَلَتْهُ دُونَ الْقَلَمِ يَدُ نَيْبِنَا . فَشَرُفَ بِذَلِكَ فِي الْأُمَمِ
 شَرَفًا بَيْنَنَا . الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ . وَلَا سِيَامًا حِينَ يُسَلُّ قَتْرَى وَذَقَ الدَّمُ
 يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ . زُيِّنَتْ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غَمْدِهِ . وَصَدَقَ الْقَائِلُ :
 السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ ضِدِّهِ . لَا يَبْثُ بِهِ الْحَامِلُ . وَلَا يَتَنَاوَلُهُ
 كَالْقَلَمِ بِأَطْرَافِ الْأَنَامِلِ . مَا هُوَ كَالْقَلَمِ الْمُشَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُوا عَنْ
 لُبُوسِهِمْ . ثُمَّ نَكَسُوا كَمَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ . فَكَانَ السِّيفُ خُاقٍ مِنْ مَاءِ
 دَافِقٍ . أَوْ كَوَكَبٍ رَاشِقٍ . مُقَدَّرًا فِي السَّرْدِ . فَهُوَ الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ .
 لَا يُشْرَى كَالْقَلَمِ بِشَيْءٍ بَخْسٍ . وَلَا يُبْلَى كَمَا يُبْلَى الْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطَنَسٍ .
 كَمْ لِقَائِهِ الْمُنتَظَرُ . مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ . فَهُوَ فِي حِرَابِ
 الْقَوْمِ قِيَامُ الْحَرْبِ . وَلِهَذَا جَاءَ مَطْبُوعُ الشُّكْلِ دَاخِلَ الضَّرْبِ . (قَالَ
 الْقَلَمُ) : أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . يُفَاخِرُ
 وَهُوَ الْقَائِمُ عَنِ الشِّمَالِ الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِينِ . أَنَا الْخُصُوصُ بِالرِّيِّ
 وَأَنْتَ الْخُصُوصُ بِالصَّدْيِ . أَنَا آلَةُ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ الرَّدْيِ . مَا
 لَنْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ السَّعِيرِ . وَمَا حُدِثَ إِلَّا عَن ذَنْبٍ كَبِيرٍ . أَنْتَ
 تَنْفَعُ فِي الْعُمُرِ سَاعَةً . وَأَنَا أَفْنِي الْعُمُرَ فِي الطَّاعَةِ . أَنْتَ لِلرَّهَبِ .
 وَأَنَا لِلرَّغْبِ . وَإِذَا كَانَ بَصْرُكَ حَدِيدًا فَبَصْرِي مَا ذَهَبَ . أَيْنَ

تَقْلِيدُكَ مِنْ أَجْتِهَادِي . وَأَيْنَ نَجَاسَةُ دَمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مِدَادِي . (قَالَ
السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعِيرُ مِثْلِي بِالْدمَاءِ . فَطَالَمَا أَمَرْتُ بَعْضَ فِرَاحِي وَهِيَ
السَّكِينُ . فَأَصْبَحْتَ مِنَ الثَّقَاتِ فِي عَمَلِكَ يَا مُسْكِينُ . فَأَخَلَّتْ
مِنْ الْحَيَاةِ جُثْمَانُكَ . وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانَكَ . وَيَكُ إِنْ كُنْتَ
لِلدِّيْوَانِ فَحَاسِبٌ مَهْمُومٌ . أَوْ لِلْإِنْشَاءِ فَخَادِمٌ لِنَحْدُومٍ . أَوْ لِلتَّبْلِغِ
فَسَاحِرٌ مَذْمُومٌ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَتَاقِصٌ فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ
مَحْرُومٌ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسْمُومٌ . أَوْ لِلْمُعَلِّمِ فَلَحْجِي الْقِيُومِ . وَأَمَّا أَنَا
فَلِي الْوَجْهُ الْأَزْهَرُ . وَالْحَلِيَّةُ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْبَةُ إِذَا أَشْهَرُ . وَالصُّعُودُ
عَلَى الْمُنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلِيٌّ . وَإِنَّمَا حَمَلْتُ الْحُطْبَ بَدَلِي . ثُمَّ إِنِّي
مَمْلُوكٌ كَمَا لَكَ . فَأَتَاكَ كُنَاسِكَ . أَسْلَكَ الطَّرَائِقَ . وَأَقَطَعَ الْعَلَائِقَ .
(قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَأَبْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْعُدِيِّ وَحَلِيفُ الْهَوَاءِ .
وَأَمَّا أَنْتَ فَأَبْنُ النَّارِ وَالْدُخَانِ . وَبَايَرُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْأَخْوَانِ .
تَفْضُلُ مَا لَا يُفْضَلُ . وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شَمَّرَ
السَّيْفُ وَصَفَلَ قَفَاهُ . وَسَقَى مَاءَ حِمَاٍ قَطَعَ مِعَاهُ . يَا غُرَابَ الْبَيْنِ .
وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ . وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا الْوَجْهِينِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ .
وَأَزَمْتَ وَأَيْتَمْتَ . (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ الطَّيْنِ . أَلَسْتُ صَامِدًا
وَأَنْتَ بَطِينٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ . وَزَوَّرْتَ
وَحَرَّفْتَ . وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ . وَسَطَّرْتَ هَجَوًّا وَشَمًّا . وَخَلَدْتَ عَارًا
وَذَمًّا . أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعِكَ . وَشِدَّةِ خِيفَتِكَ . إِذَا قِسْتَ بِيَاضَ

صَفِيحَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ . فَأَلِنْ خِطَابَكَ فَأَنْتَ قَصِيرُ الْمُدَّةِ . وَأَحْسِنُ
جَوَابَكَ فَعِنْدِي حِدَّةٌ . وَأَقْلِلْ مِنْ غِلْظَتِكَ وَجَبْهِكَ . وَأَشْتَغِلْ عَنْ
دَمٍ فِي وَجْهِهِ بِحِدَّةٍ فِي وَجْهِكَ . وَإِلَّا فَأَذْنِي ضَرِيَّةً مِنِّي تَرُومُ
أَرْوَمَتَكَ . تَسْتَأْصِلُ أَصْلَكَ وَتَجْتَثُّ جِرْثُومَتَكَ . فَسَقِيَا لِمَنْ غَابَ بِكَ
عَنْ قَائِكَ . وَرَعِيَا لِمَنْ أَهَابَ بِكَ لِسَنَإِهَايِكَ . (فَلَمَّا رَأَى الْقَلَمُ)
السَّيْفَ قَدْ اخْتَدَّ . أَلَانَ لَهُ مِنْ خِطَابِهِ مَا أَشَدَّ . وَقَالَ : أَمَّا الْأَدَبُ
فَيُؤْخَذُ عَنِّي . وَأَمَّا اللَّطْفُ فَيُكْتَسَبُ مِنِّي . فَإِنْ لَنْتَ لَنْتُ . وَإِنْ أَحْسَنْتَ
أَحْسَنْتُ . نَحْنُ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَلِهَذَا تَجْمَعُ فِي الدَّوَاةِ الْوَالِدَةِ
مِنَّا جَمَاعَةٌ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهْلُ الْحِدَّةِ وَالْخِلَافِ . وَلِهَذَا لَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ
سَيْفَيْنِ فِي غِلَافٍ . (قَالَ السَّيْفُ) : مَكْرًا وَدَعْوَى عَفْوَةٍ . لِأَمْرِ مَا
جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ لَوْ كُنْتَ كَمَا زَعَمْتَ ذَا أَدَبٍ . لَمَا قَابَلْتَ رَأْسَ
الْكَاتِبِ بِعُقْدَةِ الذَّنْبِ . أَنَا ذُو الصِّبَةِ وَالصَّوْتِ . وَغِرَارَايَ لِسَانًا
مَشْرِفِي يَرْتَجِلُ غَرَابَ الْمَوْتِ . أَنَا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَالْقَلَمُ مِنْ
صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَإِذَا زَعَمَ الْقَلَمُ أَنَّهُ مِثْلِي أَمَرْتُ مَنْ يَدُقُّ رَأْسَهُ
بِنَعْلِي . (قَالَ الْقَلَمُ) : صَهْ فَصَاحِبُ السَّيْفِ بِالسَّعَادَةِ كَأَلَا عَزَلٍ .
(قَالَ السَّيْفُ) : مَهْ فَقَلَمُ الْبَلِيغِ بَغِيرِ حَظٍّ مَغْزَلٍ . (قَالَ الْقَلَمُ) : أَنَا
أَزْكَى وَأَطْهَرُ . (قَالَ السَّيْفُ) : أَنَا أَبْهَى وَأَبْهَرُ . فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ :
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوزَ . فَتَلَا (صَاحِبُ السَّيْفِ) لِسَيْفِهِ : فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ .
فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ : إِنَّ شَائِبَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . (قَالَ) : أَمَّا وَكِيلِي

الْمَسْطُورِ. وَبَنِي الْعُمُورِ. وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَالْقُرْآنَ ذِي التَّجِيلِ.
 إِنْ لَمْ تَكُفْ عَنِّي غَرْبَكَ وَتُبْعِدْ مِنِّي قُرْبَكَ. لَا كُتِبَتْكَ مِنَ الصِّمِّ
 الْبُكْمِ. وَلَا سَطُرَنَ عَلَيْكَ بِلَغِي سِجْلًا بِهَذَا الْحُكْمِ. (قَالَ السِّيفُ):
 أَمَا وَمَتْنِي الْمَتْنِ. وَفَتْحِي الْمَيْنِ وَلِسَانِي الرُّطْبَيْنِ وَوَجْهِي الصُّلْبَيْنِ.
 إِنْ لَمْ تَعْبَ عَنِّي بِيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَا سِخْنَنَ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَهْذَ
 كَسَبْتَ مِنَ الْأَسَدِ فِي الْغَابَةِ. تَوَفَّجَ الْعَيْنِ وَالصَّلَابَةَ. مَعَ أَتِي مَا
 أَلَوْتُكَ نَضْحًا. أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ الْقَلَمُ): سَلِّمْ إِلَيَّ
 مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ.
 وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ
 أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا
 أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ السِّيفُ): كَيْفَ لَا
 أَفْضَلُكَ وَالْمَقْرَأَةُ لَانِي شَادُ أَرْزِي. (قَالَ الْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أَفْضَلُكَ
 وَهُوَ عِزُّ نَصْرِي وَوَلِيُّ أَمْرِي

(قَالَ الْحُكْمُ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحُجَّتَيْنِ
 نَاهِضَتَيْنِ. وَالْيَتَيْنِ بَيْنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعِلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هَذَا الْمَقْرِ الْكَرِيمِ. وَرَوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ
 الْقَدِيمِ. لَطَفْتُ الْوَسِيلَةَ. وَدَقَقْتُ الْحِيلَةَ. حَتَّى رَدَدْتُ الْقَلَمَ إِلَى
 كَنِهِ. وَأَعْمَدْتُ السِّيفَ فَنَامَ مِلءَ جَفْنِهِ. وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا التَّرَجِيعَ.
 وَسَكَتُ عَمَّا هُوَ عِنْدِي الصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ الْمَقْرَأُ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيُسْكِنَ

سَوْرَةَ غَضَبِهِمَا أَلْوَا فِرَ وَلَجَا جِهَمَا الْمُدِيدَ يَبْسِطُ حِلْمِهِ . وَيُعَايِلُهُمَا بِمَا وَقَرَ
فِي صَدْرِهِ مِنْ أَلْوَقَارٍ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ السَّكِينَةِ . وَإِذَا كَانَ فِي
هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَا لِكُنَّا فَلَا يُفْتَى وَمَا لِكَ فِي الْمَدِينَةِ

مشاردة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

٢٥ هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان
أَيَّامَ تحاملت عليهم العمال واعتقت . فحسنتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاتبة على أن نكتوا
بِعَيْتِهِمْ ونقضوا موثقتهم وطرردوا العمال والتروا بما عليهم من الخراج . وحمل المهدي ما حُبَّ من
مصلحتهم وبكره من عنتهم على أن أقال حُرَقَمَ واغتر زكَّتِهِمْ . واحتمل دأَلْتَهُمْ تطوُّلاً بالفضل
واتساعاً بالغفر وأخذاً بالحجة ورفقاً بالسياسة . ولذلك لم يزل مذحمة الله أعباء الخلافة
وقلدهُ أُمُورَ الرِّعْيَةِ رَفِيقاً بمدار سلطانه بصيراً باهل زمانه ساطعاً للعدلة في رعيته نسكناً الى
كفِّهِ وتأنس بغفوره وتثق بجليله . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده
هَوَادَةٌ وَلَا اغْتِيَاؤٌ وَلَا مِدَاهَنَةٌ أَثَرَةٌ لِلْحَقِّ وقياماً بالعدل وأخذاً بالخزم . فدعا أهل خراسان
الاعتذار بجليله والثقة بغفوره أن كسروا الخراج وطرردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق .
ثم خلطوا احتياجاً باعتذارٍ وخصوصةً باقرارٍ وتصللاً باعتلالٍ . فلما انتهى ذلك الى المهدي خرج
الى مجلس خلأته وبعث الى نفرٍ من لحسته ووزرائه فاعلمهم الحال واستصحبهم للرعية . ثم أمر
الموالي بالابتداء وقال للمبأس بن محمد : أي عم تعقب قولنا وكُنْ حَكَمًا بَيْنَنَا . وأرسل الى
ولديه موسى وهارون فاحضرهما الأمر وشاركهما في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم
وإثبات مقالتهن في كتاب

(فَقَالَ سَلَامٌ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ) : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً
وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً اسْتَفْرَغْتَ رَأْيَهُمْ وَاسْتَفْرَقْتَ أَشْغَالَهُمْ وَاسْتَفْتَدْتَ
أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ . وَلِهَذِهِ
الْأُمُورُ الَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ
الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانِ الْهَزَائِرِ وَإِخْوَانَ
التَّجَارِبِ وَأَطْفَالَ أَلْوَقَانِعِ الَّذِينَ وَسَّخَتْهُمْ سِجَالُهَا . وَفَيَّاتَهُمْ ظِلَالُهَا .

وَعَقَّبْتُمْ شِدَادُهَا . وَقَرَّمْتُمْ نَوَاجِذُهَا . فَلَوْ عَجَّتَ مَا قَبْلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا
عِنْدَهُمْ لَوَجَدْتَ تَطَاثُرَ تَوَيْدِ أَمْرِكَ . وَتَجَارِبَ تَوَاقِفِ نَظَرِكَ . وَلَحَادِيثَ
تُقْوِي قَلْبَكَ . فَأَمَّا تَحْنُ مَعَاشِرِ عُمَّالِكَ وَأَصْحَابِ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنُ بِنَا
وَكَثِيرُ مَنَا أَنْ نَقُومَ بِشَيْءٍ مَا حَمَلْنَا مِنْ عَمَلِكَ وَأَسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ .
وَشَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِهْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .
(فَلْجَابَهُ الْمُهْدِيُّ) : إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً وَفِي
كُلِّ حَالٍ تَذْبِيرًا يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَذْبِيرِ
سُلْطَانِنَا . (قَالَ) : نَعَمْ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَنْتَ مُتَّبِعُ الرَّأْيِ وَثَبْتُ الْعُقْدَةَ .
فَوَيْ الْمِنَّةِ بَلِغِ الْفُطْنَةَ . مَعْصُومُ النَّبِيِّ مَحْضُورُ الرُّوِيَّةِ . مُوَيَّدُ الْبَلِيَّةِ
مُوقِفُ الْعَزِيمَةِ . مُعَانُ بِالظُّفْرِ مَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ . إِنْ هَمَمْتَ فَقِي عَزْمَكَ
مَوَاقِعَ الظَّنِّ . وَإِنْ أَجْتَمَعْتَ صَدَعَ فِعْلِكَ مُلْتَبَسُ الشَّكِّ . فَأَعْزِمْ يَهْدِ
اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ . وَقُلْ يُنْطِقِ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ . فَإِنْ جُنُودَكَ
جَمَّةٌ وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ . وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ . (فَلْجَابَهُ
الْمُهْدِيُّ) : إِنَّ الْمَشَاوِرَةَ وَالْمَنَاطِرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَا بَرَكَاتٍ لَا يَمْلِكُ
عَلَيْهَا رَأْيٌ وَلَا يَغْنَلُ مَعَهَا حَزْمٌ . فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ وَتَوْفِيقَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . (قَالَ الرَّبِيعُ) : أَيُّهَا
الْمُهْدِيُّ إِنَّ تَصَارِيفَ وُجُوهِ الرُّأْيِ كَثِيرَةٌ . وَإِنَّ الْأَشَارَةَ بِبَعْضِ
مَعَارِضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ . وَلَكِنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ بَعِيدَةٌ الْمَسَافَةِ مُتَرَاخِيَةٌ
الْشَّعَّةِ مُتَفَاوِتَةُ السَّبِيلِ . فَإِذَا أَرْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّذْبِيرِ وَمُبْرَمِ

التَّقْدِيرِ وَلُبَابِ الصَّوَابِ رَأْيَا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ وَقَلْبُهُ تَذْبِيرُكَ فَلَيْسَ
 وَرَاءَهُ مَذْهَبُ طَاعِنٍ وَلَا دُونُهُ مَعْلَقُ لُحْصُومَةِ عَائِبٍ . ثُمَّ أَجَبَتْ الْبُرْدُ
 بِهِ وَأَنْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ كَانَ بِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ . وَقَدْ
 حَدَّثَ مِنْهُمْ مَا يَنْفُضُهُ . فَالْيَسْرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلُ وَتَرَدَّ عَلَيْكَ
 الْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ .
 تُخْبِتُ رَأْيَا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِيعُ تَذْبِيرٍ سِوَاهُ . قَدْ أَنْفَرَجَتْ أَلْحَاقُ وَتَحَلَّتْ
 الْعُقَدُ وَاسْتَرَخَى الْحَقَانُ وَأَمْتَدَّ الزَّمَانُ . ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ
 الْأُولَى . وَلَكِنَّ الرَّاْيَ لَكَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَهَ
 النَّظَرِ وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ فِيمَا جَمَعْتَ لَهُ وَاسْتَشَرْتَ فِيهِ . مِنْ التَّذْبِيرِ
 لِحَرْبِهِمْ وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ وَعَمَلٍ
 كَامِلٍ . وَوَرَعَ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوَى فِي سِوَاكَ . وَلَا مَتَمَّهَا فِي
 أَثَرِهِ عَلَيْكَ وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ . وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بَدْعَةٍ
 مَحْذُورَةٍ . فَيَقْدَحَ فِي مُلْكِكَ وَيَرِيضَ الْأُمُورَ لغيرِكَ . ثُمَّ تُسِنِدُ إِلَيْهِ
 أُمُورَهُمْ وَتَقْوِضُ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ
 بِلزومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ الْحَزْمُ وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ الرَّاْيُ عَنْ
 اسْتِحَالَةِ الْأُمُورِ وَاشْتِدَادِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يُتَقَضُّ أَمْرُ الْغَائِبِ عَنْهَا
 وَيُثَبَّتُ رَأْيُ الشَّاهِدِ لَهَا . فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَوَائِبُ أَمْرِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ
 وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ تَمَّتِ الْحِيلَةُ وَقَوِيَّتِ الْمَكِيدَةُ . وَنَفَذَ الْعَمَلُ
 وَاحِدَ النَّظَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ

وَلِي الْأُمُورِ وَسَائِسَ الْحُرُوبِ رُبَّمَا تَحْيَ جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ
مَا صَبَقَ أَمْرَ حَرْبِهِ وَلَا ضَغْطَةَ حَالٍ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعُدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا
وَبَعْدَ التَّفَرُّقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقِدًا لَهَا لَا يَتَّقِي بِقُوَّةٍ . وَلَا يَصُولُ بِعُدَّةٍ
وَلَا يَفْرُغُ إِلَى ثِقَةٍ . قَالَ أَيْ لَكَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ وَفَقَّكَ اللَّهُ أَنْ تُغْفِيَ
خَزَائِنَكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودَكَ مِنْ مُكَابَدَةِ الْأَسْفَارِ
وَمُقَارَعَةِ الْخِطَارِ وَتَغْيِيرِ الْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعَ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى مَا
يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيَفْسُدَ عَلَيْكَ أَدْبُهُمْ وَتَجْرَى مِنْ رِعْيَتِكَ
غَيْرُهُمْ . وَلَكِنْ اغْزُهُمْ بِالْحِلَّةِ وَقَاتِلُهُمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعُهُمْ بِاللِّينِ
وَحَاثِلُهُمْ بِالرَّفِقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَأَرْعِدْ تَخَوُّهُمْ بِالْفِعْلِ . وَأَبْعَثْ
الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكُتِبَ الْكِتَابُ وَاعْقِدِ الْأَلْوِيَّةَ وَأَنْصِبِ
الرَّيَاةَ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوجِّهُ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشَ مَعَ أَخْنَقِ قَوَادِكِ عَلَيْهِمُ
وَأَسْوِيهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ أَدْسَسِ الرُّسُلَ وَأَبْلَثِ الْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ
عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعْدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ
وَأَشْبَاهَهُ نِيرَانِ التَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَأَغْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى
تَمَلَأَ الْقُلُوبُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِي الصُّدُورُ عَلَى الْبَغْضَةِ وَيَدْخُلَ
كُلٌّ مِنْ كُلِّ الْحَذَرِ وَالْهَيْبَةِ . فَإِنْ مَرَامَ الظَّهْرِ بِالْعِيْلَةِ . وَالْقِتَالِ بِالْحِلَّةِ .
وَالْمُنَازَعَةِ بِالْكِتَابِ وَالْمُكَابِدَةَ بِالرُّسُلِ . وَالْمُقَارَعَةَ بِالْكَلَامِ . الْأَطْفِ
الْمُدْخَلَ فِي الْقُلُوبِ الْقَوِيَّ الْمَوْقِعِ مِنَ النُّفُوسِ الْمُعْشُودِ بِالْحُجِّجِ
الْمَوْصُولِ بِالْحِيلِ الْمُنْبِيِّ عَلَى اللَّيْنِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرْقِ

الْعُقُولَ وَالْأَرْءَاءَ وَيَسْتَسِيلُ الْأَهْوَاءَ. وَيَسْتَدْعِي الْمَوَاتَاةَ أَنْفُذِينَ الْقِتَالِ
 بِطَبَاتِ السُّيُوفِ وَأَسِنَّةِ الرِّمَاحِ. كَمَا أَنَّ الْوَالِيَّ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةً
 رِعْيَتِهِ بِالْحَيْلِ وَيُفَرِّقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِالْمُسْكَايَةِ أَحْكَمُ عَمَلًا وَأَلْطَفُ
 مَنَظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً مِنَ الَّذِي لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَالْإِتْلَافِ
 لِلْأَمْوَالِ وَالْتَعْرِيرِ وَالْخَطَارِ. وَلَيَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ أَنَّهُ إِنْ وَجَّهَ لِقَاتِلَهُمْ رَجُلًا
 لَمْ يَسِرْ لِقَاتِلَهُمْ إِلَّا بِمُجْنُودٍ كَشِيفَةٍ تَخْرُجُ عَنْ حَالٍ شَدِيدَةٍ وَتَقْدِمُ عَلَى
 أَسْفَارِ ضِمَمَةٍ وَأَمْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُوَادٍ غَشَشَةٍ إِنْ أَسْتَمْنَهُمْ اسْتَفْتَدَوْا مَالَهُ
 وَإِنْ أَسْتَصَحَّحَهُمْ كَانُوا عَلَيْهِ لَالَةً. (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : هَذَا رَأْيِي قَدْ أَسْفَرَ
 نُورُهُ وَأَبْرَقَ ضَوْؤُهُ وَتَمَثَّلَ صَوَابُهُ لِلْعُيُونِ وَيُحْسَدُ حَقُّهُ فِي الْقُلُوبِ.
 وَلَكِنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ عَلِيٍّ. فَقَالَ: مَا تَقُولُ.
 (قَالَ عَلِيٌّ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنْ أَهْلُ خُرَّاسَانَ لَمْ يَتَّخِذُوا عَن طَاعَتِكَ وَلَمْ
 يَنْصَبُوا مِنْ دُونِكَ أَحَدًا يَفْدَحُ فِي تَغْيِيرِ مُلْكِكَ وَيُرِيضُ الْأُمُورَ
 لِقِسَادِ دَوْلَتِكَ. وَلَوْ فَعَلُوا لَكَانَ الْخُطْبُ أَيْسَرَ وَالشَّانُ أَصْفَرَ.
 وَالْحَالُ أَذَلٌّ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَ حَقِّهِ الَّذِي لَا يَخْذُلُهُ وَعِنْدَ مَوْعِدِهِ الَّذِي لَا
 يُخْلِفُهُ. وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ رِعْيَتِكَ وَطَائِفَةٌ مِنْ شِيعَتِكَ الَّذِينَ جَعَلَكَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَايًّا. وَجَعَلَ الْعَدْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا. طَلَبُوا حَقًّا
 وَسَأَلُوا إِنْصَافًا. فَإِنْ أَجَبْتَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَتَقَسَّتَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَلَاحَمَ
 مِنْهُمْ حَالٌ أَوْ يَمُحِّثَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَتَقُ أَطْعَمَ أَمْرَ الرَّبِّ. وَأَطْعَمَتِ
 نَارُةَ الْحَرْبِ. وَوَفَّرَتْ خَزَائِنَ الْمَالِ. وَطَرَحَتْ تَغْيِيرَ الْقِتَالِ. وَحَمَلَتْ

النَّاسُ تَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حِلْمِكَ وَإِسْتِجَابِ
حَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ . فَأَمَّا أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَنْفٍ وَأَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ دُرَّةً . وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا
اعْتَدَلَتْ بِكَ وَبِهِمْ الْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مِيزَانِ الْحِطَابِ . فَمَا أَرَبُ
الْمُهْدِيِّ أَنْ يَعُدَّ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقَرَّرِينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْنَعِينَ
بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَحْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى الْحَيْلِ
مَعَهُمْ . ثُمَّ يُجَارِيهِمُ السُّوءَ فِي حَدِّ الْمَقَارَعَةِ وَمَضَامِيرِ الْخَطَاةِ . أَرِيدُ
الْمُهْدِي وَفَقَهُ اللَّهِ الْأَمْوَالَ فَلَعَنِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَفْقَرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقِ
أَكْثَرِ مِنْهَا مِمَّا يُطَابُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافِ مَا يَدَّعِي قَبْلَهُمْ . وَلَوْ نَالَهَا فَحَمَاتُ
إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ يَخْرَاطُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ
بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ بِهِ يَعْرِفُ مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةً نَفْسِهِ فِيهِ . فَإِنْ قَالَ الْمُهْدِي : هَذَا رَأْيُ
مُسْتَقِيمٍ سَلِيدٍ فِي أَهْلِ الْخُرَاجِ الَّذِينَ شَكَّوْا ظُلْمَ عَمَّالِنَا وَتَحَامُلَ وَلَا تَنَا .
فَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاقِفَ الْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْإِرْجَافِ
وَفَتَحُوا بَابَ الْمُعَصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ الْقِتَّةِ فَقَدْ يَبْغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ
نَكَالًا لِغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِسَوَاهِهِمْ . فَيَعْلَمُ الْمُهْدِي أَنَّهُ لَوْ أَتَى بِهِمْ
مَغْلُولِينَ فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ . ثُمَّ أَسْعَى لِحَنِّ دِمَائِهِمْ عَفْوَهُ .
وَلَا قَالَةَ عَثَرَتِهِمْ صَفْحَهُ . وَأَسْتَبَقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ حَزْبِهِ أَوْ لِمَنْ يَارَاهُمْ
مِنْ عَدُوِّهِ لِمَا كَانَ يَدْعَا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَكْرًا مِنْ نَظَرِهِ . لَقَدْ عَلِمَتْ

الْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدَّهُمْ وَقَعًا وَأَصْدَقَهُمْ صَوْلَةً.
 وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاطَلُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاؤُهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ الذَّنْبُ وَجَلَّ
 الْخَطْبُ. قَالَ رَأَيْتُ الْمُهْدِيَّ وَقَعَهُ اللَّهُ أَنْ يُحْلَلَ عَقْدُهُمْ الْغَيْظُ بِالرَّجَاءِ لِحُسْنِ
 ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْغَفْوَعَتِهِمْ. وَأَنْ يَذْكُرَ أُولَى حَالَئِهِمْ وَضِيعَةَ عِيَالِهِمْ
 بِرَأْيِهِمْ وَتَوْسَعًا لَهُمْ. فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَزْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ
 الَّذِينَ يَغِزُّهُمْ بِصَوْلٍ وَيُحَيِّجُهُمْ يَقُولُ. وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ
 مَسَاطِيطِهِ وَتَعَرُّضِوَالِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ وَأَنْطَوُوا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ. وَمَثَلُهُ فِي
 قَلْبِهِ مَا غَيَّرَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نُقِلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ
 بِهِمْ كَقَتْلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَسَاوِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ
 عَارِضٌ وَلَهُوَ حَادِثٌ فَهَضَّ إِلَى أَخِيهِ بِالْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِالْمَكْرُوهِ.
 فَلَمْ يَزِدْ أَخُوهُ إِلَّا رِفْقَةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَاحْتِيَالًا لِدَاوَاةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةٍ
 حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَرَأً بِهِ وَمَرْحَمَةً لَهُ. (فَقَالَ الْمُهْدِيُّ :) أَمَا عَلَيَّ فَقَدْ
 كَوَى سَمْتُ اللَّبَانِ. وَفَضَّ الْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ. وَكَلَّلَ بَنَاءَ
 مُسْتَمَرٍّ. فَقَالَ : مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى أَبْنَهُ). (فَقَالَ مُوسَى :)
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ
 وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ. الْحَالُ مِنَ الْقَوْمِ يُبَادِي
 بِمُضْمِرَةٍ شَرٍّ وَخُصِيَّةٍ حَقْدٍ. قَدْ جَعَلُوا الْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَاتَّخَذُوا الْعِلَلَ
 مِنْ دُونِهَا حِجَابًا. رَجَاءُ أَنْ يُدْفِعُوا الْأَيَّامَ بِالتَّأْخِيرِ وَالْأُمُورَ بِالتَّطْوِيلِ
 فَيَكْسِرُوا حِيلَ الْمُهْدِيِّ فِيهِمْ وَيَقْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ. حَتَّى يَتَلَاَحَمَ أَمْرُهُمْ

وَتَلَّاحَقَ مَا دَتَهُمْ وَتَسْتَحْلَ حَرِيمَهُمْ وَتَسْتَمِرُّ الْأُمُورُ بِهِمْ . وَالْمُهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ عِزَّةٍ وَبِلَاسِ أَمْنَةٍ قَدْ قَتَرَلَهَا وَأَنَسَ بِهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا . وَلَوْلَا مَا أَجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ وَالْإِضْمَارِ لِلْفِرَاعِ عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ أَوْ شَيْطَانِ فَسَادٍ لَرَهَبُوا عَوَاقِبَ أَخْبَارِ الْوَلَاةِ . وَغَبَّ سَكُونِ الْأُمُورِ فَلْيَشْدُدِ الْمُهْدِيُّ وَفَقَّهُ اللَّهُ إِزْرَهُ لَهُمْ وَيَكْتُبْ كِتَابَهُ تَحْوَهُمْ وَلِيَضْمَعَ الْأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَخْضَرُهُ فِيهِمْ . وَلْيُوقِنِ أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ خُطَّةً يُرِيدُ بِهَا صَلَاحَهُمْ إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فَسَادِهِمْ وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ وَسَبَبًا لِفَسَادِ مَنْ يَحْضَرُ تَه مِنْ الْجُنُودِ . وَمَنْ يَبَايَهُ مِنَ الْوَفُودِ . الَّذِينَ إِنْ أَقْرَهُمْ وَتَلَكَ الْعَادَةَ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَرْبِ . لَمْ يَبْرَحْ فِي فَتَقٍ حَادِثٍ وَخِلَافٍ حَاضِرٍ . لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينٌ وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا . وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ يَغْيَرُ اسْتِحْكَامَ الْعَادَةِ وَاسْتِمْرَارِ الدَّرَجَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْعُصْبَةِ الْمُفْرِطَةِ وَالْمَوْتَةِ الشَّدِيدَةِ . وَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ أَنَّ لَا يُقِيلَ عَثَرَتَهُمْ وَلَا يَقْبَلُ مَعْذَرَتَهُمْ حَتَّى تَطَاهَهُمُ الْجُيُوشُ وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ . وَيَسْتَحْرَ بِهِمُ الْقَتْلُ وَيُحْدِقُ بِهِمُ الْمَوْتُ . وَيُحِيطُ بِهِمُ الْبَلَاءُ وَيُطِيقُ عَلَيْهِمُ الدَّلُّ . فَإِنْ فَعَلَ الْمُهْدِيُّ بِهِمْ ذَلِكَ كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سُوءٍ فِيهِمْ . وَهَزِيمَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سُوءٍ فِيهِمْ . وَاحْتِمَالُ الْمُهْدِيِّ فِي مَوْتَةِ غُرُوتِهِمْ هَذِهِ تَضَعُ عَنْهُ غُرَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةً (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَأَحْكُمُ يَا أَبَا الْفَضْلِ . (فَقَالَ

الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَمَّا الْوَالِي فَأَخَذُوا بِفُرُوعِ الرَّأْيِ
 وَسَلَكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ وَتَعَدَّوْا أُمُورًا قَصَرَ بِنَظَرِهِمْ عَنْهَا أَنَّهُ لَمْ
 تَأْتِ تَجَارِبُهُمْ عَلَيْهَا . (وَأَمَّا الْفَضْلُ) فَأَشَارَ بِالْأَمْوَالِ أَنَّ لَا تُتَّفَقَ .
 وَالْجُنُودُ أَنَّ لَا تُفَرَّقَ . وَبِأَنَّ لَا يُعْطَى الْقَوْمَ مَا طَلَبُوا وَلَا يَبْذُلَ لَهُمْ
 مَا سَأَلُوا . وَجَاءَ بِأَمْرِ بَيْنَ ذَلِكَ أَسْتَصْغَارًا لِأَمْرِهِمْ وَأَسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ
 وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صِغَارُهَا . (أَمَّا عَلِيٌّ) فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَأَفْرَدَ
 الرِّقْقَ وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرُهُ وَسَفِهَ حَقَّهُ اللَّيْنُ بِجَمًّا وَالْخَيْرُ
 مُحَضًّا لَمْ يَخْطِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَغْطِفُ الْفُلُوبَ عَلَى لَيْنِهِ وَلَا يَشْرِي بِحُسْنِهِمْ
 إِلَى خَيْرِهِ . فَقَدْ مَلَكَهُمْ الْخَلْعُ لِعُدْرِهِمْ وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِنَفْسِ أَعْنَاقِهِمْ .
 فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّ لَهُمْ وَلَا شِدَّةٍ
 وَزُرُوعَةٍ فِي رُؤُوسِهِمْ يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ . وَيَسْتَصْرِخُونَ
 بِهَا رَأْيَ الْمُهْدِيِّ فِيهِمْ . وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ وَيُسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ
 بِاللَّيْنِ الْمُحَضِّ وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ وَالرَّأْيُ فِيهِمْ
 وَمَا قَدْ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَجَعَلَ
 فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْفَرِيمِ وَالْمَلِكِ الْكَبِيرِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . وَلَا
 تُدْرِكُهُ الْفَكْرُ وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ . ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا . فَلَوْلَا
 أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .
 (وَأَمَّا مُوسَى) فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ
 لَا خَيْرَ مَعَهُ . وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ

الْخَوْفَ مُفْرَدًا وَالشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا إِنْ يُشِيرُهُمْ أَشَدَّتْ
الْأُمُورُ بِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ أَلْهَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ . إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ
الْحِمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَنْفَةُ مِنَ الدَّلَّةِ وَالْإِمْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ
ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ وَالْإِسْتِسَالِ فِي الْقِتَالِ وَالْإِسْتِسْلَامِ
لِلْمَوْتِ . وَإِمَّا أَنْ يَتَقَادُوا بِالْكَرِهِ وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى بَغْضَةٍ لَا زِمَةَ
وَعَادَاةٍ بَاقِيَةٍ ثَوْرُ الثِّقَاقِ وَتُعْقِبُ الشَّقَاقِ . فَإِذَا أَمَكَّتْهُمْ فُرْصَةٌ
أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبِ وَأَغْلَظِ
وَأَشَدِّ مِمَّا كَانَ . (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي الْقَضَلِ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَكْفَى
دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ وَأَبِينُ خَبَرٍ . بَأَنْ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيُهُ وَحَزَمَ نَظْرُهُ عَلَى
الْإِرْشَادِ بِنِعْتَةِ الْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوَجُّهِهِ الْبُعُوثِ تَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ
مَا سَأَلُوا مِنْ الْحَقِّ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) :
ذَلِكَ رَأْيِي . (قَالَ هَارُونُ) : حَاطَتْ الشَّدَّةُ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بِاللَّيْنِ .
وَأَنْتَظِمُ أَمْرُ الدُّنْيَا بِاللَّيْنِ . فَصَارَتْ الشَّدَّةُ أَمْرَ فِطَامٍ لِمَا تَكْرَهُ وَعَادَ
اللَّيْنُ أَهْدَى قَائِدًا إِلَى مَا تُحِبُّ . وَلَكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) :
لَقَدْ قَاتَ قَوْلًا بَدِيعًا . وَخَالَفَتْ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا . وَالْمَرْءُ مُؤَمَّنٌ
بِمَا قَالَ وَظَنِينَ بِمَا ادَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بَيِّنَةٌ عَادِلَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ فَأَخْرَجَ عَمَّا
قُلْتُ . (قَالَ هَارُونُ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَالْأَعَاجِمُ
قَوْمٌ مَكْرَةٌ . وَرَبَّمَا أَعْدَلْتَ أَلْهَالُ بِهِمْ وَأَتَقَفْتَ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ . فَكَانَ
بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُبْلِغُونَ . وَرَبَّمَا أَفْتَرَقْتَ أَلْهَالَانَ وَخَالَفَ

الْقَلْبُ اللِّسَانُ فَانْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى تَحْجُوبَةٍ تَبْطُنُ . وَاسْتَسَرَّ بِمَدْخُولَةٍ
 لَا تُعْلَنُ . وَالطَّيِّبُ الرَّفِيقُ بِطَبِّهِ الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ الْعَالِمُ بِمُقَدَّمِ يَدِهِ
 وَمَوْضِعِ مَيْسَرِهِ لَا يَتَجَلُّ بِالْذَّوَاءِ حَتَّى يَقَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . فَالرَّأْيُ
 لِلْمَهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَفِرَّ بَاطِنَ أَمْرِهِمْ فَرَّ الْمُسْنَةَ . وَتَحْضَ ظَاهِرَ
 حَالِهِمْ تَحْضَ السَّاءِ مُتَابَعَةَ الْكُتُبِ وَمُظَاهَرَةَ الرُّسُلِ وَمُؤَالَاةِ الْعُيُونِ
 حَتَّى تَهْتِكَ حُجُبَ عُيُونِهِمْ وَتَكْشِفَ أَعْيُنَهُمْ أُمُورِهِمْ . فَإِنْ أَنْفَرَجَتْ
 الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اُشْتَمَلَتْ
 الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ . وَأَنْقَادُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ . وَامْتَدَّتِ الْأَعْيُنُ نَحْوَهُ بِدِينٍ
 يَتَقَدُّونَهُ . وَاشْتَمَلُوا لِيَسْتَحْلُوهُ . عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَرَمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ
 لَا عَفْوَ مَعَهَا . وَإِنْ أَنْفَرَجَتْ الْعُيُونُ وَاهْتَصَرَّتِ السُّورُ وَرَفَعَتْ
 الْحُجُبُ . وَالْحَالُ فِيهِمْ مُرِيَّةٌ وَالْأُمُورُ فِيهِمْ مُعْتَدِلَةٌ . فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا
 وَأَعْمَالٍ يُكْرَهُنَهَا . وَظُلَامَاتٍ يَدْعُونَهَا وَحُقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا . بِمَاتَةٍ
 مُسَابِقَتِهِمْ وَدَالَةٍ مُنَاصَحَتِهِمْ فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَسَّعَ لَهُمْ
 بِمَا طَلَبُوا وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا . وَيُشْعِبَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَّعُوا .
 وَيَرْتَقِ مِنْ فَتَنِهِمْ مَا قَطَّعُوا . وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا وَيُدَاوِي بِذَلِكَ
 مَرَضَ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ . فَإِنَّمَا الْمَهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ وَسَوَادُ أَهْلِ
 تَمْلِكِهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْجَرِبِ الَّذِي
 يَخْتَالُ بِمَرَايِضِ غَنَمِهِ وَضَوَالِ رِعْيَتِهِ حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا .
 وَيُرَدِّدَ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جَمَاعَتِهَا . ثُمَّ إِنَّ خُرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الدِّينِ لَهُمْ

دَالَةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَا تَهْ مَقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ
أَيْدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ
شَأْنِ الْمُهْدِيِّ الْأَضْطِفَانُ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُواخَذَةُ لَهُمْ وَلَا التَّوَعُّرُ بِهِمْ وَلَا
الْمُكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسَمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ
تَقْوَى وَمُحَاوَلَةٌ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَيْلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَخْزَمُ فِي الرَّأْيِ
وَأَصَحُّ فِي التَّنْذِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّهَانُ بِهَا . حَتَّى يَأْتِيَهُمْ قَلِيلُهَا
بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : مَا زَالَ
هَارُونُ يَقَعُ وَقَعَ الْحَيَاءِ حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقَدَحِ مِنَ الْمَاءِ . (قَالَ) وَأَنْسَلَ
أَنْسَلَ السِّيفِ فِيمَا أَدْعَى فَدَعَوْا مَا سَبَقُ . وَسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّأْيُ .
وَتَنَى بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مِنْ لَأَعْنَةِ الْحَيْلِ وَسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَقَادَةِ
النَّاسِ إِنْ أَمَعَنَ بِهِمُ اللَّجَاجُ وَأَقْرَطَتْ بِهِمُ الدَّالَةُ . (قَالَ صَالِحٌ) :
لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بِدَوَامِ التَّجَتُّ وَطُولِ الْفِكْرِ أَذْنَى فِرَاسَةٍ رَأَيْتَ
وَبَعْضَ لَحْظَاتِ نَظَرِكَ . وَلَيْسَ يَنْصُ عَنْكَ مِنْ يُؤْتَاتِ الْعَرَبَ
وَرِجَالَاتِ الْعَجَمِ ذُو دِينَ فَاضِلٍ وَرَأْيٍ كَامِلٍ وَتَنْذِيرٍ قَوِيٍّ . تَقْلِدُهُ
حَرْبُكَ وَتَسْتَوْدَعُهُ جُنْدُكَ . مِمَّنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ
بِالْأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ . وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَيُّونُ النَّصِيْبَةِ مُبَارَكُ الْعَزِيمَةِ مُجْبُورُ
الْتِجَارِبِ مَحْمُودُ الْعَوَاقِبِ مَعْصُومُ الْعَزْمِ . فَلَيْسَ يَقَعُ اخْتِيَارُكَ وَلَا
يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ قَوْلِيهِ أَمْرُكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ تَعْرُكَ إِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ
مَاتِحِبُّ وَحَمَّ لَكَ مِنْهُ مَا تَرِيدُ

(قَالَ الْمُهْدِيُّ): إِنِّي لَا أَرْجُو ذَلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللَّهِ فِيهِ وَحُسْنِ
مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أُجِبُ الْمُوَافَقَةَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْإِعْتِبَارَ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي
الْأَمْرِ الْمُهْمِّ. (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَلَيْثٍ): أَهْلُ خُرَاسَانَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ قَوْمٌ
ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ وَشَيَاطِينُ خُدَعَةٍ. زُرُوعُ الْحِمَةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ. وَمَلَابِسُ
الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ. فَالْرُؤْيَةُ عَنْهُمْ عَازِبَةٌ وَالْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ.
لَسَبَقَ سَيُولُحُهُمْ مَطَرُهُمْ وَسَيُؤْخِضُهُمْ عَذْلُهُمْ. لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا تَعْدُو
مَبْلَغَ عَقُولِهِمْ وَمَنْظَرِ عِيُونِهِمْ. (وَبَيْنَ رُؤْسَاءٍ لَا يُجْمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا
يُفْطِنُونَ إِلَّا بِالْمَلِّ. وَإِنْ وَلَّى الْمُهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِعًا لَمْ تَقْدَلْهُ الْعُظَمَاءُ.
وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلُ عَلَى الضُّعْفَاءِ. وَإِنْ أَخَّرَ الْمُهْدِيُّ أَمْرَهُمْ
وَدَافَعَ حَرِيمَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ
بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا يَتَّقِ عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ وَتَقَّةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمَلَاؤُهُمْ بِلَا أَنْفَةِ
تَلْزِمُهُمْ وَلَا حَيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةٍ تُفَرِّقُهُمْ تَقَرَّرُ هُمْ تَقَرَّرَتِ الْأَيَّامُ بِهِمْ
وَتَرَاحَتِ الْحَالُ بِأَمْرِهِمْ. فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْقَسَادِ الْكَبِيرِ وَالضُّعْفِ
الْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ وَجَدَ. وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ
وَإِنْ جَدَّ. إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ. وَلَيْسَ الْمُهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللَّهُ
فَاطِمًا عَادَتَهُمْ. وَلَا قَارِعًا صِفَاتَهُمْ. بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا تَالِكَ لهُمَا وَلَا
عُدْلٌ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا. أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ
لِعَيْنِكَ. وَصَخْرَةٌ لَا تُرْعِزُ وَبَهِيمَةٌ لَا تُثْنِي وَبَازِلٌ لَا يُفْرِعُهُ صَوْتُ
الْحَجَلِ. نَقِيَ الْإِرْضَ نَزِيهَةُ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطْرِ قَدِ انْقَضَتِ الدُّنْيَا عَنْ

قَدْرِهِ وَسَمَّا نَحْوَ الْآخِرَةِ بِهَيْبَتِهِ . فَجَعَلَ الْفَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا
 وَالْفَرَضَ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مُوْطَأً . فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا . وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا .
 وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ . وَأَنْصَحُ بَيْنِي أَيْيَكَ . رَجُلٌ قَدْ غُذِيَ بِلَطِيفِ
 كَرَامَتِكَ . وَنَبَتْ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ . وَلَشَأْ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ . فَإِنْ
 قَلَّدْتَهُ أَمْرَهُمْ وَحَمَلْتَهُ ثِقَلَهُمْ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْهِ ثَغْرَهُمْ كَانَ قَفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ
 وَبَابًا أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ . فَجَعَلَ الْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَالْإِنْصَافَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا . وَإِذَا أَحْكَمَ الْمُنْصَفَةَ وَسَاكَ الْمُعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ
 وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ . غَرَسَ فِي الَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ
 لَكَ فِي السُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةً الْعُرُوقِ بِاسِقَةِ الْفُرُوعِ
 مُتَمَاثِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِهِمْ . فَلَا يَبْقَى
 فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا تَقْوَهُ . وَلَا يَلْزِمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا آدَوُهُ . وَهَذَا أَحَدُهُمَا .
 وَالْآخَرُ عَوْدٌ مِنْ غَيْصَتِكَ وَتَبَعَةٌ مِنْ أَرْوَمَتِكَ . فَبِئْسَ كَهْلُ الْحِلْمِ
 رَاجِعُ الْعَقْلِ مَحْمُودُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَنْسُطُ
 عَلَيْهِمْ خَيْرُهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحْشُونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ . وَهُوَ فُلَانٌ
 أَيْهَا الْمُهْدِي فَسَلْطَةُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَجْهُهُ بِالْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ . وَلَا
 تُمْتَكِ ضَرَاعَتُهُ سِنِيهِ وَحِدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثِّقَّةَ مَعَ الْحِدَاثَةِ خَيْرٌ
 مِنَ الشُّكِّ وَالْجَلِّ مَعَ الْكُهُولَةِ . وَإِنَّمَا أَحَدَانِكُمْ أَهْلُ الْيَتِّ فِيمَا طَبَعَكُمُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَاخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْأَعْمَالِ وَمَحَاسِنِ
 الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كَفِرَاحِ عِنَاقِ الطَّيْرِ

الْحِكْمَةَ لِأَخْذِ الصَّيْدِ بِلا تَدْرِيبٍ . وَالْعَارِفَةَ لَوُجُوهِ النَّعْجِ بِلا تَأْدِيبٍ .
 فَالْحِلْمَ وَالْعِلْمَ وَالْعَزْمَ وَالْحَزْمَ وَالْجُودَ وَالشُّوْءَ وَالرِّفْقَ ثَابِتٌ فِي
 صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَحْكَمٌ لَكُمْ مُتَكَامِلٌ عِنْدَكُمْ بِطَبَائِعِ
 لَازِمَةٍ وَغَرَايِزِ ثَابِتَةٍ . (قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) : إِفْتَاءُ أَهْلِ بَيْتِكَ
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ . وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا
 وَصِفَ . وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمُهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمٍ الذِّكْرِ فِي
 الْجُنُودِ وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ . وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ وَلَا
 بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ . دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ
 عَظِيمَانِ وَخَطَرَانِ مُهْلَانِ . أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَتَمَرُّونَهَا مِنْهُ
 وَيَحْتَرُّونَهَا فِيهِ . وَيَحْتَرُّونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي الشُّهُوسِ بِهِ وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ وَالْخِلَافِ
 عَلَيْهِ . قَبْلَ مَا حِينَ الْأَخْتِيارِ لِأَمْرِهِ وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ .
 وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ وَالْجُنُودَ الَّتِي يَسُوسُ إِذَا لَمْ
 يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجَدَّةَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ وَالْهَيْبَةِ انْكَسَرَتْ
 شَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَتْ نَجَاتُهُمْ وَأَسْتَخَرَتْ طَاعَتَهُمْ إِلَى حِينِ اخْتِبَارِهِمْ
 وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَبِمَا وَقَعَ الْبُورَارُ . قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ . وَبِبَابِ الْمُهْدِيِّ
 وَفَقَهُ اللَّهِ رَجُلٌ مَهِيبٌ نَبِيَّهُ حَنِيكٌ صَبَتْ لَهُ نَسَبُ زَالِكٍ وَصُوتُ عَالٍ .
 قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ . وَتَأَلَّفَ أَهْلُ خُرَّاسَانَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ
 بِالْمَقَّةِ . وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثِّقَةِ . فَلَوْ وَلَّاهُ الْمُهْدِيُّ أَمْرَهُمْ لَكَفَّاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ
 (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : جَانِبَتْ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ وَأَيْتَ إِلا عَصِيَّةً . إِذْ

رَأَى الْحَدِيثَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا. وَلَكِنْ أَيْنَ
تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ. (قَالُوا): لَمْ يَنْعُنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ.
وَأَسِجَ وَحْدِهِ. وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ. بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَذْنَى فَضْلِهِ.
وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبٌ عَنْ خَلْقِهِ وَسَتَرٌ مِنْ دُونِ عِبَادِهِ عِلْمَ
مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ حَوَادِثِ الْأُمُورِ
وَرَيْبِ النُّونِ الْمُخْتَرِمَةِ لِحَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ. فَكَرِهْنَا
شُسُوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ.
وَمَوْضِعِ الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ وَمُسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ. وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ
أَتَى جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمُلْكِ وَمَصِيدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ. وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ
الطَّمَعِ وَثَوَارِ الْقَتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءِ الْمَوْتِ.
وَقُلْنَا: إِنْ وَجَّهَ الْمُهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَّثَ فِي جُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ
حَدَّثَ بِجُنُودِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُهْدِيُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغَيْرِهِ إِلَّا
أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ. وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ إِنْ تَنَسَّتْ
الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ. وَأَسْتَدَارَتْ الْحَالُ بِإِمَامِهِ. حَتَّى يَقَعَ عِوَضٌ لَا يُسْتَعْنَى
عَنْهُ أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ. صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلُ
خَطَرًا لَهُ تَبَاوُيْهِ مُتَصِلًا. (قَالَ الْمُهْدِيُّ): الْخُطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ
إِلَيْهِ. وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ. نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ
أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ وَتَحْتِمْ مِنْ
الْأَمْرِ. وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِاجْمَعِهِ إِلَيْنَا وَتَكَامَلَ بِحِذَائِهِ عِنْدَنَا. فَبِهِ

نَدِيرٌ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ . إِنَّهُ لَا بُدَّ لِيَوِّيَ عَهْدِي (وَوَلِّيَ عَهْدِي عَقْبِي
تَعْدِي) أَنْ يَقُودَ إِلَى خُرَاسَانَ الْبُعُوثَ وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ . أَمَّا
الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيلَةٌ . ثُمَّ يُخْرِجُ لَشَطْلًا إِلَيْهِمْ
حَقًّا عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ
وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ إِلَّا تَوَطَّاهُ بِحَرِّ الْقَتْلِ وَالْبَسَةِ قِنَاعِ الْقَهْرِ وَقَلْدَهُ
سُلُوقِ الْذُلِّ . وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي قَصِّ جَنَاحِ الْفِتْنَةِ وَإِخْلَادِ
نَارِ الْبِدْعَةِ وَنُصْرَةِ وَلَاهٍ الْحَقِّ إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيمَ فَضْلِهِ وَجَدَاوِلَ
نَصْلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ زُرْمًا بِهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ
قَدْ عَمِلَتْ حِيلُهُ وَكِدَحَتْ كُتُبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَائِدُهُ . فَهَذَاتُ نَافِرَةٌ
الْقُلُوبِ وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُتَخَفُّفُونَ بِالرِّضَا .
فَيَمِيلُ نَظْرًا لَهُمْ وَيَرَاهُمْ وَتَعَطَّفًا عَلَيْهِمْ إِلَى عَدُوٍّ قَدْ أَخَافَ سَيْلَهُمْ
وَقَطَعَ طَرِيقَهُمْ وَمَنَعَ حُجَّاجَهُمْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ وَسَلَّ تِجَارَهُمْ رِزْقَ اللَّهِ
الْحَلَالَ . وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ يُوجِّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُعْتَقِدُ لَهُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ
مَا يَطْلُبُونَ وَبَذْلِ مَا يَسْأَلُونَ . فَإِذَا سَمَحَتْ الْفِرْقُ بِقَرَابَتِهَا لَهُ وَجَنَحَ
أَهْلُ التَّوَاجِي بِإِعْتَاقِهِمْ نَحْوَهُ فَأَصْغَتْ إِلَيْهِ الْأَفْتِدَةُ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ
الْكَلِمَةُ وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ قَصْدًا لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ تَجَعَّتْ بِطَاعَتِهَا وَأَلَّتْ
بِأَرْمَتِهَا . فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ وَأَثَرَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ جَبَابَتِهِ .
ثُمَّ عَمَّ الْجَمَاعَةَ بِالْمُعْدِلَةِ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ
دَانِيَةٌ وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ . وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنَفَعَتُهُ .

فَأَغْنَىٰ قَمِيْرَهَا . وَجَبَرَ كَسِيْرَهَا . وَرَفَعَ وَضِيعَهَا . وَزَادَ رَفِيعَهَا . مَا خَلَا
نَاجِيَتَيْنِ نَاجِيَةً يَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ فَسْتَحْفُ بِدَعْوَتِهِ وَتُبْطِئُ
عَنْ إِبَاجَتِهِ . وَتَتَأَقَّلُ عَنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يُبْعَثُ وَأَبْطَأَ مَنْ يُوجَّهُ .
فَيَضْطَلِي عَلَيْهَا مُوجِدَةٌ وَيَبْتَغِي لَهَا عِلَّةً . لَا يَلْبَثُ أَنْ يَجِدَ بِحَقِّ يُلْزِمُهُمْ
وَأَمْرٍ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَحْمُهُمُ الْخِيُوشُ . وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ وَتَسْتَحْرِيرُهُمْ
الْقَتْلُ . وَيَحِيطُ بِهِمُ الْأَسْرُ وَيُقْنِيهِمُ التَّبَعُ . حَتَّى يُخْرِبَ الْأَسْلَادُ وَيُوتِمَ
الْأَوْلَادُ وَنَاجِيَةٌ لَا يَنْسُطُ لَهُمْ أَمَانًا وَلَا يَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا يَجْعَلُ لَهُمْ ذِمَّةً .
لَا لَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ وَتَدْرَعُ جَلْبَابَ الْفِتْنَةِ وَرَبْضُ فِي شِقِّ
الْعَصَا . وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ أَعْلَامُهُمْ وَيَأْسِرُ قَوَادِمُهُمْ . وَيَطْلُبُ هُرَابَهُمْ فِي
لُجِّ الْأَجَارِ وَقَلَلِ الْجِبَالِ وَخَمَلِ الْأَوْدِيَةِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ تَقْسِيلاً
وَتَغْلِيلاً وَتَكِيلاً . حَتَّى يَدْعَ الدِّيَارُ خَرَاباً وَالنِّسَاءُ أَيَامِي . وَهَذَا أَمْرٌ لَا
نَعْرِفُ لَهُ فِي كُنْهِنَا وَقَتًا وَلَا نَصَحَ مِنْهُ غَيْرَ مَا قَالْنَا تَفْسِيْرًا . وَأَمَّا مُوسَى
وَلِيَّ عَهْدِي فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانَ . وَمَا
قَضَى اللَّهُ مِنْ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمَقَامِ فِيهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَغَبَّةً وَلَهُ
بِإِذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةٌ مِنَ الْمَقَامِ . بِحَيْثُ يُعْمَرُ فِي لُجِّ بُحُورِنَا وَمَدَافِرِ
سُيُولِنَا وَتَجَامِعِ أَمْوَاجِنَا . فَيَتَصَانَعُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَذَّابُ مُشْرِقُ نُورِهِ
وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ . فَمَنْ يَضْحَبُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَيُخْتَارُ لَهُ مِنَ
النَّاسِ . (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْإِثْمِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَضَجَّ
لَا مُتِكَ وَأَهْلَ مُلْكِكَ عِلْمًا قَدْ تَثَنَّى نَحْوَهُ أَعْنَاقُهَا وَمَدَّتْ سِمْتَهُ أَبْصَارُهَا .

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جَوَارِهِ لَكَ عَطِلَ الْحَالِ غُفْلَ الْأَمْرِ
وَاسِعَ الْعُذْرِ . فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَذْيِيرِهِ
فَإِنْ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ .
وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بَرِّهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ
وَتَذْيِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزْرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا يَسِيقُ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ
الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا أَسْتِمَالَةً
لِرَأْيِهِمْ وَعَظْمًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَلْعَمُ الْمُهْدِيُّ وَقْفَهُ اللَّهُ نَاطِرًا لَهُ فِيمَا
يُقَوِّي عِمْدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ . وَيَسْتَجْمِعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرِ
هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِحِمَالِهِ . وَأَفْضَلُ مَغَبَّةٍ لِأَمْرِهِ وَأَجَلُ مَوْقِفًا فِي
قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ
بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغُ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرَحْمَةٍ
تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَحُبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ . وَأَنْ يَخْتَارَ
الْمُهْدِيُّ وَقْفَهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ وَفَقْهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ
أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْتَسُّ الرِّعْيَةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا .
ثُمَّ تَسْهَلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَتَفْتَحُ بَابُ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ
فَتَحَ لَهُ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمُهْدِيُّ) : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى

فَقَالَ : أَيُّ بَنِي إِيَّاكَ قَدْ أَصْبَحَتْ لِسَمَتِ وَجْهِهِ الْعَامَّةُ نَضْبًا وَلِمَتْنِي
أَعْطَافِ الرِّعْيَةِ غَايَةً . فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ

ظَاهِرٌ . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَاحْتَسِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهَا وَلَا
نَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهَا . فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافٍكَ مَنْ أَسْخَطَهُ
عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافٍكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا
مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قِتْرَةٌ مِنْ رُسُلِهِ وَبَيِّنَاتٍ
مِنْ صِفَتِهِ خَلْقِهِ وَخَبَائِلِ نُصْرَةِ حَقِّهِ يُجَدِّدُ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ
وَيُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ . وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَائِهِ دِينَهُ أَنْصَارًا وَعَلَى
إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْحُلُلَ وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ
الْفُسَادَ . وَإِنْ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَصْغَبُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا
الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكْرَهُ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ زُلُومَ الْعِظَائِمِ
بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدْفِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَائِهِمْ وَنُرَاحِمُ زُكْنَ الدَّهْرِ
بِبَصَائِرِهِمْ . فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَتْ كُنُفُهَا وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا
أُزْزِتْ صَفْحَتُهَا وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا . قَدْ مَضَتْ
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ أَخَذَتْ نِيرَانُ الْفِتَنِ وَقَصِمَتْ
دَوَاعِي الْبِدْعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ . وَلَمْ يَفْكَوْا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا
مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا الَّتِي
أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ . وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ وَقِنَاعِ الْخَوْفِ
وَإِطْبَاقِ أَلْيَالِهَا وَمُخَالَفَةِ الْأَمْسَى وَجُهِدِ الْبَاسِ وَالضَّرِّ . فَظَاهَرَ عَلَيْهِمْ
لِبَاسُ كَرَامَتِكَ وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ . ثُمَّ أَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ

طَاعَتِهِمْ وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ وَمَمَّاتَهُ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
إِلَيْهِمْ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ وَالْإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ . أَيُّ نَبِيٍّ
تُحْمُ عَلَيْكَ الْعَلَمَةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَغْنِ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنْصَافِ لَهَا . وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ وَذَلِكَ أَنَّ تَأْمُرَ قَاضِي كُلِّ بَلَدٍ
وَحِيارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلَّيْهِ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ
الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . فَإِنْ أَحْسَنَ حُجَّتَهُ وَإِنْ أَسَاءَ عُدَّتْ .
وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَيَعْرِى حَيْلِكَ مُتَعَلِّقًا رُجُلَانِ أَحَدُهُمَا
كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَامَتِكَ رِجَالُ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُ يُؤْتَاتِ الشَّرَفَ لَهُ أَدَبٌ
فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِعٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ . وَالْآخِرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَغْمُورٍ وَمَوْضِعٌ
غَيْرُ مَدْخُولٍ . بِصِيرٍ يَتَلَبَّبُ الْكَلَامُ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ وَأَنْحَاءِ الْعَرَبِ
وَوَضْعِ الْكُتُبِ عَالِمِ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ . يَضَعُ آدَابًا
نَافِعَةً وَأَثَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَاسِنِكَ وَتَحْمِينِ أَمْرِكَ وَتَحْلِيَةِ ذِكْرِكَ .
فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ . فَرَجُلٌ أَصْبَتْهُ كَذَلِكَ فَهُوَ
يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَدْعَى فِي خُضْرَةِ جَنَانِي . وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَكَ مِنْ
فَهْمَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ حَيْرَانَكَ وَسَمَارَكَ
وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُورِدُ وَأَصْحَابَ مُنَاطِرَتِكَ فِيمَا تُصَدِّرُ . فَسِرْ عَلَى
بَرَكَاتِهِ اللَّهُ أَصْحَابَكَ اللَّهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
قَلْبَكَ وَهَادِيًا يُنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ (لامين عبدربه)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْمَقَامَاتِ

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الاطباكية

٤٦ حَدَّثَ إِنْسَانٌ . مِنْ مَعْرِةِ النُّعْمَانِ . قَالَ : كَثِيرًا مَا كُنْتُ
أَسْمَعُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ . التَّشَاءَ عَلَى زُرِّهِ أَنْطَاكِيَّةَ . وَأَنَّهَا قَطَعُ مَنْ لَمْ يَصِلْهَا .
وَخُرُوجُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا . وَفَرَطِ ثَنَائِهِ عَلَيْهَا . تَجَهَّزْتُ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهَا .
فَلَمَّا دَخَلْتُهَا . وَشَاهَدْتُهَا وَتَأَمَّلْتُهَا . أَكْبَرْتُ طَوْلَهَا وَطَوْلَهَا . وَعَجِبْتُ
لِحَصَاتِيهَا وَالْعَاصِي دَائِرَ حَوْلَهَا . فَأَتَمَّمْتُ مِنْ بَدَايَتِهَا . إِلَى دَارِ
وَلَايَتِهَا . فَوَجَدْتُ وَالِي الْمَدِينَةِ . شَابًا ذَا سَكِينَةٍ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ .
وَأَجْلَسَنِي إِلَيْهِ . أَخَذَ فِي مُوَأَسَّتِي . وَأَظْهَرَ الْإِبْتِهَاجَ بِمُوَأَسَّتِي .
فَقَبَطْتُهُ بِحُسْنِ زِينَتِهِ . وَطِيبِ مَدِينَتِهِ . فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَا . وَتَرَنَّمَ مُنْشِدًا :
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقٍ أُلُوْدٍ تَحْسَبُهُ فِي رَاحَةٍ وَلَدَيْهِ أَلْهَمُ وَالْكَمْدُ
لَا تَغِيْطُنَ بَنِي الدُّنْيَا بِنِعْمَتِهِمْ فَرَاخَةَ الْقَلْبِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَحَدٌ
قَالَتْ : لِلَّهِ دَرْفَصَاتُكَ . مَا السَّبَبُ فِي عَدَمِ رَاحَتِكَ . قَالَ :
لَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بَيْنَ عَرَبٍ وَرُومٍ . وَأَنَا مَعَهُمْ فِي الْحَيِّ
الْقِيَوْمِ . لَا أَطِيقُ فِيهِمْ قَرَارًا . لَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا .
وَمَنْ يُطِيقُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضَّدَيْنِ . أَمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُوَالَاةِ نَدَيْنِ .
وَكَيْفَ يَظْفَرُ سَاكِنُ أَنْطَاكِيَّةَ بِنِيلِ أَرَبٍ . وَقَدْ حَنَيْتُ أَضْلَعُ الْعَجْمِ

عَلَى بُغْضِ الْعَرَبِ . كَمْ أُجِدُّ وَيَلْبُونَ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ :
 مِنْ كُلِّ قَظَرٍ أَعْجَبِي غَثَّ الْكَلَامِ مَذْمُومِ
 إِنْ نَبَّهَتْهُ مُرُوءَةٌ قَتُّوْلُ عَجْزَتِهِ ثُمَّ

قُلْتُ : قَصِرَ عَنْ خَطَاكَ خُطَاكَ . وَأَشْكُرُ مِنْ أَنْطَاكَ أَنْطَاكَ .
 فَسُورُهَا مَنِيعٌ . وَعَاصِيهَا مُطِيعٌ . وَأَطْيَارُهَا تَحْنُ إِلَى تَغَمُّلِهَا الْجَوَارِحُ .
 وَأَنْهَارُهَا مُطَرَّدَةٌ وَعَيْنُهَا سَوَارِحُ . وَاسْمُهَا يُبْطِلُ رَائِحَةَ الْإِنْسِكِ
 السَّحِيقِ . وَسَاكِنُهَا يُزْهِى عَلَى الْفَضْلِ الْوَرِيقِ . يَصْدَأُ بِهَوَانِهَا السِّلَاحُ .
 وَتُجَلَّى بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ . بَرِيَّةٌ بِحَرِيَّةٍ . سَهْلِيَّةٌ جَبِيلِيَّةٌ :

مُتَكَامِلٌ فِيهَا السُّرُورُ لِمَنْ بِهَا
 وَخَلَّتْ قُلُوبُ فَصُورِهَا فَاسْتَضْحَكَتْ
 مَنْ حَلَّ فِيهَا نَالَ وَصَلَ حَبِيبُهَا
 مَا تِلْكَ إِلَّا جَنَّةُ الدُّنْيَا وَهَا
 قُضِيَّةٌ وَسَنَّةٌ وَنَدِيَّةٌ
 لَمَّا بَكَى قَدْ أَلْهُمُومٌ سَحَابُهَا
 فَالْأَرْضُ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَخِلَالُهُ
 هِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ الرِّضَا فَلِأَجْلِ ذَا
 جَمَعَتْ فُنُونُ الطَّيْبِ فِي أَفْئَانِهَا
 تَصْفِيقُ عَاصِيهَا الْمَطِيعُ مُرَقَّصُ
 قَرْبُوعِهَا مَحْرُوسَةٌ وَسُفُوحُهَا
 يَوْمًا أَقَامَ كَمَا تَكَامَلُ سُورُهَا
 إِذْ عَاشَ شَاكِرُهَا وَمَاتَ كَفُورُهَا
 وَشَفَى كَلِيمُ الرُّوحِ مِنْهُ طُورُهَا
 وَلِدَانُهَا جُلِيَتْ عَلَيْكَ وَحُورُهَا
 أَرْجَاؤُهَا وَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا
 ضَحَكَتْ وَقَدْ عَاشَ السُّرُورُ زَهْرُهَا
 سَلَّتْ سِوْفٌ وَالسُّيُوفُ نَهْرُهَا
 قَدْ أَسْلَيْتْ دُونَ الْهُمُومِ سُورُهَا
 وَعَلَا عَلَى الْإِنْسِكِ الذِّكْيُ عَبِيرُهَا
 أَنْصَانَهَا لَمَّا شَدَّتْهُ طُيُورُهَا
 مَا نُوسَةٌ لَا يَطْوِي مَشُورُهَا

فَانْجَبَ لِأَرْضٍ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ أَضْحَتْ نُضِيٍّ شُمُوسَهَا وَبُدُورُهَا
 قَبَسَتْ وَتَنَسَّيَتْ أَرْجَاؤُهَا أَرْجَاؤُهَا النَّضِيرُ النَّضِيرُ نَظِيرُهَا
 فَلَمَّا أَتَمَّتْ جَلَاءَ هَذِهِ الْعُرُوسِ وَرَفَعَهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ
 الطُّرُوسِ. قَالَ أَلْوَالِي: لَقَدْ زِدَتْ وَصْفَهَا. وَشَخَتْ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفَهَا.
 وَمَا أَنْطَاكِيَّةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ. إِلَّا طَرَفُ سَكَّتِهِ الْأَطْرَافُ. فَلَوْ
 أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ. وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَفْسِ الْبَيْعَتَيْنِ. وَأَغْلَقْتَ
 بَابَ الْبَحْرِ. وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجَسْرِ. وَسَوَّدْتَ الْيَضَاءَ. وَأَيَّسْتَ
 الْخَضْرَاءَ. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا النِّظْمِ الْأَنِيْقِ. فِي اسْتِرْقَاقِ هَذَا
 الْبَلَدِ الْعَنِيْقِ. وَمَاذَا تَرَكْتَ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمَنَةِ وَالصَّنْفَةِ. وَقِيلَ إِنَّهَا فِي
 الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَفْتَ النِّكْرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ
 خَجَلًا. وَأَلْشَدُّ مَرْتَجَلًا:

مَدَحْتَ أَنْطَاكِيَّةَ حَتَّى تَوَارَى عَمَلُهَا
 وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا ذَكَرْتَهُ مَحَلُّهَا
 لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
 فَكَيْفَ لَا أَنْغُضُهَا وَكَيْفَ لَا أَمْلُهَا
 وَنَعْمُهَا أَكْثَرُهَا وَعَرَبُهَا أَقَلُّهَا
 لَوْلَا حَيْبُ سَاكِنٍ فِيهَا وَلَوْلَا ظَلُّهَا
 لَقُلْتُ مِنْ مَدَنٍ لَطَى لِكِنِّي أَجَلُّهَا
 لَكِنْ أَقُولُ قَوْلَةً لَيْسَ يُرَدُّ عَلَيْهَا

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ مَا فَارَقْتَهَا أَهْلَهَا
 فَلَمَّا تَمَّ الْوَالِي نِظَامَهُ . ابْتَدَرْتُ مُلَامَهُ . وَقُلْتُ : إِذَا رَغِبْتَ عَنْ
 أَنْطَاكِيَّةَ وَأَهْلِهَا . فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا . فَقَالَ : أَلْزَمَنِي أَنْ أُقِيمَ .
 مَرْسُومَ كَرِيمٍ . يَمْنُ عُمْرِي بِالْعَطَا . وَإِذَا خُولِفَ سَطَا . فَكَيْفَ الْخُلَاصُ .
 وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . مِنْ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ . وَلِعَظَمِ
 السَّكَّةِ فِيهَا قَدْرٌ كَبِيرٌ :

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ وَغَرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا
 أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسِيرَةً مُلْكِيهَا مُكَلَّلَةً بِالْذَّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا
 وَكَمْ خَفَّتْ فِيهَا الْبُودُ وَكَمْ حَوَتْ مُلُوكًا تَرَى الْجُوزَاءَ تَحْتَ نِعَالِهَا
 مُعْظَمَةً فِي الْمِلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا مُكْرَمَةً فِي الدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا
 أَلَمْ تَحْتَرِمَ فِيهَا حَبِيبًا زَيْلَهَا وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا
 وَسَافَرْتَ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَقْتُ مُنْشَدًا وَعَيْنَايَ كُلُّ أَسْعَدَتْ بِسَجَالِهَا
 قِفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ لَهْذِهِ زِلْتُ حَتَّى بَدَأَ مِنْ هَزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الحفاجي

مقامة العربة

٤٧ حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ رِيَّانَ . عَنْ شَقِيقِ بْنِ الثُّعْمَانِ . قَالَ : لَمَّا هَزَّتْنِي
 أَرْحِيَّةُ الشَّبَابِ . إِلَى اقْتِعَادِ سَنَامِ الْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ الْإِعْتِرَابِ .
 وَقَدْ أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَا جِدَ . يَجْتَنِي جَنَى الْمُجِدِّ وَتُجْنِي لَهُ ثِمَارُ
 الْحَامِدِ . وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ تَلْتَفُ عَلَيْهِ الْحَافِلُ . وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

أَعْلَامِهِ الْحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأَنْسَاهَا وَحْشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَانِعٍ يَجْبِشًا .
 أَقْسَمْتُ بَيْنَتْ سَالَتْ يَطْحَاهُ أَعْنَاقُ الْمَطَايَا . وَثَمَلَ رُكْبَانُهُ بِكُلْسِ
 السَّرَى فِي الْغَدَايَا وَالْعَشَايَا . لِأَعْتَرَبَنَّ غُرْبَةً قَارِظِيَّةً يَتَحَقُّ مِنْهَا قَلْبُ
 الْحَافِظِينَ . وَتَدْنُغُ أَدِيمَ الْجَسَدِ عَلَى مَرَمَرِ الْجَدِيدِينَ . وَتُنْسِي صَخْرَةَ
 السُّوَالِ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُنْسِي عَطْفَانَ . غُرْبَةً سِنَانٍ . فَقَالَ لِي جَبِيرُ
 الْأَيَّامِ : أَلْهَجْرَةُ مِنْ سُنَنِ الْكِرَامِ . كَمَا فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ .
 وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ
 حَبَّ لَهُ الْأَسْفَارُ . فَزَجَرَتْ السَّانِحَ وَالْبَارِحَ . وَالطَّائِرَ الْغَادِيَّ
 وَالرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَنْبَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَغْرَمَ مِنَ الْبَلَجِ .
 فَمَسَّكَتُ بِذَيْلِ الْحَزْمِ . وَصَمَمْتُ عَلَى الْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

بِقَوْلِكَ طَه سَافِرُوا تَعْمُوا لَقَدْ بَدَّالِي قَالَ فِي الْمَطَالِبِ رَاحُ
 فَمَا خَطُّ فِي رَمَلٍ وَلَا طَرَقَ الْحَصَى كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي السَّرَابِ سَوَاحِجُ
 وَجَنَّبْتُ الْجِيَادَ إِلَى الْمَهَارِيِّ . وَلَيْسَتْ حُلَّةٌ دُجَى مُزْدَرَّةً بِالْذَّرَارِيِّ .
 مَعَ صُفُورٍ عَلَى مُتُونِ أَعْوَجِيَّاتٍ وَرِكَابٍ . بِأَقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرَفُّ بَيْنَ غُرَزِ
 وَرِكَابٍ . عَلَى سُفْنِ ذُوْدٍ وَزَوَارِقَ . وَسُرُوجِ سَوَاحِجٍ فِي بِحَارِ السَّرَابِ
 غَوَارِقَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا أَلَالُ . بَيْنَ رِفَاقِ صَحْبٍ وَآلٍ . عَلَى عَيْسٍ
 مَا لَهَا غَيْرُ النَّصَبِ عِقَالُ . وَظُهُورِ سَوَاحِجٍ مَا لَهَا غَيْرُ الْكَلَالِ شِكَالُ .
 حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى الْخُورَتِقِ وَالسَّيْدِرِ . وَأَتَخْنَا مَطَايَا الْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ
 وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ . وَطَوَدَهَا الَّذِي لَهُ بِسَفْحِهَا أَرْفَعُ سَنَدٍ .

قَالُوا : هُوَ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ . الْمُقْرِطُسُ سِهَامُ أَرَاهُ مِنْ أَعَزِّ كِنَانَةٍ .
 شَيْخٌ لَيْسَ عَمَّا نَحْمُ دَهْرِهِ الثَّلَاثَ . فَهِيَ عَلَى هَامَةِ هَمَّتِهِ ثَلَاثٌ . مِنْ
 شَجَرَةٍ مُورِقَةٍ النَّسَبِ . مُثْمِرَةٍ بِبَالِغِ ثَمَارِ الْحَسَبِ . جَاهُهُ عَرِيضٌ
 طَوِيلٌ . فَائِضٌ عَلَى الْعَدُوِّ وَالْخَلِيلِ . وَطِبُّ شِمَائِلِهِ فِي كُلِّ نَادٍ أَنْتَشَرَ .
 قَعْمَةُ رَوْصَاتٍ تَرْدِي الزَّهَرَ . هَيَّجَهَا نَضْحٌ مِنْ نَضْحِ السَّحَرِ . فَقُلْتُ :
 بَخِ الْجَاهُ زَكَاةُ الشَّرَفِ . وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَقَدْ
 أَنْتَصَفَ . وَمَنْ تَرَدَّى بِسَاطِعِ الْأَنْوَارِ . وَاحْتَبَى بِحَبَاءِ الْوَقَارِ . وَلَمْ
 يَبْقَ لَهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ . فَالْسَّعَادَةُ لَهُ شِعَارٌ وَدَنَارٌ . فَقُلْتُ :
 سَافِضٌ لَهُ وَعَلَى أَجَلٍ رِدَاً . وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي رُقَّتِي عَدَاً . فَلَمَّا
 عَطَسَ الصَّبَاحُ . وَشَمَّتَهُ كُلُّ ذَاتِ جَنَاحٍ . وَرَفَعَتْ ذُكَاةُ رَأْسِهَا
 مِنْ مَشْرِقِ الْأَنْوَارِ . فَاشْرَقَتْ عَلَى عَالَمِ الْكُونِ وَالْأَسَادِ لِشَاهِدِمَا
 فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ . أَتَيْتُ دَارَهُ . فَرَأَيْتُ بُدُورَهَا لِلْمَنَازِلِ دَارَةً . دَارُ
 يُسَافِرُ بِهَا النَّظَرُ . وَيَتَسَاقَى فِي مُحَاسِنِهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ . دَاخِلُهَا يَهُوُّ
 وَقُصُورُ . وَسَرَادِقُ لَا يَعْرِفُ كَمَالَهُ الْقُصُورُ . فِي صَدْرِهَا هُمَامٌ خَلْفَهُ
 وَسَادَةٌ . أَحَدَقَ بِهِ وَجُوهُ أَعْيَانٍ وَسِيَادَةٌ . يَنْتَفِسُونَ بِأَنْفَاسِ النُّعَامِ .
 بَيْنَ أَوْرَاقِ رِيحَانٍ وَخُرَامِي :

لَوْ أَنْصَفُوهُ لَقَامُوا فِي مَجَالِسِهِ عَلَى الرُّؤُوسِ قِيَامَ الظَّلِّ فِي الْمَاءِ
 قُلْتُ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ وَيَاكَ . وَلَا زَالَتْ مِشْكَاةُ أَنْسِكَ مُشْرِقَةً
 بِمُجَيَّاكَ . فَرَدَّ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَمَا رَدَّهَا . وَأَمَدَّهَا بِطَلَاقَةِ بَشْرِ

كَانَتْ سُلَّمًا لِكِرَامَةٍ أَعَدَّهَا . وَحَوْلَهُ مِنْ حَوَاشِيهِ فِئَامٌ . وَأَغْصَانُ
 غِلْمَانٍ يَنَادِيهِ قِيَامٌ . كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . يَتَهَلَّلُ إِشْرُهُمْ بِكُلِّ
 خَيْرٍ وَمَيِّرٌ . فِي رَوْضٍ نَادٍ مُثْمِرٍ مُورِقٍ . عَلَيْهِ تَحَايِلُ جُودٍ مُغْدِقٍ .
 فَتَجَادَبْنَا أَهْدَابَ الْحَدِيثِ . وَأَتَى بِنَوَادِرَ حَارَةٍ مِنْ كُلِّ تَلِيدٍ وَحَدِيثٍ .
 فَلَمَّا خُضْنَا لُجَّةَ الْكَلَامِ وَوَقَفْتَ الْأَقْلَامُ عَلَى سَاحِلِ الْتِمَامِ . قَالَ لِي :
 هَاتِ مِنْ هُنَاكَ . وَأَنْشِدْنِي مَا قَلْتَهُ مِنْ أَيْيَاتِكَ . فَأَنْشَدْتُهُ مِنْهَا :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَى عَضْبَةٍ لِيَرْوِعَنِي وَاحِدٌ غَرْبُهُ ^{حده}
 وَأَسَالَ مِنْ جَفْنِي كَرَاهُ مُرَانِمًا وَأَسَالَ غَرْبُهُ بِجَرَى الدَّمْعِ
 وَأَجَالَنِي فِي الْأَفْقِ أَطَا ^{وي} شَرْقُهُ وَأَجُوبُ غَرْبُهُ ^{مغربه}
 فَبِكُلِّ جَوْ طَلَمَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبُهُ ^{غروب}
 وَكَذَا الْمُعَرَّبُ شَخْصُهُ مُتَغَرَّبٌ وَتَوَاهُ غَرْبُهُ ^{بعيده}
 فَلَمَّا أَرْتَوَى الْحَدِيثُ مِنْ أَعْدَابِ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ . وَرَجَعَ الْحَوَارُ
 حَارَّ النَّوَادِرِ . بَارِدَ الْبَوَادِرِ . قَالَ : لَا قُضِيَ اللَّهُ قَاكَ . وَلَا أَقْضَى فِي
 مَهْدِ الْمُنَا مَثْوَاكَ . فَقَدْ تَرَكْتَ بَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ . وَجَلَوْتَ خَرَائِدَ فِكْرِكَ
 فِي مَعْرِضِ أَنْيَقٍ . وَلَمْ تُنْثِرْ دُرُرَ الْمَدَامِيعِ . إِلَّا مِنْ دُرٍّ مُودَعٍ فِي
 صَدْفِ السَّمَاعِ . وَمَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ . وَأَهْوَنَ السَّقَمِ عَلَى
 الْعَائِدِ . وَقَدْ أَصَبْتَ دَارًا لِمَقَامِهِ . فَأَنْتَ جَارُ أَبِي دَاوُدَ بَدَارِ الْكَرَامَةِ .
 فَأَلْزَمَهُ لُزُومَ الطُّوقِ جِيدَ الْحَمَامَةِ . فَأَمَّا لَكَ لَا تَظْمَأُ بِهَذَا الْمَقَامِ .
 وَكَيْفَ يَظْمَأُ مَنْ كَانَ جَارَ الْغَنَامِ :

مَا بَيْنَ عَصْرِ سَابِقٍ مُتَلَفِتٍ شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَا حَقٍ يَتَطَلَّعُ

نخبة من مقامات بدیع الرمان الصمداني

المقامة الاهوازية

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رُقَّةٍ مَتَى مَا
تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلَ . لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرُدُ بِكُرِّ الْأَمَالِ . أَوْ مَخْطُ
حَسَنِ الْإِقْبَالِ . مَرْجُوا الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِ . فَأَقْضِنَا فِي الْعَشْرِ كَيْفَ
نَضَعُ قَوَاعِدَهَا . وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا . وَالشَّرْبَ فِي أَيِّ
وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ . وَالْأُلْسَ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ . وَقَابَتِ الْحُظُّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ .
وَالشَّرَابَ مِنْ أَيْنَ نَحْصَلُهُ . وَالْمَجْلِسَ كَيْفَ نُزَيِّنُهُ . فَقَالَ : أَحْمِلْنَا عَلَى
الْيَتِّ وَالنَّزْلِ . وَقَالَ آخَرُ : عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ . وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى
الْمَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طَمْرَيْنٍ فِي يَمِينِهِ عِكَازَةٌ . وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَازَةٌ .
فَقَطَّيْرُنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا . وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا .
فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ . وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ . وَقَالَ :
لَتَرْنَهَا صُغْرًا . وَلَتَرَكْنَهَا كَرْهًا وَقَسْرًا . مَا لَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ مِنْ مَطْيَةٍ
رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرَكِبَهَا أَخْلَافُكُمْ . وَتَتَقَدَّرُونَ سَرِيًّا وَطِيًّا أَبَاؤُكُمْ .
وَسَيِّطَاهُ أَبْنَاؤُكُمْ . أَمَا وَاللَّهِ لَنُحْمَلَنَّ عَلَى هَذِهِ الْعِيدَانِ . إِلَى تِلْكَ
الْدِيدَانِ . وَلَنَنْقَلَنَّ بِهَذِهِ الْحِيَادِ . إِلَى تِلْكَ الْوَهَادِ . وَقَدْ حَانَ حِينُهُ
وَيُحْكَمُ تَطَيَّرُونَ . كَأَنَّكُمْ تُخَيَّرُونَ . وَتَتَكَرَّهُونَ . كَأَنَّكُمْ مُنْزَهُونَ .
هَلْ تَنْفَعُ هَذِهِ الطَّيْرَةُ . يَا فَجْرَةَ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلَقَدْ نَعَصَ

مَا كُنَّا عَقْدَنَاهُ . وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ . فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَحْوَجَنَا
إِلَى وَعْظِكَ . وَأَعَشَقْنَا لِلْفُظْلِكَ . وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ قَالَ : إِنْ وَدَّكُمْ
مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عَشْرِينَ حِجَّةً :
وَإِنْ أَمَرَا قَدْ سَارَ عَشْرِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ .
يُعَالِمُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلْمٍ وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعِلْمٍ . فَلْيَكُنِ
الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ . لَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ . فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشَعَرْتُمُوهُ لَمْ
تَجْعَلُوهُ . وَمَتَى ذَكَّرْتُمُوهُ لَمْ تَمُرُّوهُ . وَإِنْ تَسَيِّتُمُوهُ فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ .
وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ زَائِرُكُمْ . قُلْنَا : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : أَطْوَلُ مِنْ أَنْ
تُحَدَّ . وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ . قُلْنَا : فَسَاجِ الْوَقْتِ . قَالَ : رَدُّ قَائِتِ
الْعُمُرِ . وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَمْرِ . قُلْنَا : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ
مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرِهَا . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا

المقامة القزوينية

٤٩ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : غَزَوْتُ الثُّغَرَ بِقَرْوَيْنَ . سَنَةَ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ . فَمِنْ غَزَاهُ . فَمَا أَجَزْنَا حَرْنَا . إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنَا . حَتَّى وَقَفَ
السَّيْرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا . فَمَالَتِ الْمَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ . فِي
خُجْرَتِهَا عَيْنٌ كِلْسَانِ الشَّمْعَةِ . أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ . تَسْجِي فِي الرِّضَا ضَا .
سَجَّ النَّضْضَا ض . فَمِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نِلْنَا . ثُمَّ مِلْنَا إِلَى الظِّلِّ فَقُلْنَا . فَمَا
مَلَكْنَا النَّوْمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا نَكَّرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ فَذَادَ عَنِ الْقَوْمِ .

رَأَيْدَ النَّوْمِ . وَفَتَحْتُ التَّوَامِينَ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتْ الْأَشْجَارُ دُونَهُ .
وَأَصْبَغْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ . عَلَى إِيْقَاعِ الطُّبُولِ :

أَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَهَلْ مِنْ حُجْبٍ إِلَى ذَرَى رَحْبٍ وَمَرْمَى خَصِيبٍ
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَعِيبُ
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ ثَائِبٌ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبُ
إِنْ أَكْ أَمَنْتُمْ فَكَمْ لَيْلَةٍ حَجَّدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ الْمُرِيبُ
يَا رَبِّ خِزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبُ
ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ وَأَنْتَ أَشَانِي مِنْ ذِلَّةِ الْكُفْرِ أَجْتِهَادُ الْمَصِيبُ
فَظَلْتُ أَخْفِي الدِّينَ فِي أَسْرَتِي وَأَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبُ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ الْعُدَى وَلَا أَرَى الْكُفَّةَ خَوْفَ الرَّقِيبُ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ إِذَا جَنَنِي لَيْلٍ وَأَضْأَانِي يَوْمَ عَصِيبُ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْفَذْتَنِي فَفَجَنَنِي إِنِّي فِيهِمْ غَرِيبُ
ثُمَّ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى الْعَزْمِ أَمَامِي جَنِيبُ
فَهَذَا مِنْ سِرِّي فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبُ
حَتَّى إِذَا جُرْتُ بِلَادِ الْعُدَى إِلَى حِمَى الدِّينِ نَقَضْتُ الْوَجِيبُ
فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ الْهُدَى نَصْرُ مَنْ اللَّهَ وَقَفَّحُ قَرِيبُ
فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا أَلَيْتُ قَالَ : يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعِزِّ لَا الْعِشْقُ
شَاقَهُ . وَلَا الْفَقْرُ سَاقَهُ . وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا .
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَخِيَلًا مُسَوِّمَةً . وَقَطَائِرَ مُقَنْطَرَةً . وَعُدَّةً وَعَدِيدًا .

وَمَرَّابٍ وَعَيْدًا . وَخَرَجَتْ خُرُوجَ الْحَيَّةِ مِنْ خُجْرِهِ . وَرَزَتْ بُرُوزَ
 الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ . مُؤَثِّرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ . جَامِعًا يَمْتَنِي إِلَى يُسْرَايَ .
 وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ . فَلَوْ دَفَعْتُ النَّارَ بِسَرَارِهَا . وَرَمَيْتُ الرُّومَ
 بِحِجَارِهَا . وَأَعْتَمْتُوْنِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا . وَمَرَّافِدَةً وَإِرْقَادًا .
 وَلَا شَطَطَ فَكُلُّ عَلَى قَدَرٍ قُدْرَتِهِ . وَحَسَبَ ثُرُوتِهِ . وَلَا أَسْتَكْثِرُ
 الْبِدْرَةَ . وَأَقِلُّ الذَّرَّةَ . وَلَا أَرُدُّ الثَّمَرَةَ . وَلِكُلِّ مَنِّي سَهْمَانٍ سَهْمُ أَذَلِّهِ
 لِلْقَاءِ . وَآخِرُ أَفْوَقِهِ بِاللُّعَاءِ . وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ
 الظَّمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفْزَنِي رَائِعُ الْقَاطِلِهِ وَسَرُوتُ
 جَلْبَابِ الثُّومِ . وَعَدَوْتُ إِلَى الْقُومِ . فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو أَنْفَحِ
 الْإِسْكَندَرِيِّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمَزَ عَلِيٍّ
 بِعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَاتَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ .
 ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلُوتُ بِهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ النَّبِيطِ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مِنَ الزَّمَا نِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ
 نَسَبِي فِي يَدِ الزَّمَا نِ إِذَا سَلِمَهُ أَنْقَلَبِ
 أَنَا أُمْسِي مِنَ النَّبِيِّ طِ وَأُضْحِي مِنَ الْعَرَبِ

المقامة الناجية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةٍ فَضُلِّ
 مِنْ رُقْعَاتِي فَتَذَاكَرْنَا الْقَصَاحَةَ . وَمَا وَدَعْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا
 الْبَابُ . فَقُلْتُ : مَنْ الْمُنْتَابُ . فَقَالَ : وَقَدْ لَلَّيْلَ وَرَيْدُهُ . وَقُلُّ الْجُوعِ

وَطَرِيدُهُ . وَغَرِيبُ نَضْوِهِ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونِ قُرْبَيْهِ
مَهَامُهُ فَيْحٌ . وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ .
فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَتَخْنَا رَاحِلَتَهُ . وَجَمَعْنَا رِحْلَتَهُ . وَقُلْنَا : دَارَكَ
أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَأَفَيْتَ . وَهَلُمَّ أَلَيْتَ . وَتَحَكَّنَا إِلَيْهِ وَرَجَّئْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ
ضَالَّتَهُ وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَيْعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أُنْسَ . وَقُلْنَا : مَنْ الطَّالِعُ
بِمَشْرِقِهِ . أَتَهَاتَيْنِ بِمَنْطِقِهِ . فَقَالَ : لَا يَعْرِفُ الْعُودُ كَالْعَاجِمِ . وَأَنَا
الْمَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ . عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبَرِهِ . فَعَصَرْتُ أَعْصَرَهُ .
وَحَلَبْتُ أَشْطَرَهُ . وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ .
وَالْغُرْبَةَ لِأَذَوْهَا مَا لَحَنَنِي أَرْضٌ إِلَّا فَتَاتَ عَيْنَهَا . وَلَا أَنْتَضَمْتُ رَهْقَةً
إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا . فَأَنَا فِي الشَّرْقِ أَذْكَرُ . وَفِي الْغَرْبِ لَا أَنْكَرُ . فَمَا مَلَكَ
إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطِهِ . وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَفْتُ بِسَاطِهِ . وَمَا سَكَنْتُ حَرْبٌ
إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا . قَدْ جَرَّبَنِي الدَّهْرُ فِي زَمَنِي رِضَائِهِ وَبُؤْسِهِ .
وَلَقِينِي بِوَجْهِ بَشَرِهِ وَعُيُوسِهِ . فَمَا بَحْتُ لِبُؤْسِهِ إِلَّا لِبُؤْسِهِ :
وَإِنْ كَانَ صَرَفُ الدَّهْرِ قَدَمًا أَضْرَبِي وَهَلَّلَنِي مِنْ رِيهِ مَا يُجَمِّلُ
فَقَدْ جَاءَ بِالْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي مَحَلَّةَ صَدَقٍ لَيْسَ عَنْهَا مَحْوَلُ
قُلْنَا : لَا فَضَّ فُوكَ . وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ . مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا
عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ النُّطْقُ إِلَّا لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَعَرَّبْتَ . وَمَا
الَّذِي يَجِدُوا أَمْلَكَ أَمَامَكَ . وَيُسَوِّقُ غَرَضَكَ قُدَامَكَ . قَالَ : أَمَّا
الْوَطَنُ . فَأَلَيْنِ وَأَمَّا الْوَطَرُ . فَأَلْطَرُ . وَأَمَّا السَّائِقُ فَأَلْضُرُ . وَالْعَيْشُ

الرُّ. قُلْنَا : فَلَوْ أَقَمْتَ بِهَذَا الْمَكَانِ لَهَاسَنَّاكَ الْعُمْرَ فَأُدُونَهُ وَلَصَادَفْتَ
مِنَ الْأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ . وَمِنَ الْأَنْوَاءِ مَا يُكْرَعُ . قَالَ : مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ
صَحْبًا . وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِتَاءَكُمْ رَحْبًا . وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لَا يُرْوِي
الْعِطَاشَ . قُلْنَا : فَأَيُّ الْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ . قَالَ : مَطَرُ خَافِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَجِسْتَانَ أَتَيْتُهَا الرَّا حِلَهَ وَبَحْرًا يَوْمُ الْمُنَى سَاحِلَهَ

سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مَائَةٍ كَامِلَهَ

وَفَضْلُ الْأَمِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهَ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ . وَأَقْبْنَا بَعْدَهُ بَرْهَةً نَشْتَاقُهُ .
وَيَوْمَ لَمَّا فَرَّاقَهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ مِنْ سَمِطِ الثَّرْيَا جُلُوسٌ إِذِ الْمَرَاكِبُ
تُسَاقُ وَالْجَنَابُ يُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا : مَنْ أُلْهَاجِمُ .
فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ . يَرْفُلُ فِي نَيْلِ الْمُنَى . وَذَلِيلِ الْغِنَى . فَصَمْنَا إِلَيْهِ
مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا : مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ . فَقَالَ : جِهَالٌ مُوقَرَّةٌ وَيَغَالٌ
مُثْقَلَةٌ . وَحَقَائِبٌ مُثْقَلَةٌ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا خَلْفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتَهَا

مَا يُسْبِغُ أَلْعَافِينَ إِلَّا هَاكُمَا لَفْظًا وَلَيْسَ يُجِبَابُ إِلَّا هَاتِيهَا

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجِهٍ يَبِضُ وَكَانَ الْحَالُ فِي وَجْهَاتِهَا

بِأَبِي شَمَائِلَهَ الَّتِي تَجْلُو الْعُلَا وَبِدَا تَرَى الْبُرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا

مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتٍ دَهْرٍ إِنِّي مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَسَأَلْنَا اللَّهَ بِقَاءَهُ . وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ .

وَأَقَامَ النَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا
يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ آيَامِهِ . وَالتَّحْدِثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعية

٥١ حَكَّى الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ . قَالَ : أَزَمَعْتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرَقْعِيدَ .
وَقَدْ شَمْتُ بَرَقْعِيدَ . فَكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدُ بِهَا
يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرَضِهِ وَتَفْلِهِ . وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَحْلِهِ . أَتَيْتُ
السَّنَةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ . وَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَجِئْتُ أَلْتَمَّ جَمْعُ
الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ . وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكُظْمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي سَمَلَيْنِ . مُحْجُوبُ
الْمُقَلَّتَيْنِ . وَقَدْ اعْتَصَدَ شِبْهَ الْخَلَاةِ . وَاسْتَفَادَ لِحْجُوزٍ كَالسَّعْلَةِ .
فَوَقَفَ وَفَقَّةَ مُتَهَاتِفٍ . وَحَيًّا حَيَّةَ خَافٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ
خَمْسَةَ فِي وَعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُنِينَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاحِ . فِي أَوَانِ
الْفَرَاغِ . فَنَاولَهُنَّ عَجُوزَهُ الْحِزْبُونَ . وَأَمَرَهَا بَأَن تَتَوَسَّمِ الزَّيُونَ . فَمَنْ
أَلَسَتْ نَدَى يَدَيْهِ . أَلَقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَا حَ لِي الْقَدَرُ
الْمُعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبُ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنًا بِبُخْغَالٍ وَمُخْتَالٍ وَمُعْتَالٍ
وَحَوَانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ قَالَ لِي لِإِقْلَالِي
وِإِعْمَالِي مِنَ الْعُمَا لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي

فَكَمْ أَصْلِي بِأَذْحَالٍ وَإِنْحَالٍ وَزَحَالٍ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
قَلْبَتِ الدَّهْرَ لَمَّا جَا رَ أَطْفَا لِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَإِلِي
وَلَا جَرَزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَنْحَبٍ إِذْ لَالِي
فَفِجْرَابِي آخَرِي بِي وَأَنْمَالِي أَنْسَى لِي
فَهَلْ حُرِّي تَنْجِيهِ فِ أَنْثَالِي بِمِثَالٍ
وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَيَّاتِ ثُبْتُ إِلَى
مَعْرِفَةِ مُلْحَمَهَا . وَرَاقِمِ عِلْمَهَا . فَتَجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ .
وَأَقْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ الْمَعْرِفِ يُجُوزُ . فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَشْرِى الصُّفُوفَ ،
صَفَا صَفَاءً . وَتَسْتَوَكِفُّ الْأَكْفَ كَهْمًا كَهْمًا . وَمَا إِنْ يَنْجَحُّ لَهَا عَنَاءُ . وَلَا
يَرِشَحُّ عَلَى يَدَيْهَا إِنَاءُ . فَلَمَّا أَكْدَى اسْتِعْطَافُهَا . وَكَدَّهَا مَطَافُهَا . عَادَتْ
بِالِاسْتِرْجَاعِ . وَمَالَتْ إِلَى إِزْجَاعِ الرِّقَاعِ . وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
رُفْعَتِي . فَلَمْ يَنْجُ إِلَى بُقْعَتِي . وَآبَتْ إِلَى الشَّيْخِ بَاكِئَةٍ لِلْحُرْمَانِ . شَاكِئَةٍ
لِحَامِلِ الزَّمَانِ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ . وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي السَّوَاوِي بَدَا السَّوَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِي النَّفْسِ وَعِدِيهَا. وَأَجْعِي الرِّقَاعَ وَعُدِيهَا. فَقَالَتْ:
 لَقَدْ عَدَدْتُهَا. لَمَّا اسْتَعْدْتُهَا. فَوَجَدْتُ بِدَ الصِّيَاعِ. قَدْ غَالَتْ إِحْدَى
 الرِّقَاعِ. فَقَالَ: تَعَسَا لَكَ يَا لَكَاعِ. ائْتَحْرَمُ وَيَحْكُ الْقَنْصَ وَالْحِبَالَةَ.
 وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَ. إِنَّمَا لَضِغْتُ عَلَى إِبَالَةٍ. فَأَنْصَاعَتْ تَقْصُرُ مَذْرَجَهَا.
 وَتَشُدُّ مَذْرَجَهَا. فَلَمَّا دَأَنْتَنِي قَرَنْتُ بِالرَّقْمَةِ دِرْهَمًا وَقِطْعَةً. وَقُلْتُ لَهَا:
 إِنْ رَغِبْتَ فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ. وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ. فَبُوجِيَ بِالسَّرِ
 الْمُبْهَمِ. وَإِنْ أَبَيْتُ أَنْ تَشْرِي. فَخِذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي. فَقَالَتْ إِلَى
 اسْتَخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ. وَالْأَلْبَجِ الْمُهْمِ. وَقَالَتْ: دَعِ جَدَّكَ. وَسَلِّ عَمَّا
 بَدَّكَ. فَاسْتَطَلَعْتُهَا. طَلَعَ الشَّيْخُ وَبَلَدَتْهُ. وَالشَّعْرُ وَنَاسِجَ بُرْدَتِهِ.
 فَقَالَتْ: إِنْ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سُرُوجٍ. وَهُوَ الَّذِي وَشَّى الشَّعْرَ الْمُنْسُوجَ.
 ثُمَّ خَطَبَتْ الدَّرْهَمَ خُطْفَةً الْبَاشِقِ. وَمَرَقَتْ مَرُوقَ السَّهْمِ
 الرَّاشِقِ. فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ. وَتَأَجَّجَ كَرْنِي
 لِمَصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ. وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيَهُ وَأَنَاجِيَهُ. لِأَنْجِمُ عَوْدَ فِرَاسَتِي فِيهِ.
 وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَحْطِي رِقَابِ الْجَمْعِ. الْمُنْهِي عَنْهُ فِي الشَّرْعِ.
 وَعَفْتُ أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ. أَوْ يَسْرِي إِلَيَّ لَوْمٌ. فَسَدَّكَ بِكَانِي.
 وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي. إِلَى أَنْ أَنْقَضَتِ الْخُطْبَةُ. وَحَقَّتِ الْوُثْبَةُ.
 فَخَفَّتْ إِلَيْهِ. وَتَوَسَّمَتْهُ عَلَى الْتِحَامِ جَفْنَيْهِ. فَإِذَا الْمِعْيَتِي الْعَمِيَّةُ ابْنُ
 عَبَّاسٍ. وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ. فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي. وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ
 قُصِي. وَأَهْبَتْ بِهِ إِلَى قُرْصِي. فَهَشَّ لِمَارِفَتِي وَعِرْفَانِي. وَلَبَّى دَعْوَةَ

رُغْفَانِي . وَأَنْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ . وَظِلِّي إِمَامُهُ . وَالْحَجُوزُ ثَالِثُهُ الْآثَانِي .
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَمْتَحِي عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنِّي . وَأَخْضَرْتُهُ
عَجَالَةً مُكْنِي . قَالَ لِي : بَا حَارِثُ أَمَعْنَا ثَالِثُ . فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا
الْحَجُوزُ . قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ تَحْجُوزُ . ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتِيهِ . وَرَأَى بِتَوَاقُوتِهِ .
فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَبْقَدَانِ . كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ
بَصَرِهِ . وَتَحَبَّبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيرِهِ . وَلَمْ يُبْقِنِي قَرَارُ . وَلَا طَاوَعَنِي
أَصْطِبَارُ . حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي . مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي .
وَجَوَابِكَ الْمَوَامِي . وَإِنْعَالِكَ فِي الْمَرَامِي . فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ . وَتَشَاغَلَ
بِاللَّهْنَةِ . حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ . أَتَانِي إِلَى نَظَرِهِ . وَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَتْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمِّي وَلَا غُرُوبَ أَنْ يَجْذُوا لِقَى حَذَوِ وَالِدِهِ
ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْهَضْ إِلَى الْخُدَعِ فَأَتِنِي بِغُسُولِ يَدُوقِ الطَّرَفِ .
وَبِنْيِ الْكَفِّ . وَبِنِعْمِ الْبَشَرَةِ . وَيُعْطِرُ الْكُفْمَةَ . وَيَشْدُ اللَّثَّةَ . وَيَقْوِي
الْمَعْدَةَ . وَلَيْكِنْ نَظِيفِ الطَّرَفِ . أَرْبِجِ الْعَرَفِ . فَنِيَّ الدَّقِّ . نَاعِمِ
الْسَّقِّ . يَحْسَبُهُ الْأَلَمِسُ ذُرُورًا . وَيَحَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا . وَأَقْرَنِي بِهِ
خِلَالَةَ نَفْيَةِ الْأَصْلِ . مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ . أُنَيْقَةَ الشَّكْلِ مَدْنَعًا إِلَى
الْأَكْلِ . لَهَا مَحَافَةُ الصَّبِّ . وَصَقَالَةُ الْعُضْبِ . وَآلَةُ الْحَرْبِ . وَلِدُونُهُ
الْعُضْنِ الرُّطْبِ . قَالَ : فَهَضْتُ فِيمَا أَمَرَ . لِأَذْرَاعِهِ الْعَمْرِ . وَلَمْ أَهْمِ
إِلَى أَنَّهُ قَصْدَانُ يَخْدَعُ . بِإِدْخَالِي الْخُدَعِ . وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنْ

الرَّسُولِ . فِي اسْتِدْعَاءِ الْحِلَالَةِ وَالنُّسُولِ . فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمَتَسِّسِ . فِي
أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ . وَجَدْتُ الْجَوْ قَدْ حَلَا . وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ
أَجْفَلَا . فَاسْتَشْطُتُ مِنْ مَكْرِهِ عَضْبًا . وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا . فَكَانَ
كَمَنْ قَسَّ فِي الْمَاءِ . أَوْ عَرَجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ

المقامة الاسكندرية

٥٢ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ طَحْيَابِي مَرَحُ الشَّبَابِ . وَهَوَى الْأَكْتِسَابِ .
إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ قَرَعَاتِهِ . وَغَاةِ . أَخْوَصِ الْعِمَارِ . لِأَجْنِي التَّمَارِ .
وَأَفْحَمِ الْأَخْطَارِ . لِكَيْ أُدْرِكَ الْأَوْطَارَ . وَكُنْتُ لَقِيتُ مِنْ أَقْوَاهِ
الْعُلَمَاءِ . وَتَقَفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ . أَنَّهُ يُلْزَمُ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ . إِذَا
دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ . أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ . وَيَسْتَخَاصَ مَرَاضِيَهُ . لِيَسْتَدَّ
ظَهْرَهُ عِنْدَ الْحِصَامِ . وَيَأْمَنَ فِي الزُّبُرَةِ جُورَ الْحُكَامِ . فَأَتَّخَذْتُ هَذَا
الْأَدَبَ إِمَامًا . وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا . فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً . وَلَا وَجَلْتُ
عَرِيَةً . إِلَّا وَأَمْتَرَجْتُ بِحَاكِمِهَا أَمْتَرَجَ أُمَاءُ بِالرَّاحِ . وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ
تَقَوَّيَ الْأَجْسَادُ بِالْأَرْوَاحِ . فَيَنِمُّ أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ . فِي
عَشِيَّةِ عَرِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ الصَّدَقَاتِ . لِيَفْضُهُ عَلَى ذَوِي الْهَقَاقِ .
إِذَا دَخَلَ شَيْخُ غَفْرِيَّةٍ . تَعَلَّهُ أَمْرًا مُصِيبَةً . فَقَالَتْ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ .
وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِيَّ . إِنِّي أَمْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ حُرُثِ مَمْلُوكَةٍ . وَأَطْهَرِ أَرْوَمَةٍ .
وَأَشْرَفِ خُوُولَةٍ وَعُمُومَةٍ . مِيسِي الصَّوْنُ . وَشَيْبَتِي الْهُونُ . وَحُلِّي نَعْمَ
الْعَوْنُ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بُونُ . وَكَانَ أَيُّ إِذَا خَطَبَنِي بُنَاةُ الْحُجْدِ .

وَأَرْبَابُ الْجِدِّ . سَكَنَتْهُمْ وَبَكَّتْهُمْ . وَعَافَ وَصَلَتْهُمْ وَصَلَتْهُمْ . وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ
عَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِخَلْفَةٍ . أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْقَةٍ . فَقَبَضَ الْقَدْرُ
لِنَصِي . وَوَصِي . أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدْعَةَ نَادِي أَبِي . فَأَقْسَمَ بَيْنَ
رَهْطِهِ . أَنَّهُ وَفَّقُ شَرْطِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَّمُ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ .
فَبَاغَهُمَا بِدُرَّةٍ . فَأَغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرَفَةِ مُحَالِهِ . وَزَوْجِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ .
فَلَمَّا اسْتَحْرَجَنِي مِنْ كِلَابِي . وَرَحَّلَنِي عَنْ أَنَابِي . وَنَقَلَنِي إِلَى
كُسْرِهِ . وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ . وَجَدْتُهُ قَعْدَةً جُثَّةً . وَآلَيْتُهُ ضُجْعَةً
نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ وَرِي . وَأَثَابَ وَرِي . فَمَا بَرَحَ يَبِيعُهُ فِي
سُوقِ الْهَضْمِ . وَيَتْلَفُ ثَمَنَهُ فِي الْخُضْمِ . وَالْقَضْمِ . إِلَى أَنْ مَزَقَ مَا لِي
بِأَسْرِهِ . وَأَنْفَقَ مَا لِي فِي عُسْرِهِ . فَلَمَّا أَنَسَانِي طَعْمُ الرَّاحَةِ . وَغَادَرَ بَيْتِي
أَنْتَقَى مِنَ الرَّاحَةِ . قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ لَا مَحْجَبَ بَعْدَ بُوسٍ . وَلَا عِطْرَ بَعْدَ
عُرُوسٍ . فَأَنْهَضَ لِلْإِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ . وَأَجْنَبَنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ .
فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدِ رُمِيتَ بِالْكَسَادِ . لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْقَسَادِ .
وَلِي مِنْهُ سَلَالَةٌ . كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ . وَكَلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةٌ . وَلَا تَرْقَأُ لَهُ
مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ . وَقَدْ قُدْتُهِ إِلَيْكَ . وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ . لَتَعْمَجَ عُودُ
دَعْوَاهُ . وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ . فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ
وَعَيْتُ قِصَصَ عِرْسِكَ . فَبَرَهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ . وَإِلَّا كَشَفْتُ
عَنْ لَبْسِكَ . وَأَمَرْتُ بِجَنْبِكَ . فَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْأَفْعَوَانِ . ثُمَّ شَمَّرَ
لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ . وَقَالَ :

اِسْتَمِعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُتَجَبُّ
 أَنَا أَمْرُو لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبٌ
 سَرُوحُ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينِ أَنْتَسِبُ
 وَشُغْلِي الدَّرْسُ وَالتَّجَرُّ فِي آلِ عِلْمٍ طِلَافِي وَحَبْدَا الطَّلَبُ
 وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْخُطْبُ
 أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْتَارُ الْإِلَافِي مِنْهَا وَأَتَخَبُّ
 وَأَجْتَنِي الْإِلَانِغَ الْجَنِيِّ مِنْ آلِ قَوْلٍ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
 وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةٌ فَإِذَا مَا صُنْعُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
 وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَمْتَرِي نَشَابًا بِالْأَدَبِ الْمُتَقَنِّي وَأَخْتَلِبُ
 وَيَمْتَطِي أَنْخَصِي لِحَرَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ قَوْقَهَا رُبُّ
 وَطَالَمَا زُفْتُ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
 فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرِّجَاءَ بِهِ أَكْثَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ الْأَدَبُ
 لَا عِرْضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبُ
 كَانَهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ حَيْفُ يُبْعَدُ مِنْ تَنْهَكَ وَيُجْتَنَّبُ
 فَحَارَ لِي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنَ الْإِلَافِي وَصَرَفَهَا عَجَبُ
 وَصَاقَ دَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدَيِ وَسَاوَرَتِي الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
 وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُؤْلِكِ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
 فَبَعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَتَاتُ إِلَيْهِ أَنْفَلَبُ
 وَادَنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِقَتِي بِحِمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ الْحُشَا عَلَى سَفَبٍ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضْنِي السُّغَبُ
 لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَارَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ
 فَجَاتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةً وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ مُكْتَبُ
 وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَثْتُ بِهِ حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الْغَضَبُ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا قَوْهُمَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْنَسُ
 أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَهَا زَخَرْتُ قَوْلِي لِيُنْجَحَ الْأَرْبُ
 قَوْلَ الَّذِي سَارَتْ الرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحْمُهَا النُّجُبُ
 مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ حُلُقِي وَلَا شِعَارِي التَّنْوِيهِ وَالْكَذِبُ
 وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيْطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاعِ وَالْكَتُبُ
 بَلْ فِكْرَتِي تَنْظُمُ الْقَلَانِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي الْمُنْظُومَ لَا السُّغَبُ
 فَهَذِهِ الْحِرْقَةُ الْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ لُحْوِي بِهَا وَأَجْتَلِبُ
 فَأَذِنَ لِشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَأَحْكُمْ بِمَا يَجِبُ
 قَالَ : فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ . وَأَكْمَلَ إِشَادَهُ . عَطَفَ الْقَاضِي إِلَى

الْفَتَاةِ . بَعْدَ أَنْ شُفِعَ بِالْآيَاتِ وَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ
 الْحُكَّامِ . وَوَلَاةِ الْأَحْكَامِ . انْقِرَاضُ جِيلِ الْكِرَامِ . وَمِثْلُ الْأَيَّامِ
 إِلَى اللَّتَامِ . وَإِنِّي لِأَخَالُ بِعَلْكَ صَدُوقًا فِي الْكَلَامِ . بَرِيئًا مِنَ الْمَلَامِ .
 وَهَاهُوَ قَدْ اعْتَرَفَ لَكَ بِالْقَرْضِ . وَصَرَّحَ عَنِ الْخُضِ . وَبَيَّنَّ مُصْداقَ
 النَّظْمِ . وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ الْعَظَمِ . وَإِعْنَاتُ الْمُعْذِرِ مَلَامَةٌ . وَحَبْسُ
 الْمُسِيرِ مَالَةٌ . وَكَيْفَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ . وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ .

فَارْجِعِي إِلَى خِذْرِكَ . وَاعْذِرِي أَبَا عُذْرِكَ . وَنَهَيْهِ عَنْ غَرْبِكَ . وَسَلِّمِي
لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً . وَنَاوِلَهَا مِنْ
دَرَاهِمِهَا قَبْضَةً . وَقَالَ لَهَا : تَعْلَامِي هَذِهِ أَلْهَالَةُ . وَتَدْرِي هَذِهِ أَلْبَلَّةُ .
وَأَصْبِرْ أَعْلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ . فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَتَحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ
عِنْدِهِ . فَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرَحَةٌ الْمَطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ . وَهَزَّةُ الْمُوَسِّرِ بَعْدَ
الْإِعْسَارِ . قَالَ الرَّاوي : وَكُنْتُ عُرِفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةً بَرَّغَتْ شَمْسُهُ .
وَرَبَّغَتْ عِرْسُهُ . وَكِدْتُ أَفْصِحُ عَنْ أَفْتِنَانِهِ . وَأَثَارِ أَفْتَانِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ
مِنْ غُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ . وَتَرْوِيْقِ لِسَانِهِ . فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْقَانِهِ أَنْ
يُرْسِخَهُ لِإِحْسَانِهِ . فَأَحْجَمْتُ عَنْ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ . وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ
كَهَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ . إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلَ . وَوَصَلْتُ إِلَى مَا
وَصَلَّ : لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ . لَا تَأَنَّا بِفَصِّ خَبْرِهِ . وَبِمَا يُنْشَرُ
مِنْ حَبْرِهِ . فَأَتْبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدُ أَمْنَائِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَاءِهِ .
فَمَا لَيْتَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهِّدًا . وَفَقِيرٌ مُتَهَقِّقًا . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : مَهِّم .
يَا أَبَا مَرْيَمَ . فَقَالَ : لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا . وَسَمِعْتُ مَا أُنْشَأُ لِي طَرَبًا . فَقَالَ
لَهُ : مَاذَا رَأَيْتَ . وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ . قَالَ : لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ
يُصَفِّقُ يَدَيْهِ . وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ . وَيُعْرِدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ وَيَقُولُ :
كَدْتُ أَصْلِي بِبَلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيَّةٍ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْأِسْكَندَرِيَّةِ
فَصَحِّحْ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِيَّتُهُ . وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ . فَلَمَّا فَاءَ

إِلَى الْوَقَارِ . وَعَقَّبَ الْأَسْتِغْرَابَ بِالْأَسْتِغْفَارِ . قَالَ : اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ
عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ . حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَادِبِينَ . ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ :
عَلَيَّ بِهِ . فَأَنْطَلَقَ مُجِدًّا بِطَلْبِهِ . ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَيْلَةٍ . خَيْرًا بِنَأْيِهِ . فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ . لَكُنِّي الْحَذَرَ . ثُمَّ لَأَوَّلِيتهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى .
وَلَأَرَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى . قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا
رَأَيْتُ صَغُورَ الْقَاضِي إِلَيْهِ . وَقَوْتَ ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . غَشِيَتْنِي نَدَامَةٌ
أُفْرَزْدَقِي حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ . وَالْكَسْعِي لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارُ

المقامة البغدادية

٥٣ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : نَدَوْتُ بِضَوَاحِي الزُّورَاءِ مَعَ
مَشِيخَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ . لَا يَلْقَى لَهُمْ مُبَارٍ بِنُبَارٍ . وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ فِي
مِضْمَارٍ . فَأَقْضَنَا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ الْأَزْهَارَ . إِلَى أَنْ نَصَفْنَا النَّهَارَ . فَلَمَّا
غَاضَ دَرُّ الْأَفْكَارِ . وَصَبَتْ النُّفُوسُ إِلَى الْأَوْكَارِ . لَحْنًا عَجُوزًا تُقِيلُ
مِنَ الْبُعْدِ . وَتُخَضِّرُ إِحْضَارَ الْجُرْدِ . وَقَدْ اسْتَلَّتْ صَبِيَّةٌ أَنْحَفَ مِنَ
الْمُغَازِلِ . وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ . فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْنَا . أَنْ عَرَّتْنَا . حَتَّى
إِذَا مَا حَضَرَتْنَا . قَالَتْ : حَيَّ اللَّهُ الْمُعَارِفَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَارِفَ .
أَعْلَمُوا يَا مَالِ الْأَمَلِ . وَثَمَالِ الْأَرَامِلِ . أَتِي مِنْ سَرَوَاتِ الْقَبَائِلِ .
وَسَرِيَّاتِ الْعَقَائِلِ . لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يَحْلُونَ الصَّدْرَ وَيَسِيرُونَ الْقَلْبَ .
وَيَمِطُونَ الظَّهْرَ . وَيُولُونَ الْيَدَ . فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الْأَعْضَادَ . وَفَجَعَ
بِالْجَوَارِحِ الْأَكْبَادَ . وَأَنْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ . نَبَا النَّاطِرُ . وَجَعَا الْحَاجِبُ .

وَذَهَبَ الْعَيْنُ. وَفُتِدَتِ الرَّاحَةُ. وَصَلَدَ الزَّنْدُ. وَوَهَّتِ الْعَيْنُ.
 وَضَاعَ الْيَسَارُ. وَبَانَتْ الْمِرَافِقُ. وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثِيَّةٌ وَلَا نَابٌ. قَدْ أَغْبَرَّ
 الْعَيْشُ الْأَخْضَرَ. وَأَزْوَرَ الْحُجُوبَ الْأَصْفَرَ. أَسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضُ.
 وَأَبْيَضَ فَوْدِي الْأَسْوَدُ. حَتَّى رَنَى لِي الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ. فَحَبَّذَا الْمَوْتُ
 الْأَحْمَرُ. وَتَلَوِي مَنْ تَرَوْنِ عَيْنَهُ قَرَارَهُ. وَتَرْجَاهُ أَصْفَرَارَهُ. فَصَوَى
 بَيْتَهُ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةً. وَفُصَارَى أُمْنِيَّتُهُ بُرْدَةً. وَكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا
 أَبْذُلَ الْحُرَّ إِلَّا لِلْحُرِّ. وَلَوْ أَنِّي مِتُّ مِنَ الضَّرِّ. وَقَدْ نَاجَتْنِي الْقُرُونَةُ.
 بَانَ تَوَجَّدَ عِنْدَكُمْ الْمَعُونَةُ. وَأَذْنَتْنِي فِرَاسَةُ الْحُوبَاءِ. بِأَنْتُمْ يَتَابِعُ
 الْحُبَاءِ. فَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا أَبْرَقَسِي. وَصَدَّقَ تَوْحِييَ. وَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنِ
 يُعْذِيهَا الْجُمُودُ. وَيُقْذِيهَا الْجُودُ. قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَاشِمٍ: فَهَمْنَا لِبِرَاعَةِ
 عِبَارَتِهَا. وَمُخِ اسْتِعَارَتِهَا. وَقُلْنَا لَهَا: قَدْ قَتَنَ كَلَامُكَ. فَكَيْفَ الْحَالُ مَكِ.
 هَالَتْ: أَفْخَرُ الصَّخْرِ. وَلَا فَخْرَ. فَقُلْنَا: إِنْ جَعَلْتَا مِنْ رُؤَايَاكَ. لَمْ نَبْخُلْ
 بِمَوَاسِيَاكَ. فَقَالَتْ: لَا رَيْنَكُمْ أَوْلَا شِعَارِي. ثُمَّ لَا رُوَيْنَكُمْ أَشْعَارِي.
 فَأَبْرَزَتْ رُذْنَ دِرْعِ دَرِيْسٍ. وَبَرَزَتْ بَرَزَ عَجُوزَ دَرْدَبِيْسٍ. وَأَنْشَدَتْ:
 أَشْكُو إِلَى اللَّهِ اشْتِكَاءَ الْمَرِيضِ رَيْبَ الزَّمَانِ الْمُتَعَدِّيِ الْبَيْضِ
 يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أَنْاسٍ غَنَوَا دَهْرًا وَجَفَنَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ غَضِيضُ
 فَخَارِهِمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعُ وَصِيَّتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِضُ
 كَانُوا إِذَا مَا مُجْعَةٌ أَغَوَزَتْ فِي السَّنَةِ الشَّهْبَاءُ رَوْضًا أَرِيضُ
 تُشِبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانَهُمْ وَيُطْعِمُونَ الضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضُ

مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاقِبًا وَلَا لِرَوْعٍ قَالَ حَالُ الْجَرِيضِ
 قَبِضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى بِحَارِ جُودٍ لَمْ تَنْخَلْهَا تَقِيزُ
 وَأَوْدَعَتْ مِنْهُمْ بَطُونُ الثَّرَى أَسَدَ التَّحَامِي وَأَسَاةَ الْمَرِيضِ
 فَحَمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْفَقَاعِ الْخَضِيضِ
 وَأَفْرُخِي مَا تَأْتِي تَشْتَكِي بُوْسَالَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضِ
 إِذَا دَعَا الثَّانِي فِي لَيْلِهِ مَوْلَاهُ نَادَوْهُ يَدْمَعُ يَفِيزُ
 يَارَازِقَ النَّعَابِ فِي عُشِهِ وَجَارِ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ الْمِيْضِ
 أَتَيْحَ لَنَا اللَّهُمَّ مِنْ عِرْضِهِ مِنْ دَنَسِ الدَّمِ نَبِي رَجِيضِ
 يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ بِمَذْقَةٍ مِنْ حَارِرٍ أَوْ نَحِيضِ
 فَهَلْ فَتَى يَكْشِفُ مَا نَلَبَهُمْ وَيَنْقُمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضِ
 قَالَ الرَّأَوِي : قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَ بِأَيَّتِهَا أَعْشَارَ الْقُلُوبِ .

وَأَسْتَخْرَجْتَ خَبَايَا الْجُيُوبِ . حَتَّى مَا حَمَاهَا مِنْ دِيْنِهِ الْإِمْتِيَا حُ . وَأَرَاتَا حُ
 لِرَفْدِهَا مِنْ لَمْ تَنْخَلْ بِرَاتَا حُ . فَلَمَّا أَفْعَوْعَمَ جِيْبَهَا تَبْرًا . وَأَوَلَاهَا كُلُّ مَنَا
 بِرًا . قَوْلْتُ يَتْلُوهَا الْأَصَاغِرُ . وَفُوهَا بِالشُّكْرِ فَانْعُرُ . فَأَشْرَأَبَتْ الْجَمَاعَةُ
 بَعْدَ مَرَّهَا . إِلَى سَبْرَهَا . لِتَبْلُوَ مَوَاقِعَ بَرِّهَا . فَكَفَلْتُ لَهُمْ بِاسْتِثْبَاتِ
 السِّرِّ الْمُرْمُوزِ . وَهَضَّتْ أَقْفُؤُا ثَرُ الْعُجُوزِ . حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى سُوقِ
 مُغْتَصَبَةٍ بِالْأَنَامِ . مُخْتَصَبَةٍ بِالرَّحَامِ . فَأَتَعَمَسَتْ فِي الْعُمَارِ . وَأَمَّاسَتْ
 مِنَ الصَّبِيَةِ الْأَنْعَامِ . ثُمَّ عَاجَتْ يُحْلُو بِالِ إِلَى مَسْجِدِ خَالِ . فَأَمَّا طَتِ
 الْحِلَابِ . وَنَضَّتِ النِّقَابَ . وَأَنَا أَلْمَحُّهَا مِنْ خِصَاصِ الْبَابِ . وَأَرْقُبُ مَا

سَبْدِي مِنَ النِّجَابِ . فَلَمَّا انْصَرَتْ أَهْبَةُ الْحَقْرِ . رَأَيْتُ مُحْيَاً أَبِي زَيْدٍ
 قَدْ سَفَرَ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ . لِأَعْنِفَهُ عَلَى مَا أَعْرَى إِلَيْهِ . فَاسْلُتَنِي
 أَسْلِمَاءَ الْمُتَمَرِّدِينَ . ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ الْمُعَرِّدِينَ . وَأَنْدَفَعَ يُنْشِدُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَذْهَرِي أَحَاطَ عِلْمًا بِقَدْرِي
 وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي فِي الْخَدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
 كَمْ قَدْ قَرَّتْ بَيْنَهُ بِحِيلِي وَبِمَكْرِي
 وَكَمْ بَرَزَتْ بِمُفْرِ عَلَيْهِمُ وَبِدُكْرِي
 أَصْطَادُ قَوْمًا يَوْعُظُ وَآخِرِينَ بِشِعْرِي
 وَأَسْتَفْزُ بِحُلِّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِي
 وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرِي
 وَلَوْ سَلَكَتُ سَيْلًا مَأْلُوفَةً طَوْلَ غَمْرِي
 لَحَابَ قِدْحِي وَقِدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَحُسْرِي
 قُلْ لِمَنْ لَمْ هَذَا عُذْرِي قَدُونَاكَ عُذْرِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا ظَهَرَتْ عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرُهُ . وَبَدِيعَةُ أَمْرِهِ .
 وَمَا زَخَرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ . عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ أَلْرِيدَ . لَا يَسْمَعُ
 التَّنْذِيرَ . وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . فَكَلَّمْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي . وَأَبْثَنُكُمْ
 مَا أَثْبَتُهُ عِيَانِي . فَوَجَّوْا لِضَيْعَةِ الْجَوَائِزِ . وَتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ الْحَجَازِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : شَتَوْتُ بِالْكَرَجِ لِذَيْنِ أَقْضِيهِ .

وَأَرْبٍ أَقْضِيهِ . فَلَبْتُ مِنْ شَتَائِهَا الْكَالِحَ . وَصِرَهَا النَّافِحَ . مَا عَرَفَنِي
 جَهْدَ أَلْبَاءَ . وَعَكَفَ بِي عَلَى الْأَصْطَلَاءِ . فَلَمْ أَكُنْ أَزَايِلُ وَجَارِي . وَلَا
 مُسْتَوْقِدَ نَارِي . إِلَّا لَاضْرُورَةَ أَدْفَعُ إِلَيْهَا . أَوْ إِقَامَةَ جَمَاعَةٍ أَحَافِظُ عَلَيْهَا .
 فَأَضْطَرَرْتُ فِي يَوْمٍ جَوْهَ مَرْمَرٍ . وَدَجَنَهُ مَكْفَهَرٍ . إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ
 كِنَانِي . لِيُهِمَّ عَنَانِي . فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي الْجِلْدَةِ . بَادِي الْجُرْدَةِ . وَقَدْ
 أَعْتَمَ بِرَبِطَةٍ . وَاسْتَشَفَّ بِفُيُوطَةٍ . وَحَوَالِيهِ جَمْعٌ كَثِيفٌ الْحَوَاشِي . وَهُوَ
 يُنْشِدُ وَلَا يُجَاسِي :

| | |
|--|---|
| يَا قَوْمَ لَا يُبَيِّتُكُمْ عَنْ قَهْرِي | أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَّانُ الْقَهْرِ |
| فَاعْتَبِرُوا بِمَا بَدَأَ مِنْ ضَرْيِ | بَاطِنِ حَالِي وَخَفِيِّ أَمْرِي |
| وَحَادِرُوا أَنْقِلَابَ سِلْمِ الدَّهْرِ | فَإِنِّي كُنْتُ نَبِيَهُ الْقَدْرِ |
| أَوْيَ إِلَى وَفَرٍ وَحَدٍّ يَنْفَرِي | تُفِيدُ صَفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي |
| وَتَشْتَكِي كَوْمِي غَدَاةَ أَقْرِي | فَجَرَدَ الدَّهْرُ سَيْفَ الْقَدْرِ |
| وَشَنَّ غَارَاتِ الرِّزَايَا الْقَبْرِ | وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَحْنِي وَيَبْرِي |
| حَتَّى عَقَتْ دَارِي وَعَاضَ دَرِي | وَبَارَ سَعْرِي فِي الْوَرَى وَشَعْرِي |
| وَصِرْتُ نَضْوَ فَاقَةٍ وَعُسْرِ | عَارِي الْمَطَا مَجْرَدًا مِنْ قَهْرِي |
| كَأَنِّي الْمَنْزَلُ فِي التَّعْرِي | لَا دِفْءَ لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّنْبَرِ |
| غَيْرُ النَّصْبِي وَأَصْطِلَاءِ الْجَمْرِ | فَهَلْ خَضَمَ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِي |
| يَسْتُرُنِي بِمُطَرَفٍ أَوْ طَهْرِ | طِلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لَا لِشُكْرِي |
| ثُمَّ قَالَ : يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ . الرَّاغِبِينَ فِي الْفِرَاءِ . مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا | |

فَلْيَتَّقِ . وَمَنْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ . فَإِنَّ الدُّنْيَا غَرُورٌ . وَالْآخِرَةُ
عَشُورٌ . وَالْمُكْنَةُ زُورَةٌ طَيْفٌ . وَالْفُرْصَةُ بُزْءٌ صَيْفٌ . وَإِنِّي وَاللَّهِ
لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ . وَأَعَدَدْتُ الْأُحْبَ لَهْ قَبْلَ مُوَفَاتِهِ . وَهَذَا
أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي . سَاعِدِي وَسَادَتِي . وَجِلْدَتِي . بُرْدَتِي . وَحَفْنَتِي .
جَفْنَتِي . فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي . وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي . فَإِنَّ السَّعِيدَ
مَنْ أُنَظَّ بِسِوَاهُ . وَأُسْتَعِدَّ لِمَسْرَاهُ . فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَاوَتْ عَيْنَا أَدَبَكَ .
فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ . فَقَالَ : تَبًّا لِمُتَغَيِّرٍ . بِعَظَمِ مُخَيَّرٍ . إِنَّمَا أَتَفَخَّرُ بِأَتَقَى .
وَالْأَدَبُ الْمُتَقَى . ثُمَّ أُنْشِدَ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أُمِّهِ
وَمَا أَتَفَخَّرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْفَخَارُ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحَقِّقًا . وَأَجْرَنُثْمَ مُقَقِّقًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَرَ
بِنَوَالِهِ . وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ . أَعِنِّي عَلَى الْبُرْدِ وَأَهْوَالِهِ . وَأَتَّحِ لِي حُرًّا يُؤَثِّرُ
مِنْ خِصَاصِيهِ . وَيُؤَاسِي وَلَوْ بِمُصَاصِيهِ . قَالَ الرَّأْيِي : فَلَمَّا جَلَّى عَنْ
النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ . وَاللَّحِ الْأَضْمِيَّةِ . جَعَلَتْ مَلَأَحُ عَيْنِي تَعَجُّهُ .
وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُهُ . حَتَّى اسْتَبْتُّ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ . وَأَنَّ تَعْرِيَهُ أَحْبُولُهُ
صَيْدٍ . وَلَحِ هُوَ أَنْ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكُهُ . وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتَكُهُ . فَقَالَ :
أَفْسِمُ بِالسَّرِّ وَالْقَمَرِ . وَالزُّهْرِ وَالزَّهَرِ . إِنَّهُ أَنْ يَسْتَرِّيَنِ إِلَّا مَنْ
طَابَ خِيَمُهُ . وَأَشْرَبَ مَاءَ الْمُرُوءَةِ أَدِيمُهُ . فَعَقَلْتُ مَا عَاهُهُ . وَإِنْ لَمْ يَذِرْ
أَلْقَوْمَ مُعَانَهُ . وَسَاءَ لِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ الرِّعْدَةِ . وَأَفْشَعَارِ الْجِلْدَةِ . فَعَمَدَتْ

لَهْرَوَةٌ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاسِي . وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي . فَضَوُّهَا عَنِّي . وَقُلْتُ
لَهُ : أَقْبِلْهَا مِنِّي . فَمَا كَذَّبَ أَنْ أَقْرَأَهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أُنْشَدَ .
لِلَّهِ مِنَ الْبَسَنِ فَرَوَةٌ أَصَحَّتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جُنَّةٌ
الْبَسَنِهَا وَاقِيًا مُهَجِّجِي وَفِي شَرِّ الْإِنْسِ وَأَجْنَّةِ
سَيِّئَاتِي الْيَوْمَ ثِنَائِي وَفِي غَدٍ سَيِّئَاتِي سُندُسُ الْجَنَّةِ
قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ . بِإِفْتِنَانِهِ فِي الْبِرَاءَةِ . أَلْقَوْا عَلَيْهِ
مِنَ الْفِرَاءِ الْمُنَشَّاةِ . وَالْجِبَابِ الْمَوْشَاةِ . مَا آدَهُ يُقْلَهُ . وَلَمْ يَكْذِبْهُ .
فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ . مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعَهُ إِلَى حَيْثُ
أَرْتَفَعَتِ النَّفْيَةُ . وَبَدَتْ السَّمَاءُ نَفِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ
الْبَرْدُ . فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيَكْ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ . سُرْعَةُ
الْعَدْلِ . فَلَا تَهْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْمٌ . وَلَا تَتَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .
فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ . وَطَيَّبَ تَرْبَةَ طَيْبَةٍ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لَرَحْتُ بِالْخَيْبَةِ .
وَصَفَرَ الْعَيْبَةَ . ثُمَّ تَزَعَّ إِلَى الْفِرَارِ . وَتَبَرَّقَعَ بِالْإِكْفَهَرَارِ . وَقَالَ : أَمَا
تَعْلَمُ أَنَّ شَيْئَنِي إِلَّا تَقَالَ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَإِلَّا تَعْطَافُ مِنْ عَمْرٍو
إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عَقَنْتَنِي وَعَقَّيْتَنِي . وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي .
فَأَغْنِي عَاقَاكَ اللَّهُ مِنْ لَعْنِكَ . وَأَسَدُّ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ .
فَجَبَذَتْهُ جَبَذَ التَّلْمَاعَةِ . وَجَحَّجَتْهُ بِهِ لِلدُّعَاةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
أَوَارِكَ . وَأَعْطَيْ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتُ إِلَى صَلَاةٍ . وَلَا أَنْقَلَبْتُ أَكْسَى
مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَارَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتَرَنِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

تَسْمَعُ لِي بِرِدِّ الْقُرْوَةِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ الشُّتْوَةِ . فَظَنَرُ إِلَيَّ نَظَرَ
الْمُسْتَجِبِ . وَأَزْهَرَ أَرْهَارَ الْمُنْغَضِبِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ الْقُرْوَةِ فَأَبْدُ
مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّائِرِ . وَالْمَيْتِ الْغَائِرِ . وَأَمَّا كَافَاتِ الشُّتْوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ
طَعَّ عَلَى ذَهْنِكَ . وَأَوْهَى وَعَاءَ خَزْنِكَ . حَتَّى أَنْسَيْتَ مَا أَنْشَدْتُكَ
بِالْذِّكْرِ . لِأَنْ سَكَّرَهُ :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ سَبْعُ إِذَا الْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا
كِنْ وَكَيْسُ وَكَائُونُ وَكَاسُ طَلَا بَعْدَ الْكِبَابِ وَكَفُّ نَاعِمٍ وَكِسَا
ثُمَّ قَالَ : لَجَوَابُ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جِلْبَابٍ يُدْفِي . فَأَكْتَفِ بِمَا
وَعَيْتَ وَأَنْكَفِي . فَقَارَفْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فِرَوْتِي لِشِقْوَتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى
الرِّعْدَةِ طُولَ شَتَوَتِي

المقامة التفليسية

٥٥ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى مُذِ يَفْعُ .
أَنْ لَا أُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جُوبِ الْقُلُوبِ . وَلَهُوَ
الْحُلُوبِ . أُرَاعِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ . وَأَحَاطِرُ مِنْ مَأْتَمِ الْقَوَاتِ . وَإِذَا
رَاقَتْ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَّتْ بِحِلَّةٍ . مَرَحْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا .
وَأَقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَأَتَقَّقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِسَ . أَنْ صَلَّيْتُ
مَعَ زُمْرَةِ مَقَالِيسَ . فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ . فَأَزْمَعْنَا الْإِنْفِلَاتَ . بَرَزَ شَيْخٌ
بَادِي الْقُوَّةِ . بَالِي الْكُسُوفَةِ وَالْقُوَّةِ . فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ
طِينَةِ الْحَرِّيَّةِ . وَتَفُوقَ دَرِّ الْعَصَبِيَّةِ . إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبَّةٌ . وَأَسْتَمَعَ

مِنِّي نَفْثَةٌ . ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدُ . وَيَدِهِ الْبَذْلُ وَالرَّدُّ . فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ
الْحُجْبَى . وَرَسَوْا أَمْثَالَ الرُّبِيِّ . فَلَمَّا آتَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ . وَرَزَانَةَ
حَصَاتِهِمْ . قَالَ : يَا أُولِي الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةِ . وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ . أَمَا
يُغْنِي عَنْ الْخَبَرِ الْعِيَانُ . وَيُنْبِي عَنْ النَّارِ الدُّخَانُ . شَيْبٌ لَا يُخْ .
وَوَهْنٌ فَادِيحٌ . وَدَاهٍ وَاضِحٌ . وَالْبَاطِنُ فَفَاضِحٌ . وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ
بِمَنْ مَلَكَ وَمَالَ . وَوَلِيٍّ وَآلٍ . وَرَقْصٍ وَأَنَالَ . وَوَصَلَ وَصَالَ . فَلَمْ
تَرَلِ الْجَوَائِحُ تَسْحَتُ . وَالنَّوَابِ تَنْحَتُ . حَتَّى الْوَكْرُ قَفْرُ . وَالْكَفُ
صَفْرُ . وَالشَّعَارُ ضَرْ . وَالْعَيْشُ مَرْ . وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ مِنَ الطَّوَى .
وَيَتَمَنُّونَ مُصَاصَةَ النَّوَى . وَلَمْ أَفْمِ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ . وَانْكَشَفَ لَكُمْ
الدَّفَائِنَ . إِلَّا بَعْدَ مَا شَفِيتُ وَلَقِيتُ . وَشَبْتُ بِمَا لَقِيتُ . فَلَيْتَنِي لَمْ
أَكُنْ بَقِيتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْأَسِيفِ . وَأَنَشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ :
أَشْكُرُ إِلَى الرَّحْمَنِ سُجْدَانَهُ . تَقَلَّبَ الدَّهْرُ وَعُدْوَانَهُ
وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرَوْتِي وَقَوَّضَتْ نَجْدِي وَبُيَّانَهُ
وَاهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَا وَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَانَهُ
وَأَمَحَلَتْ رَبْعِي حَتَّى جَلَتْ مِنْ رَبْعِي التَّمَحِلُ جِرْدَانَهُ
وَعَادَرْتَنِي حَارًّا بَارًّا أَكْبَادُ الْفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَحَا ثُرْوَةً يَسْجَبُ فِي النِّعْمَةِ أَرْدَانَهُ
بَحْتِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَانَهُ
فَاضْجِعِ الْيَوْمَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ

وَأَزُودَ مَنْ كَانَ لَهُ زَارًا وَعَافَ عَافِيَ الْعَرْفِ عِرْقَانَهُ
 فَهَلْ فَتَى يَحْزُنُهُ مَا بَرَى مِنْ ضَرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
 فَيَفْرَجَ أَلْهَمَ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِي شَانَهُ
 قَالَ الرَّأْيِي : فَصَبَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَنْبِطَهُ . لِنَسْتَنْبِطَ خُبَانَهُ .
 وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيقَتَهُ . فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُبْنِكَ . وَرَأَيْنَا دَرَّ
 مُزْنِكَ . فَعَرَفْنَا دَوْحَةَ شُغْنِكَ . وَأَحْسِرِ اللَّثَامَ عَنْ نَسْبَتِكَ . فَأَعْرَضَ
 إِعْرَاضَ مَنْ مَنَى بِالْإِعْنَاتِ . وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ . وَيَتَأَفَّفُ
 مِنْ تَغْيِضِ الْمُرُوءَاتِ . ثُمَّ أُنْشِدَ بِلَفْظٍ صَادِعٍ . وَجَرَسٍ خَادِعٍ :
 لَمَسْرُكٍ مَا كُلُّ قَرَعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ الَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
 فَكُلُّ مَا حَلَا حِينَ تَوَقَّى بِهِ وَلَا تَسْأَلِ الشَّهَدَ عَنْ نَحْلِهِ
 وَمِيزِ إِذَا مَا اعْتَصَرَتِ الْكُرُومُ سُلَافَةً عَصْرِكَ مِنْ خَلِهِ
 لِنُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خَبَرِهِ وَتَشْرِي كَلًّا شَرَى مِثْلِهِ
 فَعَارَ عَلَى الْقَطَنِ الْوُدَّعِي دُخُولَ الْعَمِيرَةِ فِي عَقْلِهِ
 قَالَ : فَأَزْدَهِمُ الْقَوْمُ بِدَكَائِهِ وَدَهَائِهِ . وَأَخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ
 دَائِهِ . حَتَّى جَعَلُوا لَهُ خَبَايَا الْخُبْنِ . وَخَفَايَا الْكُثْبِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا هَذَا
 إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ . وَتَعَرَّضْتَ لِحَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ . فَخُذْ هَذِهِ الصُّبَابَةَ .
 وَهَبْهَا لَا خَطَأَ وَلَا إِصَابَةَ . فَتَزَلَّ قُلُوبُهُمْ مَنَزَلَةَ الْكُثْرِ . وَوَصَلَ قَوْلُهُ
 بِالشُّكْرِ . ثُمَّ تَوَلَّى يَحْمِلُ شِقَّةَهُ . وَيَنْهَبُ بِالْخَبْطِ طَرَقَهُ . قَالَ الْخَبِيرُ بِهِذِهِ
 الْحِكَايَةِ : فَصُورِلِي أَنَّهُ يُحْمِلُ لِحَلَّتِهِ . مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ . فَهَمَزَتْ

أَنْهَجُ مِنْهَا جَهْ . وَأَقْفُوا أَدْرَاجَهُ . وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَرًّا . وَيُوسِعُنِي هَجْرًا .
 حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ . وَأَمَكُنَ التَّحْقِيقُ . نَظَرُ إِلَى نَظَرٍ مِنْ هَشٍّ وَبَشٍّ .
 وَمَا حَضَ بَعْدَ مَا عَشَّ . وَقَالَ : إِنِّي لَا إِخْلَاكَ أَخَا غَرِيَّةٍ . وَرَأَيْدُ صُحْبَةٍ .
 قَهْلُ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيُزِفُ . وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ . قُلْتُ
 لَهُ : لَوْ أَنَّنِي هَذَا الرَّفِيقُ . لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي : قَدْ وَجَدْتَ
 فَأَعْتَبْتُ . وَأَسْتَكْرَمْتَ فَأَرْتَبْتُ . ثُمَّ صَحَّكَ مَلِيًّا . وَتَمَثَّلَ لِي بِشَرًّا
 سَوِيًّا . فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السُّرُوجِيُّ لَا قَلْبَةَ بِجَسَمِهِ . وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ .
 فَفَرَحْتُ بِلِقَائِهِ . وَكَذِبَ لِقَوْتِهِ . وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ . عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ .
 فَشَحَا فَاَهُ . وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرَثٍ لِكَيْمَا يُقَالَ قَفِيرٌ يُرْجَى الزَّمَانُ الْمُرْجَى
 وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنَّ قَدْ فُلِحْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَى
 وَلَوْلَا الرِّئَاثَةُ لَمْ يَرِثْ لِي وَلَوْلَا التَّفَالُحُ لَمْ أَلْقَ فَلَجَا
 ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ . وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ .
 فَإِنْ كُنْتُ الرَّفِيقُ . فَأَلْطَرِيقُ الطَّرِيقُ . فَمَسَرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدِينَ .
 وَرَاقَشْتُهُ عَامِينَ أَجْرَ دَيْنٍ . وَكُنْتُ عَلَى أَنَّ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ . فَأَبَى
 الدَّهْرُ الْمُسْتُ

المقامة المروية

٥٦ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : حُبَّ إِلَى مُذْ سَعَتْ قَدَمِي .
 وَنَقَتْ قَلْبِي . أَنَّ أَخَذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً . وَالْإِفْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْمَةً .

فَكُنْتُ أَنْتَبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخَزَنَةِ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أَلْقَيْتُ مِنْهُمْ بَغِيَّةَ
الْمُلْتَمَسِ . وَجُذُوءَ الْمُفْتَيْسِ . شَدَدَتْ يَدَيَّ بِعَزِيهِ . وَاسْتَنْزَلَتْ مِنْهُ
زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى أَتَى لَمْ أَلْقَ كَالسُّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ السُّجْبِ . وَوَضَعَ
الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّثْبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَهْرِ
فِي الثَّقَلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَاسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ . أَرْغَبُ فِي
الْإِعْتِرَابِ . وَاسْتَعْدِبُ السَّفَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ . فَلَمَّا
تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرَوْ . وَلَا غَرَوْ . بَشَّرَنِي بِمَلَقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالتَّعَالُ
الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلْقَى
الْقَوَافِلِ . فَلَا أُجِدُّ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْرًا . حَتَّى غَابَ
الْيَاسُ الطَّمَعِ . وَأُزْوَى التَّائِمِلُ وَانْقَمَعَ . فَإِنِّي لَذَاتُ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ
وَالِي مَرَوْ . وَكَانَ مِنْ جَمْعِ الْفَضْلِ وَالسَّرَوْ . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقِ
بِمَلَاقٍ . وَخُلِقَ مَلَاقٍ . فَحَيَّا الْوَالِيَّ تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ . إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّلَاجِ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْلَمَ وَقِيَتَ الدِّمِّ . وَكُفَيْتَ أَلْهَمَ . أَنَّ مِنْ عُدِيَّتْ بِهِ
الْأَعْمَالُ . أَعْلَقَتْ بِهِ الْأَمَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ
الْحَاجَاتُ . وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ . أَدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ . كَمَا
يُؤَدِّي زَكَاةَ النِّعَمِ . وَالتَّرَمَ لِأَهْلِ الْحُرْمِ . مَا يُلْتَرَمُ لِلْأَهْلِ وَالْحُرْمِ . وَقَدْ
أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مَضْرَكِ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُرْجَى الرَّاكِبُ إِلَى
حَرَمِكَ . وَتُرْجَى الرَّاغِبُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتُنْزَلُ الْمُطَالِبُ بِسَاحَتِكَ .
وَتُسْتَنْزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .

وَلِحَسَانِهِ لَدَيْكَ عَمِيمًا . ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرَبَّ بَعْدَ الْأَثَرِ . وَعَدِمَ
 الْأَعْشَابَ حِينَ شَابَ . فَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ نَارِحَةٍ . وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ .
 أَمَلُ مِنْ بَحْرِكَ دَفْعَةً . وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً . وَالتَّامِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلُ
 السَّائِلِ . وَتَائِلُ النَّائِلِ . فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . وَأَحْسِنْ كَمَا
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُلَوِيَ عِذَارَكَ . عَمَّنْ أَرْدَارَكَ . وَأَمَّ
 دَارَكَ . أَوْ تَقْضِ رَاحَكَ . عَمَّنْ أَمْتَاكَ . وَأَمْتَارَ سَمَاكَ . فَوَاللَّهِ
 مَا مَجَّدَ مِنْ جَدِّ . وَلَا رَشَدَ مِنْ حَشَدٍ . بَلِ اللَّيْبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ .
 وَإِنْ بَدَأَ بِمَائِدَةٍ عَادَ . وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتُوْهِبَ الذَّهَبَ . لَمْ يَهَبْ
 أَنْ يَهَبَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكْلَ غَرَسِهِ . وَرَضِدُ مَطِيْبَةٍ نَفْسِهِ .
 وَأَحَبُّ الْوَلِيِّ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُظِفَتْهُ مُمْدُ . أَمْ لَقِرِمَتْهُ مَدْدُ . فَأَطْرَقَ
 يُرْوِي فِي اسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ . وَاسْتِشْفَافِ فِرْنِدِهِ . وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ
 سِرُّ صَمْتِهِ . وَإِرْجَاءُ صِلَتِهِ . فَتَوَغَّرَ غَضَبًا . وَأَنْشَدَ مَقْتَضِبًا :

لَا تَحْفَرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ لِأَنْ بَدَأَ خَلَقَ السَّرْبَالَ سُبْرُونًَا
 وَلَا تُضِغْ لِأَخِي التَّامِيلِ حُرْمَتَهُ أَكَانَ ذَا لَسَنِ أَمْ كَانَ سَكِينًا
 وَأَنْفَحْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُحْتَبَطًا وَأَنْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أَلْقَيْتَ مِنْكُونا
 فَحَيْرُ مَالٍ أَلْقَى مَالًا أَشَادَ لَهُ ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صِينًا
 وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهَبَةٍ غَبْنٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتًا
 لَوْلَا الرُّوءُةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ قَطَنِ إِذَا أَشْرَابَ إِلَى مَا حَاوَزَ الْهُوَاتِ
 لَكِنَّهُ لَا بِنَاءَ أَلْجَدِ جَدٍّ وَمَنْ حَبَّ السَّمَا حَ ثَنَى تَحْوِ الْعُلَى لِينَا

وَمَا تَنْشَقْ نَشَرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ إِلَّا وَأَزْرَى بِبَشَرِ الْمِسْكِ مَقْشُورًا
وَالْحَمْدُ وَالْبُحْلُ لَمْ يُقْضَ أَجْنَاعُهُمَا حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتًا
وَالسَّمْعُ فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ خِلَافُهُ وَالْجَلَدُ الْكَفِّ مَا يَنْفَكُ مَمْشُورًا
وَالشَّيْخُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ يُوسِعُهُ أَبَدًا ذِمًّا وَتَبْكِيَةً
فَقَدْ بَمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَسَبٍ حَتَّى يَرَى مُجْتَدِي جَدِّوَاكَ مَبْهُورًا
فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : تَأَلَّاهُ لَقَدْ أَحْسَنْتَ . فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ .
فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ غُرْضٍ . وَأَشَدَّ وَهُوَ مُنْغَضٌ :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مِنْ أَبَوَيْهِ وَرُزْ خِلَالَهُ ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ قَاصِرِمِ
فَمَا يَشِينُ السُّلَافَ حِينَ حَلَا مَذَاهِبُهَا كَوْنُهَا ابْنَةُ الْحَصَرِ
قَالَ : فَتَرَبُّهُ الْوَالِي لِيَايَةِ الْقَائِنِ . حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ الْحَاتِنِ . ثُمَّ
فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ . مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ وَقَصَرَ لَيْلِهِ . فَتَمَضَّ
عَنْهُ بِرُذْنِ مَلَانٍ . وَقَلْبِ جَذَلَانٍ . وَتَبِعَتْهُ حَازِيًا حَذْوُهُ . وَقَافِيَا خَطْوَدِهِ .
حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ . وَفَصَلَ عَنْ غَايِهِ . قُلْتُ لَهُ : هُنْتُ بِمَا أُوتَيْتَ .
وَمُلَيْتَ بِمَا أُوتِيتَ . فَأَسْفَرَ وَجْهَهُ وَتَلَّالًا . وَوَالَى شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ
خَطَرَ أَخْتِيَالًا . وَأَشَدَّ أَرْتِيجَالًا :

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحِمَاقَةِ حَظًّا أَوْ سَمَا قَدْرُهُ لَطِيبِ الْأَصُولِ
فَفِضْلِي أَسْتَفْعُ لَا بِفُضُولِي وَيَقُولِي أُرْتَفَعْتُ لَا بِقُيُولِي
ثُمَّ قَالَ : تَعَسَّأَ لِيَنَّ جَدَّبَ الْأَدَبَ . وَطُوبَى لِيَنَّ جَدَّفَ فِيهِ وَدَّابَ .
ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ . وَأَوْدَعَنِي اللَّهُبَ

أَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَطَائِفِ

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَشِيعَتِهِ أَحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يَطْعِمُ النَّاسَ.
فَدَخَلَ حُجْرَةً فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ يَا هَذَا لَا تَأْكُلُ . قَالَ : لَا أَسْتَخِلُّ أَنْ
أَكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي . قَالَ : إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا . قَالَ : لَا
أَعْلَمُ . فَأَكَلَ بِأَمْرِكَ . قَالَ : كُلْ فَأَكَلَ وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ
مِنْ فِعَالِهِ . فَلَمَّا أَكَلَ النَّاسُ جَلَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ
خَوَاصُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ وَوَقَفَ بَيْنَ
يَدَيْهِ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَهُ :

أَبْلَغَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْخَوَادِثِ مُوجِعِ
مَنْعَ الْقَرَارِ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِبًا جَيْشٌ وَمَقْتَبٌ يَتَلَمَّعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَمَا خَوْفُكَ لَا أَمَّ لَكَ لَوْلَا أَنَّكَ مُرِيبٌ . فَقَالَ

عَبْدُ اللَّهِ :

كَمَا تَحْتَلُّنَا الْبَصَائِرَ مَرَّةً وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ الْبَصَائِرُ تَرْجِعُ
إِنَّ الَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

أَعْطِي نَصِيحَتِي الْخَلِيفَةَ نَاجِمًا وَخِزَامَةَ الْأَنْفِ الْمُقَوَّدَ فَاتَّبَعْ
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ
 وَبِذَنِّكَ . فَإِذَا عَرَفْتَ الْحَوْبَةَ قَبِلْنَا التَّوْبَةَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً وَأَبْنَى الزُّبَيْرِ فَعَرَّشَهُ مُتَضَعِعُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنَّا عَنْ مَنَّا تَعْلَوْ يُسْفَلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْفَعُ
 وَوَطَّئْتُمْ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يُوْسُ وَغَايَرًا يَجْتَمِعُ
 فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا الْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ الْأَرْعُ
 لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ أَفِلُ وَالْبَدْرُ مُنْبِلًا إِذَا مَا يَطْلُعُ
 وَضَعْتَ أُمِّيَّةً وَاسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوَضَعْتَ وَسْطَهُمْ فَنَعِمَ الْمَوْضِعُ
 بَيْنْتُ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَلَيَّ الْمَشَارِفِ عِزَّهُ مَا يُدْفَعُ
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّ تَوْرِيَّتَكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتَرِيْبُنِي فَأَيُّ
 الْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ . فَقَالَ :

جَرَبْتُ أَصْنِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ
 وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو زُنَاتُ مُحَمَّدٍ أَفَلْتَ نُجُومُهُمْ وَتَجْمُكَ يَسْطَعُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ :
 فَأَنْعَشْ أَصْنِيَّتِي الْأَلَاءَ كَانَهُمْ حَجَلٌ تَدْرَجُ بِالشَّرِّ جَوْعُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْعَشَهُمُ اللَّهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا
 مِنْ نَسْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا لَكُمْ مَا إِنْ يُضِنُّ جَعْتُهُ يَوْمَ الْقَلِيبِ فَخِيزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْتَقَفْتَهُ فِي
 غَيْرِ حِلِّهِ . وَأَرْصَدْتَ بِهِ لِمُشَاقَّةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعَدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ .
 فَزَعَرَهُ مِنْكَ إِذَا اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
 أَذْنُو لِرَجْمِي وَتَحْبِيرِ قَافِي قَارَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُدَقِّعُ
 قَبَسَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَمِنْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ عَبْدُ
 الْمَلِكِ : كُنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحُجَّاجِ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهُ هُوَ قَدْ
 وَطِئْتُ دَارَكَ وَآكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَنْشَدْتُكَ . فَإِنْ قَتَانِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنْتَ
 وَمَا تَرَاهُ . وَأَنْتَ بِمَا عَلَيْكَ فِي هَذَا عَارِفٌ . ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ :
 ضَاغَتْ ثِيَابُ الْمُلْسِينِ وَفَضَلُهُمْ عَنِّي فَأَلْسِنِي فَتُوبُكَ أَوْسَعُ
 فَنَبَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ مُطْرَقًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ . أَلَسَنَهُ لَا لَسَنَتَ .
 فَأَلْتَحَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْلَى لَكَ . وَاللَّهِ لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَمًا فِي
 أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ . فَأَبَى اللَّهُ ذَلِكَ فَلَا تُجَاوِرُنِي فِي بَلَدٍ .
 وَأَنْصَرِفْ آمِنًا فَهُمْ حَيْثُ شِئْتَ . ثُمَّ أَمْضَى لَهُ الْأَمَانُ (لِلْأَصْبَهَانِيِّ)

اجازة عُبيد الابرس وامرئ القيس

٥٨ لَقِيَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ أَمْرَ الْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عُبَيْدٌ : كَيْفَ
 مَعْرِفَتُكَ بِالْأَوَايِدِ . فَقَالَ : أَلْقَى مَا أَحْيَتْ . فَقَالَ عُبَيْدٌ :
 مَا حَبَّةٌ مِثْلَهُ قَامَتْ بِمِثْلِهَا دَرْدَاءٌ مَا أَنْبَتَ سِنًا وَأَضْرَاسًا
 فَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَائِلِهَا فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ الْمَكْثِ كَدَّاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا السُّودُ وَالْيَيْضُ وَالْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهْنُ النَّاسِ تَمَّاسًا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

تِلْكَ السَّحَابُ إِذَا الرِّحَانُ أَرْسَلَهَا رَوَّى بِهَا مِنْ مَحُولِ الْأَرْضِ أَيْلَسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا مُرْتَجَاتُ عَلَى هَوْلِ مَرَكَبِهَا يَشْطُطْنَ طُولَ الْمَدَى سَيْرًا وَأَمْرَسًا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

تِلْكَ النُّجُومُ إِذَا حَالَتْ مَطَالِعُهَا شَبَّهَتْهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَقْبَسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا الْقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أُنِيسَ بِهَا تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسًا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

تِلْكَ الرِّيحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا الْقَاجِعَاتُ جَارًا فِي عَلَانِيَةٍ أَشَدَّ مِنْ قِلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسًا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

تِلْكَ الْمُتَايَا فَمَا يُبْقِيَنَّ مِنْ أَحَدٍ يَكْفِئُنَّ حَقِّي وَمَا يُبْقِيَنَّ أَكْمِيَا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعِ الطَّيْرِ فِي مَهْلٍ لَا يَشْتَكِيَنَّ وَلَوْ أَلْجَمَتْهَا فَاسَا

فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْجِيَادُ عَلَيْهَا الْقَوْمُ قَدْ سَجَّوْا كَانُوا لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ الْجَوِّ يَ طَلَّقِ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِينِ قِرْطَاسًا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْأَمَانِي تُتْرَكُنْ أَلْفَتِي مَلِكًا دُونَ السَّمَاءِ وَلَمْ تَرْقَعْ بِهِ رَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْحَاكُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٌ يُعْجِبُ النَّاسَا
فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ

تِلْكَ الْمَوَازِينُ وَالرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسًا

٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا
نَعُوذُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَرْكَةٌ قَدْ رَاقَ مَاوُهَا. وَصَحَّتْ سَمَاوُهَا. وَقَدْ رُصَّ تَحْتَ
دَسَاتِيرِهَا نَارُنُجٌ فَتَنَ قُلُوبَ الْخُضَارِ. وَمَلَأَ بِالْحَاسِنِ عُيُونَ النُّظَارِ.
فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَابُجُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ الْخُضَارِ فَأَشَارَ الْخَاضِرُونَ
إِلَى وَصْفِهَا فَقُلْتُ بَلِيغًا :

أَبْدَعْتَ يَا ابْنَ هِلَالٍ فِي فِسْقِيَّةٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ
عَجَبًا لِأَمْوَاهِ الدَّسَاتِيرِ الَّتِي قَاضَتْ عَلَى نَارُنَجِهَا الْمُتَوَقِّدِ
فَكَأَنَّهُنَّ صَوَابُجٌ مِنْ فِضَّةٍ رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتٍ خَالِصٍ عَنِجِدِ

علي بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: وَمِنْ أَعْجَبِ مَا دُهِتُ بِهِ وَرُمِيتُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ
بِفَضْلِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى الظُّفَرَ وَأَعَانَ خَاطِرِي الْكَلِيلَ . حَتَّى مَضَى مُضَاءُ
السَّيْفِ الصَّقِيلِ . أَنِّي كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا الْعَادِلِ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ)
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةً إِحْدَى وَسِتْمِائَةَ مَعَ مَنْ صَحَّبَهُ مَا شِئَ الْعَسْكَرُ
الْمَنْصُورُ مِنَ الْكُتَابِ وَدَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتَحْنُ مُقِيمُونَ بِالْخِدْمَةِ .
مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ النِّعْمَةِ . فَحَضَرْتُ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَاءِ مِنَ الْفُقَهَاءِ
وَالْعُلَمَاءِ . وَالْمَشَاحِجِ وَالْكُبَرَاءِ . وَجَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَالْأُمَرَاءِ . فِي يَوْمٍ مِنْ
أَيَّامِ الْجُلُوسِ لِلْأَحْكَامِ . وَالْعَرْضِ لِطَوَائِفِ الْأَجْنَادِ بِالتَّامِّ . فَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَلَا مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهَيَّأً . وَمِثْلَ شَاكِرٍ
وَدَاعِيَا . فَلَمَّا غَصَّ الْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ . وَشَرِقَ يَجْمَعُ النَّاسَ وَحْفَهُ . وَخَرَجَ
مَوْلَانَا السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَحَلِّهِ . وَاسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ . أَخْرَجَ
كِتَابًا نَاوَلَهُ إِلَى الصَّاحِبِ الْأَجَلِ صَفِي الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ وَزِيرَ دَوْلَتِهِ . وَكَبِيرَ جَلَّتِهِ . وَهُوَ مَفْضُوزُ الْخِتَامِ . مَفْكُوكُ الْقِدَامِ .
فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَتْ مِنَ الْمَوْلَى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ أَبَقَاهُ اللَّهُ . كَتَبَهَا إِلَيْهِ
يَتَشَوَّفُهُ وَيَسْتَظْفِرُهُ لِزِيَارَتِهِ وَرِقَقَهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رَبِّكَ بِهِ إِلَى الشَّامِ .
لِلْمُشَاغَرَةِ بِهَا وَقَعِ عُدُوَّهَا . وَيُعْرِضُ بِذِكْرِ مِصْرَ وَشِدَّةِ حَرْهَا وَوَقْدِ
جَمْرِهَا . وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِالشُّغُورِ ثُمَّ رَجَعَ .
أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ وَأَنْهَبُ بِخَيْلِكَ مَنْ أَطَاعَ سِوَاكَ

وَأَذْكَبْ خُبُولًا كَالسَّعَالِي شُرْبًا
وَأَجْلِبْ مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ سَمِيعٍ
وَأَسْتَرْعِفِ السُّمُرَ اللَّدَانَ وَرَوَّهَا
وَسِيرِ الْغَدَاةَ إِلَى الْغَدَاةِ مُبَادِرًا
وَأَقْرَنْ رِمَاحَكَ بِالثُّغُورِ فَإِنَّهَا
فَالْعِزُّ فِي نَصَبِ الْحِيَامِ عَلَى الْعَدَى
وَالنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهَيْبَتِكَ الَّتِي
فَإِذَا عَزَمْتَ وَجَدْتَ مِنْهُوَ طَائِعٌ
وَالنَّصْرُ فِي الْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
وَالْعِزُّ أَنْ تُسَيِّ بِبَصْرِ حُجْمًا
فَارْحَ حُشَاشَتَكَ الْكَرِيمَةَ مِنْ لَظَى
فَلَقَدْ غَدَا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ
وَأَنْهَضُ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا
وَأَبْرِدُ فُؤَادَ الْمُسْتَهَامِ بِنَظَرَةٍ
وَأَشْفِ الْغَدَاةَ عَلِيلَ صَبِّ هَائِمٍ
فَسَعَادَتِي بِالْعَادِلِ الْمَلِكِ الَّذِي
فَقِيتَ لِي يَا مَالِكِي فِي غِبْطَةٍ
فَلَمَّا تَلَا الصَّاحِبُ عَلَى الْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا
وَجَلَّالِهَا الْعُرُوسَ
الَّتِي حَازَتْ مِنَ الْحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا
أَخَذُوا فِي اسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا

وَتَأْسُقِ غَرِيبَ السَّامِيَا. وَالنَّشَاءَ عَلَى الْخَاطِرِ الَّذِي نَظَّمَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا .
وَأَطْلَعَ مِنْ مَشْرِقِ فِكْرِهِ آيَاتِهَا . فَقَالَ السُّلْطَانُ (خَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ) :
زُيْدُ مَنْ يُجِيبُ عَنْهَا بِآيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا . فَأَلْتَفَتَ مُسْرِعًا إِلَيَّ وَأَنَا عَلَى
يَمِينِهِ وَقَالَ : يَا مَوْلَانَا مَلُّوكُكَ فُلَانٌ هُوَ فَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ . وَالْمُعْتَادُ
لِلتَّخْلِصِ فِي مَضَائِقِ هَذَا الْأَشَانِ . ثُمَّ قَطَعَ وَصْلًا مِنْ دَرَجٍ كَانَ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَالْقَاهِ إِلَيَّ . وَعَمَدَ إِلَى دَوَاتِهِ فَأَدَارَهَا بَيْنَ يَدَيَّ . فَقَالَ السُّلْطَانُ
(خَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ) : عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ . قَالَ : نَعَمْ أَنَا جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
مُتَّقِدَ الْخَاطِرِ حَاضِرَ الذَّهْنِ سَرِيعَ إِجَابَةِ الْفِكْرِ . فَقَالَ السُّلْطَانُ : وَعَلَى
كُلِّ حَالٍ قُمْ إِلَى هُنَا لِتُكْفِ غَنَّاكَ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ . وَتَقْطِعَ جَلْبَةَ
الْحَاضِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ عَنْ يَمِينِ أَلْيَتِ الْحُشْبِ الَّذِي هُوَ
مُنْقَرِدٌ بِهِ قُصْتُ وَقَدْ قَعَدْتُ رَجُلِي الْخُزَالَا . وَذَهَبِي اخْتِلَالًا . لِهَيْبَةِ
الْجُلُوسِ فِي صَدْرِي وَكَثْرَةِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُتَرَقِّينَ لِي الْمُتَشَاطِرِينَ
حُلُولِ فَاقِرَةِ السَّمَاءِ بِي . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَاسَتْ حَتَّى ثَابَ إِلَيَّ خَاطِرِي .
وَأَتَنَالَ الشَّعْرَ عَلَى ضَمَائِرِي . فَكُنْتُ أَرَى فِكْرِي كَأَنْ لَبَازِي الصُّوْدِ لَا
يَرَى كَلِمَةً إِلَّا أَنْشَبَ فِيهَا مَسْرَهُ . وَلَا مَعْنَى إِلَّا شَكَّ فِيهِ ظَفْرَهُ .
فَقُلْتُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ :

وَصَلَتْ مِنَ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ نَحْفَةٌ مَلَأَتْ بِقَاحِرِ دُرِّهَا الْأَسْلَاكَ
آيَاتُ شَعْرِ كَأَنَّجُومَ جَلَالَةٍ فَلَذَا حَكَّتْ أَوْرَاقَهَا الْأَفْلَاكَ
عَجَابًا وَقَدْ جَاءَتْ كَمِثْلِ الرُّوْضِ إِذَا لَمْ تُذَوِّهَا بِالْحَرِّ نَارُ ذَكَكَ

جَلَبَ الْمُؤْمَ عَنِ الْقَوَادِ كَوْنُ مَا تَجْلُو بِثَرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَحْلَاكَ
كَفَيْصِ يُونُسَ إِذْ شَفَتِ يَعْقُوبَ رِيَّاهُ شَفَنِي مِثْلَهُ رِيَّاكَ
قَدْ أَعْجَزَتْ شُعْرَاءُ أَهْلِ زَمَانِنَا حُسْنًا فَلَمْ لَا تُعْزِ الْأَمْلَاكَ
مَا كَانَ هَذَا الْفَضْلُ يُمْكِنُ مِثْلُهُ أَنْ يَحْتَوِيَهُ مِنَ الْأَنَامِ سِوَاكَ
لَمْ لَا أَعِيبُ عَنِ الشَّامِ وَهَلْ لَهُ مِنْ حَاجَةٍ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَ
أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَالْبِلَادُ جَمِيعُهَا تَحِيَّةٌ فِي جَاهِ طَعْنٍ فَنَاكَ
يَكْفِي الْأَعَادِي حَرْبَ بَأْسِكَ فِيهِمْ أَضْعَافَ مَا يَكْفِي أَوْلِيَ نَدَاكَ
مَا زُرْتُ مِصْرَ لَغَيْرِ ضَبْطِ ثُغُورِهَا فَلَذَا صَبَرْتُ فَدَيْتَ عَنْ رُؤْيَاكَ
أَمْ الْبِلَادِ عَالَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا لَا سِيَّامَا مَذْ شُرْقَتْ بِخَطَاكَ
طَابَتْ وَحَقَّ لَهَا وَلَمْ لَا وَهِيَ قَدْ حَوَتْ الْمُعْلَى فِي الْفَخَارِ أَخَاكَ
أَنَا كَالسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَاقِيًا حِينًا وَأَمْنَعُ غَيْرَهَا سُفْيَاكَ
مُكْنِي جِهَادًا لِلْعَدُوِّ لِأَنِّي أَنْزَوُهُ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ دِرَاكَ
لَوْلَا الرِّبَاطُ وَفَضْلُهُ لَقَصِدْتُ بِالسَّيْرِ الْحَدِيثِ إِلَيْكَ نَبْلَ رِضَاكَ
وَلَنْ أَتَيْتُ إِلَى الشَّامِ قَائِمًا يَحْتَنِي شَوْقِي إِلَى كُنْيَاكَ
إِنِّي لَا أَمْنَحُكَ الْحُبَّةَ جَاهِدًا وَهَوَايَ فِيَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَ
فَأَخْرَجْتُ أَضْمَحْتُ بِي وَبِأَسْكَ السَّامِي وَكُلُّ مُمْلِكٍ يَخْشَاكَ
لَا زِلْتَ تَفْهَرُ مِنْ يُعَادِي مُلْكَنَا أَبَدًا وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَ
وَأَعِيشُ أَنْظُرُ ابْنَكَ الْبَاقِي أَبَا وَتَعِيشُ تُخَدِّمُ فِي السُّعُودِ أَبَاكَ
ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي وَقَدْ بَيَّضْتُهَا وَحَلَيْتُ بِزَهْرِهَا سَاحَةَ الْفِرَاطِ

الْأَيْبُ وَرَوْضَتَهَا. فَلَمَّا رَأَى السُّلْطَانُ (حَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ) قَدْ عُدْتُ
 قَالَ: أَعْلِمْتُ شَيْئًا. ظَنَّا مِنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ فِي تِلْكَ الْأَحْجَةِ مُتَعَدِّرٌ. وَبُلُوغُ
 الْغَرَضِ فِيهَا غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَلْشِدْنَا فَصَمْتُ النَّاسُ
 وَحَدَقْتُ الْأَبْصَارُ وَأَصَاخَتِ الْأَسْمَاعُ. وَظَنَّ النَّاسُ بِي الظُّنُونُ.
 وَتَرَقَّبُوا مِنِّي مَا يَكُونُ. فَمَا تَوَالَى إِنْشَادِي حَتَّى صَفَقَتْ الْأَيْدِي إِعْجَابًا.
 وَتَعَامَزَتِ الْأَعْيُنُ اسْتِعْرَابًا. وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ مَوْلَانَا الْكَامِلِ
 يَا نَبَّهَ الْمَعْلَى إِذَا ضَرَبْتَ قِدَاحَهُمْ. وَسُرِدَتْ أَمْدَا حُهُمْ. أَعْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ
 لِذِكْرِهِ. وَبَانَ مِنْهُ مَخْجِي الْحُبَّةِ فَأَعْلَنَ سِرَّهُ. وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا
 فَاضَ دَمْعُهُ. وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنَعُهُ. ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ فَرَجِيَّةً مِنْ خَاصِ
 مَلَابِسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى كَنَفِي (بدائع البدائه للازدي)

للإبي يرثي ضرسه بعد قلعه

٦١

أَيُّ طُودٍ مِنَ الرُّوَاسِي الْعِظَامِ فَجَعَتَا بِهِ يَدُ الْأَيَّامِ
 هَدَمَتْهُ نَوَازِلُ الدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ وَلُوعُ يَهْدِمُ عِزَّ الْكِرَامِ
 فَهَوَى شَاظِيًا مِنَ الذُّرُودَةِ الْقَعَسَاءَ قَسْرًا وَأَنْفَهُ فِي الرِّغَامِ
 صَاحِبُ كَانَ لِي وَفِيًا وَبِي بَرًّا خَفِيًّا يُعَوِّلُنِي بِالْإِتْرَامِ
 وَخَلِيلِي فِي كُلِّ مَخْصِمَةٍ كَمَا نَعْتِدُ الْإِطْعَامِ وَالْإِنْعَامِ
 أَيْبُ الْوَجْهِ فِي الْأَعْمَالِ الْإِلْمَسِ صَغْبُ الْأُرَاسِ عِنْدَ الصِّدَامِ
 كَابِرُ طَاحِنُ إِذَا اضْطَدَمَ الصَّفْقَانِ مَاضِي الشَّبَابِ الدُّ الْخِصَامِ
 ضَعُفَتْ رُكْنَةُ الْخُطُوبِ وَتَلَّتْ عَرْشَ سُلْطَانِهِ الْتَنِيعِ السَّامِي

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هَيْهَاتِ أَتَيْتُنَا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامٍ
يَا رَفِيقِي مَذْكَرْتُ طِفْلاً إِلَى أَنْ جَلَّ الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالْثَغَامِ
وَصَدِيقِي الَّذِي تَحَوَّلْتُ مِنْ جَذِّ وَاهٍ قُوِّي وَقُوَّتِي وَقَوَائِي
مَنْ يَرُوضُ الصَّعَابَ بَعْدَكَ مَنْ لَلْبَطْشِ مِنَ الْقِرَاعِ مِنَ الصِّدَامِ
رُبَّ قِشْرٍ مَحْضَتُهُ عَنْ لُبَابِ وَلُحُومٍ عَرَفَتْهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بَاتَ فَأَذْهَبَ مُتَمَعًا بِسَلَامِ
وَتَأَسَّى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهَذَا الشَّرِّ أَرَدَتْهُ غَارَةُ الْأَيَّامِ
أَبَدَلْتَنِي عَنْ الثَّرْيَا بِنِي نَعَشٍ كُرُورُ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ
فَجَعَلْتَنِي بِكُلِّ أَيْضٍ طَلًّا عِ الشَّائِيَا مُسْتَأْسِدَ بَسَامِ
أَيَّ وَثْرٍ تَبْعِي النَّوَاذِلُ مِنِّي بَعْدَ ضَعْفِ الْهُوَى وَقَتِ الْعِظَامِ
مَنْ يُدْ صُحْبَةُ الزَّمَانِ طَوِيلًا فَيُوطِنُ نَفْسًا عَلَى الْأَلَامِ
كُلُّ صَعْبٍ يَهْوَنُ إِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخِتَامِ

٦٢ حدث أبو هريرة الغوي قال : كان أبو الشبل البرحمي قد اشترى كلباً للاضي .
فجعل يلفه ويُسَمِّيه فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرحه بين يديه وسراج وقارورة
للزيت . ففطنه ففكره وانصب الزيت على ثيابه وكفه وفراته . فلما عين ذلك ذبح الكلب
قبل الاضي وقال يرفي سراج :

يَا عَيْنَ ابْنِي لَهْقَدِ مَسْرَجَةٍ
أَوْحَشْتَ الدَّارَ مِنْ ضِيَاكَ وَأَأْ
قَلْبِي حَزِينَ عَلَيْكَ إِذَا سَجَلَتْ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكَ الزَّمَانُ فَهَدَّ
كَانَتْ عُمُودَ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ
يَتُّ إِلَى مَطْبَخٍ وَتُورِ
عَلَيْكَ بِالْذَّمِّ عَيْنُ تَمِيرِ
أَبْقَيْتَ مِنْكَ الْحَدِيثَ فِي الدُّورِ

دَعَا ذِكْرَهَا وَأَهْجُرْنَ نَاطِحَهَا وَأَسْرَدَ أَحَادِيثُهُ بِتَسْوِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِّي اشْتَرَيْتُ فَمَا اشْتَرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خَنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِالنَّوَى أَسْمُهُ وَالْتَبَنِ وَالْقَتِّ وَالْأَتَاجِيرِ
أُرِدُّ الْمَاءَ فِي الْقِلَالِ لَهُ وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَخْذُورِ
كَانَتْ إِذَا مَا الظَّلَامُ أَلْبَسَنِي مِنْ خُنْدُسِ اللَّيْلِ ثَوْبَ دَيْجُورِ
شَقَّتْ نِيرَانَهَا غِيَاظِلَةً شَقًّا رَعَى اللَّيْلُ بِالدَّيَاجِيرِ
صِنِيَّةُ الصِّينِ حِينَ أَبْدَعَهَا مَصَوِّرُ الْحُسْنِ بِالتَّصَاوِيرِ
وَقَبْلَ ذَا بَدْعُهُ أُتِيجَ لَهَا مِنْ قَبْلِ الدَّهْرِ قَرْنُ يَغْفُورِ
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَيْتُ أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرُ الْمَكَايِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى الْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ بِأَسْرِهِ فَلَمْ يُشَبَّ لُسْرُهُ بِتَسْوِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ الزَّمَانُ صَفْوَتَهُ فَلَمْ يُشَبَّ صَفْوَتُهُ بِتَكْثِيرِ
مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتِ مَا بَخَلْتُ عَنْكَ يَدُ الْجُودِ بِالدَّنَائِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكَ مَا نُؤَدِّرُهُ لَكِنَّا الْأَمْرُ بِالْمَقَادِيرِ
مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظَلَمٍ جَلَّتِ ظِلْمَاهَا بِتَشْوِيرِ
تَحْدُمُهُ طَوْلَ كُلِّ لَيْلِيَا خِدْمَةَ عَبْدٍ بِالذِّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَتَقَذَّى السُّرُورَ وَمَا أَا حَزُونُ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَادَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ يَكْفُرُ نَعْمَى تَقْرِيبَ تَعْيِيرِ
فَدَّ قَرْنِيهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَقٍّ مُعَوِّدٍ لِلتَّطْلُحِ مَشْهُورٍ
 وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ صَلْدٌ مِنَ الشَّمْعِ الْمَذَاكِيرِ
 فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ أَرْقٌ مِنْ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ
 تَكْسَرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ وَمَا صَحِيحُ الْهَوَى كَمَكْسُورِ
 فَأَدْرَكَتْهُ شُعُوبٌ فَانْشَبَتْ بِالرَّوْعِ وَالشَّلْوِ غَيْرُ مَقْشُورِ
 أُدِيلَ مِنْهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ مِنَ الْمَنَايَا بِحَدِّ مَطْرُورِ
 يَلْتَهِبُ الْمَوْتُ فِي ظِلِّهِ كَمَا تَلْتَهِبُ النَّارُ فِي السَّاعِيرِ
 وَمَزَّقَتْهُ الْمَدَى فَمَا تَرَكَتْ كَفُّ الْقَرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
 وَأَعْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدْرٌ صَيَّرَهُ نَهْزَةَ السَّنَانِيرِ
 فَمَزَّقَتْ لَحْمَهُ بِرَأْسِهَا وَبَذَرَتْهُ أَشَدَّ تَبَذِيرِ
 وَاخْتَلَسَتْهُ الْجِدَاءُ خَلْسًا مَعَ الْغُرَبَانِ لَمْ تَرْدَجِرْ لِتُكْبِرِ
 وَصَارَ حَظُّ الْكِلَابِ أَعْظَمُهُ يَهْتَمُّ أَلْحَاءُهَا بِتَكْسِيرِ
 كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَفَى الْمُنَاقِيرِ
 وَخَامِعٍ نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأُظَافِيرِ
 قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرْسًا بِلاَ أَفْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
 وَلَا مُغْنٍ سِوَى هَامِئِهَا إِذَا تَمَطَّتْ لِوَارِدِ الْعِيرِ
 يَا كَبْشُ ذُقْ إِذَا كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمَدِيَةِ الْمَوْتِ كَأْسَ تَحِيرِ
 بَنَيْتَ ظُلْمًا وَالْبَنَى مَضْرَعٌ مِنْ بَغَى عَلَى أَهْلِهِ تَبْعِيرِ
 أَضْحِيَّةٌ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا فِي قَسَمِهِ لَحْمَهَا بِمَاجُورِ

٦٣ قال ابو العلاء المعري من قصيدة على لسان درع مخاطب سيفاً

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالزُّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابُ كَالْمَدَامِ بِالْمِزَاجِ
مَنْعَتُ الشَّيْبِ مِنْ كَتَمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعُهُ مِنْ خَطَرِ الْفُجَاجِ
فَهَلْ حَدِثْتَ بِالْحَرْبَاءِ يَلْقَى بِرَأْسِ الْعَيْرِ مَوْضِعَةَ الشَّجَاجِ
تَصِيحُ نَعَالِ الْمُرَانِ كَرَبًا صِيَاحُ الطَّيْرِ تَطْرَبُ لِاتِّهَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ نَجِيعُ قَرْنٍ يَجُوبُ النَّفْعَ وَهُوَ إِلَى لَا حِجِ
يُقَضِّبُ عَنْهُ أَمْرَاسُ الْمَنَآيَا لِبَاسُ مِثْلِ أَغْرَاسِ التِّجَارِ
تَعَوَّذُ بِي حَلِيفُ التَّلَاجِ قَدَمَا وَقَارِسُ لَمْ تَهْمُ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنِي بَغِيضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَخْرَاءَ التَّلَاجِ
فَلَا يُطْمَعُكَ فِي الْعَمَرَاتِ وَرَدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمَرْءِ الْأَجَاجِ
فَإِنْ تَزَكَّدَ بِعَمْدِكَ لَا تَحْفَنِي وَإِنْ تَهْجُمَ عَلَيَّ فَغَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِي الرِّزَايَا تَجِدُ قَضَاءَ مُبَهَّمَةِ الرِّجَاجِ
يَرُدُّ حديدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رِفَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الزُّجَاجِ
تُنَاجِينِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيَبْغِيكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُؤُوبَهَا مُتَكَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبِ رُصْخٍ لِلنَّوَاجِي
مُؤَمَّهٌ كَأَنَّ بِهَا أَرْتَعَاشًا لَهْرَطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تَضَيِّفُنِي الذَّوَابِلُ مُكَرَّهَاتٍ فَتَرَحَّلُ مَا أُذِيقَتْ مِنَ الْمَاجِ
إِذَا مَا السَّهْمُ حَاوَلَ فِي نَفْجَا فَإِنِّي عَنْهُ ضَمِيمُهُ الْفُجَاجِ

وَهَلْ تَعْشُو النَّبَالَ إِلَى ضِيَاءِ
يَهُونُ عَلَيَّ وَالْحِدَنَانُ طَاغِ
فَلَوْ طَعِنَ الْفَتَى بِأَشَدِّ غَضَنٍ
أَخَالَتَنِي ظِمَاءُ الْخَطِّ لَجَأُ
وَلَيْسَ لِكُرِّ يَوْمِ الشَّرِّ نَافِ
سَيَوَى كُرِّ مِنَ الْأَذْدَاعِ سَاجِ
٦٤ وقال أيضاً من قصيدة على لسان رجل يسأل أمه عن درع أبيه

مَا فَعَلْتَ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرَتْ
فِي نَهْرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ
أَمْ اسْتَعِيرَتْ مِنَ الْأَرَاقِمِ قَارُ
تَدَّتْ عَوَارِيهَا بُو الرِّقَمِ
أَمْ بَغِيهَا تَبْتَعِينَ مَضْلَعَةً
فِي سَنَةِ وَالسَّمَاءِ لَمْ تَعِمِ
عَابِسَةً لَمْ يَجِدْ بِهَا الْأَسَدُ
الطَّبِيَّةَ إِلَّا ضَعِيفَ الرَّهْمِ
أَمْ كُنْتُ صَيَّرْتَهَا لَهُ كَفْنَا
فَتِلْكَ لَيْسَتْ مِنْ آلِهِ الرَّجَمِ
لَعَلَّه أَنْ يَجِيءَ مُدْرَعًا
يَوْمَ رُجُوعِ النُّفُوسِ فِي الرَّمَمِ
أَمْ كُنْتُ أَوْدَعْتُهَا خَاتِقَةً
فَحَانَ وَالْحَوْنُ أَقْبَجُ الشَّيْمِ
ضَافِيَةً فِي الْحَجَرِ صَافِيَةً
لَيْسَتْ بِمَطْوِيَةٍ عَلَى قَتَمِ
كَأَنَّا وَالنِّصَالُ تَأْخُذُهَا
أَضَاءُ حَزْنٍ مُجَادٍ بِالْدِّيمِ
صَنَّ بِهَا رَبِّهَا لِضِيَّتِهَا
بِهِ وَكَمْ ضَنْئَةٍ مِنَ الْكِرَمِ
تَحْسِبُهَا مِنْ رَضَابِ عَادِيَةٍ
مَجْمُوعَةٍ أَوْ دُمُوعِهَا السُّجُمِ
ضَاحِكَةً بِالسَّهَامِ سَاحِرَةً
بِالرُّمَحِ هَزَاءَةً مِنَ الْخُدُمِ
عَادَتْهَا أَرْمَهَا ضَبًّا وَقَفَا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأَخِيهَا إِرَمِ

تَعْرِهَا غِرَّةَ السَّرَابِ نَهَى فِي نَاجِرِي النَّهَارِ مُحْتَدِمِ
 أَوْ عَمَلُ الْكُفْرِ مَنْ يَدِينُ بِهِ فِي الْبَعْثِ إِبَّانَ تَجَمُّعِ الْأُمَمِ
 ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَوْلِدِهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْبًا مِنْ أَلْقَدَمِ
 فَمَا عَدَدْنَا بَيَاضَهَا هَرَمًا حِينَ يَعْدُ الْبَيَاضُ فِي الْمَرَمِ
 مَا خَضَبَتْهُ الْمُهَنْدَاتُ لَهَا وَلَا أَلْوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ
 مَلَسُ قَلِيلٍ مَا خِيطَ مُشْبَهُ لِدَارِمِ قَبْلَنَا وَلَا دَرِمِ
 رَأَاهُ كَهْلَانُ مِنْ مَعَاظِلِهِ فِي الْحَرْبِ دُونَ الْعَبِيدِ وَالْحَشَمِ
 عَذَبَهَا أَلْمَالِكِيُّ صَانِعُهَا فِي جَاحِمٍ مِنْ وَقُودِهِ ضَرِمِ
 يَنْفِرُ عَنْهَا ضَبُّ الْعُذَّةِ كَمَا يَهَابُ نَقْعًا مِنْ بَارِدِ شِيمِ
 يَدُ الْمَنَايَا إِذَا تُصَافِحَهَا أَعْيَى بِهَا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ
 مَعَابِلُ الرِّثْمِيِّ عِنْدَهَا عِبْلُ مُلْقَى وَسُخْمِ التَّصَالِ كَالسَّخَمِ
 فَهِيَ فَمُ الْعُودِ بَرَّهْنٌ بِهِ وَهْنُ شَوْكُ الْقِتَادِ وَالسَّلَمِ

لاي للحفص الفارضي في التغزل بالكمالات الالهية

٦٥

أَوْ مِيزُ بَرْقٍ بِالْأَبْرِيقِ لَاحَا أَم فِي رَبِّي تَجَدِّ أَرَى مِصْبَاحَا
 أَم تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ لَيْلًا فَصَيَّرَتْ الْمَسَاءَ صَبَاحَا
 يَارَاكِبَ الْوُجُنَاءِ (٢) وَقِيَتْ الرَّدَى إِنْ جُبْتَ حَزْنَا أَوْ طَوَيْتَ بَطَاحَا
 وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ (٣) فَفُجَّ إِلَى وَادٍ (٤) هُنَاكَ عَهْدُهُ قِيَا حَا

(١) قال الشيخ حسن البوريني: أراد بليلي العامرية ذات وجود الحق والعزة الالهية

(٢) المراد براكب الوجاء السالك في طريق الخلاص القاهرة نفسه

(٣) اسم مكان وكفى به عن الدخول في التجليلات الالهية (٤) أراد به الرياض السماوية

فَيَأْمِنُ الْعَلَمِينَ (١) مِنْ شَرْقِيهِ
وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى تِنْيَاتِ اللّٰوِي (٢)
وَأَقْرَبَ السَّلَامِ أَهْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ
يَا سَاكِنِي مُجِدِّ أَمَانٍ مِنْ رَحْمَةٍ
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلشُّوقِ (٤) تَحِيَّةً
يُخَيِّ بِهَا مَنْ كَانَ يَنْحَسِبُ هَجْرَكُمْ
يَا أَهْلَ وَدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلَكُمْ
مُذْ غَبِثْتُ عَنْ نَاطِرِي لِي أَنَّهُ
وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ أَمِيلُ كَأَنِّي
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ
سَقِيًّا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ حَبِيرَةٍ (٥)
حَيْثُ الْخَمِي وَطَنِي وَسُكَّانُ الْقَضَا
وَأَهْلُهُ أُرْبِي وَظِلُّ نَحِيلِهِ
وَاهَا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَنِيهِ
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى أَوْ
مَا رَمَحَتْ رِيحُ الصَّبَا شَيْخَ الرَّبِّي

عَرَجَ وَأَمَّ أَرْنَهُ الْقَوَاحَا
فَأَنشُدْ قَوَادًا بِأَلَا يُنْجَحُ طَاحَا
غَادَرْتُهُ لِحَنَابِكُمْ مُلْتَحَا
لِأَسِيرِ الْفِ لَا يُرِيدُ سَرَا حَا
فِي طَيِّ صَافِيَةِ الرِّيَّاحِ رَوَا حَا
مَرْحَا وَيَعْتَقِدُ الْمَرْحَا مَرْحَا
طَمَعُ فَيَنْتَعِمُ بِأَلِهِ أَسْتَرْوَا حَا
مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نَوَا حَا
مِنْ طَيْبِ فُجُورِكُمْ سَفِيتُ الرَّحَا حَا
أَلَيْتُ أَحْشَاءِي بِذَلِكَ شَحَا حَا
كَانَتْ لِيَلِينَا بِهِمْ أَفْرَا حَا
سَكَنِي وَوَرْدِي الْمَاءُ فِيهِ مُبَا حَا
طَرَبِي وَرَمَلَةٌ وَادِيهِ مَرَا حَا
أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ اللُّغُوبِ مَرَا حَا
بَيْتَ الْحَرَامِ مُلْمِيًّا سِيَا حَا
إِلَّا وَاهَدْتُ مِنْكُمْ أَرْوَا حَا

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب
وبوصوله عن تجلي الحضرة الالهية
(٢) م الاولياء والطوباويون . وكذلك ساكنو نجد
(٣) يريد بالشوق نفسه العالقة بحبه تعالى
(٤) يعني عن زمان زجاءه بالبر
(٥) الصلاح مع الاولياء

خمرية ابي الحفص الفارضي وشرحها للشينج حسن البوريني

شَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ
(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو الحق تعالى . وقد يراد (بالذكر) الذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله عنده من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا تراب المحبة الالهية الناشئة من شهود اثار الاسماء الحمايية للحضرة العلية . وقوله (سكرنا) أي غبنا لذّة وطرباً بنشأة تلك الحضرة . وقوله (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : ألسنتُ انا ربكم قبل ان يخلق الكرم الى الوجود

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ تَمْسُ يَدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمٌ
هذا البيت عجيب في بابه فانه مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلل والنجم وكذلك الكأس والادارة والمزج . وقوله : لها البدر كأس اي قلب العالم الحق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهية التي تفيض انوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها وارتفاعها . وقوله يدبرها اي يشر اسماء تلك الحضرة الالهية وصفاتها . وقوله هلال هو ذاك البدر الا انه متعجب

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا أَهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا أُلُوهُمْ
يقول : لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديت الى الاسماء الحسنى والصفات العاليا لان عيبره عطر الاكوان . وقوله : لولا سناها الخ كنى به عن الورد والرواحني الذي بضوءه ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَتَمٌ
يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق . ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشرية خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نُشَاوِي وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمٌ
يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصيبون سكارى ويغبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدُّنْيَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَسْمٌ
يقول : انه بتقاصر الحسم الروحانية على نيل هذه المدامة وانحراف قلوب البشر اخفت

العلوم الالهية تبتاً فثبتاً من صدور الرجال حتى توأدت ولم يبق منها إلا الاسم

وَإِنْ خَطَرْتُ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ أَمْرِي أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَأَرْتَحَلُ أَلْهَمُ
يقول ان تجلي العزة الالهية يبدد كل غم ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النَّدَمَانُ خَتَمَ إِنْثَامِهَا لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتَمُ
يقول ان أثر التجلي الرباني في قلب السالكين جدير بتبديد مقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا تَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَأَتَتَّعَشَ الْجِسْمُ

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فِيءٍ حَاطِطٍ كَرَمِهَا عَلَيَّ لَا وَقَدْ أَشْفَى لِفَارَقِهِ السُّقْمُ

وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِئِهَا مُقَعَّدًا مَشَى وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقِهَا الْبُكْمُ

وَلَوْ عَقِفَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا وَفِي الْغَرْبِ مَرْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُ

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَهْ لَأَمْسَى لَمَّا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدَيْهِ النُّجْمُ

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرًّا عَلَى أَكْمِهِ غَدَاً بَصِيرًا وَمِنْ رَأُوقِهَا تَسْمَعُ الصَّمُ

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْمُوا تَرْبَ أَرْضِهَا وَفِي الرُّكْبِ مَسُوعٌ لَمَّا ضَرَهُ السَّمُ

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابِ جَنٍّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

وَفَوْقَ لَوَاءِ الْحَيْثُ لَوْ رَقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكُرَ مَنْ تَحْتَ اللَّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

تَهْدَبُ أَخْلَاقُ النُّدَا حَى فِيهِتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مِنْ لَا لَهُ عَزْمُ

وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفَهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مِنْ لَا لَهُ حِلْمُ

وَلَوْ نَالَ قَدَمُ الْقَوْمِ لَثَمَ فِدَائِهَا لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّهُمَّ

اراد الشاعر جمده الايات صفة ما تنجم الحضرة الالهية في البشر وذوي الماهات من بره اسماهم ان تملت قلوبهم الحقائق العرفانية وان أرادوا نعيم المسالك الرأية

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بَوَصَفِهَا خَيْرُ أَجَلٍ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

صَفَاً وَلَا مَاءٌ وَطُفٌّ وَلَا هَوَاً وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

قد جمع الشاعر اوصافه عز وجل فان هذه الصفات باعتبار تجلي حقيقتها الغيبية عليه ظاهرة
له باربعة اوصاف الصفاء والطف والضياء والروح . ففي روح محرد عن كتابات الناصر
الاربعة بعيدة عن كل جسم حي

تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلُ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ
يُرِيدُ أَنْ يَجُودَ اللَّهُ قَدْ سَبَقَ وَجُودَ الْكَائِنَاتِ بِاجْمَعِهَا قَبْلًا تُبْدِعُ الصُّورَ الْحَسْبَةَ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا أُخْتِجَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَعْمُ
أَيُّ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ قَدْ خُلِقَتِ الْكَائِنَاتُ وَإِنَّمَا قَدْ خَفِيَتْ عَنْ الْخَطَاةِ وَالَّذِينَ لَمْ
يُدْرِكُوا الْأَلْيَاتِ

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجًا أَرْسَادًا وَلَا جِرْمُ تَحَلَّلُهُ جِرْمُ
يقول انه لم يطر شغفه بهذه الحكمة الربانية قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدَ بَعْدِهَا وَقَبْلِيَّةُ الْأَبْعَادِ فَهِيَ لَهَا حَتْمُ
وَقَالُوا شَرِبْتُ الْإِثْمَ كَلًّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الْإِثْمَ فِي رَزْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ
ان هذا البيت رد على من اتهمه بشرب الخمر فيقول ان سكره لا بالخمر المعتصرة من
العنب بل بالخرقة الالهية التي هام بجمها

هَنِيئًا لِأَهْلِ الدِّيرِ كَمْ سَكَرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هُمَا
يقول انه يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدته
الحال الالهي

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَائِي مَعِيَ أَبَدًا تَبَقَى وَإِنْ بَلَى الْعَظْمُ
يقول ان قلبه تتربح بحبة الله فلا يبعدها وان فاجأته اللبنة

فَمَا سَكَنْتُ وَأَلْهَمْتُ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّعْمِ النَّعْمُ
فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لَنْ عَاشَ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سَكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكْ مِنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ
هذا القول اغراء بترب هذه المدامة السماوية التي اضحت مبدأ كل سرور فاتها حيتا حلت
تفضل اكداد العالم وخطوب الدمر

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْوَصْفِ

وصف المطر والسحابة

٦٧ أَخْبَرَ نَاعِبُ الدَّهْلَانِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ فَقَالَ: أَسْتَقَلَّ سُدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطُّفْلِ فَشَصَا وَأَحْزَلَ. ثُمَّ انْكَهَرَتْ أَرْجَاؤُهُ. وَأَحْمَوَتْ أَرْحَاؤُهُ. وَأَبْذَعَتْ قَوَارِقُهُ. وَتَضَاكَتْ بَوَارِقُهُ. وَأَسْتَطَارَ وَادِقُهُ. وَأَرْتَقَتْ جُوبُهُ. وَأَرْتَعَنَ هَيْدُهُ. وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ. وَأَسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ. وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ. فَالَرَّعْدُ مُرْتَجِسٌ. وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ. وَالْمَاءُ مُنْجِسٌ. فَاتَّرَعَ الْغُدْرُ. وَأَنْبَثَ الْوَجْرُ. وَخَلَطَ الْأَوْعَالَ بِالْأَجَالِ. وَفَرَنَ الصِّيرَانُ بِالرِّمَالِ. فَلِلْأَوْدِيَةِ هَدِيرٌ. وَلِلشَّرَاجِ خَرِيرٌ. وَلِلتَّلَاعِ زَفِيرٌ. وَحَطَّ التَّبَعُ وَالنَّعَمُ مِنَ الْفُلُلِ الشَّمُّ. إِلَى الْقِيَمَانِ الصَّخْمِ. فَلَمْ يَبْقَ فِي الْفُلُلِ إِلَّا الْمُعَصِمُ مُجَرَّثٌ. أَوْ دَاخِضٌ مُجَرَّجٌ. وَذَلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمَذْنُونِ

٦٨ أَخْبَرَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ عَنْ مَطَرٍ صَابَ بِلَادَهُمْ فَقَالَ: نَشَأَ عَارِضًا. فَطَلَعَ نَاهِضًا. ثُمَّ أَبْتَسَمَ وَامْضًا. فَأَعْنَى فِي الْأَقْطَارِ فَأَشْجَاهَا. وَأَمَلَّ فِي الْأَفَاقِ فَغَطَّاهَا. ثُمَّ أَرْتَجَزَ فَهَمَّهُمْ. ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ. فَأَرَكَّ وَدَثَّ وَبَغَشَ. ثُمَّ فَطَقَطَ فَأَفْرَطَ. ثُمَّ دِيمَ فَأَغْمَطَ. ثُمَّ رَكَدَ فَأَنْجَمَ. ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ. وَجَادَ فَأَنْعَمَ. فَتَمَسَّ الرَّبِّيُّ.

وَأَفْرَطَ الزُّبَى . سَبْعًا تَبَعًا . مَا يُرِيدُ أَنْقِشَاعًا . حَتَّى إِذَا أَرَقَّتِ الْحُزُونُ .
وَتَصَحَّحَتِ الْمُتُونُ . سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ
٦٩ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أُعْرَابِيًّا مِنْ غَنِيٍّ يَذْكُرُ
مَطَرًا أَصَابَهُمْ فِي غَيْبٍ جَدِبٍ فَقَالَ : تَدَارَكَ خَلْقُهُ وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَنْحَالُ .
وَتَقَاصَرَتِ الْأُمَالُ . وَعَكَفَ الْيَأْسُ . وَكُظِمَتِ الْأَنْفَاسُ . وَأَصْبَحَ
الْمَأْشِي مُضْرِمًا . وَالْمُتَرَبُّ مُعْدِمًا . وَجُفِيَتِ الْحُلَائِلُ . وَأُمْتِنَتِ
الْعُقَائِلُ . فَأَلْشَأَ سَحَابًا رُكَامًا . كَنُحُورًا سَحَابًا . بِرُوقَةٍ مُتَأَلِّفَةٍ وَرَعُودَةٍ
مُتَقَفِّعَةٍ . فَسَحَّ سَاجِيًا رَاكِدًا ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ . ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ
السَّمَاءَ فَطَحَرَتْ رُكَامَهُ . وَفَرَّقَتْ جِهَامَهُ . فَأَنْقَشَعَ مَحْمُودًا . وَقَدْ أَحْيَا
فَأَغْنَى . وَجَادَ فَارَوَى . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُبْكِي نِعْمَهُ . وَلَا تَنْقُدُ
قِسْمَهُ . وَلَا يَحْجِبُ سَائِلُهُ . وَلَا يَنْزُرُ نَائِلُهُ

٧٠ وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : مَرَرْتُ بِغِلْمَةٍ مِنْ
الْأَعْرَابِ فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيَهُ دِرْهَمًا . فَقَالُوا :
كُلُّنَا يَصِفُ (وَهُمْ ثَلَاثَةٌ) . فَقُلْتُ : صِفُوا فَأَيُّكُمْ أَرْتَضِيَتْ صِفَتُهُ
أَعْطَيْتُهُ الدَّرْهَمَ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : عَنْ لَنَا عَارِضٌ قَسَرَّا تَسْوِقُهُ الصَّبَا
وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ . يَجُوجُ حَبْوُ الْمُعْتَبِكِ حَتَّى إِذَا أُرْلِمَتْ صُدُورُهُ .
وَأَنْفَجَلَتْ خُصُورُهُ . وَرَجَعَ هَدِيرُهُ . وَأَصْعَقَ زَيْبُهُ . وَأَسْقَلَ نَشَاصُهُ .
وَتَلَامَ خَصَاصُهُ . وَارْتَمَجَ أَرْتَعَاصُهُ . وَأَوْفَدَتْ سِقَابُهُ . وَأَمْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ .
تَدَارَكَ وَدَقَهُ . وَتَأَلَّقَ بَرْقُهُ . وَخَفِرَتْ تَوَالِيهِ . وَأَنْسَحَتْ عَزَالِيهِ .

فَعَادَرَ الثَّرَى عَمِدًا. وَأَلْمَزَازَ ثُدًّا. وَأَلْحَثَ عَقْدًا. وَالصَّحَا ضِجَّ مُتَوَاصِلَةً.
وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً. (قَالَ الْأَخَرُ): تَرَأَتْ الْحَائِلُ مِنَ الْأَفْطَارِ. تَحْنُ
حَيْنَ الْعِشَارِ. وَتَتَرَامَى بِشُهْبِ النَّارِ. قَوَاعِدُهَا مُتَلَا حِكَةً. وَبَوَاسِطُهَا
مُتَضَا حِكَةً. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَقَاذِفَةٌ. وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَا صِفَةٌ. فَوَصَلَتْ الْقُرْبَ
بِالشَّرْقِ. وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ. سَحَّادِرَاكَ. مُتَبَايَعَا لِكَاكَ. فَضَخْضَخَتْ الْجَفَاجِفَ.
وَأَنْهَرَتْ الصَّفَاصِيفَ. وَحَوَّضَتِ الْأَصَالِفَ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحِسَّةً مَحْمُودَةً
الْأَنَارَ. مَوْفُوقَةَ الْحِبَارِ. (وَقَالَ الثَّلَاثُ): وَاللَّهِ مَا خَلَّتْهُ بَلْعُ خَمْسًا: هَلُمَّ
أَلَدْرَهُمْ أَصِفْ لَكَ. قُلْتُ: لَا أَوْ تَقُولُ كَمَا قَالَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ
لَا بَدَنَهُمَا وَصَفًا. وَلَا فَوْقَهُمَا رَصَفًا. قُلْتُ: هَاتِ لِلَّهِ أَبْرَكَ. فَقَالَ: بَيْنَا
الْحَاضِرُ بَيْنَ أَلِيسَ. وَالْإِبْلَاسِ. قَدْ عَمَرَهُمُ الْإِشْفَاقُ. رَهْبَةً الْأَمْلَاقِ.
قَدْ حَبَبَتْ الْأَنْوَاءَ. وَرَقَرَفَ أَلْبَلَاءُ. وَأَسْتَوَى الْقَنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ.
وَكَثُرَ الْأِسْتِفْقَارُ مِنَ الذُّنُوبِ. أَرْتَاحَ رَبِّكَ لِعِبَادِهِ. فَأَنْشَأَ سَحَابًا
مُسْتَجِيرًا كَنُحُورًا. مُعْنُونًا مَحْلُولًا كَا. ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَخَزَالَ. فَصَارَ
كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ. وَكَالْأَرْضِ الْمَدْحُوءَةِ فِي لَوْحِ الْهَوَاءِ. فَأَحْسَبَ
السُّهُولَ. وَأَتَانِقَ الْهَجُولَ. وَأَحْيَا الرَّجَاءَ. وَأَمَاتَ الضَّرَاءَ. وَذَلِكَ مِنْ
قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (قَالَ): فَمَلَأَ وَاللَّهِ أَلْفَعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ دِرْهَمًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَدْهَمَ): وَطَلَمَّا أَمْتَطَيْتُ صَهْوَةً مُطَهَّمًا.

نَهْدٍ . فَغَنِيَتْ عَنْ نَشْوَةِ الْكُمَيْتِ مِنْ ذَاتِ نَهْدٍ . يُسَاقُ الرِّيحَ فَيَغِيرُ
 فِي وَجْهِهَا دُونَ شَقِّ غُبَارِهِ . وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسْرَى فِي
 مِضْمَارِهِ . نُسِبَ إِلَى الْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي الْكُرِّ وَالْقَرِّ . وَقَدْ
 حَفَّتْ عَلَيْهِ عَيْنُ الشَّمْسِ إِذْ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرْسُمَ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا
 مَرَّ . لَيْلِي الْأَهَابِ لَطَمَ جَبِيْنَهُ الصَّبَاحُ بِبَهَائِهِ . فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاصَ
 يَقْصُ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . كَمَا قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِيْنَهُ فَأَقْصَصَ مِنْهُ فَخَاصَ فِي أَحْشَائِهِ
 وَقَدْ أَغْتَدِي عَلَيْهِ وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهِ أَفَلَا يَفْوُشِي إِلَّا جِدَالًا . وَإِذَا
 أَطْلَقْتُهُ لِيَصِيدَ الْوَحْشَ رَأَيْتُنِي عَلَى مُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَائِلِ هَيْكَلٍ
 (وَقُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ هَجِينٍ) : فَرَسٌ لَهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ حَسَبٌ
 وَمِنْ الْكَرْدَةِ نَسَبٌ . فَهُوَ مِنْ بَيْنِهِمَا مُسْتَلْتَجٌ . لَا يَنْتَسِبُ إِلَى خُيْبٍ
 وَلَا إِلَى أَعْوَجَ . وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبُ اللَّبَانِ . غَرِيضُ الْبَطَانِ .
 سَلِسُ الْعِنَانِ . يَنْتَبِي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ . وَعَلَى قَدْرِ الْكُرَّةِ وَالصَّوْلَجَانِ .
 قَدْ أُسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَادِمًا وَمُتَأَخِّرًا . فَإِذَا أَقْبَلَ خَاتَمُهُ مُرْتَفِعًا . وَإِذَا أَدْبَرَ
 خَلَّتْهُ مُنْجَدِرًا . كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ دُمِيَّةٌ مِحْرَابٍ . وَفِي خُلُقِهِ ذُرْوَةٌ هِضَابٍ .
 وَهُوَ فِي سِبَاقِهِ وَخِلَافِهِ مُخَلَّقٌ يَخْلُقُ الْمِضْمَارَ . وَيَدْمُ السَّرَابَ وَالصُّوَارِ
 فَهُوَ مَأْسُوبٌ إِلَى ذَوَاتِ الْقَوَادِمِ . وَإِنْ كَانَ تَحْسُوبًا فِي ذَوَاتِ
 الْقَوَائِمِ . كَأَنَّمَا ثَنَى لِحَامَهُ عَلَى سَالِقَةِ عُقَابٍ . وَشَدَّ جِزَامَهُ عَلَى بَارِقَةٍ
 سَحَابٍ (الوشي المرقوم لابن الأثير)

٧٢ لَمَّا رَكِبْنَا الْبَحْرَ . وَحَلَّلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْتَحْرِ . شَاهَدْنَا مِنْ
 أَهْوَالِهِ . وَتَنَافَى أَحْوَالِهِ . مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ . وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهٌ
 الْبَحْرُ صَغْبُ الْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
 أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ
 فَكَمْ اسْتَقْبَلْتَنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرَ . وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ
 عِشْبَانٌ كَوَاسِرُ . قَدْ أَزْجَعَتْهَا أَكْفُ الرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا . لَمَّا نَبَهَتْ أَلْحَجَّ
 مِنْ سُكْرِهَا . فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا . فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا .
 وَلِلرِّيَّاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا . وَتَيَقَّنَّا أَنَّا لَا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ
 مُجِيرًا وَخَفِيرًا . وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ .
 وَأَيْسَانًا مِنَ الْحَيَاةِ لِصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَأَلْيَاهُ . فَلَا حَيَاةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
 أَهْوَالُ الْمَزْعِجِ وَلَا بَيَّاهُ . وَالْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ الرِّيَّاحِ فَيَطْرُبُ
 بَلٌ وَيَضْطَرِبُ . فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ الْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ . فَيَتَعَدُّ
 وَيَقْتَرِبُ وَفِرْقَهُ تَلْتَظِمُ وَتَصْطَفِقُ . وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّقُ . فَتَخَالُ
 الْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا . وَتَجْذِبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطَحُ
 الْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا . وَعَنَانُ السَّحْبِ يُخْطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا .
 وَقَدْ أَشْرَفَتِ النُّفُوسُ عَلَى التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَاعْتِلَالِهَا . وَأَذْنَتِ
 الْأَحْوَالُ بَعْدَ انْتِظَامِهَا بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ الظُّنُونُ . وَتَوَرَّاتِ فِي
 صُورِهَا الْمُنُونُ . وَالشِّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ الْأَمْوَاجِ . الَّتِي أَمِدَّتْ

مِنْهَا الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ، وَتَحْنُ قُعودٌ، كَدُودٍ عَلَى عُدٍ، مَا بَيْنَ فُرَادَى
وَأَزْوَاجٍ، وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنْ أَلْقَى أَمَكُنَّا، وَخَرَسَتْ مِنَ الْفَرَقِ
أَلْسِنَتَنَا، وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ أَغَوَارٌ وَلَا نُجُودٌ، إِلَّا السَّمَاءُ
وَالْمَاءُ وَذَلِكَ السَّفِينُ، وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينٌ، مَعَ تَرْقُبِ هُجُومِ
الْعُدُوِّ فِي الرُّوَحِ وَالْعُدُوِّ، فَرَادَا ذَلِكَ الْحَذَرُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ وَلَمْ
يَذَرْ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ قَلَقًا، وَأَجْرَيْنَا إِذَا ذَاكَ فِي مِيدَانِ
الْإِلْهَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ طَلَقًا، وَتَشَتَّتْ أَفْكَارُنَا فَرَقًا، وَذُبْنَا
أَسَى وَنَدَمًا وَفَرَقًا، إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالنَّجَاةِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ الْكَائِنُ،
وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْمَلَأَيْنِ، فَرَأَيْنَا الْبَرَّ وَكَأَنَّا قَبْلُ لَمْ تَزِهِ، وَشَفِيتْ
بِهِ أَعْيُنُنَا مِنْ أَلَمِهِ، وَحَصَلَ بَعْدَ الشَّدَةِ الْقَرْجُ، وَشَمِعْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
أَطِيبَ الْأَرْجِ (نفع الطيب للمقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مُلُوكًا وَأَمْرَاءَ، وَأَوْجُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ، وَالسُّنَنُ
لِلْقَصَاحَةِ، وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ، وَعُقُولُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ، وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ
مَشْهُورٌ بِسَيَادَتِهِمْ، وَوَاسِطَةُ وِلَادَتِهِمْ، كَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ،
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، غُرَّةَ الزَّمَانِ، وَعِمَادَ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ سِدَادُ الثُّغُورِ،
وَسِدَادُ الْأُمُورِ، وَكَانَتْ وَقَائِعُهُ فِي عَصَاةِ الْعَرَبِ تَكُفُّ بِأَسْهَائِهِ وَتَقْلُ
أَنْبِيَائِهِ، وَتُدِلُّ صِعَابَهَا، وَتَكْفِي الرِّعْيَةَ سُوءَ آدَابِهَا، وَغَزَوَاتُهُ تُدْرِكُ مِنْ
طَافِغَةِ الرُّومِ الثَّارَ، وَتَحْسِمُ شَرَّهُمُ الْمَثَارَ، وَتُحْسِنُ فِي الْإِسْلَامِ.

الآثار. وحضرته مقصد الوفود. ومطلع الجود. وقبلة الآمال
 ومحط الرحال. وموسم الأدباء. وحلبة الشعراء. وية ال إنّه لم
 يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر
 ونجوم الدهر. وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها. وكان
 أدبياً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الأهترار لما يمدح به. فلو أدرك ابن
 الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي المران
 كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالأريحية فيهم بهكان
 وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد بن الهياض الكاتب
 وأبي الحسن علي بن محمد السمساطي قد اختار من مداح الشعراء
 لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول المتنبي :

خليبي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
 فلا تعجبا أن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد
 له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الإحسان والصفح غامد
 ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد
 أخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم إلا وسيمان جامد
 بذاقص الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
 ومن شرف الإقدام أنك فيهم على القتل موموق كأنك شاكد
 وأن دماً أجرته بك فأخر وأن فوإذا رعته لك حامد

وَكُلُّ مَرَى طُرُقِ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ
أُجْبِكَ يَا شَيْمَسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
وَقَوْلُ السَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمُوَصِّلِيِّ :

أَغْرَتْكَ الشَّهَابُ أَمْ النَّهَارُ
خُلِطَتْ مَنِيَّةٌ وَمُنَى فَأَصْحَتْ
تُحَلِّي الدِّينَ أَوْ تُحْمِي حِمَاهُ
سُيُوفُكَ مِنْ شُكَاةِ الثَّغْرِ بَرَّةٌ
وَكَفَاكَ أَنْعَامُ الْجُودِ يَسْرِي
يَسَارٌ مِنْ سَجِيئَةِ الْكَيْبَا
حَضَرْنَا وَالْمُلُوكُ لَهُ قِيَامٌ
وَزَرْنَا مِنْهُ لَيْثُ الْقَابِ طَلَقًا
فَكَانَ لِحَوْهَرِ الْجِدِّ أَنْتَظَامٌ
فَعِشْتَ مُحْبِرًا لَكَ فِي الْأَمَانِي
فَضِيفُكَ لِلْحَيَا الْمُنْهَلِ ضَيْفُ
وَقَوْلُ أَبِي فِرَاسِ الْحَارِثِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْحَمْدَانِيِّ :

أَشِدَّةُ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمُ
تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحِ تَضَطَّلُ

يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا أَمَا يَهْوُكَ لَا مَوْتَ وَلَا عَدَمُ
لَهْدَ ظَنَّتِكَ بَيْنَ الْجَحْلَيْنِ تَرَى أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ وَقَعِ الْهَنَاءِ تَصِمُ
نَشْدُوكَ اللَّهُ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسٍ عَلَى حَيَاةٍ صَاحِبِهَا يَحْيَا بِهَا أُمُّ
هِيَ السَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفُ وَكُلُّ فَضْلِكَ لَا قَصْدُ وَلَا أَمُّ
إِذَا لَقِيتَ رِفَاقَ الْيَاسِ مُنْقَرِدًا تَحْتَ الْعِجَاجِ فَلِمَ تُسْتَكَثِرُ الْخَدَمُ
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلَقَى الْقِتَالُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ الْخَيْلُ وَالْبَهْمُ
تَضَنُّ بِالطَّعْنِ عَنَّا ضَنْ ذِي بَخْلٍ وَمَنْكَ فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرِفُ الْكَرَمُ
لَا تَجْلُنَ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا أَتَنِي عَلَيْكَ بَنُو الْهَيْجَاءِ دُونَهُمْ
أَلْبَسْتَ مَا لَبَسُوا رَكِبْتَ مَا رَكَبُوا عَرَفْتَ مَا عَرَفُوا عَالَمَتَ مَا عَالَمُوا
هُمْ الْقَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمْ أَسْلُ فَإِنْ رَأَوْكَ فَاسْدُ وَالْهَنَاءُ أَجْمُ
وَكَقَوْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّائِمِ :

خَلِيفَتَ كَمَا أَرَادَتْكَ الْعَالِي فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
عَجِبُ أَنْ سَيْفَكَ لَيْسَ يَرَوِي وَسَيْفُكَ فِي الْوَرِيدِ لَهُ وَرُودُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُمْحُكَ حِينَ يُسْقَى فَيَضْحُو وَهُوَ تَشْوَانُ يَمِيدُ
وَكَقَوْلِ أَبِي نَضْرٍ بْنِ ثُبَاةَ وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدْعِيكَ الْعَرَبُ وَاحِدَهَا يَا مَنْ تَرَى قَدَمِيهِ طِينَةَ الْعَرَبِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهٌ مِثْلُ أَوْجِهِهِمْ عِنْدَ الْعِيَانِ فَلَيْسَ الصُّفْرُ كَالذَّهَبِ
وَإِنْ يَكُنْ لَكَ نُطْقٌ مِثْلُ نُطْقِهِمْ فَلَيْسَ مِثْلُ كَلَامِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ
وَكَادَتْ عَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَفِيضُ . وَمَا تُرْكَرِمُهُ تَسْتَفِيضُ .

فَوَرَّخُ بِهَا أَيَّامُ الْمَجْدِ وَتُخَلَّدُ فِي صَحَافٍ حُسْنِ الذِّكْرِ (اليتيمة للشعالبي)

قال بشر بن ابى عوالة يصف قتالة الاسد وقتله اياه

٧٤

أَفَاطِمُ لَوْ شِهدَتْ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْرُ أَخَاكَ بِشَرًّا
إِذَا لَرَأَيْتَ لَيْشًا أَمْ لَيْشًا هَزْرًا أَغْلَبَا لَاقَى هَزْرًا
تَبَهَّسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَادَرَةً فَهَلْتُ عُقِرَتْ مُهْرًا
أَنْلَ قَدَمِي ظَهْرَ الْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثَبْتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبَدَى نِصَالًا مُحَدَّةً وَوَجْهًا مُكْفَهْرًا
يُكْفِكُفُ غِيْلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَسْطُ لِلوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدِلُّ بِخَلْبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِالْحَطَّاتِ مُحْسِبِينَ جَمْرًا
وَفِي يَمَنَّا مَاضِي الْعَزْمِ أَبْنِي بِمَضْرِبِهِ قِرَاعَ الْمَوْتِ أَثْرًا
فَضَحِكَ فَاتَمَسَّ بِأَلَيْثُ عَيْرِي طَعَامًا إِنْ لَحِمِي كَانَ مُرًّا
أَمْ يَلْنُكَ مَا قَعَلْتَهُ كَفِّي بِكَاطِمَةٍ غَدَاةً قَتَلْتُ عَمْرًا
قَلَمًا ظَنَّ أَنَّ أَنْضَحَ غِشٍّ وَخَالَ مَقَالَتِي زُورًا وَهَجْرًا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَغَرَا
سَلَّتْ لَهُ الْحُسَامُ فَحَلَّتْ أَتِي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى الظُّلُمَاءِ فَجْرًا
وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضَالَعِ عَشْرًا
فَحَرَّ مُضْرَجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْخَرًا
بِضْرَبَةٍ فَيَصِلُ تَرْكَتُهُ شَفْعًا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وَتْرًا
وَقُلْتُ لَهُ يَعْزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْدًا وَهَرًّا

وَلَكِنْ رَمَتْ أَمْرًا لَمْ يَرْمَهُ سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
فَلَا تَجْزَعُ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ قُتَّ حُرًّا

صفة النفس لابن سينا الرئيس

٧٥

هَبَطْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءَ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَنْفَعِ
مُخْجَوِبَةٌ عَنْ كُلِّ مُثَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَبَرِّقْ
وَصَلَتْ عَلَى كَرِهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَوْجِعِ
أَلَقَتْ وَمَا أَلَقَتْ فَلَمَّا وَاصَلَتْ أَلَقَتْ مُجَاوِرَةَ الْحُرَابِ الْبَلْقَعِ
وَأَظْنَهَا نَسِيتَ عَهْدًا بِالْحِمَى وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَنْفَعِ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتَ بِهَاءِ هُبُوطِهَا مِنْ مِيمٍ مَزَكَّرَهَا بِدَارِ الْأَجَرِ
عَلَقْتَ بِهَا ثَاءً الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالطُّلُولِ الْخُضْعِ
تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرْتَ عَهْدًا بِالْحِمَى بِمَدَامِعِ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
حَتَّى إِذَا قُرْبَ الْمَسِيرِ إِلَى الْحِمَى وَدَنَا الرَّجُلُ إِلَى الْقَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَعَدَّتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذُرْوَةِ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعِ
وَتَظَلُّ سَاجِدَةً عَلَى الدِّمَنِ الَّتِي دَرَسَتْ بِتَكَرُّرِ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
إِذَا عَاقَهَا الشَّرُّ الْكَثِيفُ وَصَدَّهَا نَقْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْقَسِيجِ الْأَرْبَعِ
وَعَدَّتْ مُقَارِفَةً لِكُلِّ مُخْلَفٍ فِيهَا حَلِيفَ الْأَشْرَبِ غَيْرِ مُشْتَعِ
هَجَمَتْ وَقَدْ كُفِّفَ الْغَطَاءُ فَأَبْصَرَتْ مَا لَيْسَ يَذُرُّكَ بِالْعُيُونِ الْهَجْعِ
وَتَعُوذُ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ فَحَرُّهَا لَمْ يَرْفَعِ
فَلَا يَشِيءُ أَهْطَطَ مِنْ شَانِحٍ سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحُضِيِّضِ الْأَوْضَعِ

إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا إِلَاهُ لِحِكْمَةٍ طُوِيَتْ عَنْ أَهْدَى اللَّيْلِ الْأَرْوَاحِ
فَهَبُوتُهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةُ لَارِبٍ لَتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ يُسْمَعْ
وَهِيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا حَتَّى لَقَدْ غَرَبَتْ بَغِيرَ الْمُطْلَعِ
فَكَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحَمَى ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعْ

٧٦ قال علي بن محمد الايادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أَرَادَ

إِغْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَقَرِّ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُسْتَعِجِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُسْتَصْبِ
دَهْمَاءُ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابُ تَصْنَعُ تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ
مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي أَلْهَوَاءِ مُشْرِ مِنْهَا وَأَتَّحَمَ فِي الْخَلِيجِ مُغِيبِ
كَمَرَاءَةٍ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرُهَا فِي الْبَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ الشَّدْبِ
مَحْفُوفَةٍ بِجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ فِي الْجَانِبَيْنِ دُونِ صَلْبِ صَلْبِ
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفُوفِ عُرِيَتْ مِنْ كَلْسِيَّاتِ رِيَاشِهِ الْمُنْهَدِبِ
وَمَحْمُوشِ أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَ بِمَصْعِدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مُصَوَّبِ
خَرَقَاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَذْهَبِ
جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوَكَبًا فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ
وَمَا جَنَاحُ يُسْتَعَارُ بِطَيْرِهَا طَوْعُ الرِّيَّاحِ وَرَاحَةُ الْمُتَطَرِّبِ
يَعْلُوهَا حَدَبُ الْعَابِ مُطَارَةً فِي كُلِّ لَحْ زَاخِرٍ مُغْلُولِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعُ الرَّبِّ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلُ الْأَهْلَةِ جُنَحٌ
يَذْهَبْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ
وَعَلَى كَوَاسِيهَا أُسُودٌ خِلَافَةٌ
فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بَرِيَّتَهُمْ
لَحِقَ الْمُطَابِبِ قَائِلَاتِ الْمُهْرَبِ
وَيَحِينُ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَابِ
تَحْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ
ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ الدِّينِ سِرَّتَنَا
أَسِنَّهُ إِذَا لَاقَى طِعْمَانًا
دَعَانَا وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتُ
صَنَائِعِ فَاقِ صَانِعِهَا قَهَاقَتْ
وَكُنَّا كَالْإِسْهَامِ إِذَا أَصَابَتْ
فَلَمَّا أَشْتَدَّتِ الْهَيْمَاءُ كُنَّا
وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ جَارًا
سَقَيْنَا بِالرَّمَحِ بَنِي قُشَيْرٍ
وَسِرْنَا بِالْخَيْلِ إِلَى بَيْمِرٍ
وَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لَا غِيَاثَ
وَعَادَ إِلَى الْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا
أَمَرٌ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا
أَحْلَهُمُ الْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ
دِيَارُهُمْ أَنْتَرَعْنَاهَا أَقْتِسَارًا
كَمَا هَيَّجَتْ آسَادًا غِيَاثًا
صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابًا
فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَا
وَعَرَسُ طَابِ عَارِسُهُ قَطَابَا
رَمَاهَا قَرَامِيهَا أَصَابَا
أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدًا نَابَا
وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقْلَّ عَابَا
يُطْنِ الْعَنْتَرِ السَّمَّ الْمَذَابَا
تَجَادَبْنَا أَعْنَتَهَا جَذَابَا
دَعْوُهُ لِلْمَعْمُوتَةِ فَاسْتَجَابَا
وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى الرِّقَابَا
أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرِيًّا وَصَابَا
أَخُو حُلُمٍ إِذَا مَلَكَ الْعُقَابَا
وَأَرْضُهُمْ أَغْتَصَبْنَاهَا أَغْتِصَابَا

وَلَوْ رُمْنَا حَمِينَهَا أَلْبَوَادِي كَمَا تَحْمِي أَسُودُ الْغَلَبِ غَابَا
 إِذَا مَا أَرْسَلَ الْأُمْرَاءَ جَيْشًا إِلَى الْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا الْكُتَابَا
 أَنَا ابْنُ الضَّارِبِينَ أَلْهَمَ قَدَمَا إِذَا كَرِهَ الْمُحَامِدُونَ الضَّرَابَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلَكَ قَالَ حَقًّا يَا بَنِي كُنْتُ أَثَقَبَهَا شَهَابَا

لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

٧٨

وَتَوَفَّى مَدَّ الصَّبِيرِ قَطَعَتْهَا وَاللَّيْلُ فَوْقَ إِكْرَامِهَا يَرِجُ
 لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ آمَلُ ذِي الْخِرْصِ الَّذِي لَا يَقَعُ
 بَاتَ كَوَاكِبُهُ مَحُوطٌ بَقَاءَهُ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْهُ نَجْمٌ يَلْمَعُ
 زَهْرٌ يُثِيرُ عَلَى الصَّبَاحِ طَلَانًا حَوْلَ السَّمَاءِ فَهِنَّ حَسْرَى ضَلَعُ
 مُتَقَطَّاتٍ فِي الْمَسِيرِ كَأَنَّهَا بَاتَتْ تُنَاجِي بِالَّذِي يَتَوَقَّعُ
 وَالصَّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهِ غِرَّةً مُتَضَائِلٌ مِنْ سُخْفِهِ يَطْلَعُ
 مُتَنَفِّسًا فِيهِ جَنَانًا وَاهِنًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ سَاعَةٍ يَلْتَجِعُ
 حَتَّى أُرْزَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ لَضْوَانُهُ وَقَدْ اسْتَجَابَ ظَلَامُهُ يَتَقَسَّمُ
 وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا تَدْرِي يَوْشَلُ رِيَالَهَا مَا تَصْنَعُ
 مُتَهَادِلَاتِ النُّورِ فِي آفَاقِهَا مُسْتَعْبِرَاتٍ فِي الدُّجَى تَسْتَرْجِعُ
 وَكَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَهَا لَتَعَايِقَ الظُّلَمَاءَ وَهِيَ تُودِعُ
 وَكَأَنَّهَا فِي الْجَوْنِ نَشْأُ أَخِي وَلَا يَبْكِي وَيُوقِفُ تَارَةً وَيُسَيِّعُ
 وَكَأَنَّهَا الشَّعْرَى الْعُبُورُ وَرَاءَهَا نِكَلَى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يَهْمُ
 وَبَدَتْ نَشْأُ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرَا قُدَامَهَا أَخَوَاتُهَا الْأَرْبَعُ

عَبْرَى هَتَكْنَ فَلَحْنَنَّ عَلَى الدُّجَى
وَكَاَنَّ أَفْقَامِن تَلَا لَوْ نَجْمِهِ
وَأَنْفَجُرْ فِي صَفْوِ الْمَوَاءِ مُورِدٌ
يَا لَيْلُ مَا لَكَ لَا تَيْبُ كَوَاكِبَا
لَوْ أَنَّ لِي بَضِيَاءَ صُنْجِكَ طَافَةً
حَذَرَاعَلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي
يَا صُنْجُ هَاكَ شَيْبَتِي فَأَفْتَكْ بِهَا
أَقْدَرْتَنِي أَنْسِي بِأَنْجَمِهَا إِلَّيْ

للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب

٧٩

قَدِيتْ لَهُمْ فَلَيْقُ شَهْبَاءَ كَالْحَلَّةِ
صَرِيفُ أَنْيَابِهَا صَوْتُ الْحَدِيدِ إِذَا
وَدَرَّهَا الْمَوْتُ يَفْوَى فِي مَخَالِيقِهَا
فِي جَوِّهَا الْبَيْضُ وَالْمَاذِي مُخْتَلَطٌ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهِيَ كَالْحَلَّةِ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَيْمٍ مُعْلَمٍ ذَكَرٍ
مُسْتَوْدِنِ الْوَعَى لِلْمَوْتِ دَرَهْمٍ
لَهُمْ سَرَايِلُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمِنْ
مُظَاهَرَاتٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بِأَسْهِمٍ
فِي يَوْمٍ حَتَفَ يَهَالُ النَّاطِرُونَ لَهُ

بِالْمَوْتِ تَسْرِي وَيَالَا بَطَالِ تَقَاتِرُ
قَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا أَبَاؤُهَا الْوَقْرُ
لِلْوَارِدِينَ يُوَافِي وَرَدَهَا الصَّدْرُ
وَالْجُرْدُ وَالْمَرْدُ وَالْخَطِيبَةُ السُّمْرُ
شَوْهَاءَ مِنْهَا جِمَامُ الْمَوْتِ يَنْتَظِرُ
فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
يَوْمَ الْحِفَاطِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ عُسْرُ
نَضْحِ الدَّمَاءِ سَرَايِلُ لَهُمْ أُخْرُ
لَوْنَانِ جَوْنُ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حَرُ
مَا إِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ شَمْسُ وَلَا قَمَرُ

بِالْبَيْضِ يَهْتَفْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ مِمَّا تَرَى وَخُدُودُ الْقَوْمِ تَعْفَرُ
تَكْسُوهُمْ مَرْهَفَاتٌ غَيْرُ مُجْدِبَةٍ يَشْفِي أَخْتِرَاطُ ظُلُمَاتِهَا مَنْ بِهِ صَعَرُ
هِنْدِيَّةٌ كَأَشْتِعَالِ النَّارِ تَقْصِمُهُمْ بِهَا مَغَاوِدُ عَنْ أَحْسَانِهِمْ غَيْرُ

٨٠ لصني الدين الحلي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح

ورجلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاجِلًا تَطْوِي أَلْفًا وَتَقْطَعُ الْمَرَاجِلَا
تَذَكَّرَتْ أَكَامَ دَرَبِنَدَاتِهَا وَعَاقَتْ أَلْجَامَ وَالسَّوَاجِلَا
أَذْكُرَهَا عَرَفُ الرِّبْعِ إِلَهَهَا فَأَقْبَلَتْ إِشْوَقَهَا حَوَائِلَا
تَقْرُقُ فِي الْجَوِّ بِصَوْتِ مُطْرِبٍ يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَائِلَا
لَمَّا رَأَتْ حَرَّ الْمَصِيفِ مُقْبِلَا وَطِيبَ بَرْدِ الْقَرِّ ظِلًّا زَائِلَا
أَهْمَلَتْ أَلْتَحِيطَ فِي مَطَارِهَا وَعَسَكْرَتْ إِسِيرَهَا قَوَافِلَا
تَهْضُ مِنْ صَرْحِ الْجَلِيلِ تَحْتَهَا بِأَرْجُلٍ لِيُرِدِهِ قَوَافِلَا
قَدْ أَنْفَتِ أَيَّامَ كَانُونَ لَهَا مِنْ أَنْ تَرَى مِنَ الْحَلَى عَوَاطِلَا
فَصَاعَتِ الطَّلَّ لَهَا قَلَانِدًا وَالتَّلَجَّ فِي أَرْجُلِهَا خَلَاخِلَا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةِ وَنَبَّهَ الزَّمِيلَ وَالْمَقَاوِلَا
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصِيدِهَا نَبَّهْتُ لَيْثَ عَرِينِ بَاسِلَا
ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْفِي أَنَارَهُ وَنَقْصِدُ الْإِمْلَاقِ وَالْمَنَاهِلَا
وَالصَّبْحُ قَدْ أَعْمَنَا بِنُورِهِ لَمَّا أَتْنَتْنِي جَنَحُ الظَّلَامِ رَاجِلَا
وَقَدْ أَقْنَا فِي الْمَقَامَاتِ لَهَا مَعَالِمًا تَحْسِبُهَا مَجَاهِلَا

نَرُشُّهُمَا مِنْ تَحْتِهَا يَبْدُقُ يَعْرِجُ كَالشَّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلًا
فَمَا رَقِيَ تَحْتَ الطُّيُورِ صَاعِدٌ إِلَّا ائْتَدَى بِهَا أَلْبَلَاءُ نَارِلًا
لِلَّهِ أَيَّامٌ يَهْوُرُ بِأَبْلِ اَصْحَى بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا بِاخِلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شِتْلًا جَامِعًا وَكَمْ صَحَبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلًا

٨١ ولصني الدين الحلي في صفة الشمع وفيه خمسة عشر تشبيهًا

جَلَّتِ الظُّلُمَاءُ بِاللَّهِبِ إِذْ بَدَتْ فِي اللَّيْلِ كَالشَّهْبِ
فَانْجَلَتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَّتْ ظَلَمَ الْأَحْزَانِ وَالْكَرْبِ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضَاحِكَةً مِنْ تَوَارِي الشَّمْسِ فِي الْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا ضَاحِكًا فِي زِيٍّ مُتَّحِبِ
كَيْفَ لَا تَمَحُلُو ضَرَائِبَهَا وَبِهَا ضَرْبٌ مِنْ الضَّرْبِ
خَلَّتْهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَتُجُومُ الْأَفْقِ لَمْ تَغِبِ
قُضِبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ فَوْقَ كُشْبَانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيتًا مُنْضَدَّةً بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضْبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي الْعَدَى طَعَنْتْ قَعَدَتِ مُحَمَّرَةً الْعَذَبِ
أَوْ سِهَامًا نَضَلَهَا ذَهَبٌ لِسَوَى الظُّلُمَاءِ لَمْ تَصِبِ
أَوْ أَعَالِي حُمُرِ أَلْوِيَةٍ نُشِرَتْ فِي جَفَلٍ لَجِبِ
أَوْ شَوَاطِلًا لِلْقَرَى رُفِعَتْ تَرَاءَى فِي ذُرَى كَتَبِ
أَوْ لَطَى نَارِ الْحُلُجَابِ قَدْ لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبِ
أَوْ عِيُونَ الْأَسَدِ مُوَصَّدَةً فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ الْقَصَبِ

أَوْ شَقِيقَ الرُّوضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مَجْدُولٍ مِنَ الْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نِيلَوفِرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ الْعَرَبِ

وصف الفيل لابن حسن الجوهري

فِيلٌ كَرَّضَوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ الْعِجَمِ بُرْدًا
مِثْلُ الْعِمَامَةِ مُلِيتُ أَكْتَافُهَا بَرَقًا وَرَعْدًا
رَأْسُ كُمَّلَةٍ شَاهِقٍ كُسِيتَ مِنَ الْحِيَلِ جِلْدًا
فَقَرَاهُ مِنْ قَرِطِ الدَّلَالِ لِ مُصْعَرًا لِلنَّاسِ خَدًا
يُزْهِى بِمُخْرُطَوْمٍ كَمِثْلِ الصَّوْلَجَانِ يُرْدُّ رَدًّا
يَسْطُو بِسَارِيَّتِي لِحْيَتَانِ يَخْطُمَانِ الصَّخْرَ هَذَا
أَذْنَاهُ مِرْوَحَتَانِ أَشْنَدَتَا إِلَى الْقَوْدَيْنِ عَمْدًا
عَيْنَاهُ غَارَتَانِ طَيَّقَتَا لَجْمَ الصَّوْءِ عَمْدًا
فَكَتَّ كَمُوهَةٍ خَلِيجٍ يَلُوكُ طُولَ الدَّهْرِ جَمْدًا
تَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ فَتَحْسَبُهُ غَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتَا كَبْكَبَانِ الْخُورِ نَقِ مَائِلًا فِي الدَّهْرِ كَدًا
رِدْفًا كَدَكَّةٍ غَنَبٍ مُتَمَايِلِ الْأَوْرَالِ نَهْدًا
ذَنَبًا كَمِثْلِ السَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَزَنْدًا
يَخْطُو عَلَى أَمْشَالِ أَعْمِدَةِ الْجِبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلَ أَمْيَالٍ تُضَيِّدُ نَ مِنْ الصُّخُورِ الصَّمِّ نَضْدًا
مُتَوَارِدًا حَوْضَ الْمَنَسِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وَرَدًا

مُتَمَلِّكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُودَى
 مُتَلَفِعًا بِالْكِبْرِيَاءِ ۚ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفْدَى
 أَذْنَى إِلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ يُرَادُّ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
 أَذْكَى مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّىٰ لَوْ رَأَىٰ خَلًّا لَسَدًّا

وصف الكرمة للطغرائي

٨٣

وَكَرَمَةٍ أَعْرَافُهَا مِنَ الثَّرَىٰ بَعِيدَةِ الْمُنْتَعِ وَالْأَضْرِبِ
 كَرِيمَةٍ تَلْتَفُ أَغْصَانُهَا أَوْ غَضَّةٌ بِالْأَقْرَبِ فَلِأَقْرَبِ
 يَتَمَسَّحُ مِنْ قَعْرِ الثَّرَىٰ رِيًّا أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْدِبِ
 أَفْهَمَ الرِّيحُ وَصُوبُ الْحَيَا وَالشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
 فَأَعْقَبَتْ حَامِلَهَا بَعْدَ مَا عَاشَتْ زَمَانًا وَهِيَ لَمْ تُعْقِبِ
 وَوَضَعَتْهَا بِحِمَىٰ يَتَنَبَّىٰ إِلَىٰ أَبِ الْأَكْرَمِ بِهِ مِنْ أَبِ
 وَالْخَشْيَا خُضَرَ أَوْرَاقُهَا مَعْدُوبَةٌ بِالْخَلْبِ الْأَعْدَبِ
 وَبَدَأَتْ خُضَرَ عَنَاقِيدِهَا بِأَذْهَمِ النُّجُومِ وَالْأَشْهَبِ
 فَاسْتَسَلَّتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ مُدَامَةً كَالْقَبَسِ الْمُلَوَّبِ
 وَلَمْ تَلْ بِالرِّقِّ حَتَّىٰ انْكَبَسَىٰ لِحِينَهَا مِنْ صُنْعِهَا الْمَذْهَبِ
 فَالْأَشَقُّ الْمُنْسُوجُ مِنْ نَسْلِهَا سَلِيلُ ذَاكَ الْأَشْهَبِ الْمُنْجَبِ
 تَرَىٰ الثَّرِيًّا مِنْ عَنَاقِيدِهَا تَلُوحُ فِي الْخُضْرِ كَالْغَيْبِ
 أَلْوَانُهَا شَتَّىٰ وَأَنْوَاعُهَا مُثَقَّاتُ النَّجْرِ وَالْمَنْصَبِ
 كَمْ سَجَّ فِيهِ وَكَمْ خَزَعَتْ صَحِيحَةَ التَّدْوِيرِ لَمْ تُثَبِّبِ

مِنْ حَالِكَ أَلْوَنِ كُنْجِ الدُّجَى وَنَاصِعِ يَلْمَعُ كَأَلْوَكَبِ
أَطْيَبُهَا حِلًّا وَمَخْظُورَةٌ فِي كَرَمِهَا وَكَأْسِهَا الْأَطْيَبِ

زهرية الفقيه ابى الحسن بن زبناح

٨٤

أَبَدْتُ لَنَا أَلْيَامُ زَهْرَةَ طَيِّبِهَا
وَأَهْتَرَّ عَطْفُ الْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُفْوَانِ شَبَابِهَا
وَقَفَّتْ عَلَيْهَا السُّحُبُ وَفَقَّةَ رَاحِمِ
فَجِئْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكْتُ
وَتَسَرَّبَتْ حُلًّا تَجُرُّ ذُبُوبَهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ الْمَزْنُ فِي أَنْجَادِهَا
مَا أَنْصَفَ الْخَيْرِيُّ يَمْنَعُ طَيِّبَهُ
وَهِيَ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ بِدُقَّتُهَا
فَكَأَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِ مَوْتٌ
وَعَلَى سَمَاءِ أَلْيَاسِينَ كَوَاكِبُ
زَهْرُ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا
فَتَارَجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهَوَاهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلِ
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أَصُولِ ثِمَارِهَا
أَوْ مَا تَرَى الْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ
وَتَسَرَّبَتْ نَضِيرُهَا وَقَشِيرُهَا
وَبَدَّتْ بِهَا النِّعْمَاءُ بَعْدَ سُخُوبِهَا
مِنْ بَسَدٍ مَا بَلَغَتْ عَيْتَ مَشِيرِهَا
فَبَكَتْ لَهَا بَعُيُونُهَا وَقَلُوبُهَا
بِكَايَها وَتَبَشَّرَتْ بِقُطُوبِهَا
مِنْ لَذَمِهَا فِيهَا وَشَقَّ جُيُوبِهَا
وَأَجَادَ حُرُّ الشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا
لِحُضُورِهَا وَيُجِئُهُ لِمَغِيبِهَا
وَتَعَاهَدَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيبِهَا
وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
أَبَدْتُ ذَكَاءَ الْخَجَرِ عَنْ تَعْيِيدِهَا
وَتَقَوَّتْ شَاوُ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِكُورِهَا
تَتَصَاعَدُ الْأَبْصَارُ فِي تَصْوِيْبِهَا
وَالْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوقِهَا وَرُسُوبِهَا
إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فِقَارَ قَضِيْبِهَا

وَالطَّيْرُ قَدْ خَفَّتْ عَلَى أَفْكَانِهَا تُلْقِي فُتُونُ الشَّدْوِ فِي أُسْلُوبِهَا
تَشْدُو وَتَهْتَرُ الْغُصُونُ كَأَنَّمَا حَرَكَاتُهَا رَقْصٌ عَلَى تَطْرِيبِهَا

٨٥ قال ابن حمديس الصقلي يصف دارا بناها المنصور بن اعلى بجاية

أَعْمَرَ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتُهُ مَعْمُورًا
قَصْرُ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَجَلْتَ بُسُورِهِ أَعْمَى لَمَادَ إِلَى الْمَقَامِ بِصِيرًا
وَأَشْتَقُّ مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ لَسِيَهُ فَيَكَادُ يُخْدِثُ بِالْعِظَامِ نَشُورًا
لَسِي الصَّبِيحُ مَعَ الْفَصِيحِ بِذِكْرِهِ وَسَمَا فَقَاتُ خَوَرِنَا وَسَدِيرًا
أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبَدَعَ مَنْظَرٍ ثُمَّ أَنْتَبَيْتُ بِكَاطِرِي مَحْشُورًا
فَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلِكَ فِيهِ كَبِيرًا
لَوْ أَنَّ بِالْإِيوَانِ قُوَيْلَ حُسْنُهُ مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكَورًا
أَعَيْتُ مَصَانِعَهُ عَلَى الْهَرَسِ الْأَلَى رَفَعُوا الْإِنَاءَ وَأَحْكَمُوا التَّدْبِيرًا
وَمَضَتْ عَلَى أَرْوَمِ الدُّهُورِ وَمَا بَنُوا لِلْمُلُوكِ شَبَهَا لَهُ وَنَظِيرًا
أَذْكُرْتَنَا الْفَرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْنَا غُرَفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورًا
وَمُحَصَّبٍ بِالْدَّرِّ تَحْسَبُ زُبَّةً مِسْكًا تَضُوعَ نَشْرُهُ وَعَبِيرًا
تُسْتَخْلَفُ الْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُنِيرًا

ثم ذكر بركة فيه عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها الماء وتنتثر. فذكر
أسوداً على حافاتها قاذفة بالياه أيضاً فقال :

وَضَرَانِعِمِ سَكَنْتَ عَرِينَ رِئَاسَةٍ تَرَكْتَ خَرِيرَ الْمَاءِ فِيهِ زَبِيرًا
فَكَأَنَّمَا غَشَى النُّضَارُ جُسُومَهَا وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبُلُورَا

أَسْدُ كَانَ سَكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ فِي النَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُمِيرًا
وَتَذَكَّرَتْ فُتُكَاتِهَا فَكَأَنَّمَا أَقَمْتُ عَلَى أَدْبَارِهَا لِسُورًا
وَتَحَا لَهَا وَالشَّمْسُ تَجَلُّو لَوْنَهَا نَارًا وَالسُّنْهَا أَلْسُونَا نُورًا
فَكَأَنَّمَا سَلَّتْ سُوفَ جَدَاوِلٍ ذَابَتْ بِهَا نَارَ قَعْدَنَ غَدِيرًا
وَكَأَنَّمَا تَسَجَّجَ اللَّسِيمُ لِمَاءِهِ دِرْعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرًا
وَبَدِيْعَةُ الثَّمَرَاتِ تَعَبَّرُ نَحْوَهَا عَيْنَايَ بِمَجَرِّ عَجَائِبِ مَسْجُورًا
سُجُوبُهُ ذَهَبِيَّةٌ تَرَعَّتْ إِلَى سَخَرِ يُورُ فِي النَّهْيِ تَأْثِيرًا
قَدْ سُوْنِحَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا قَبَضْتُ بَيْنَ مِنَ الْقَضَاءِ طُيُورًا
وَكَأَنَّمَا تَأْتِي لَوْقَعِ طَيْرِهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ يَنْهَضُهَا وَتَطِيرًا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَسَالِ اللَّحْيَيْنِ نَمِيرًا
خُرْسُ ثَعْدٍ مِنَ الْفَصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرًا
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غَضَنِ فِضَّةٌ لَأَنْتَ فَارَسَلْ خَيْطَهَا مَجْرُورًا
وَتُرِيكَ فِي الصَّهْرِ بِحِجْ مَوْقِعِ قَطْرِهَا فَوْقَ الزَّرْجَدِ لَوْلُؤًا مَنُورًا
صَحَكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا جَعَلَتْ لَهَا زَهْرُ النُّجُومِ تُغُورًا
وَمُصَقِّحَ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا بِالنَّفْسِ فَوْقَ شُكُوهِ تَنْظِيرًا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَابِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا فَأَرْتِكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصُورًا
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لِقَةٌ مَشْقُوبَاتِ التَّرْوِيقِ وَالشَّجِيرَا
وَكَأَنَّمَا أَلَّا زَوْرُدُ مُحَرِّمٌ بِالْحَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سُطُورًا

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الشِّعْرِ الْقَدِيمِ

نُحِبُّ مِنَ الْمَعْلُقاتِ

نُحْبَةُ مِنْ مَعْلَقَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خُجْرٍ الْكَنْدِيِّ

٨٦

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُولَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّيَّ بَصْلُهُ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنَحِلِي
قِيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ
وَقَدْ أَغْنَيْدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
مِرْكَرٍ مَقَرٍّ مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعَا
كَمَيْتٍ يُزِلُّ اللَّبَدَ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ
عَلَى الذَّبَلِ جِيَّاشٍ كَانَ أَهْرَامُهُ
مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَنِ
يُزِلُّ أَلْفَ لَامٍ لَحْفَ عَنْ صَهَوَاتِهِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ
لَهُ أَيْطَلَاظِي وَسَاقًا نَعَامَةٍ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَانَ نِعَاجُهُ
فَالْحَفَا بِالْمَهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ
بُضْجٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلٍ
بِأَمْرٍ أَسْ كَثَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ
بَسْمَجِدٍ قَيْدِ الْأَوَايِدِ هَيْكَلٍ
كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عِلٍ
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ
إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ عَلَى مِرْجَلٍ
أَثْرُنَ غُبَارًا بِالْكَيْدِ الْمُرْكَكَلِ
وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْغَيْفِ الْمُثْمَلِ
تَتَابَعُ كَفْنِهِ بِخِيطٍ مُوَصَّلِ
وَارِخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبُ تَنْفَلِ
عَذَارَى دُورٍ فِي مَلَأَ مُذْيَلِ
جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَرِيلِ

فَمَادَى عِدَاءَ بَيْنَ تَوْرٍ وَنَجْمَةٍ
 فَظَلَّ طُهَاءُ اللَّهِمَّ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ
 وَرَحْنَا يَكَاذِ الطَّرْفِ يُفْصِرُ دُونَهُ
 فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَجِلَامُهُ
 أَصَاحَ تَرَى بَرَقًا أُرْيَاكِ وَمِيزُهُ
 يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ
 قَعَدَتْ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ
 عَلَى قَطَنِ بِالشِّمِّ أَيْمَنُ صَوْبِهِ
 فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ فَوْقَ كُتَيْفَةٍ
 وَمَرَّ عَلَى الْفَنَانِ مِنْ نَقْيَانِهِ
 وَتِيَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نُخْلَةٍ
 دِرَاكَاوَلَمْ يُنْصَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ
 صَفِيفَ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
 مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ
 وَبَاتَ بَعِيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ
 كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَاوَلٍ
 أَمَالَ السَّلِيطُ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ
 وَبَيْنَ الْعَذِيبِ بَعْدَ مَا مُتَّامِلٍ
 وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلُ
 يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَلِ
 فَأَزْلَ مِنْهُ الْعُضْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ
 وَلَا أَطْمَأ إِلَّا مَشِيدًا يَجْتَدِلُ

نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

٨٧

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
 وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كُنْهِي بِطَانَةٍ
 حُسَامٍ إِذَا مَا قُتُّ مُتَّصِرًا بِهِ
 أَخِي ثِقَةٌ لَا يَنْشِي عَنْ ضَرْبِي
 إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي
 وَبَرَكْتُ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ خَفَافِي
 فَمَرَّتْ كَهَاءُ ذَاتِ خَيْفٍ جُلَالَةٍ
 خَشَّاشُ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ
 لِعَضْبٍ رَفِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُنْهَدِ
 كَفَى الْعُودَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمُعْضِدِ
 إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
 مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
 بَوَادِيهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرِّدِ
 عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَيْلِ يَلْتَدِدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظَيْفُ وَسَاقَهَا
وَقَالَ أَلَا مَا ذَا تَرُونَ بِشَارِبٍ
فَقَالَ دَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعَهَا لَهُ
فَظَلَّ الْأِمَاءُ يَمْتَلِنَ حُورَاهَا
فَإِنْ مُتْ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَلَا تَجْعَلْنِي كَأَمْرِي لَيْسَ هَهُ
بَطِيءٌ عَنِ الْجَلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخُلَا
فَلَوْ كُنْتُ وَغَلَا فِي الرِّجَالِ لَضَرَّنِي
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالُ جِرَافَتِي
لَعَرَّكَ مَا أَمْرِي عَلَى بَغْمَةٍ
وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى أَلْقَى عِنْدَهُ الرَّدَى
وَأَصْفَرَ مَضْبُوحَ نَظَرْتُ حِوَارَهُ
سَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ

نخبة من معلقة زهير بن أبي سلمى اللزني

٨٨

فَأَقْسَمْتُ بِاللَّيْلِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا
سَعَى سَاعِيَا غِيْظِنِ مَرَّةً بَعْدَ مَا
رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجَرَّهْمُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ
تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ

تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَشْرِمْ
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ لَسَلَمْ
بِعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عُشُوقٍ وَمَأْتَمٍ
وَمَنْ يَسْتَبِجْ كَنْزًا مِنْ التَّحْدِ يَعْظُمُ
يُتَجَمَّهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِتَجْرِمْ
وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلًّا حُجْجَمْ
مَغَانِمُ شَيْءٍ مِنْ إِقَالِ مُزَمِّ
وَذُبْيَانِ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلُّ مُقْسَمِ
لِيَتَحَيَّ وَهَمَّا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يَعْمَلُ فَيَنْقَمُ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّ يَتَوَّاهَا فَتَضَرَّمِ
وَتَلْفَحُ كَسَافًا ثُمَّ تُنْتَجِحُ فَنَتَمِ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمُ
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدَرَهَمِ
عِمَارًا تَقْرَى بِالسَّلَاحِ وَبِالدَّمِ
إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ
دَمِ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُتَلَمِّ
وَلَا وَهَبِ مِنْهَا وَلَا ابْنَ الْخُزَّمِ

تَدَارَا كَتَمًا عَبَسَا وَذُبْيَانَ بَعْدَ مَا
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُذِرْكَ السَّلَامَ وَاسْعَا
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعْدٍ هُدَيْتُمَا
تُعْنَى الْكُلُومُ بِالْمِلَيْنِ فَأَصْبَحَتْ
يُتَجَمَّهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ
أَلَا أَلْبِغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
يُؤَخَّرُ قِيُوضُ فِي كِتَابٍ قَدْ خَرَّ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ
مَتَى تَبْعُوهَا تَبْعُوهَا ذَمِيمَةٌ
فَتَعْرُكُكُمْ عُرْكَ الرَّحَى بِثَقَالِهَا
فَتَنْجُ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَامَ كُلُّهُمْ
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغْلِلُ لِأَهْلِهَا
رَعَوْا ظِمَامَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
فَقَضَوْا مَنَآئِمًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لِعَمْرُكَ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلِ

فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْزِلُونَهُ
لِحِي جَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
كَرَامٍ فَلَا ذُو الضَّمْنِ يُذْرِكُ تَبْلَهُ
سَمَتْ تَكَالُفُ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشَى
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمَنَآيَا خَطَّ عَشْوَاءَ مَنْ تَصِبُ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَنْجُلُ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يُوفِي لَا يَذْمُهُ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَلَنَّهُ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَا يَذْذَعُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ بِمَحَبِّ عَدُوٍّ صَدِيقُهُ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسُهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
لِسَانُ الْقَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ

صَحِيحَاتِ مَالِ طَالِعَاتٍ بِتَحْرِيمِ
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
لَدَيْهِمْ وَلَا أَلْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يَسَامِ
وَأَكُنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي عَدِيمِ
تُتَمُّهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَرِّ قَبِيرِ
يُضَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ
يَفِرُّ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنِ عَنْهُ وَيَذْمِ
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَبَّمِ
وَإِنْ يَرَقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلَمِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ هَذَمِ
يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ
وَلَا يَعْطَى أَيُّوْمًا مِنَ الذَّلِيلِ يَنْدَمِ
وَإِنْ خَالَهَا مُخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ أَلْفَتِي بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدْنَا وَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سَيَحْرَمُ

نخبة من معلقة لبديع بن ربيعة العامري

٨٩

إِقْطَعْ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ وَلَحَيْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَامُهَا
بِطَلِيحٍ أَسْفَارُ تَرَكْنَ بَقِيَّةَ مِنْهَا فَأَخْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَعَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكِلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَفْتَلَكِ أَمْ وَخَشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصَّوَارِ قِوَامُهَا
خَسَاءُ ضِيَعَتِ الْقَرِيدُ فَلَمْ تَرَمْ عُرْضَ أَشْقَائِهِ طَوْفُهَا وَبُعَامُهَا
لِمَعْقَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غَلَسُ كَوَاسِبٍ لَا يَمِينُ طَعَامُهَا
صَادَقْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمُنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَكَيْفَ مِنْ دِيمَةٍ تَرُوي الْحَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَفِ أَصْلًا قَالِصًا مُتَبِّدًا يُجْجِبُ أَنْقَاءَ يَمِيلُ هِيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنِهَا مُتَوَازٍ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ عَمَامُهَا
وَضِيءٌ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةٌ كَجَمَانَةِ الْجَرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا احْسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ رَلَّ عَنْ الثَّرَى أَزْلَامُهَا
عَلَيْتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَايِدِ سَبْعًا تَوَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَبَسَتْ وَأَسْتَحَقَّ حَالِقُ لَمْ يُبْلِهِ إِزْصَاعُهَا وَفَطَامُهَا
وَلَسَمِعَتْ رِزًّا أَلَا يَيْسُ فَرَاغُهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَيْسُ سَقَامُهَا

فَقَدَّتْ كَلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
حَتَّى إِذَا يَسَّ الرُّمَاءُ وَارْسَلُوا
فَلَحْنٌ وَأَعْتَكِرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ
لِنَذْوَدَهْنِ وَأَيَقَنْتِ إِنْ لَمْ تَذُدْ
فَقَقَصَدَتْ مِنْهَا كَسَابٌ فَضُرِجَتْ
فَتِلْكَ إِذْ رَقَصَ الْأَوَامِعُ بِالضُّحَى
أَقْضِي اللَّبَانَةَ لَا أَفْرِطُ رِيَّةً
وَعَدَاةٍ رِيحٌ قَدْ وَزَعَتْ وَقِرَّةٌ
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَايَ
فَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدَايَ فِي كَافِرٍ
أَسْهَلْتُ وَأَنْصَبْتُ كَجَذَعٍ مُنِيفَةٍ
رَفَعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ
فَلَقْتُ رِحَالَهَا وَأَسْبَلْتُ نَحْرَهَا
تَرَقَّى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْجِي
وَكَثِيرَةٍ غُرْبَاوَهَا مَجْهُولَةٍ
غُلْبٌ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا
أَنْكَرَتْ بَاطِلَهَا وَبَوَّتْ بِحَقِّهَا
وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَنِّهَا

مَوْلَى الْخُفَاةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا
غُضْفًا دَوَّاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامَهَا
كَالسَّهْرِيَّةِ حَدَّهَا وَتَمَامَهَا
أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْخُشُوفِ حَمَامَهَا
يَدَمٍ وَغُودَرٍ فِي الْمَكْرِ سُخَامَهَا
وَأَجْتَابَ أَرْدِيَّةَ السَّرَابِ إِكَامَهَا
أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَامَهَا
قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا
فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَامَهَا
حَرَجٍ إِلَى أَعْلَاهِنَ قَتَامَهَا
وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الشُّغُورِ ظَلَامَهَا
جَرْدَاءٍ يَخْصُرُ دُونَهَا جِرَامَهَا
حَتَّى إِذَا سَخَنْتُ وَخَفَّ عِظَامَهَا
وَأَبْتَلُ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ جِرَامَهَا
وَرَدَّ الْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامَهَا
تُرْجَى نَوَافِلَهَا وَيُخْشَى ذَامَهَا
جِنُّ الْبَيْدِيِّ رَوَاسِيَا أَقْدَامَهَا
عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامَهَا
بِمَغَالِقِ مُتَشَابِهِ أَجْسَامَهَا

أَدْعُوهُمْ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِئٍ
قَالَصَيْفٌ وَالْجَارُ الْجَبِيبُ كَأَنَّمَا
تَأْوِي إِلَى الْأُطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ
وَيُكَلَّلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَظَتْ
إِنَّا إِذَا أَتَقَتِ الْجَمْعُ لَمْ يَزَلْ
وَمَقْسَمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا
فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى التَّنَدِي
مِنْ مَعَشَرَ سَتَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ
إِنْ يَفْرَعُوا تُلُقَ الْغَافِرُ عِنْدَهُمْ
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فِعَالُهُمْ
فَاقْتَعِ بِنَا قَسَمَ الْمَلِكُ فَإِنَّمَا
وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعَشَرٍ
فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَّيْكَهُ
فَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ
وَهُمُ رَبِيعُ الْمَجَاوِرِ فِيهِمْ
وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ

بُذِلَتْ لِحَيْرَانَ الْجَبِيعِ لِحَامُهَا
هَبَطَا بَالَةً مُخَصَّبًا أَهْضَامُهَا
مِثْلَ الْبَلْبَلَةِ قَالِصَ أَهْضَامُهَا
خُلْجًا تَمُدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا
مِنَّا لِرَازٍ عَظِيمَةٍ جَشَامُهَا
وَمُعْذِمٍ لِحُفُوقِهَا هَضَامُهَا
سَمَحَ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَامُهَا
وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
وَالسِّنُّ تَلْمَعُ كَالْكَوَاكِبِ لَامُهَا
إِذَا لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا
قَسَمَ الْخِلَافَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا
أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَامُهَا
قَسَمًا إِلَيْهِ كَهَلْمَا وَغَلَامُهَا
وَهُمُ قَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا
وَالْمُرِمَلَاتُ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا
أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِلْأَمَامُهَا

نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

٩٠

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نَخْبِرَكَ أَلَيْقِينَا
بِأَنَّا نُورِدُ الرِّيَاسَاتِ بِيضًا
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوَيْنَا

وَأَيَّامَ لَنَا غُرَ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدٍ مَعَشَرَ قَدْ تَوَجَّوْهُ يَتَاجِ الْمَلِكَ يَحْيَى الْمُعْجَرِينَا
تَرَكْنَا الْحَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْتَمَتْهَا صُفُونَا
وَأَتَرْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُوْعِدِينَا
وَقَدَّهَرَتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةً مِنْ يَلِينَا
مَتَى تُنْقَلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي الْإِلْقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرِّ قِيٍّ نَجْدٍ وَلَهُوَتُهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا
رَزَلْتُمْ مَنَزَلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَجَعَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قَرِينَاكُمْ فَجَعَلْنَا قِرَاطَكُمْ قَبِيلَ الصَّبْرِ مِرْدَاةً صَحُونَا
نَعْمُ أَنْاسْنَا وَنَعَفُ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
نُطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بُسْمَرٍ مِنْ قَتَا الْخَطِيِّ لَدُنْ ذَوَابِلَ أَوْ بَيْضَ يَعْتَلِينَا
كَأَنَّ جَهَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَنُسُوقُ الْأَمَازِيزِ يَرْتَمِينَا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
وَإِنْ الصُّغْنُ بَعْدَ الصُّغْنِ يَفْشُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا
وَرَبَّنَا أَلْجَدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نُطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَدِينَا
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاصِ نَنْعَمُ مِنْ يَلِينَا
نَجْدُ رُؤُسِهِمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا
كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقُ بَأْيَدِي لَاعِينَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيَّ
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ
يُسْبَانُ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا
حُدَايَا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بَنٍ بَكْرٍ
أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا
أَلَا لَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرُوا بَنَ هِنْدٍ
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرُوا بَنَ هِنْدٍ
هَدَدْنَا وَتَوَعَّدْنَا رُوَيْدًا
فَإِنَّ قَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ
إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَاثِمًا زَتْ
عَشْوَرَتَهُ إِذَا انْقَلَبْتَ أَرَنْتَ
فَهَلْ حَدَّثْتَ فِي جُشَمٍ بَنٍ بَكْرٍ
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بَنٍ سَيْفٍ
وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ

خُضَيْنَ بِأَرْجَوَانَ أَوْ طُلَيْنَا
مِنْ الْهَوْلِ الْمُسَيِّهِ أَنْ يَكُونَا
مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّائِقِينَ
وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرِّبِينَ
مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَيْنِنَا
فَضُجُّ خَيْلِنَا عَصَابًا ثِينَا
فَنَمْنَعُ غَارَةً مُتَلَسِّبِينَ
نَدُقُ بِهِ السُّهْلَةَ وَالْحَزُونََا
تَضْمَضْنَا وَأَنَا قَدْ وَنِينَا
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
نَكُونُ لِقَيْلُكُمْ فِينَا قَطِينَا
تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَرْدِينَا
مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْسُومِينَ
عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وَوَلَّتْهُ عَشْوَرَتُهُ زَبُونَا
تَشْجُ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا
بِنَفْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا
أَبَاحَ لَنَا حُصُونَهُ لِمَجْدِ دِينَا
زُهَيْرًا نَعْمَ ذُخْرُ الدَّائِرِينَا

وَعَتَابًا وَكُلُّوْمَا جَمِيعًا
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حُدِّثَتْ عَنْهُ
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كَلِيبُ
مَتَى نَقْذُرُ قَرِينَتَنَا بِجَلِي
وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا
وَنَحْنُ غَدَاةُ أَوْ قَدَفِي خَزَارَى
وَكُنَّا الْأَيَّامِينَ إِذَا التَّقِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فَيَنْ يَلِيهِمْ
فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّيَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
أَلْمَا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ
عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَابِي
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ
إِذَا أُوضِعَتْ عَنْ الْأَبْطَالِ يَوْمًا
كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مَتُونُ غُدُرٍ
وَنَحْمِلُنَا غَدَاةُ الرُّوعِ جُرْدُ
وَرَدْنِ دَوَارِعًا وَخَرَجْنِ شُعْنَا
وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ
عَلَى آثَارِنَا بَيْضُ حِسَانٍ

بِهِمْ فَلَنَا تَرَاثُ الْأَكْرَمِينَا
بِهِ نَحْيِي وَنَحْيِي الْمَلْتَحِينَا
فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا
نَجْدُ الْحِلِّ أَوْ تَقْصُ الْقَرِينَا
وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا مِيمَنَا
رَقْدَنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْبِنَا
وَصُلْنَا صَوْلَةً فَيَنْ يَلِينَا
وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا
أَلْمَا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا
كَتَابَ يَطْعِنَ وَدَرَمِينَا
وَأَسَافُ يَمْنَنَ وَيَنْحِينَا
تَرَى فَوْقَ النَّطَاقِ لَهَا غُضُونَا
رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونَا
تُصَفِّقُهَا الرِّيَّاحُ إِذَا جَرِينَا
عُرْفَنَ لَنَا نَقَائِدُ وَأَقْلِينَا
كَأَمْثَالِ الرِّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا
وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَيْنَنَا
نُحَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا

ظَلَمْنَا مِنْ بَنِي جُثَمِ بْنِ بَكْرِ
 يَقْتُلُ جِيَادَنَا وَيَقْتُلُنَا لَسْتُمْ
 أَخَذْنَا عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا
 لَيْسَ لِبَنِي أَفْرَاسَا وَبَيْضَا
 تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ
 وَإِنَّا أَلْعَاصُونَ لِكُلِّ كَلْبٍ
 وَإِنَّا أَلْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا
 كَانَا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّاتٌ
 يُدْهِمُنَ الرُّؤُوسَ كَمَا يُدْهِمُ
 وَقَدْ عَلِمَ أَلْقِبَائُلُ مِنْ مَعَدٍ
 بَانَا أَلْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
 وَبَانَا أَلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا
 وَبَانَا أَلتَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا
 وَبَانَا أَلْعَاصُونَ إِذَا أَطْعَمْنَا
 وَشَرَبْنَا إِنْ وَرَدْنَا أَلْمَاءَ صَفْوَا
 أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي أَلطَّمَّاحِ عَنَّا
 إِذَا مَا أَلْمَلِكُ سَامَ أَلنَّاسِ خَسَفَا
 مَلَانَا أَلْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
 لَنَا أَلدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا
 خَطْنُ بَيْسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا
 بُعُولَتُنَا إِذَا لَمْ تَتْمَنُونَا
 إِذَا لَاقُوا كِتَابَ مُعَلِّمِنَا
 وَأَسْرَى فِي أَلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
 قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا
 وَإِنَّا أَلْبَادِلُونَ لِحُبَّتَيْنَا
 إِذَا مَا أَلْبَيْضُ قَارَقَتْ أَلْجُفُونَا
 وَلَدْنَا أَلنَّاسَ طَرًّا أَجْمَعِينَا
 خَزَاوَرَةٌ بِأَبْطَحِمَا أَلْكُرَيْنَا
 إِذَا قُبُ بِأَبْطَحِمَا بُيُنَا
 وَأَنَّا أَلْمُهْلِكُونَ إِذَا أَتَيْنَا
 وَأَنَّا أَلتَّارِلُونَ بِمَحِثُ شَيْتَا
 وَأَنَّا أَلْأَخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
 وَأَنَّا أَلْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
 وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِيرًا وَطِينَا
 وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
 أَبِينَا أَنْ نَقْرَأَ أَلْخَسْفَ فِينَا
 وَظَهَرَ أَلْبَحْرُ نَمْلَاهُ سَفِينَا
 وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَحْرِ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

نجبة من معلقة للحارث بن جَزْرة الشكري

٩١

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَلَاءِ بَاءُ خُطْبُ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ
أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِخْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبَرِّيَّ مِنَّا بِذِي الذِّبَابِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءُ
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيَّةَ رَ مُوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ
أَجْعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصَدَّ هَالِ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رُعَاءُ
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ
لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا قَلَمَّا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ
فَبَقِينَا عَلَى الشَّيْءِ تَتَبِعْنَا حُصُونُ وَعِزَّةُ قَعَسَاءُ
قَبْلَ مَا الْيَوْمُ يَبْصُرُ بَعْيُونَ أَلَمْ يَسْ فِيهَا تَغِيْظُ وَإِبَاءُ
فَكَانَ الْكُنُونُ تَرْدِي بِنَا أَرَّ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ
مُكَتَبُهُ عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرَى قُوَّةَ لِلدَّهْرِ مُؤَيَّدُ صَمَاءُ
إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتِ الْحَيَّةُ لُ وَتَأْتِي لِحْصِمَهَا الْإِجْلَاءُ
مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَفْضَلُ مِنْ يَشِي وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الشَّيْءُ
أَيُّهَا خُطَّةُ أَرْدَثْتُمْ قَادُو هَا إِلَيْنَا تَشْقِي بِهَا الْأَمَلَاءُ
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ قَالَصَا قَبِ فِيهَا الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْنَقْشُ يَجْشِمُهُ النَّاسُ سُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ

أَوْسَكْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَنَّهُ مَضَى عَيْنَا فِي جَنِّهَا الْأَقْدَاءُ
 أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّمْتُ ثُمَّ لَهُ عَلَيْنَا الْمَلَاءُ
 هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يَنْتَهَبُ النَّاسُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءُ
 إِذْ رَفَعْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ النَّجْمِ رَيْنٍ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحِسَاءُ
 ثُمَّ مَلْنَا عَلَى يَمِينٍ فَأَحْرَمَ نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ
 لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّمُّ لَوْلَا يَفْعُ الدَّلِيلُ النَّجَاءُ
 لَيْسَ يُنْجِي الَّذِي يُوَالِلُ مِنَّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجُلَاءُ
 مَلِكٌ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ لَا يُؤْ جَدُّ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِنَاءُ
 كَتَمَ الْيَفِ قَوْمَنَا إِذْ غَزَا اللَّهُ ذِرُّ هَلْ تَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
 مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَطَلُوا لَوْلَا عَلَيْهِ إِذَا أَصِيبَ الْغَنَاءُ
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ أَنْتَهَاءُ
 مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ
 آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَاءَتْ مَعْدُ إِكْلٍ حَيٍّ لَوَاءُ
 حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتَمِينَ بِكَبْشٍ قَرِظِي كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ
 وَصَيَّتْ مِنَ الْعَوَاتِكِ لَا تَدَّ هَاهُ إِلَّا مُبَيَّضَةُ رَعْلَاءُ
 فَرَدَدْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا يَنْجِي رُجُ مِنْ خُرْبَةِ الزَّرَادِ الْمَاءُ
 وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى خَزْمٍ مَهْلَا نَ شِلَالًا وَدُمِي الْأَنْسَاءُ
 وَجَبَّهْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تُدْ هَزْ فِي جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءُ
 وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَامَ اللَّهُ وَمَا إِنَّ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ

ثُمَّ خُجِرَا أَغْنَى ابْنُ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
 أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّهُمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غَبْرَاءُ
 وَفَكَكْنَا غُلَّ أَمْرِي أَلَيْسَ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
 وَمَعَ الْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الْأَوَّسِ عُنُودٌ كَأَنَّهُمْ دَفُوءُ
 مَا خَرَجْنَا تَحْتَ الْعِجَابَةِ إِذْ وَلَّوْا شِلَالًا وَإِذْ تَلَطَّى الصَّلَاةُ
 وَأَقْدَنَاهُ رَبِّ غَسَّانَ بِالْمَدِّ يَذِرُ كَرَهَا إِذْ لَا تُكَالُ الدِّمَاءُ
 وَأَتَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلَاءَ لِكِرَامِ أَسْلَابِهِمْ أَغْلَاءُ
 وَوَلَدْنَا عَمْرُو بْنُ أُمِّ إِيَّاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحَبَاءُ
 مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوْمِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ
 فَازْكُرُوا أَطْلُحْ وَالتَّعَدِّيَ وَإِمَامًا تَتَعَاشَوْا قَبْلِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
 وَادْكُرُوا حَلْفَ ذِي الْحِجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ الْعُهودُ وَالْكَفَلَاءُ
 حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَذْ مُضْرُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ
 وَأَعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ فِي مَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَقْنَا سَوَاءُ
 عَتَا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تَهْ تَرُ عَنْ خُجْرَةِ الرِّبَاضِ الطُّبَاءُ
 أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَهْ نَحْمُ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا يَهْ طُ يَجُونَ الْحُمَلُ الْأَعْبَاءُ
 لَيْسَ مِنَّا الْمُضْرِبُونَ وَلَا قَيْدٌ سٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحِذَاءُ
 أَمْ جَسَايَا بَنِي عُتَيْقٍ فَإِنَّا مِنْهُمْ إِنْ نَعْدَرْتُمْ لَبْرَاءُ
 وَمَتَّائُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ الْقَضَاءُ

تَرْكُوهُمْ مُلْحَبِينَ وَأَبُوا
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى خَيْفَةٍ أَمْ مَا
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قَضَاعَةٍ أَمْ لَيْدٍ
 ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرُ
 لَمْ يُحْلُوا بَنِي رَزَاحٍ بَدْرَقًا ۖ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
 ثُمَّ قَالُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلَا يُبْرِدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ
 ثُمَّ خِيلٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَعَ الْعَلَا لَاقَ لَا رَافَةَ وَلَا إِبْقَاءَ
 وَهُوَ أَرْبُ وَالشَّهيدُ عَلَى يَوْمِ الْأَخْيَارِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

نخبة من معلقات عترة شداد العباسي

هَلَّا سَأَلْتَ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
 إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ سَاحِجٍ
 طَوْرًا يُجْرِدُ لِلطَّعْمَانِ وَتَارَةً
 يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي
 وَمَدَّحِ كَرِهَ الْكُمَاةُ زَالَهُ
 جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِبَاجِلِ طَعْنَةٍ
 فَشَكَّكَتُ بِالرَّيْحِ الْأَصَمِ ثِيَابَهُ
 فَتَرَكْتُهُ حَزَرَ السَّاعِ يَلْشَنَهُ
 وَمَشَكَتُ سَابِغَةً هَتَكَتُ فُرُوجَهَا
 رَيْدُ يَدَاهُ بِالْهَدَاحِ إِذَا شَتَا

إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 نَهْدِ تَعَاوَرَهُ الْكُمَاةُ مُكَلِّمِ
 يَا وَيْهِ إِلَى حَصِيدِ الْقَسِيِّ عَرَمِ
 أَغَشَى الْوَعَى وَأَعْفَ عِنْدَ الْمَنَمِ
 لَا تُمَعِّنْ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
 يُتَقَفُ صَدَقِ الْكُؤُوبِ مَقَامِ
 لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى أَلْقَانَا مُجْرَمِ
 يَقْضِي حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمَعْصَمِ
 بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمِ
 هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلُومِ

لَمَّا رَأَيْتُ قَدْ زَلْتُ أُرِيدُهُ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
فَطَعْتُهُ بِالرَّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ
نَبَيْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي
وَلَقَدْ حَفَظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالصَّحَى
فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ أَلَّتِي لَا تَشْكِي
إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَيْسَةَ لَمْ أَخِمُ
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَدْعُونَ عَنَّتَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّمَا
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ تَحْرِيهِ
فَأَزُورُ مِنْ وَقَعِ الْفِتْنَةِ بَلْبَانِهِ
لَوْ كَانَ يَذِيرِي مَا الْحَاوِرَةُ أَشْكِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا
وَالْحَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخُبَارَ عَوَابِسًا
ذُلُّ رِكَابِي حَيْثُ شِلْتُ مُشَابِعِي
وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أُمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ
السَّائِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَمَهَا
إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا

أَبْدَى نَوَاجِذَهُ بِغَيْرِ تَبَسُّمٍ
خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظَامِ
يُمَهِّدُ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمٍ
يُحْذِي نِمَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
وَالْكَفْرُ حُجْبَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ
إِذْ تَقْلُصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضْعِ الْقَمِ
عَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَعْنَمِ
عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقْدِمِي
يَتَذَامُرُونَ كَرَّرْتُ غَيْرَ مُذْمَمِ
أَشْطَانُ بِيْرِ فِي لَبَانِ الْأَذْهِمِ
وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلُ بِالْدَمِ
وَشَكَا إِلَى بَعْبَرَةٍ وَتَحْمَمِ
وَلَكَانَ لَوْ عَامَ الْكَلَامِ مُكَلِّمِي
قِيلَ الْفَوَارِسُ وَبِكَ عَنَّتَ أَقْدَمِ
مِنْ بَيْنِ شَيْطَانَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْطَمِ
لِي وَأَخْفَزُهُ بِأَمْرِ مُبْرَمِ
لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي صَتْمِ
وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَتَقَهَّمَا دَمِي
جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشَمِ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ
فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مِيلُ
فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ
وَشَدَّتْ لَطِيفَاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْفَلَى مُتَعَزِّلُ
سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالُ
لَسِيهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
بِأَعْيُنِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُنْفَضِلُ
بُحْسَنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلُ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيَتْ وَصَفَاءُ عَيْطَلُ
رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلُ
مُرْزَاةٌ عَجَلَى تَرْنُ وَتَعُولُ
مُجْدَعَةٌ سُقْبَانَهَا وَهِيَ بَهْلُ
يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
يَظْلُ بِهِ الْمَكَاءُ يَمْلَأُ وَيَسْقُلُ
يَرُوحُ وَيَنْدُو دَاهِنًا يَتَكَلَّلُ
أَلْفٌ إِذَا مَا رَعَتْهُ أَهْتَاجَ أَغْزَلُ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ
فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مِيلُ
فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ
وَشَدَّتْ لَطِيفَاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْفَلَى مُتَعَزِّلُ
سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالُ
لَسِيهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
بِأَعْيُنِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُنْفَضِلُ
بُحْسَنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلُ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيَتْ وَصَفَاءُ عَيْطَلُ
رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلُ
مُرْزَاةٌ عَجَلَى تَرْنُ وَتَعُولُ
مُجْدَعَةٌ سُقْبَانَهَا وَهِيَ بَهْلُ
يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
يَظْلُ بِهِ الْمَكَاءُ يَمْلَأُ وَيَسْقُلُ
يَرُوحُ وَيَنْدُو دَاهِنًا يَتَكَلَّلُ
أَلْفٌ إِذَا مَا رَعَتْهُ أَهْتَاجَ أَغْزَلُ

وَلَسْتُ بِمُحْيِي الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ هُدَى الْهُوجِلِ الْعِصْفِ يَهْمَاهُ هَوَجَلُ
إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَانُ لَاقَى مَنَاسِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمَقْلَلُ
أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ
وَأَسْتَفُتُ رَبَّ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ أَمْرٌ مُتَطَوَّلُ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يَلْفَ مَشْرَبُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
وَلَكِنَّ نَفْسًا مَرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضَّمِيمِ إِلَّا رَيْثًا أُنْحَوِّلُ
وَأَطْوِي عَلَى الْخُمْصِ لِلْوَيَا كَمَا انْظُرْتُ خُيُوطُهُ مَارِي تُقَادُ وَتُقْتَلُ
وَأَعْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا عَدَا أَرْلُ تَهَادَاهُ التَّنَافُ أَظْهَلُ
عَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يُخَوْتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحْلُ
مُهَامَلَةُ شَيْبِ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفِّي يَاسِرٍ تَتَقَلَّلُ
أَوِ الْخَشْرَمِ الْمُبْعُوثُ حُثَّتْ دَبْرَهُ حَمَائِصُ أَرْدَاهُنَّ سَامٌ مُعْسَلُ
مُهَرَّتُهُ فَوْهُ كَانَ شُدُوقَهَا شُفُوقُ الْعِصِي كَالِحَاتٌ وَبُسْلُ
فَصَحَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاكِ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَالْتَسَى وَالْتَسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَاهَا وَعَزَّتُهُ مُرْمَلُ
شَكَوْشَكَتْ ثُمَّ أَرَعَوَى بَعْدَ وَارَعَوْتُ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُو أَجَلُ
وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بِأَدْرَاتٍ وَكُلُّهَا عَلَى نَكْظٍ بِمَا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ
وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُذْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا أَخَاوُهَا تَتَصَلَّلُ
هَمَّتْ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ وَتَمَرَّ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه
كَانَ وَغَاها حَجَرَتِي وَحَوْلَهُ
تَوَافِينَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
وَأَلْفُ وَجْهٍ الْأَرْضِ عِنْدَ اقْتِرَاشِهَا
وَأَعْدِلُ مَتَحُوضًا كَانَ فَصُوصُهُ
فَإِنْ تَبَتَّسَ بِالشَّفَرَى أَمْ قَسَطَلُ
طَرِيدُ جَنَازَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ
تَسَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْطِي عُيُونُهَا
وَأِلْفُ هُومٍ مَا تَرَالُ تَعُودُهُ
إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتَهَا ثُمَّ إِنَّهَا
فَإِمَّا تَرْنِي كَابَنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيَا
فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْنَابُ بَرِّهِ
وَأَعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنِي وَإِنَّمَا
فَلَا جَزْعُ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشَّفُ
وَلَا تَرْدُ هِيَ الْأَجْهَالُ حُلِيِّ وَلَا أَرَى
وَلَيْلَةَ نَحْسٍ يَضْطَلِّي الْقُوسَ رَبُّهَا
دَعَسْتُ عَلَى غَطْسٍ وَبَشَّ وَصُحْبَتِي
فَأَيْمُ نِسْوَانًا وَأَيِّمْتُ وَلَدَةً

يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونُ وَحَوْصَلُ
أَصَابِمٍ مِنْ سَفَرِ الْقَبَائِلِ تَزَلُ
كَمَا ضَمَّ أَذْوَادُ الْأَصَارِيمِ مَنَهْلُ
مَعَ الصَّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ نُجَيْلُ
بَاهِدًا تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ فُحْلُ
كَعَابُ حَاها لَا عِبُ فِيهِ مِثْلُ
لَمَّا اغْتَبَطَ بِالشَّفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ
عَقِيرَتُهُ لِأَيَّهَا حُمَّ أَوَّلُ
حِشَانًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَاوَلُ
عِيَادًا نَحْيِي الرِّيحِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
تُثَوِّبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحْتِ وَمِنْ عَلُ
عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَعْمَلُ
عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ وَالْحَزْمِ أَنْعَلُ
يَنَالُ الْغَنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ
وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الْغَنَى أَتَحْمِلُ
سَوْوَلَا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أَمْلُ
وَأَقْطَعُهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَبَلُّ
سُعَارُ وَإِرْزِذُ وَوَجْرُ وَأَفْكَلُ
وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغَيْصَاءِ جَالِسًا
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلُ كِلَابِنَا
قَلَمُ تَكُّ إِلَّا نَبَاهُ ثُمَّ هَوَمَتْ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَا تَرْحَ طَارِقًا
وَيَوْمٍ مِنَ الشَّعْرِ يَذُوبُ لُغَابُهُ
نَضَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنْ دُونَهُ
وَصَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ
وَحَرَقَ كَظْهِرِ الثَّرَسِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ
وَأَلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ مُوَفِّيَا
تَرُودُ الْأَرَاوِي الضَّخْمُ حَوْلِي كَأَنَّمَا
وَيَكُنْ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنِّي

نخبة من لامية العجم للطغرائي (*)

٩٤

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتِي عَنْ الْخَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوْلَا شَرْعُ
فِيمَ الْأَقَامَةِ بِالزَّوْرَاءِ لَا سَكْنِي
نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ صَفَرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدُ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي حَزَنِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحَتِي
وَحِلَّةُ الْفَضْلِ زَانَتِي لَدَى الْعَطَلِ
وَالشَّمْسُ رَأْدُ الصُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّغَلِ
بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
كَالسِّيفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْحَلَلِ
وَلَا أُنِيسُ إِلَيْهِ مُتَّعِي جَذَلِي
وَرَحَلَهَا وَقَرَى الْعَسَالَةَ الذُّبُلِ

(*) إنما ابتدأها في باب الشعر القديم وهي ليست منه إشاراً لذكرها مع لامية العرب

وَضَحَّ مِنْ لَبِّ نَضْوِي وَعَجَّ لِمَا
أُرِيدُ بَسْطَةً كَفَّ أَسْتَعِينَ بِهَا
وَالَّذْهَرُ يَعْكِسُ أَمَالِي وَيُقْنِعُنِي
حُبَّ السَّلَامَةِ يَنْبِي هُمْ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَأَتَّخِذْ نَفَقًا
وَدَعْ غِمَارَ أُلَى لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى
بِرَاضِي الدَّلِيلِ يُخَفِّضُ الْعَيْشَ يُخَفِّضُهُ
فَادْرَأْ بِهَا فِي ثُحُورِ أَلْيَدٍ حَافِلَةٍ
إِنَّ أُلَى حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغٌ مِنِّي
أَهَبْتُ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَعِمًّا
لَعَلَّهُمْ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَصَهُمْ
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبَهَا
لَمْ أَرْضَ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
عَالِي نَفْسِي عِرْقَانِي بِقِيَّتِهَا
وَعَادَةً النَّصْلِ أَنْ يَزْهُوَ بِجَوْهَرِهِ
مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ يَتَدَّ بِِي زَمْنِي
تَقَدَّمَتَنِي أَنَاسُ كَانَ شَوْطُهُمْ
هَذَا جِزَاءُ أَمْرِي أَقْرَأُهُ دَرَجُوا

يَلْقَى رِكَابِي وَجَّ الرِّكْبُ فِي عَدْلِي
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ أُلَى قَبْلِي
مِنَ النِّعَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَلْبِ
عَنِ الْمَعَالِي وَيُغَيِّرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي الْجَوْفِ عَاتِلِ
رُكُوبِهَا وَاقْتَسَعَ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ
وَالْعَزْبَيْنِ رَسِيمٍ الْأَيْتُ الدَّلِيلِ
مُعَارِضَاتٍ مَتَانِي اللَّجْمِ بِالْجَذَلِ
فِيمَا نَحَدْتُ أَنْ الْعِزِّ فِي النُّقْلِ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمَ دَارَةِ الْحَمْلِ
وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجُهَالِ فِي شُغْلِ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فِئْجَةُ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدَوْلْتُ عَلَى عَجَلِ
فَصَلَّتْهَا عَنْ رَخِيسِ الْقَدْرِ مُبْتَدِلِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلِ
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسُّفْلِ
وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَشْبَى عَلَى مَهْلِ
مِنْ قَبْلِهِ قَمْنِي فَشَحَّةُ الْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
فَأَصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُخْتَالٍ وَلَا صَغِيرٍ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَذْنَى مِنْ وَثِقَتْ بِهِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
غَاضٍ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْقَدْرُ وَانْفَرَجَتْ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَجْزَةٌ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ
إِنْ كَانَ يَنْجِعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ
يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَكَدَرُ
فِيمَ اعْتَرَاضِكَ لِحِجِّ الْبَجْرِ تَرْكِبُهُ
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا
وَيَا خَيْرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلَعًا
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ إِنْ قَطِئْتَ لَهُ

لِي أُسْوَةٌ بِأَنْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحْلِ
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحِلِّ
فَحَازِرِ النَّاسِ وَأَصْحِبِهِمْ عَلَى دَخَلِ
مَنْ لَا يَعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
مَسَافَةِ الْخَلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَطَنَ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ
وَهَلْ يُطَاقُ مُعْوجٌ يُعْتَدِلُ
عَلَى الْعُهُودِ فَسَبْقُ السَّيْفِ لِلْعَدْلِ
أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ
تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ
فَهَلْ سَمِعْتَ بِظُلٍّ غَيْرِ مُتَمَلِّ
أَنْصَتَ فِي الصَّمْتِ مَتَجَاهُ مَنْ أَلْزَلِ
فَارَبَّأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمَلِ

قصيدة النابغة يعنذرها الى النعمان وكان قد جفاها

٩٥

يَا دَارَ مَيَّةٍ فِي الْعِلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا لَا أَسَالُهَا
إِلَّا أَوَارِي لَا يَأْ مَا أَبْنَهَا
رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَدَهُ

أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ
عَيْتَ جَوَابًا وَمَا بِالرَّيْعِ مِنْ أَحَدِ
وَالثُّوْيِ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلُومَةِ الْجَلَدِ
ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي النَّادِ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَخْبِسُهُ
أَصْحَتْ خَلَاءً وَأَخْنَى أَهْلَهَا أَخْتَلَوْا
فَعَدَّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا أَرْتَجَاعَ لَهُ
مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ الْفُحْصِ بَارِئًا
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ الْتَهَارُ بِنَا
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ
سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُورَاءِ سَارِيَةٌ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ
فَبْهَنَ عَلَيْهِ وَأَسْتَمَرَ بِهِ
فَهَابَ ضَمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ
شَكَّ الْفَرِيسَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ
فَقَطَلَ يَجْمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقِضًا
لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَّ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ
قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لَا أَرَى طَعْمًا
فَتَلَكَ تُبْلَغُنِي الثُّعْمَانُ إِنَّ لَهُ
وَلَا أَرَى قَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ أَلَا لَهُ لَهُ
وَجَيْشِ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجِّينِ فَالْقَصْدِ
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ
وَأَنَّمِ الْفُتُودَ عَلَى عَيْرَانِهِ أُجْدِ
لَهُ صَرِيفُ صَرِيفِ الْقَمْعِ بِالْمَسْدِ
بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ
طَاوِي الْمَصِيرِ كَسِيفِ الصِّقْلِ الْقَرْدِ
تُرْجِي الشِّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ
طَوَعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ
صَمْعُ الْكُعُوبِ بَرِيَّاتٍ مِنَ الْحَرْدِ
طَعَنُ الْمَعَارِكِ عِنْدَ الْمُخْجَرِ النَّجْدِ
شَكَّ الْمَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ
سَقُودُ شَرْبٍ لَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادِ
فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدِ
وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ
وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصْدِ
فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذَى وَفِي الْبُعْدِ
وَمَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَأَحْدُذْهَا عَنِ الْقَنْدِ
يَنْشُونَ تَدْمُرُ بِالْصَّفْحِ وَالْعَمْدِ

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعْقِبَهُ بِطَاعَتِهِ
فَمَنْ عَصَاكَ فَمَأْقِبُهُ مُعَاقِبَةً
فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجْجًا
إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
إِذَا فَمَعَقِبِي رَبِّي مُعَاقِبَةً
هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُدِفْتُ بِهِ
مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
لَا تَمْدِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
فَمَا أَتُفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
يَمْدُهُ كُلُّ وَادٍ مُزِيدٍ لِحَبِّ
يُظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأُحُ مُعْتَصِمًا
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبُ نَافِلَةٍ
أَنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي
هَذَا الشَّيْءَ فَإِنْ تَسْمَعُ لِقَائِهِ
هَإِنْ تَا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ

نخبة من قصيدة الاعشى يمين بن قيس بن جندل

٩٦

أَبْلَغُ بَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَا لِكَةٍ
أَلَسْتُ مُتَهَيِّيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِكَ
أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَتَفَكُّ تَأْتِكِلُ
وَلَسْتُ ضَايِرَهَا مَا أَطَّتِ الْأَيْلُ

تُشْرِي بِأَرْهَطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ
 كَتَابِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَلْقَاهَا
 لَا أَعْرِفُكَ إِنْ جَدْتَ عَدَاوَتَنَا
 نُحِبُّ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدِّينِ إِنْ غَضِبُوا
 لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطَبًا
 سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا
 وَأَسْأَلُ فُشَيْرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمُ
 إِنَّا نَقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَاتِلَهُمُ
 قَدْ كَانَ فِي آلِ كُفَيْبٍ إِنْ هُمْ احْتَرَبُوا
 إِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ الَّذِي حَطَّتْ مِنْهُمَا
 لَنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا
 وَإِنْ مُنِيتَ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ
 لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطِيطٍ
 حَتَّى يَظْلَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفَعًا
 أَصَابَهُ هِنْدَوَانِي فَأَقْصَدَهُ
 كَلَّا زَعَمْتُ بِأَنَا لَا نَقَاتِلُكُمْ
 فَخَنُ الْفَوَارِسِ يَوْمَ الْخَنُوحِ صَاحِبَةٍ
 قَالُوا الْطِرَادَ قَتَلْنَا نَلَاكَ عَادَتْنَا
 قَدْ تَحْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكُونٍ فَأَيْلَهُ
 يَوْمَ الْإِلْقَاءِ فَيُرِيدِي ثُمَّ تَعْتَرِلُ
 فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
 وَالْتِمَسِ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تَحْتَمِلُ
 أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَرِلُ
 تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
 أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَبْنَاءِ نَاشِكِلُ
 وَأَسْأَلُ رَيْبَةَ عَنَّا كَيْفَ نَقْتَعِلُ
 عِنْدَ الْإِلْقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَالُوا
 وَالْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ
 تَحْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغَيْلُ
 لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَلُ
 لَا تُلْقِنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْقَلُ
 كَالطَّمَنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ
 يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجْلُ
 أَوْ ذَابِلُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ
 إِنَّا لَا مَنَابِلَ لَكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ
 جَنْبِي فُطَيْقَةٌ لَا مِيلُ وَلَا عُزْلُ
 أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلُ
 وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ

أَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء أعرابية لابنها

٩٧

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَأَهُبًا وَقَدْ حَرَقَتْ مِنِّي الشُّوْنُ الْمَدَامُ
وَقَدْ أَضْرَمَتْ نَارُ الْمُصِيبَةِ شُعْلَةً وَقَدْ حَمَيْتْ مِنِّي الْحَشَا وَالْأَضَالُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونَنِي بِحَالِكَ كَيْمَا تَسْتَكِنُ الْمُضَاجِعُ
فَلَمْ يَكْ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقٌ وَلَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْغِبَتْ كَدْرَتْ عَيْشَتِي فَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفِكْرِي مَسْفُومٌ وَعَمَلِي ذَاهِبٌ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بَالِقُ

لكعب بن سعد الغنوي في أخيه أبي المغوار

٩٨

تَتَابَعُ أَحْدَاثُ يُجْرِعَنَّ إِخْوَتِي فَشَيْنَ رَأْيِي وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ
لَعْمَرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ أَخِي فَأَلْمَنَّا لِلرِّجَالِ شُعُوبُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا جِلْمُهُ فَمُرُوحٌ عَلَيَّ وَأَمَّا جِهْلُهُ فَغَرِيبُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاخِشُ عِنْدَ رِيَّةٍ وَلَا وَرَعُ عِنْدَ اللِّقَاءِ هَيُوبُ
أَخٌ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينِي عَلَى النَّائِبَاتِ السُّودِ حِينَ تَوْبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حَبِي الشَّيْبُ لِلنَّفْسِ الْجُوجِ غُلُوبُ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي جِلْمًا وَشِمَّةٌ وَلَيْتُ إِذَا لَاقَى الْعُدَاةَ قَطُوبُ
هَوَتْ أُمُهُ مَا يَبِثُ الصَّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يَوَدُّ اللَّيْلُ حِينَ تَوْبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَقْصِنَ قَبْرَهُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَلْعَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ
حَبِيبٌ إِلَى الزَّوَارِغِشْيَانِ بَيْتِهِ
إِذَا قَصَّرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى
جَمْعُ ظِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُفِيدٌ لِمَلَقِ الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ
وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَأَرْفَعُ الصَّوْتِ هَهْرَةً
يُجِيبُكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى
فَتَى مَا يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ
إِذَا مَا تَرَأَى لِلرِّجَالِ رَأْيَتُهُ
عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأْيَتُهُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
غِيَاثُ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِيشُهُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبُ فَنَائِهِ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ
غَنِينَا بِخَيْرِ حِقْبَةٍ ثُمَّ جَحَّتْ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَهَجَّرَتْ
مِنْ الْجِدِّ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَنْوِبُ
سَيُكْثِرُ مَا فِي إِيَّاهُ يَطِيبُ
جَمِيلُ الْحَيَاةِ شَبَّ وَهُوَ أَدِيبُ
تَتَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
إِذَا حَلَّ مَكْرُوهُ بِهِنَ ذُهُوبُ
لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ حُجِيبُ
لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
بِأَمثَالِهِ رَحْبُ الدَّرَاعِ أَرِيبُ
كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ سُحُوبُ
فَلَمْ يَنْطَفِئُوا اللَّغْوَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طَعْمَةٌ وَتَصِيبُ
سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
وَمُخْتَبِطُ يَفْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ عُيُوبُ
مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ هَيْبُ
عَلَيْنَا أَلَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تَصِيبُ
لَا خَرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمْ لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتَ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
وَإِنِّي لَبَاسِكِهِ وَإِنِّي لَصَادِقُ
فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُبَاعُ أَشْرَتِيهِ
فَوَاللَّهِ لَا أَسْأَهُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
عَلَى يَوْمِهِ عَلِقَ عَلَى جَنِبُ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنُ ذَنْبُ
عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبُ
بِهَا إِذْ بِهِ كَانَ النُّفُوسُ تَطِيبُ
وَمَا أَهْتَرِي فَرَعُ الْأَرَاكِ قَضِيبُ

قال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي مَقْتَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ

٩٩

تَبَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ اخْلِيلُ فَارِسًا
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ
دَعَانِي أَخِي وَاخْلِيلُ بَنِي وَبَيْنَهُ
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَوْشُهُ
فَقَطَّاعَتْ عَنْهُ اخْلِيلُ حَتَّى تَنَفَّسَتْ
فَمَا رُمْتُ حَتَّى خَرَقْتِي رِمَاحَهُمْ
فَتَالَ أَمْرُ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
كَيْشُ الْإِزَارِ خَارِجٍ نِصْفَ سَاعَةٍ
قَلِيلُ الشَّكِيِّ لِلْمَصِيبَاتِ حَافِظُ
سَلِيمُ الشَّظَى عَنِ السَّوَابِجِ وَالشَّوَى
يَقُوتُ طَوِيلُ الْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدُ
فَقُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَ رَدِّي
فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَالِشَ الْبِدِ
فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِمَقْعَدِ
كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ
وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ اللَّوْنُ أَسْوَدِ
وَعُودِرْتُ أَكْبُو فِي الْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَلَّدِ
بَعِيدٍ عَنِ الْآفَاتِ طَلَاعِ أَنْجِدِ
مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
طَوِيلِ الْقَرَى نَهْدِ نَبِيلِ الْمَقْلَدِ
مُنِيفُ كَجَذْعِ النَّخْلَةِ الْمُتَجَرِّدِ
وَإِنْ يَلْقَى مَتْنُ الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدِ

رَأَاهُ تَحْمِصَ الْبَطْنُ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِدَ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمَقْدَرُ
وَأِنْ مَسَّهُ الْأَقْوَاءُ وَالْجَدُّ زَادَهُ سَمَحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ
حَبًّا مَا حَبًّا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبْعِدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْجُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

لما دفن للهلل اخاه كليبا قام على قبره يرثيه

١٠٠

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي الْإِدْكَارُ هُدُوا قَالِدُمُوعُ لَهَا انْجِدَارُ
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمَلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أَرَأَيْتُ الْجُوزَاءَ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْجِدَارُ
أَصْرَفُ مُقَلَّتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَ الْبِلَادُ بَيْنَهُمْ فَغَارُوا
وَأَبْكِي وَالتَّجُومُ مُطْلَمَاتٌ إِلَى أَنْ تُخَوِّهَا عَنِّي الْبَجَارُ
عَلَى مَنْ تَوَنَيْتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْخَيْلِ تَحْجِبُهَا الْغُبَارُ
دَعَوْنِكَ يَا كُلِّبُ قَلَمُ حُجْبِي وَكَيْفَ يُحِبُّنِي الْبَلَدُ الْفَقَارُ
أَجْنِي يَا كُلِّبُ خَلَكَ دَمٌ ضَنِكَاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَدَارُ
أَجْنِي يَا كُلِّبُ خَلَكَ دَمٌ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا زَادُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيُسَارُ
أَبْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكْفَا كَأَنَّ قَذَى الْقِتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَأَنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَغْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانٌ خِفَافَةٌ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى أُنَاعِي كُلِّبًا تَطَايَرَ بَيْنَ جَنِي الْأَشْرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ عَشِيَّ بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا أَلْعَارُ
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتَهُ فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الْحَيِّ دَارُ
 فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا وَطَارَ النَّوْمُ وَأَمْتَعَ الْفَرَارُ
 وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ تَوَى فِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْفَخَارُ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشْنُهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 أَتَعُدُّوْا يَا كُتَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أُنْجَاهُ الْفَرَارُ
 أَتَعُدُّوْا يَا كُتَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْتَحِدُهَا الشَّفَارُ
 خُذِ الْعَهْدَ أَلَا كَيْدَ عَلَيَّ عُمَرِي يَتَرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
 وَلَسْتُ بِمُحَالٍ دِرْعِي وَسِنِّي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سِرَاةً بِكُرِي فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١ وقال مالك بن الربيع السبيعي يرفي نفسه ويصف قبره . وكان قد خرج مع
 سعيد بن عفان أخي عثمان لما وُفِيَ خُراسان . فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه
 فاذا بأفعى فيه فلمسته فلما أحس بالموت ألتأ يقول :

دَعَانِي أَلْهَوَى مِنْ أَهْلِ وَدْيٍ وَصُحْبَتِي بِذِي الطَّيْشَتَيْنِ فَأَلْتَقْتُ وَرَائِيَا
 أَحْبَبْتُ أَلْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزُفْرَةٍ تَقَنَّنْتُ فِيهَا أَنْ أَلُمَّ رِدَائِيَا
 أَلَمْ تَرَنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانٍ غَارِيَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَلْمَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَانِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
 فَلَهُ دَرِّي يَوْمَ أَتْرَكْتُ طَائِفَا بَنِي بَاعِلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
 وَدَرَّ الْأَطْبَاءُ السَّائِحَاتِ عَشِيَّةً يُخْبِرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا
 تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السِّيفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِي بَاكِيًا

وَأَشَقَّرَ خَنْدِيدَ يَجْرُ عَنْهُ
وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرُومِنِّي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْفَعُونِي فَإِنِّي
وَيَا صَاحِبِي رَحِمِي دَنَا الْمَوْتُ فَأُزَلَّ
أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
وَقَوْمًا إِذَا مَا أَسْتَلَّ رُوحِي فِيهَا
وَلَا تُحْسِدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
وَحُطًّا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي
خُذَانِي فَجَرَّانِي بِرُذْيِ إِلَيْكُمَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ
وَقَدْ كُنْتُ مُحَمَّدًا الَّذِي الزَّادُ وَالْقَرَى
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَعَى
وَطَوَّرًا تَرَانِي فِي ضَلَالٍ وَمَجْمَعٍ
وَطَوَّرًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
وَقَوْمًا عَلَى تَبْرِ السَّبِيكِ فَأَسْمَعَا
بَأَنَّكُمَا خَلَقْتَانِي بِقَفْرَةٍ
وَلَا تَسَيَا عَهْدِي خَلِيلِي إِيَّتِي
فَلَنْ يَئِدَمَ الْوِلْدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي
يَقُولُونَ لَا تُعِيدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي

إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وَحَلَّ بِهَا جَنِي وَحَانَتْ وَقَاتِيَا
يَقِرُّ بَعْنِي أَنْ سَهْلٌ بَدَالِيَا
بِرَأْيَةِ إِيَّيْ مُقِيمٌ لِيَالِيَا
وَلَا تُعْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا يِيَا
لِي الصَّدْرُ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ أَبْكَانِيَا
مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُسْعِلِيَا
وَرُدًّا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رِدَائِيَا
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
سَرِيعًا إِلَى الْهَيْمِ إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَعَنْ شَتَمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا
ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوَّرًا تَرَانِي وَالْعَتَاقُ رِكَائِيَا
تُحْرِقُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
بِهَا الْوَحْشُ وَالْبَيْضُ الْحَسَنُ الرَّوَابِيَا
تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَابِيَا
تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا
وَلَنْ يَئِدَمَ الْيَرِاثُ مِنِّي مَوَالِيَا
وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

نَمْدَاةً غَدِيَّاهُفَ نَفْسِي عَلَى غَدِيٍّ
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
وَيَا لِرَمْلِ مِثْيَ نِسْوَةٍ لَوْ شَهِدَنِي
فَتْنُهُنَّ أُمِّي وَأَبْنَتَاهَا وَخَالَتِي
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِثْيَ وَأَهْلِهِ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
إِذَا مِتُّ فَأَعْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
زَى جَدًّا قَدْ مَرَّتِ الرِّيحُ قَوْفَهُ
فِيَارَا كِبَاءً إِمَّا عَرَضَتْ فَلْيَغْنُ
وَيَلْغُ أَخِي عَمْرُ بْنُ بُرْدِي وَمُبرِدِي
وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخِي مِثْيَ كُلِّهِمَا
وَعَطِّلْ فَلَوْصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّمَا
أَقْلَبُ طَرَفِي فَوْقَ رَحْطِي فَلَا أَرَى

وقال ميم بن نيرة اليربوعي يرثي أخاه مالكاً

١٠٢

لَعَرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ مَالِكٍ
لَقَدْ كَفَّنَ الْإِنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ
لَيْبُ أَعَانَ اللَّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ
أَغْرُ كَتَصِلُ السَّيْفُ يَهْتَرُ لِلنَّدَى
وَمَا كَانَ وَقَافًا إِذَا الْحَيْلُ أَجْمَتْ
وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
فَتَى غَيْرُ مِيطَانِ النِّشْيَاتِ أَرْوَعَا
خَطِيبُ إِذَا مَارَاكِ الْجُدْبِ أَوْضَعَا
إِذَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ أَمْرًا أَلْسُوهُ مَطْعَمَا
وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ مَفْرَعَا

وَلَا يَكْهَمُنَا نَاصِلٌ عَنْ عَدُوِّهِ إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقْنَعًا
 إِذَا ضَرَسَ الْغَزْوُ الرِّجَالَ وَجَدْتُهُ أَخَا الْحَرْبِ صِدْقًا فِي الْفَاءِ سَمِدَمًا
 أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَائِهِ يَجُونَ تَسْحُ الْمَاءُ حَتَّى تَرْبَعَا
 تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا وَأَمْسَى تَرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَمَا
 فَكُنَّا كَنَدَمَائِي جَذِيَّةَ حِشْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَبْصَدَعَا
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
 وَقَدْ بَنَى أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ جِلَاسُهُمْ أَنْ أَسْتَكِينَ فَأَخْضَعَا
 وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ تَضَمُّضَعَا
 قَعِيدُكَ أَنْ لَا تَسْمِعَنِي مَلَامَةً وَلَا تَكْنِي جُرْحَ الْفَوَادِ فَيُجَمَعَا
 وَحَسْبُكَ أَنِّي قَدْ جِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِكَفَيَّ عَنْهُ لِلنِّبَةِ مَدْفَعَا
 سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَمًا قَبْرُ مَالِكٍ رِهَامُ الْفَوَادِ الْمَرْجِيَاتِ فَأَمْرَعَا

١٠٣ لشبل بن معبد الليلي يري في بنيه وكانوا أضيوا بالطاعون

أَتَى دُونَ حُلُو الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ نَكُوبٌ عَلَى آثَارِهِمْ نَكُوبُ
 تَتَابَعْنَ فِي الْأَحْبَابِ حَتَّى أَبْدَنَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ فِي الدِّيَارِ غَرِيبُ
 بَرَّتِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا تَبَرَّى دُونَ الْخَاءِ عَسِيبُ
 فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةً اللَّهِ مُفْرَدًا لَدَى النَّاسِ صَبْرًا وَالْفَوَادِ كَيْبُ
 إِذَا رَدَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عَلَتْ بِالْأَسَى وَيَأْوِي إِلَى الْحَزْنِ حِينَ يَوْبُ
 وَنَامَ خَلِيُّ الْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أُنْمِ كَلَّمْ يَسْمُ عَارِي الْهَنَاءِ غَرِيبُ
 قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتَ بِنَا نَوَى غُرْبَةٍ عَمَّنْ يُحِبُّ شُطُوبُ

مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ
 قَمَا تَرَكَ الطَّاعُونَ فِي ذِي قَرَابَةٍ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا لِأَدَارِهِمْ مِنْكَ غُرْبَةً
 وَكُنْتَ تُرْجِي أَنْ تَوْبَ إِلَيْهِمْ
 وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدِ مَنَهْلٍ
 إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونِهِ
 فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضَ وَجْدِي أَتَيْتِ
 وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا
 وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَا قِيَتُ أَسْوَةً
 فَتَى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ
 وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
 مَتَى يُذَكِّرُوا وَيَفْرَحَ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ
 دُمُوعٌ سَرَاهَا الشَّجُو حَتَّى كَانَهَا
 إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبَكَاءُ
 فَوَجْدِي بِأَهْلِي وَجَدَهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ
 لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِالْعِرَاقِ نَصِيبُ
 إِلَيْهِ إِذَا حَانَ الْأَيَّامُ يُؤَبُّ
 بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبُ
 فَقَالَتْهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ شُعُوبُ
 عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَالِيَّاتِ نَهْيبُ
 مِيَاهُ رِوَاءِ كُلِّهَا شَرُوبُ
 رَأَيْتُ الْمُنَايَا تَتَنَدَّى وَتَوْبُ
 إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ
 تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
 بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهْوَ حَرِيبُ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَائِرِينَ حَيْبُ
 وَيُسْجَمُ دَمْعُ بَيْنِهِنَّ نُحْبُ
 جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
 فَوَادُ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طُرُوبُ
 شَبَابُ يَزِينُونَ النَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أبي ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد وكان له اولاد سبعة

فاتوا كلهم الا طفلاً فقال يرثهم

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَدِّيهَا تَتَوَجَّعُ
 وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ
 قَالَتْ إِمَامَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا
 مُنْذُ ابْتَدَلَتْ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ

وَلَقَدْ حَرَضْتُ بَأَن أَدَافِعَ عَنْهُمْ وَإِذَا النِّيبَةُ انْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
وَإِذَا النِّيبَةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ أَتَيْتُ كُلَّ نَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ جُفُونَهَا كَحِلْتِ بِشَوْلٍ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ
وَتَجْلِدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَتَى لِرَبِّ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرَّةٌ نِصْفُ الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ
لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَانْتَظِرْ أَبَارِضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَضْمَعُ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُوَلِّعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُفْجِعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةً يَبْكِي عَلَيْكَ مُعْتَقًا لَا تَسْمَعُ
فَلَمَّا بَرِحَ فُجِعَ الزَّمَانُ وَرِيَّهُ إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفْجِعُ

وقال في الطفل الذي بقي له

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَتَمَعُّ

قال الاصمعي : هذا افضل بيتٍ قالته العرب

عينة علي بن جبلة في حميد الطوسي

١٠٥

أَلِلدَّهْرِ تَبْكِي أَمْ عَلَى الدَّهْرِ تَجْزَعُ وَمَا صَاحِبُ الْأَيَّامِ إِلَّا مُفْجِعُ
وَلَوْ سَهَّلْتَ عَنْكَ الْأَسَى كَانَ فِي الْأَسَى عَزَاءٌ مُعَزٍّ لِلْيَبِّ وَمُفْنِعُ
تَعَزَّبًا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنَّمَا سِهَامُ الْمُنَايَا حَامَاتٌ وَوَقِعَ
أَصْبَنًا يَوْمٍ فِي حَمْدٍ لَوْ أَنَّهُ أَصَابَ عُرُوشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُضَعُ
وَأَدَبْنَا مَا آدَبَ النَّاسَ قَبْلَنَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تَذَادُ وَتُدْفَعُ

وَكَيْفَ اتَّقَى مَثْوَى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ
وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ انْقَضَتْ الْعُلَا
وَرَأَى عَدُوَّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَلْتَحِي
وَكَانَ حَمِيدٌ مَعْقِلًا رَكَعَتْ بِهِ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزْنَتَهَا
لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِينَا الْمُنَايَا بِثَارِهَا
نَعَاءُ حَمِيدًا لِلْسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ
وَالْمَرْهَقُ الْمَكْرُوبُ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ
وَالْبَيْضُ خَلَّتْهَا الْبُعُولُ وَلَمْ يَدْعُ
كَانَ حَمِيدًا لَمْ يَقْدِرْ جَيْشَ عَسْكَرِ
وَلَمْ يَبْعَثْ الْخَيْلَ الْمَغِيرَةَ بِالضُّحَى
رَوَّاجٌ يُحْمِلُنَ النَّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ
هَوَى جَبَلِ الدُّنْيَا الْمُنْبِعُ وَغَيْشُهَا أَلْ
وَسَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُحْمُهُ
فَاقْتَعَهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ
عَلَى أَيِّ شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ حَالِ ضِيَائِهَا
وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاوُهَا
وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ مُطْمَئِنَّةً

عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُنْفَعُ
وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ الدُّنْيَا وَهُوَ أَجْدَعُ
أَمَانِي كَانَتْ فِي حَشَاهُ تُقَطِّعُ
قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضَّمِيمِ تَرْكُمُ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهَيْهُ لَيْسَ يَرْقَعُ
نُذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتُوزَعُ
فَلَمْ يَذِرْ فِي حَوْمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ
لَهَا غَيْرُهُ دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَفْرَعُ
إِلَى عَسْكَرِ أَشْيَاعِهِ لَا تَرْوَعُ
بِرَاحًا وَلَمْ يَزْجَعْ بِهَا وَهْيَ ظُلْعُ
كُتَابُهُ إِلَّا عَلَى النَّهْبِ تَرْجَعُ
مَرِيحُ وَحَامِيهَا الْكَمِي الْمَشْبَعُ
وَمِفْتَاحُ بَابِ الْخُطْبِ وَالْخُطْبُ أَفْطَعُ
وَنَائِلُهُ قَفَرٌ مِنَ الْأَرْضِ بَلَقُ
عَلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخُرُ الدَّمْعُ مَدْمَعُ
عَلَيْهِ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ
وَأَجْدَبَ مَرَعَاهَا الَّذِي كَانَ يَمْرَعُ
فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا تَقْلَعُ

بَكَى قَهْدَهُ رُوحُ الْحَيَاةِ كَمَا بَكَى نَدَاهُ النَّدَى وَابْنُ السَّيْلِ الْمَدْفَعُ
وَأَيَّظَ أَجْفَانًا وَكَانَ لَهَا الْكَرَى وَنَامَتْ عُيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ

انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

١٠٦

أَحَقُّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ فَبَيْنَ أَيَّهَا النَّاعِي الْمَشِيدُ
أَحَامِي الْمَلَأَ وَالْإِسْلَامِ أَوْدَى فَمَا لِلْأَرْضِ وَنَحْكَ لَا تَمِيدُ
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
أَمَا هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ زُرَّارُ بَلَى وَتَقَوَّضَ الْأَجْدُ الْمَشِيدُ
وَجَلَّ ضَرْيُحُهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ طَرِيفُ الْأَجْدِ وَالْأَجْدُ تَلِيدُ
فَمَنْ يَنْجِي حَيَّ الْإِسْلَامِ أَمْ مَنْ يَنْبُ عَنْ الْمَكَارِهِ أَوْ يَذُودُ
وَأَيْنَ يَوْمٌ مُتَّجِعٌ وَلَاجُ وَأَيْنَ تَحْطُّ أَرْحَامُ الْوُفُودُ
فَلَوْ قُبِلَ الْفَدَاءُ فَدَاهُ مِنَّا مُنْجِيهِ الْمُسَوْدُ وَالْمُسَوْدُ
أَبْعَدُ يَزِيدُ تَحْتَرِنُ الْبَوَاكِي دُمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهُ الْخُدُودُ
وَإِنْ تَجَمَّدَ دُمُوعُ لَيْمٍ قَوْمٍ فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذِي حَسَبٍ جَمُودُ
وَإِنْ يَكُ غَالَهُ دَهْرٌ لَمَّا قَدْ يُفَادَى مِنْ مَخَافَتِهِ الْأُسُودُ
فَإِنْ يَكُ عَنْ خُلُودٍ قَدْ دَعَتْهُ مَأْرُهُ فَكَانَ لَهَا الْخُلُودُ
فَمَا أَوْدَى أَمْرُؤُا أَوْدَى وَأَبَقَى لَوَارِثِهِ مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ
لِيَبْكِكَ حَامِلٌ نَادَاكَ لَمَّا تَوَاكَلَهُ الْأَقَارِبُ وَالْبَعِيدُ
وَيَبْكِكَ شَاعِرٌ لَمْ يَبْقِ دَهْرُ لَهُ نَشَابٌ وَقَدْ كَسَدَ الْقَصِيدُ
أُصِيبَ الْأَجْدُ وَالْإِسْلَامُ لَمَّا أَصَابَكَ بِالرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ

لَقَدْ عَزَى رَيْبَةً أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَصَدَنَ لَهُ الْمُنَايَا بِأَسْهُمَا وَهَنَّ لَهُ جُودُ
سَقَى جَدًّا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ الْوُسْطَى بِسَامٍ رَعُودُ
لِيَذْهَبَ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ أَسَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

وقال صني الدين الحلبي يرثي الملك ناصر الدين عمر

١٠٧

بَكَى عَلَيْكَ الْحَسَامُ وَالْقَلَمُ وَانْتَفَجَ الْعِلْمُ فِيكَ وَالْعِلْمُ
وَصَبَّتِ الْأَرْضُ فَالْعِبَادُ بِهَا لَا طِمَّةَ وَالْبِلَادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جُلُّ مُلُوكِ الْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضِّ الشَّبَابِ مُقْتَبِلِ أَا مَحْكَمُ فِي الْوَرَى وَآمِلُهُ
يَجْتَمِعُ الْحُجْدُ وَالنَّشَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي الْمَالِ وَيَحْتَكِمُ
قَدْ سَمِعْتَ جُودَهُ الْأَنَامُ وَلَا يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ الْبُذَى سَامُ
مَاعُرِفَتْ مِنْهُ لَا وَلَا نَعَمُ بَلْ دُونَهُنَّ الْأَلَاءُ وَالنَّعَمُ
الْوَاهِبُ الْأَلْفَ وَهُوَ مُبْتَسِمُ وَأَقَاتِلُ الْأَلْفَ وَهُوَ مُفْتَحِمُ
مُتَبَسِّمُ وَالْكُفَاةُ عَابِسَةٌ وَعَايِسُ وَالسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
يَسْتَصْغِرُ الْعُضْبُ أَنْ يَصُولَ بِهِ إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ أَلْهِمُ
وَيَسْتَخَفُّ الْفَنَاءَ يَحْمِلُهَا كَأَنَّمَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمْ الْعَالَمُونَ مَا قَعَدُوا مِنْهُ وَلَا الْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا قَعَدُوا فَرْدٍ مِنَ الْأَنَامِ كَمَنْ إِنْ مَاتَ مَاتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَّمُ

وَالنَّاسُ كَالْعَيْنِ إِنْ نَقَدْتَهُمْ
يَا طَالِبَ الْجُودِ قَدْ قَضَىٰ عُمْرُ
وَيَا مُنَادِيَ الْبَدَىٰ لِيُذِرْكُهُ
مَضَىٰ الَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبَا
وَسَارَ فَوْقَ الرِّقَابِ مُطَرِّحًا
مُقَلِّبَاتِ السُّرُوجِ شَاخِصَةً
وَحَلَّ دَارًا ضَاغَتْ بِسَاكِنِهَا
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَىٰ رَبِّ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمَلِكِ قَاعِدَةً
وَلَمْ تُقَمِّلْ لَهُ الْمُلُوكُ يَدَا
وَلَمْ يَمُدَّ لِلْعُرُوبِ أَسَدًا وَغَىٰ
أَيُّنَ الَّذِي كَانَ لِلْوَرَىٰ سَنَدًا
أَيُّنَ الَّذِي إِنْ سَرَىٰ إِلَىٰ بَلَدٍ
أَيُّنَ الَّذِي يُحْفَظُ الزِّمَامُ لَنَا
يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَأَيُّنَ نَاصِرِهِ
وَصَاحِبَ الرُّتَبَةِ الَّتِي وَطِئَتْ
يُثْبِتِي عَلَيْكَ الْوَرَىٰ وَمَا شَهِدُوا
بِيَكِيكَ مَا لَوْفَكَ أَلْتَقَىٰ أَسْفَا
تَفَاوَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ الْقِيمُ
فَكُلُّ جُودٍ وَجُودُهُ عَدَمُ
أَقْصَرَ قَبِي مَسْمُوعِ الْبَدَىٰ صَمَمُ
فَالْيَوْمَ كُلُّ الْأَنَامِ قَدْ يَتِمُّوا
وَصَوْلَةُ الصَّافِنَاتِ تَرْدَحِمُ
لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ الْجُحُمُ
وَدُونِ أَدْنَىٰ دِيَارِهِ إِرَمُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونِ نَيْلِهَا أَلْهَمُ
بِهَا عَيْنُ الْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
تَرْغَبُ فِي سِلْمِهَا فَتَسْتَلِمُ
تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أَجْمُ
وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
لَا ظُلْمَ يَبْقَىٰ بِهِ وَلَا ظَلَمُ
إِنْ خَفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ الدِّمَمُ
وَمَنْ بِهِ فِي الْحُطُوبِ يُعْتَصِمُ
لَهَا عَلَىٰ هَامَةِ السُّحَىٰ قَدَمُ
مِنَ السَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
وَصَاحِبَاكَ الْغَفَا وَالْكَرَمُ

لاي تمام في محمد بن الفضل الحميري

رَبِّ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ الْعَتَابِ مُرَّصِدٌ بِالْأَوْصَالِ وَالْأَوْصَابِ
جَفَّ دُرُّ الدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْتَالُ أَرْوَاحًا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِيَ الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ
فَلِهَذَا يَجِفُّ بَعْدَ اخْضِرَارٍ قَبْلَ رَوْضِ الْوَهَادِ رَوْضُ الرِّوَابِ
لَمْ تَذُرْ عَيْنُهُ عَنِ الْخُفْسِ حَتَّى ضَعُفَتْ رُكْنُ خَيْرِ الْأَرْيَابِ
بَطَشَتْ مِنْهُمْ بُلُوْلُوهُ الْغَوَاصِ حُسْنًا وَدُمِيهِ الْخِرَابِ
بِالصَّرِيحِ الصَّرِيحِ وَالْأَزْوَعِ الْأَزْ وَعَ مِنْهُمْ وَبِاللُّبَابِ اللَّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ الْغُرُّ مِنْ أَيَّامِكَ الْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ اللَّحْدُ وَالْثَرَى مِنْكَ وَجَهَا غَيْرَ مَا عَالِسٍ وَلَا قَطَابِ
أَطْفَأَ اللَّحْدُ وَالْثَرَى لُبَّكَ أَلْسَ رَجَ فِي وَقْتِ ظِلْمَةِ الْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلَتْ مَنَزِلًا ظَاهِرَ الْجُدِّ بِ يُسَمَّى مُقَطَّعِ الْأَسْبَابِ
مَنَزِلًا مُوَحِّشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُو رَا بِجُلِّ الصَّدِيقِ وَالْأَحْبَابِ
يَا شِهَابًا خَبَا لِأَلِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَغْزَزَ بِفَقْدِهِ هَذَا الشَّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَمْتَحُ عَنْهَا أَلْ هَجْدُ فِي مَنِيَّتِ أَنْيَقِ الْجَنَابِ
خُلِقَ كَالْمَدَامِ أَوْ كَرَضَابِ الْحَمْسِكِ أَوْ كَالْعَبِيرِ أَوْ كَالْمَلَابِ
وَحَيَاةٍ نَاهِيكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ وَصَبَا مُشْرِقٍ بِغَيْرِ تَصَابِ
أَرْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ اثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرِّكَابِ
حِينَ سَامَى الشَّبَابِ وَاعْتَدَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةً الْأَبْوَابِ

وَحَكَى الصَّارِمَ أَلْهَى سِوَى أَمَنْ حِلَاهُ جَوَاهِرُ الْأَدَابِ
وَهُوَ غَضُّ الْأَرَاءِ وَالْحَزْمُ خِرْقٌ ثُمَّ غَضُّ التَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ
قَصَدَتْ تَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلْثَّرَابِ

ولبيب يربى القاسم بن طوق

١٠٩

جَوَى سَاوِرًا لِأَحْشَاءِ وَالْقَلْبِ وَأَعْلَى
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوٌّ يَخَافُهُ
وَأَيُّ أَخِي عَزَاءٍ أَوْ جَبَرِيَّةٍ
إِذَا مَا جَرَى تَجَرَّى دَمُ الْمَرْءِ حَكْمُهُ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةٍ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَبِيعَةً أَنَّهُ
وَأَنَّ الْحَجَّيَّ مِنْهَا اسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ
مَضَى لِلزَّيَالِ الْقَاسِمِ الْوَاهِبِ الْإِلَهِي
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُرِيدُهُ
فَتَى سَيْطَ حُبِّ الْمَكْرُمَاتِ يُلْحِمُهُ
فَتَى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ
فَتَى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَانْتَنَا أَلْهَى
فَتَى يَنْفُخُ الْأَيَّامُ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ
لَقَدْ فَجِئَتْ عَتَابُهُ وَزَهِيرُهُ
وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا لِمُعْدِمِ

وَمُبْتَدِرَ الْمَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُهُ
فَتَى لَمْ تَكُنْ تَعْلِي الْخُفُودُ بِصَدْرِهِ
وَكُنْ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضُيُوفَهُ
طَوَاهُ الرَّدَى طَيِّ الرَّدَاءِ وَغَلَّتْ
طَوَى شَيْمًا كَانَتْ تَرْوَحُ وَتَعْتَدِي
فَيَا عَارِضًا لِلْمَعْرِفِ أَقْلَعَ مَرْزُهُ
أَلَمْ تَرِنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي
وَأَخْضَلْتَهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ
وَلَكِنِّي أَطْرِي الْحُسَامَ إِذَا مَضَى
وَأَسَى عَلَى جَيْحَانٍ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ
عَلَيْكَ أَبَا كُثُومٍ الصَّبْرَ إِنِّي
يُعَادِلُ وَزْنَا كُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ
وَلَيْسَتْ أَنَا فِي الْقَدْرِ إِلَّا ثَلَاثَهَا

إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ غَوَائِلُهُ
وَتَعْلِي لِأَضْيَافِ الشِّتَاءِ مَرَاجِلُهُ
وَرُجْحِي مُرَجِيهِ وَيَسْأَلُ سَائِلُهُ
فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَقَوَائِلُهُ
وَسَائِلُ مَنْ أَعَيْتَ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَحَّتْ مَسَائِلُهُ
مُحَمَّدُ النُّجْمِ الْمُنِيبِ آفِلُهُ
طَرِيدَ الْيَاكِلِي أَخْضَلْتَنِي نَوَائِلُهُ
وَإِنْ كَانَ يَوْمَ الرُّوعِ غَيْرِي حَامِلُهُ
وَإِنْ كَانَ ذَوْدَاغِيرَ ذَوْدِي نَاهِلُهُ
أَرَى الصَّبْرَ أَخْرَاهُ ثَقِي وَأَوَائِلُهُ
سِوَى صِحَّةِ التَّوْحِيدِ شَيْئًا يُعَادِلُهُ
وَصُنُوكَ مِنْهُ مِنْكَاهُ وَكَاهِلُهُ
وَلَا الرُّمْحُ إِلَّا لَهْذَمَاهُ وَعَامِلُهُ

لأبي العلاء المعري في جعفر بن المهدي

١١٠

أَحْسَنُ بِالْوَاكِدِ مِنْ وَجْدِهِ
وَمَنْ أَبِي الرُّزَّاءِ غَيْرَ الْأَسَى
فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ
وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مَدَاحُهُ

صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ
إِذَا كَانَ لَمْ يُفْقِحْ عَلَى نِدِهِ
إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى صِدِّهِ

لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى صَدِّهِ
وَالطَّرْفُ يَدَّاحُ إِلَى غُمْضِهِ وَلَيْسَ يَدَّاحُ إِلَى سَهْدِهِ
كَانَ الْأَسَى فَرَضًا لَوَانِ الرَّدَى قَالَ لَنَا أَفْدُوهُ فَلَمْ نَقْدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِلْهُدَى سَارَ مِنَ التُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَذْنِي مِنْ يَدِ بَيْتِكَ كَأَنَّهُ الْكُؤُوبُ فِي بَعْدِهِ
يَادْهَرُ يَا مُنْجِزَ إِيْعَادِهِ وَمُخْلِفَ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْثِرُ الْعِيقَانِ فِي جَوْهَا وَتُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ فِدِهِ
أَرَى ذَوِي الْقُضَلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَبِيلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْقَتَى نَافِعًا فَعَيْهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجَرُّبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَتَّى أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي يَرْزَايَاهُ لِي صَبَّرَنِي أَمْرُحُ فِي قَدِّهِ
كَأَنَّمَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى الَّذِي أَجَلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ الَّذِي عُوْجَلَ فِي هَدِّهِ
وَلَا يُبَالِي أَلْمِتُ فِي قَبْرِهِ بِذِمَّتِهِ شَيْعَ أَمِّ حَمْدِهِ
وَالْوَاحِدُ الْمَفْرَدُ فِي حَقِّهِ كَالْحَاشِدِ الْمَكْثَرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ الْبَاكِي لَا بَابَهُ كَحَالَةِ الْبَاكِي عَلَى وَلَدِهِ
مَارْغَبَةُ الْحَيِّ بِأَبْنَاهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسِ الْوَرَى وَإِنَّمَا الشَّقُّ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ الْعُمُرِ أَفْوَاهُنَا لِمَنْ تَنَاهَى الْقَلْبُ فِي وَدِّهِ
يُسْرٌ إِنْ مُدَّ بَقَاءُ لَهُ وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَتَاَلَمَا فَتَسْتَعِذُّ اللَّهُ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلْطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثَقُلَ الثَّرَى جِيدُهُ وَكَانَ يَشْكُو الضَّعْفَ مِنْ عَقْدِهِ
وَرُبَّ ظِمَانٍ إِلَى مَوْرِدٍ وَالْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وَرْدِهِ
وَمُرْسِلٍ الْغَارَةِ مَبْثُوتَةً مِنْ أَذْهَمِ اللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ
يُخَوِّضُ بَحْرًا نَفْعُهُ مَاؤُهُ يَحْمِلُهُ السَّالِحُ فِي لِبْدِهِ
أَشْجَعُ مَنْ قَلْبَ خَطِيئَةٍ عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُتَمِّدِهِ
يَرَى وَقُوعَ الزَّرْقِ فِي دِرْعِهِ مِثْلَ وَقُوعِ الزَّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ الرُّمْحُ إِلَى طَرَفِهِ وَلَا إِلَى التَّحَكُّمِ مِنْ سَرْدِهِ
يَلْقَى عَلَيْهِ الطَّغْنُ الْإِقَاءَكَ أَوْ حَسَبَ عَلَى الْمُسْرَعِ فِي عَقْدِهِ
بِلُحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا يَرُدُّ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ
أَمَلَهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ مَبِیْضُهُ يُجَدِّى بِمَسْوَدِهِ
فَيَأْخُذُ الْمَقْشُودَ فِي خَمْسَةِ كَالشَّهْبِ مَا سَلَكَ عَنْ قَدِّهِ
جَاءَكَ هَذَا الْحَزْنُ مُسْتَجِدًّا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تُجَدِّهِ

سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ الَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَنْدِمُ الْأَسْمَرُ فِي غَايِهِ حَتْفًا وَلَا الْأَبْيَضُ فِي عَمْدِهِ
إِنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أُوحِشْتُ دَارَكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابِكَ مِنْ أَسَدِهِ

ولاي العلاء المرعي في قعيد حني

١١١

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلِّي وَعَتَمَادِي نَوْحُ بَالِكَ وَلَا تَرْتُمُ شَادٍ
وَشَيْهَ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِيدَ سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكْتَ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّتْ عَلَى قَرَعِ غَضَنِهَا الْمِيَادِ
صَاحَ هُذِي قُبُورُنَا تَمَلَّاءُ الرُّحْدِ بَ قَائِنُ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِ الْوُطَا مَا أَظُنُّ أَدِيمَ آلِ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِجُ بِنَا وَإِنْ قَدَّمَ أَلَمَهُ دُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرَّ أَنْ أَسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤَيْدًا لَا اخْتِيَا لَاعَلَى رُقَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاخُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَيَّ بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ
تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَّ حَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَزْدِيَادِ
إِنَّ خُرْنًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُتَقَلُّونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
صَبْغَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرْجِحُ أَلْ جِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْعِدْنَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
فَقَسَلْنَ وَأَسْتَعِرْنَ جَمِيعًا مِنْ قَيْصِ الدَّحَى ثِيَابَ حِدَادِ
ثُمَّ عَرَّضْنَ فِي الْمَأْتَمِ وَأَنْدَبْنَ بِشَجْوٍ مَعَ الْغَوَائِي الْحِرَادِ
قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ الْأَوَّامِ ابْنَ مَوْلَى حَجَّيْ وَخِذْنَ اقْتِصَادِ
وَقَفِيهَا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنَّعْمِ مَا لَمْ يَشْدُهُ شِعْرُ زِيَادِ
فَالْعِرَاقِي بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ
وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وَحُوشِ عَالَمِ الضَّارِيَاتِ بِرِّ النَّفَادِ
رَأَوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُحْجِجْ أَلَّهُ رُوفَ مَنْ صَدَّقَهُ إِلَى الْإِسْنَادِ
أَنْفَقَ الْعُمَرَاءُ نَاسِكًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَأَنْتَقَادِ
مُسْتَقْبَى الْكَفِّ مِنْ قَلْبِ رُجَاجِ بَغْرُوبِ الْبِرَاعِ مَاءِ مِدَادِ
ذَا بَانَ لَا تَلْمَسُ الدَّهْبَ الْأَحْمَرُ مَرْزُودًا فِي الْعَسْجِدِ الْمُسْتَفَادِ
وَدَعَا أَيُّهَا الْخَفِيَّانِ ذَاكَ أَمَّ شَخْصَ إِنْ أَلْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
وَأَغْسَلَاهُ بِالذَّمْعِ إِنْ كَانَ طَهْرًا وَأَدْفَنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْفُؤَادِ
وَأَحْبَوَاهُ إِلَّا كَفَانًا مِنْ وَرَقِ الْمَصِّ حَفَّ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ
وَأَتَلُوا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَاللَّسَّ بِيحٍ لَا بِالنَّحْبِ وَالْتَعْدَادِ
أَسَفُ غَيْرِ نَافِعٍ وَاجْتِهَادُ لَا يُؤَدِّي إِلَى غِنَاءِ اجْتِهَادِ
طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحُزْنِ إِلَى غَيْرِ لَاقٍ بِالسَّدَادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي يَا جَدِيرًا مِنِّي بِمُحْسِنِ اقْتِفَادِ
قَدْ أَقْرَّ الطَّيِّبُ عَنْكَ بِعِزِّ وَتَقَضَّى تَرَدَّدُ الْعُودِ

وَأَتَتْهُ الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْرَعَ الْوَجْدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ
 هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلْمَرِيضِ وَنَجَّ لِأَعْيُنِ الْعُجَّادِ
 لَا يُعْزِزُكُمْ الصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِي الْأَعْمَادِ
 فَعَزِزْتُ عَلَى خَطِّ الْيَالِي رِمَّ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ الْهُوَادِي
 كُنْتُ خَلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ السَّيْنُ وَاقَفَتْ رَأْيُهُ فِي الْمُرَادِ
 وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوْمَلِ مِنْ شَيْئَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 وَخَلَعْتَ الشَّابَّ غَضًّا فَيَا لَيْتَكَ أَتَيْتَهُ مَعَ الْأَنْدَادِ
 فَأَذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْنِ بِسُقْيَا رَوَاحٍ وَعَوَادِ
 وَمَرَاتٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَحَمُونَ السُّطُورَ فِي الْأَنْشَادِ
 فَلْيَكُنْ لِلْحُسَيْنِ الْأَجَلُ الْمَلُومُ دُودٌ رَعْمًا لِأَنْفِ الْحُسَادِ
 وَلْيَطْبُ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا ۚ أَخِيهِ جَرَّاحِ الْأَكْبَادِ
 وَإِذَا الْبَجْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرِ وَفَلَا رِيَّ بِأَذْخَارِ الْقِمَادِ
 كُلُّ يَتِّمْ لَاهْتَمَ مَا تَبَتَّنِي الْوَرَقُ قَاهُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
 وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَنْتَسِرُ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْقَسَادِ

قال ابو الطيب المتنبي يرثي ابا شعاع فاتك

١١٢

الْحُزْنُ يُفْلِقُ وَالتَّجْمُلُ يَرْدَعُ وَالْذَّمُّ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبِيعُ
 يَتَنَارَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدِ هَذَا يَحْيِي بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ
 الْيَوْمُ بَعْدَ أَبِي شُعَاعٍ نَافِرُ وَاللَّيْلُ مَعِيَ وَالْكَوَاكِبُ طُلُعُ
 لِي لَأَجِبُنَّ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَنَحْسُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً
تَصِفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
أَيُّ الَّذِي الْهَرَمَانُ مِنْ بُيَانِهِ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
لَمْ يُرَضِ قَلْبَ أَبِي شِمَاعٍ مَبْلَغُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
أَلْجَدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفْقَةٌ
وَالنَّاسُ أَثَرُ فِي زَمَانِكَ مَنَزَلًا
يَرِدُ حَشَايَ إِنْ أُسْتَطِغَتْ بِلِقْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلَمُّ مَلَمَةً
وَيَدُّ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً
مَا زِلْتَ تَحْلُمُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ
فَقَطَّلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَا حَكَ شَرَّعُ
بِأَيِّ الْوَحِيدِ وَجَيْشِهِ مُتَكَاثِرُ
وَيَلِمُ بِي عَثْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يَتَوَقَّعُ
وَيَسُومُهَا طَلَبُ الْفَحَالِ قَتَطْعُ
مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ
حِينَ وَيَذِرُكُمَا الْقَنَاءُ قَتَبَعُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعُهُ مَوْضِعُ
ذَهَابًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقِعُ
وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
مِنْ أَنْ يَعْيشَ بِهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ
مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْ زَكَ أَرْفَعُ
فَلَقَدْ تَضَرَّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
إِلَّا نَفَاها عَنْكَ قَلْبُ أَصْمَعُ
فَرَضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرَعُ
أَنِّي رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تَنْزَعُ
حَتَّى لَيْسَتْ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
فِيَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفَكَ قُطِّعُ
يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الْأَدْمَعُ

وإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
وَصَلْتَ إِلَيْكَ يَدُ سِوَاكَ عِنْدَهَا الْبَازُ الْأَشْيَبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْعُ
مَنْ لِلْمَخَافِلِ وَالْمُجَافِلِ وَالسَّرَى
وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً
فَقَدَتْ بِقَعْدِكَ نَبِيرًا لَا يَطْلُعُ
فَبِمَا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ
ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يُنْبِغُ
أَيُّوتُ مِثْلُ أَبِي ثَجْبَاعٍ فَإِنَّكَ
وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ لَوْحٍ بَرْقُ
وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِي الْأَوْكُ
وَقَفَا يَصْبِحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَضَعُ
وَأَخَذَتْ أَصْدَقُ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَسَلَبَتْ أَطِيبَ رِيحَةٍ تَتَضَوُّعُ
وَقَفَا يَصْبِحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَضَعُ
دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَطْلُعُ
وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرُعُ
فَوْقَ الْقَنَاقَةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ
بَعْدَ اللَّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعُ
وَلِسْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ
كَسَرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخَضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي عَرَبٍ فَفِيهَا تَبَعُ
فَرَسًا وَلَكِنَّ الْمُنْيَةَ أَسْرَعُ
رُحْمًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ
وَلَا قَلْبَتْ أَيْدِي الثَّوَارِسِ بَعْدَهُ

وله أيضاً يرثي والدة سيف الدولة وقد توفيت ببيافارقين

١١٣

وجاءه الخبر بموتها الى حلب

نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَزَتِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ أَلْيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعَشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَتَابِكَ مِنْ خِيَالِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَزْدَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ تَكْسَرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا أَنْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي
وَهَذَا أَوَّلُ التَّلَاعِينِ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيَّةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَجْعَ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِخُلُوقٍ بِكَالِ
صَلَاةِ اللَّهِ خَالِفًا خُوطُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْنُونِ بِالْجَمَالِ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْجَلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بَطْنَ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي
وَمَا أَحَدٌ يُجَلِّدُ فِي الْبَرََايَا بَلِ الدُّنْيَا قَوْلٌ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسِ أَنَّكَ مِتَّ مَوْتًا تَمَّتْهُ أَلْبَوَاقِي وَالْحَوَالِي
وَزَلْتَ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهًا يَسِرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ
رِوَاقُ الْغَيْرِ حَوْلَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكٌ عَلَى أُنْسِكَ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثَوَالٍ غَادٍ فِي الْغَوَادِي نَظِيرُ نَوَالٍ كَفَّكَ فِي النَّوَالِ

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ مَجْدٍ وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي
 يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَالِي فَيَبْكِي وَيَسْغُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ
 وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ لَوْ أَنَّكَ تَقْدِيرِينَ عَلَى فِعَالِ
 بِمِشْكٍ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِ
 نَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ
 تُحَجِّبُ عَنْكَ رَأْيَهُ الْخُرَامَى وَتَمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاهُ الْطَّلَالِ
 بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبِثُ الْحِبَالِ
 حُصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْأَزْنِ فِيهِ كَتُمُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ
 يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْعَمَالِ
 إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَنْفَرِ شَفَاهُ أَسِنَّةُ الْأَسْلِ الطَّوَالِ
 وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْأَوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ
 وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النُّعَالِ
 مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً كَأَنَّ الْمُرَوِّ مِنْ زَفِّ الرِّبَالِ
 وَأَبْرَزَتْ الْحُدُودُ مُحْجَبَاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَّةَ الْغَوَالِ
 أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ عَافِيَاتٍ فَدَمَعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ
 وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
 وَمَا التَّائِيْتُ لِأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ
 وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قِيلَ الْقَعْدُ مَقْشُودَ الْإِسْكَالِ
 يُدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمَشِي وَأَوَّخَرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِ

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ أَسْتَجِدُّ بِصَبْرِ وَكَيْفَ يَمِثِلُ صَبْرُكَ لِلْجَبَالِ
فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعْزِيَّ وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ

١١٤ وقال يرثي جدته وكانت ينست منه لطول غيبته فكتب اليها كتابا
فلما وصلها قبلته وحمت من وقتها لما غلب عليها من السرور فأتت

أَلَا لَا أَرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا دَمًا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ أَلْفَتِي مَرْجِعُ أَلْفَتِي
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَيْدِهَا
أَحْنُ إِلَى الْكَاسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيْلِهَا
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ أَحْبَبِينَ كُلَّهُمْ
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا
أَنَاهَا كِتَابِي بَعْدَ بَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
تَعَجُّبُ مِنْ خَطِي وَلَفْظِي كَأَنهَا
وَتَلْثَمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
رَقًا دَمْعًا الْجَارِي وَجَعَتْ جُفُونُهَا
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا النَّسَايَا وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَمَاتَتْ وَفَاتَنِي
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي النِّعَامَ لِقَبْرِهَا
فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا
يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِي كَمَا أَرَمِي
قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمَا
وَأَهْوَى لِنُشْوَاهَا الْأُتْرَابَ وَمَا ضَمًّا
وَذَاقَ كِلَانَا نُكُلَ صَاحِبِهِ قَدَمًا
مَضَى بِلَادَ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرَمًا
فَلَمَّا دَهَنَتِي لَمْ تَرُدَّنِي بِهَا عِلْمًا
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمَتَّ بِهَا هَمًّا
أَعَدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سَمًّا
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرَبَةَ عُصَمَا
تَحَاجَرَ عَيْنِهَا وَأَنْبِيَاهَا سُخْمَا
وَفَارَقَ حَيِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى
أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا
وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْرَضِيتُ لَهَا قِسْمَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعَى وَالْفَنَاءَ الصَّمَا

وَكُنْتُ قَبِيلَ الْمَوْتِ أَسْتَغْظِمُ النَّوَى
هَنَيْدِي أَخَذْتُ النَّارَ فَيَكُ مِنَ الْعَدَى
وَمَا أُنْسَدْتُ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضَيْفِهَا
فَوَا أَسْفَا أَنْ لَا أَكْبَ مُقْبَلَا
وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ
لَبُنْتُ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمَهَا
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَغْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي
وَمَا لَجُئْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدَيِ
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
وَجَاءَهُ يَوْمَ الْفَتَاءِ تَحِيَّتِي
إِذَا قُلَّ غَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بَعْدِهِ
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَنَا
كَذًا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَادْهَبِي
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي

فَقَدْ صَارَتْ الضُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الطُّغْمَى
فَكَيْفَ أَخَذَ النَّارَ فَيَكُ مِنَ الْحُمَى
وَلَكِنْ طَرَفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى
لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلَاحَظَمَا
كَأَنَّ ذِكْرِي الْمِسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمَا
لَكَانَ أَبَاكَ الصُّغْمُ كَوْنُكَ لِي أُمَّا
فَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لَا نَافِهُم رَعْمَا
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِلْمَكْرُمَةِ طَعْمَا
وَمَا تَبَنَيْتُ مَا أَتَبَنَيْتُ جَلَّ أَنْ يُسَمَا
جَلُوبُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَمَا
بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْقَهْمَا
وَمُرْتُكَ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
وَالْأَفْلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرْمَا
فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا
بِهَا أَنْفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعِظْمَا
وَيَا نَفْسُ زَيْدِي فِي كَرَامَتِهَا قَدَمَا
وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي الْفَخْرِ

قال طرقة يتخبر في قومه

١١٥

سَاءَ لَوْ عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَخْلَقِ اللَّيْمَ
يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَاقِهَا وَتَلْفُ الْحَيْلُ أَغْرَاجَ النَّعَمِ
أَجْدَرُ النَّاسِ بِرَأْسِ صِلْدِمٍ حَازِمُ الْأَمْرِ شَجَاعُ فِي الْوَعَمِ
كَامِلٌ يَحْمِلُ آلَاءَ الْفَتَى نَبِيُّ سَيِّدِ سَادَاتِ خِصَمِ
خَيْرٌ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عُلُمُوا لِكَفِّي وَلِجَارٍ وَأَبْنِ عَمِ
يَجِيرُ الْخُرُوبُ فِينَا مَا لَهُ بِنَاءٌ وَسَوَامٍ وَخَدَمِ
نُقْلُ الشَّخْمِ فِي مَشَاتِنَا مُحَرٌّ لِلنِّيبِ طَرَادُ الْقَرَمِ
رُزْجُ الْجَاهِلِ فِي مَحَلِّسِنَا قَتَرَى الْجَلِيسِ فِينَا كَالْحَرَمِ
وَتَقَرَّعْنَا مِنْ أَبْنِي وَائِلٍ هَامَةُ الْحُجْدِ وَخُرُطُومِ الْكَرَمِ
مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا لُسِبُوا وَبَنِي تَغْلَبَ ضَرَّائِي الْبَهَمِ
حِينَ يَحْمِي النَّاسُ نَحْمِي سِرْبَنَا وَاضِحِي الْأَوَجِ مَعْرُوفِي الْكَرَمِ
يُجَسِّمَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرِيبَاتِ مُتَرَاتِ الْعُصَمِ
وَفُحُولٍ هَيْكَلاتٍ وَفُحٍ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّأْوِ أَزْمِ
وَقَفَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ ضَمْرٍ شُرْبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ اللَّجْمِ
بِشَبَابٍ وَكُھُولٍ نَهْدٍ كَلُوثٍ بَيْنَ عَرِيسِ الْأَجْمِ

نَمْسُكَ الْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا حِينَ لَا يَمْسُكَ إِلَّا ذُو كَرَمٍ
نَذَرُ الْأَبْطَالَ صَرَغَى بَيْنَهَا تَعَكُفُ الْعِشْبَانُ فِيهَا وَالرَّحِمُ

لعبيد بن الأبرص الاسدي

١١٦

وَلَا أَتَّبِعِي وَدَّ أَمْرِي قَلَّ خَيْرُهُ
وَإِنِّي لَا أَطْفِي الْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ
إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْحَوُونَ أَمَانَةً
وَجَدْتُ حَوُونَ الْقَوْمِ كَالْغَرِيقِ
وَلَا تُظْهِرَنَّ وَدَّ أَمْرِي قَبْلَ خَيْرِهِ
وَلَا تَتَّبِعَنَّ الرَّأْيَ مِنْهُ تَقْصُهُ
وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَيْبَةً
تَرَوْدُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ
تَمَنَّى مَرِي الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أُمْتُ
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو رِجَايَ وَمَوْتِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَائِرٍ
وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تَعُدُّ وَقَدْ دَعَتْ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ
قَعْلٌ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى

وَمَا أَتَاعَنَ وَصَلَ الصَّدِيقِ بِأَصِيدٍ
وَقَدْ أَوْقَدْتَ لِلنَّعِيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدٍ
وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ الْأُمُورِ يُبْتَدِ
فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدٍ
وَمَا خِلْتُ عَمَّ الْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدٍ
وَبَعْدَ بَلَاءِ الْمَرْءِ فَادْخُلْ أَوْ أَحْمَدٍ
وَلَكِنْ يَرَأِي الْمَرْءُ ذِي أَلْبٍ فَاقْتَدِ
لِذَخْرٍ وَفِي وَصْلِ الْأَبْعَدِ فَازْهَدِ
فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَلِكَ وَارْجُدِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ زَادِ الْمَرْوَدِ
فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
سَفَاهَا وَجِبْنَا أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّادِي
وَلَا مَوْتَ مَنْ قَدِمَاتِ قَبْلِي يُجْلِدِي
جِبَالُ الْمَنَابِإِ لِلْفَتَى كُلِّ مَرَّصِدٍ
سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ الْمَنِيَةِ فِي غَدٍ
تَهَيَّأِ لِأُخْرَى مِنْهَا فَكَانَ قَدِ

فَإِنَّا وَمَنْ قَدْ بَادَ مِنَّا لَكَ الَّذِي يَرُوحُ وَكَأَقْضَى الْبَلَاتِ لِيَعْتَدِي

وقال عروة بن الورد العبسي الملقب بعروة الصعاليك

١١٢

فَإِنْ قَاذَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ
لَحَاً اللَّهُ صُغْلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
يَعِدُّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
يَنَامُ عَشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيًا
قَلِيلُ الْتِمَاسِ الْمَالِ إِلَّا لِنَفْسِهِ
يُعِينُ نِسَاءً الْحَيَّ لَا يَسْتَعْنَهُ
وَلَكِنْ صُغْلُوكَا صَفِيحُهُ وَجْهِهِ
مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمُونُونَ أَقْتِرَابَهُ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةُ يَلْقَاهَا
أَيُّهَاكَ مُعْتَمٌ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقِمِ
فَيَوْمٌ عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتُ أَهْلَهَا
يُنَافِلُنَ بِالْشَمِطِ الْكِرَامِ إِلَى النَّهْيِ
يُرِيحُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَا جِدِ
سَلَى السَّائِبِ الْمُعْتَرِيَا أَمْ مَالِكٍ
أَبْسَطُ وَجْهِهِ إِنَّهُ أَوَّلُ الْفَرَى
سَيَفْرَعُ بَعْدَ الْيَاسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا

جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرٍ
مَضَى فِي الْمَشَاشِ الْفَاكُلَ حَجَزِرٍ
أَصَابَ قَرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسِّرٍ
يُبْثِثُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَفَرِّقِ
إِذَا هُوَ أَضْحَى كَأَلْرِيشِ الْمُحَوَّرِ
فَيَسِي طَلِيمًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَاسِ الْمُتَوَرِّقِ
يَسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمُنْجِ الْمُسْهِرِ
تَشَوَّقُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ
حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ
عَلَى نَدَبِ يَوْمًا وَلِي نَفْسٍ مُخْطِرِ
وَيَوْمٌ بِأَرْضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرَعَرِ
نِقَابِ الْحَجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ
كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتَرِ
إِذَا مَا أَعْتَرَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَحَجَزِي
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
كَوَاسِعٍ فِي أُخْرَى السَّوَامِ الْمُنْفَرِ

يُطْلَعْنَ عَنْهَا أَوَّلُ الْخَيْلِ بِالْقَنَا وَيَبِضُ خَفَافٍ ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَّرٍ

قال حسان بن ثابت الانصاري

١١٨

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا شَعْتُ مَا نَبَا
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارَ مَا نِ كِلَاهُمَا
وَإِنْ أَلَكُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجْدُ بِهِ
فَلَا أُمَالُ يُنْسِينِي حَيَاءِي وَعَفْيِي
وَأَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائِلُ
وَإِنِّي لَقَوَالٌ لَدَى الْبَثِّ مَرْحَبَا
وَإِنِّي لِيدْعُونِي التَّدَى فَأُجِيبُهُ
وَإِنِّي لَحُلُو تَعَبِي نِي مَرَارَةً
وَإِنِّي لَمَرْجِي لِمَطِي عَلَى الرَّحَى
فَلَا تَعْلَمَنَّ يَا قَيْسُ وَأَرْبَعُ فَاثِمَا
حُسَامُ وَأَرْمَاحُ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ
لُبُوثٌ لَدَى الْأَشْبَالِ تَحْمِي عَرِينَهَا
فَقَدْ ذَاقَتْ الْأَوْسُ أُنْقَاتٍ وَطَرَدَتْ
نَفْتَكُمْ عَنْ الْعِلْيَاءِ أُمِّ لَيْثَةٍ

وقال بشر بن ابي حازم الاسدي

١١٩

سَائِلٌ تَمِيًّا فِي الْخُرُوبِ وَعَامِرًا
وَهَلْ أُنَجِّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً
 نَعْلُو الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ وَنَعْتَرِي
 يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا
 مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي التَّجَادِ مُنَازِلِ
 قَهْضُضْنَ جَمْعَهُمْ وَأَذَرُ حَاجِبُ
 وَعَلَى عُنَابِهِمُ الْمَدْلَةُ أَصْبَحَتْ
 أَقْصَدْنَ حُجْرًا قَبْلَ ذَلِكَ وَالْفَنَا
 نِيَوِي مَحَاوَلَةَ الْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ
 وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلَابٍ خَبْطَةً
 وَسَلَقْنَ كَمَا قَبْلَ ذَلِكَ سَلَقَةً
 حَتَّى سَقَيْنَا النَّاسَ كَأْسًا مَرَّةً
 قُلْ لِلْمُتْلَمِّمِ وَأَبْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ
 تَلَقَّى الَّذِي لَاقَى الْعَدُوَّ وَتَضَطَّيْعُ
 تَحْبُو الْكُتَيْبَةَ حِينَ نَفَتَرِشُ الْفَنَا
 وَلَقَدْ صَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ
 نَشْفِي صِدَائِهِمْ بِأَسْمَرَ صِلْدِمِ
 وَأَخْلِلُ مُشْعَلَةَ الثُّخُورِ مِنَ الدَّمِ
 خَبَبَ السَّيَاحِ بِكُلِّ أَكْلَفَ ضَيْغِمِ
 يَسْمُو إِلَى الْأَقْرَانِ غَيْرَ مُقَلِّمِ
 تَحْتَ الْحِجَابَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتِمِ
 نُبَذَتْ بِأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبِ جَهْضِمِ
 شُرْعُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَكْبَّ عَلَى الْقَسَمِ
 فِيهِ مَخَارِصُ كُلِّ لَذَنِ لَهْذِمِ
 الْحَنَنْهُمْ بِدَعَائِمِ الْمُتَحَيِّمِ
 بِقَنَا تَعَاوَدَهُ الْأَكْفُ مُقَوِّمِ
 مَكْرُوهَةً حَسَوَاتِهَا كَأَلْعَلْمِ
 إِنْ كُنْتُ رَائِمَ عِزِّنَا فَاسْتَقْدِمِ
 كَأْسًا صَبَابَتِهَا كَطْعَمِ الْعَلْقَمِ
 طَعْنَا كَالْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ
 يَوْمَ الْإِسَارِ بِطَغْنَةٍ لَمْ تَكْلِمِ

قال الفرزدق واسمهم هام بن غالب التميمي

١٢٠

لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي
 لَنَا حَيْثُ آفَاةُ الْبَرِيَّةِ تَلْتَقِي
 وَمِنَّا الَّذِي لَا تَنْطِقُ النَّاسُ عَنْدهُ
 عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَخْلَفُ
 عَدِيدُ الْحَصَى وَالْقَشُورُ الْمُتَخَدِفُ
 وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأَذَنُ الْمُتَصَرِّفُ

تَرَاهُمْ قُودًا حَوْلَهُ وَعِيُونَهُمْ
وَبَيْنَانُ بَيْتِ اللَّهِ نَحْنُ وَلَا تَهُ
تَرَى النَّاسَ مَاسِرَنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ
وَأِنْ قَتَلُوا يَوْمًا ضَرْبَنَا رُؤُوسَهُمْ
فَأَنْتَ إِنْ تَسْعَى لِنُدْرِكَ دَارِمًا
أَتَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ النُّجُومِ مَكَانَهُ
وَشَيْخَيْنِ قَدْ عَاشَا ثَمَانِينَ حِجَّةً
عَطَفْتَ عَلَيْكَ الْحَرْبَ إِنِّي إِذَا وَنِي
أَتَى لِحَرْبٍ رَهْطُ سُوءِ أَذَلَّةٍ
وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا وَجَدَ الثَّرَى
وَمَنْعَ مَوْلَانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَإِنْ جَنِي
وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كِلَابٌ عَنْ الْقُرَى
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيْرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا
تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُتَّقِينَ كَأَنَّهُمْ
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيكَ
وَإِنِّي لَنْ قَوْمٍ يَبْقَى الرَّدَى
وَأَضْيَافٍ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قِرَاهُمْ

مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطْرَفُ
وَبَيْتٌ بِأَعْلَى الرَّاغِبِينَ مُشْرِفُ
وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَيَسْأَلُنَا النَّصْفُ الدَّلِيلُ فَتَنْصَفُ
عَلَى الدِّينِ حَتَّى يُقْتَلَ الْمُتَأَلِّفُ
لَأَنْتَ أَلْمَسِي يَا جَرِيدُ الْمُكَلَّفُ
تَرِيقُ وَغَبْرُ ظَهْرِهِ يَتَرَفُّ
أَتَانِيهِمَا هَذَا كَبِيرُ وَأَعْجَفُ
لِخَوَالِ حَرْبٍ كَرَارَعَلَى الْقَرْنِ مُعْطَفُ
وَعَرَضُ لَيْمٍ لِلنَّحَازِي مُوقَفُ
وَمَنْ هُوَ يَزُجُ فَضْلَهُ لِلتَّضْيِيفُ
نَبَا دَارَهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ
وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطَفُ الْجَارُ يُنْطَفُ
إِلَى الضَّيْفِ تَمَشِي مُسْرِعِينَ وَتُخْلِفُ
جَوَامِعُ الْأَرْزَاقِ وَالرَّيْحُ زَفَرُ
عَلَى صَنْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَمُ
فَيَنْطِقُ إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَرَبُّ أَلْتَا وَأَلْجَابُ الْمُتَعَرِّفُ
إِلَيْهِمْ فَأَتْلَفْنَا أَلْمَانِيَا وَأَتْلَفُوا

وَكُنَّا إِذَا مَا اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بِالْقَرَى
وَكُلُّ قَرَى الْأَضْيَافِ قَرَى مِنْ أَلْقَا
وَجَدْنَا أَغْرَ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى
وَكِلَاتُهَا فِينَا لَنَا حِينَ نَلْتَقَى
مَنَازِلُ عَنْ ظَهْرِ الْفَلِيلِ كَثِيرُنَا
فَلَقْنَا الْحَصَى عِنْدَ الَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ
وَجَلَّ لِحْلَمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُوبَهُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ

قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

١٢١

بِأَيِّ حُسَامٍ أَمْ بِأَيِّ سِنَانٍ
لَنْ عُرِّيَ الْيَوْمَ الْجَوَادُ لِعِلَّةٍ
وَإِنْ عُطِلَ السَّهْمُ الَّذِي كُنْتُ رَأِيشَا
أَلَا إِنَّ دِرْعِي ثَرَّةٌ تَبْعِيَّةُ
وَمَا فَصَبْتُ السَّبْقَ إِلَّا لِأَدْهَمِي
تَمَنَّى لِقَائِي مَنْ حَلَّتْ وَثَاقُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مِنْ حَحِّ وَدْهِ
وَمَا يَزِدُّهُنِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّ
وَزَعُمُ أَنِّي فِي أَلْيَانٍ مُقَصِّرُ
وَإِنِّي لِنَهَاضٍ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ

أُنَازِلُ ذَلِكَ الْفَرْنَ حِينَ دَعَانِي
فَيَا لَأَمْسٍ شَدُّوا سَرَجَهُ لِيَطْعَانِ
فَقِيهِ دَمُ الْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانِ
وَسَيْفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
إِذَا الْحَيْلُ جَالَتْ فِي مَجَالِ رِهَانِ
وَأَعْطَى غَدَاةَ الْفَرِّ ذِلَّةً عَانِ
وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ الشَّنَّانِ
وَلَيْسَ لَهُ بِالْمُضَلَّاتِ يَدَانِ
وَيَأْبَى بَنَانِي وَاقْتِدَارُ لِسَانِي
يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانِ

نَهَضَتْ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدْعٍ
أَيْتَسَى مَقَامِي إِذْ أَكْفَجَ دُونَهُ
وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُتِّ فِيهِ بِخُطْبَةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَرْءُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ
تَمَّاءُونَ بِالْإِنْصَافِ حَتَّى أَحْلَهُ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى الزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ
يُشَارِكُ أَهْلَ الْقَوْلِ شِرْكَ عَنَانٍ
وَقَدْ طَارَ قَلْبُ الذَّعْرِ بِالْخَفَقَانِ
كَأَنَّ عَارِدَ الْمَاءِ بِالسَّيْلَانِ
وَإِنْ دَهْنُوهُ حِمْلَةٌ بِدِهْمَانٍ
وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ يَدَارِ هَوَانٍ
لَمَّا تَرَكَوهُ فِي يَدِ الْخَدَنَانِ

قال الطبراني يقتصر

١٢٢

أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فَضَائِلِي
وَإِنْ كَرُمْتَ قَبْلِي أَوَائِلُ أَسْرَتِي
يُذِمُّ لِأَجْلِ الْمُرِّ إِنْ يَكُ مَرَّةً
وَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَقْدَرِي فَوْقَهُ
إِذَا شَرَفَتْ نَفْسُ الْهَقَى زَادَ قَدْرُهُ
كَذَلِكَ حَدِيدُ السَّيْفِ إِنْ يَصِفُ جَوْهَرًا
تَكَادُ تَرَى مَنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ
وَمَا أُمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ
وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أَجِيرُهُ
فَأَعْذَرُ إِنْ فَصَرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدِي
أَأَكْفَى وَلَا أَكْفَى وَلَتَكْ غَضَاصَةٌ
إِذَا مَا سَمَا بِالْمَالِ كُلُّ مُسَوِّدٍ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَبْدَأُ سُودُدِي
بِحِدْيِي وَإِنْ نَهَضَ بِحِدْيِي يُحْمَدِ
وَلَوْ حُطَّ رَحْلِي بَيْنَ نَسْرِ وَفَرْقَدِ
عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَاعْجَدِ
فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزَنُّ عَسْجَدِ
يُسْغِي إِذَا مَا ضَمَّتْ صَدْرُ مُشْهَدِ
فَهَلَّا بِفَضْلِي كَأَثْرُونِي وَتَحْتَدِي
يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
فَارْغَمُ أَعْدَائِي وَانْكَبْتُ حُسْدِي
وَأَمِنْ أَنْ يَتَعَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدِ
أَرَى دُونَهَا وَقَعَ الْحَسَامُ الْمُهْدِ

وَلَوْلَا تَكَالِيفُ الْعَلَى وَمَعَارِمُ لَا أُعْطِيتُ نَفْسِي فِي التَّخْلِ مُرَادَهَا
فَذَاكَ مُرَادِي مُذْنَشَاتُ وَمَقْصَدِي
يَعَانِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَأَن قَدْ
إِذَا جَلَدِي فِي الْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يُعِينِ
وَمَنْ يَسْتَعِينُ بِالصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ
ثِقَالٌ وَأَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
مَرِيرَةٌ عَزَمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلْدِي
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعَدٍ

قال ابو تمام يفخر بقومه

١٢٣

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضَعُ الْجُودُ فِيهِمْ
نُجُومٌ طَوَالِيعُ جِبَالٍ قَوَارِعُ
مَضُوءَا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْخَلِّ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظًا مَا لَنَا
بِهَالِيلٍ لَوْ عَايَنْتَ فَيُضِ أَكْفِهِمْ
إِذَا خَفَّتْ بِالْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ
رِيَّاحُ كَرِيحٍ الْعَنْبَرِ الْغَضِّ فِي النَّدَى
هِيَ السَّمُّ مَا تَنَفَّكَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضُ الْعَدُوِّ قَطَانًا
يَكُلُّ قَتَى مَا شَابَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوُوا مَالَ مَعْشَرٍ
قَتَمَطِي الَّذِي تُطِيبُهُمُ الْحَيْلُ وَالْقَنَا
وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
غُبُوثٌ هَوَامِيعُ سِيُولُ دَوَافِعُ
لِكَثْرَةِ مَا أَوْصُوا بِهِنَّ شَرَائِعُ
لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
قَضَاعٍ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَاعُ
لَا يُقِنُّ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ
حَدَاهَا النَّدَى وَاسْتَشَقَّتْهَا الْمَطَامِعُ
وَلِكِنَّهَا يَوْمَ الْفَلَاءِ زَعَارِعُ
تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهُوَ نَاقِعُ
نُفُوسٍ لِحْدِ الْمُرْهَقَاتِ قَطَائِعُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ شِينَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
أَكْفُ لِرِثِّ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

هُمْ قَوْمٌ وَادَرَأَ السَّامَ وَيَقْظُوا
يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا
إِذَا أَسْرُوا لَمْ يَأْسِرِ الْبَغْيُ عَفْوَهُمْ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعُ غَلِيهِ
وَإِنْ صَارُ عَوَاعِنُ مَفْخَرًا قَامَ دُونَهُمْ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ
كَشَفْتُ قِتَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ
بِعِزِّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ
يُودُّ وَدَادًا أَنْ أَعْصَاءَ جَنِيهِ

قال ابو فراس الحمداني يهجو

١٢٤

وَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْعُلَى
مَوَاعِيدُ أَمْالٍ مَتَى مَا انْتَجَعْتُهَا
تُدَافِعُنِي الْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ
فِيَنِي مَنْ نَالَ الْأَعَادِي بِسِفِهِ
وَمَالِي لَا تَمْسِي وَتَضْجُ فِي يَدِي
أَحْكَمُ فِي الْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا
وَمَا زَالَ تَحْمِي الْحَمَائِلُ عَنْوَةً
يَنَالُ اخْتِيَارَ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ
لِنَاعِقِبِ الْأَمْرِ الَّذِي فِي صُدُورِهِ

وَلَكِنْ كَانَ الدَّهْرَ عَنِّي غَافِلُ
صَلَبْتُ بِكِيَاتٍ وَهْنٌ حَوَافِلُ
كَمَا دَفَعَ الدِّينَ الْفَرِيمُ الْمَاطِلُ
وَيَارَبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا الْغَوَائِلُ
كَرَّيْمُ أَمْوَالِي الرِّجَالُ الْغَوَائِلُ
أَحْكَمَهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي الْجُثُونِ الْحَمَائِلُ
لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَسَالُ الْوَسَائِلُ
تَطَاوُلُ أَعْنَاقُ الْعِدَى وَالْكَوَاهِلُ

أَصَاغِرُنَا فِي الْمَكْرَمَاتِ أَكْبَارُ وَآخِرُنَا فِي الْمَأْثَرَاتِ أَوَائِلُ
إِذَا صَلْتُ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يَقَاوِلُ

١٣٥ وعرضت على سيف الدولة خيولهُ وسوأخيه حصورهُ فكلُّ احْتارَمَهَا وطلب حاجته
من دون أبي فراس فغضب عليه سيف الدولة فاشتدَّه :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْفَعَالُ الْجَانِي وَيَحُولُ عَنْ شَيْمٍ الْكَرِيمِ الْوَافِي
لَا أَرْتَضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدْمُ عِنْدَ الْوَفَاءِ وَقَلَّةُ الْإِنْصَافِ
تَسَّسَ الْحَرِيصُ وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ
إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمُنَاكِبِ جَافٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا اقْتَمَتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ
وَيَعَاثُ لِي طَبْعُ الْحَرِيصِ أَبُوِّي وَمُرُوءِي وَقِنَاعِي وَعَفَايِ
مَا كَثُرَ الْخَيْلُ الْجِلَادُ بَرَانِدِ شَرَفًا وَلَاعَدُو السَّوَامِ الصَّافِي
وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
لَا أَفْتِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كُنَّ صُرُوفُهُ أَحْلَافِي
خَيْلِي وَإِنْ قُلْتُ كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الرَّعَافِ
شَيْمٌ عَرَفْتُ مِنْ مَذَّأَنَا يَافِعُ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

لأبي العلاء المعري في الفخر

١٣٦

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يَصَدِّقُ وَاشِ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلُ
تَعُدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا أَلْعَى وَالْقَضَائِلُ

كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْيَلَادِقِ لَهُمْ بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْءِهَا مُتَكَامِلُ
يُهِيمُ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرُ وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَأَتِي بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
وَأَعْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمُ وَأُسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَائِلُ
وَإِنِّي جَوَادُ لَمْ يُجَلِّ لِحَامُهُ وَنَصَلُ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّاقِلُ
فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ الْقَتَى شَرَفُ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غِدْدُهُ وَالْحَمَائِلُ
وَلِي مَنْطِقُ لَمْ يَرْضَ لِي كُنَّةَ مَنْزِلِي عَلَى أَتْنِي بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ نَازِلُ
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَسَاوِلُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّي جَاهِلُ
فَوَاعَجَبَا كَمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَافِصُ وَوَا أَسْفَا كَمْ يُظْهِرُ النِّقْصَ فَاِضِلُ
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وَكُنَّتِهَا وَقَدْ نَصِبَتْ لِلْفِرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَسْرُفَا وَتَحْسُدُ أُنْتَحَارِي عَلَى الْأَصَائِلُ
وَطَالَ اعْتِرَافِي بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ تَعُولُ الْغَوَائِلُ
فَلَوْ بَانَ غُنِّي مَا تَأْسَفَ مِنْكِي وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ الْأَنَامِلُ
إِذَا وَصَفَ الطَّائِي بِالْبُخْلِ مَادِرُ وَعَيْرَ قُسًا بِالْفَهَاهَةِ بَاقِلُ
وَقَالَ السُّهْيُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ ضَيْلَةٌ وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَقَاخَرَتِ الشُّهْبُ الْحَصَى وَالْجَوَادِلُ
فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسَ جِدِّي إِنَّ سَبْقَكَ هَازِلُ

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

لهير في مدح هرم بن سنان من قصيدة

١٢٧

إِلَى هَرَمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ آلَوِي
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتُهُ
أَلَيْسَ بِضَرَابٍ الْكُمَاةِ بِسِفِهِ
كَلَيْثٍ أَبِي شَبْلِينَ يَحْيَى عَرِينَهُ
وَمَذَرَهُ حَرْبٍ حَيْهًا يَتَّقِي بِهِ
وَتَهْلُ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَا يَضْعُونَهُ
أَلَيْسَ بِفِيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ
إِذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ غَايَةً
سَبَقَتْ إِلَيْهَا كُلُّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ
كَفَضْلِ جَوَادٍ الْخَيْلِ يَسْبِقُ غَفْوَةً
تَقِي نَقِي لَمْ يُكْثِرْ غَنِيمَةً
سَوَى رَجْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَحَانَةٌ
يَطِيبُ لَهُ أَوْبُ أَفْتِرَاصٍ بِسِفِهِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ
وَلَكِنْ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وَرَائَهُ
فَنَعَمَ مَسِيرُ الْوَائِقِ الْمُتَعَمِّدِ
أَسَاعَةٌ تَحْسُ تَتَقَى أَمْ بِأَسْعَدِ
وَقَكَالِ أَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمُقَيَّدِ
إِذَا هُوَ لَا قِي نَجْدَةٌ لَمْ يُعَرِّدِ
شَدِيدُ الرِّجَامِ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَحَمَالُ أَثْقَالٍ وَمَاوَى الْمُطْرَدِ
ثَمَالُ الْيَتَامَى فِي السَّنِينَ مُحَمَّدِ
مِنْ أَحْمَدٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدِ
سَبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
السَّرَاعِ وَإِنْ يَجْهَدُنْ يَجْهَدُ وَيَبْعَدِ
بَنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدِ
وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِدٍ مُتَهَوِّدِ
عَلَى دَهْشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ
وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُجْلَدِ
فَأَوْرَثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَرَوِّدِ

رَوَّدَ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

١٢٨ للناطقة الذبياني في عمرو بن الحارث الأصغر الفسلي من قصيدة

وَبَقِيَ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ
 بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمَرُوا بَنُ عَامِرٍ
 إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ قَوْقُهُمْ
 يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَرْنَ مَعَارَهُمْ
 جَوَانِحُ قَدْ أَتَقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ
 لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا
 عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسٍ
 إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّنِّ أَرْقَلُوا
 فَهُمْ يَتَسَاوَنَ أُنْيَةَ بَيْنَهُمْ
 يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْلَسٍ
 وَلَا غَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوقَهُمْ
 بِضَرْبٍ يُزِيلُ أَلْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
 لَهُمْ شَيْئَةٌ لَمْ يُعْطَهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
 مَجْلَتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ
 رِقَاقُ النَّعَالِ طُبِيتْ حُجْرَتُهُمْ
 تُحِبُّهُمْ بِيضُ الْوَلَانِدِ بَيْنَهُمْ
 يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمَهَا
 كَتَابُ مِنْ غَسَّانٍ غَيْرُ أَشَائِبِ
 أُولَئِكَ قَوْمٌ بِأُسْهُمْ غَيْرُ كَذِيبِ
 عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
 مِنَ الصَّارِبَاتِ بِالْدَّمَاءِ الصَّوَارِبِ
 إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
 إِذَا عَرَضَ الْخَطِيءُ فَوْقَ الْكُتَابِ
 بَيْنَ كُلُّومٍ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
 إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَاحِبِ
 بِأَيْدِيهِمْ بِيضُ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ
 وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فِرَاشُ الْحَوَاجِبِ
 بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
 وَطَعْنُ كَانِزَاعِ الْخَاضِ الصَّوَارِبِ
 مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَارِبِ
 قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
 يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
 وَأَكْسِيَةُ الْأَرْضِ مِجَافُ الْمَشَاجِبِ
 بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ

وَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا رِبَ حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي وَإِذْ أُعِيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

١٢٩ لعلمة الفحل في مدح المارث الوهاب سيد بني غسان وملك الشام

إِلَى الْمَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي تَبْلُغْنِي دَارَ أَمْرِي كَانَ نَائِيًا وَأَنْتَ أَمْرُؤُافَضْتُ إِلَيْكَ أَمَانِي فَأَدَّتْ بُؤُوكُ بِنَ عَوْفٍ رَيْبِيهَا قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ تَقَدَّمَهُ حَتَّى تَعِيبَ حُجُولُهُ مَظَاهِرُ سِرِّبَالِي حَدِيدُ عَلَيْهِمَا فَجَالَسْتَهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكِبَرِهِمْ وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلُ حِفَاطِهَا تَحْشَسُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا كَانَ رِجَالُ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ رَعَا فَوْقَهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضُ كَانَتْهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ فَلَمْ تَجْ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا وَإِلَّا كَيْ دُو حِفَاطٍ كَانَتْهُ

لَكَ كَلَامُهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَجِيبُ فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قُرُوبُ وَقَبْلَكَ رَبَّتَنِي فَضَعْتُ رُبُوبُ وَغَوْدَرَنِي بَعْضُ الْجُنُودِ رَيْبُ لَا بُؤَا خَزَايَا وَالْإِيَابُ حَيْبُ وَأَنْتَ لَيْضُ الدَّارِ عَيْنَ ضَرُوبُ عَقِيلًا سُيُوفٍ مَخْذَمُ وَرَسُوبُ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ وَهَبُ وَقَاسُ جَالَدْتُ وَشَيْبُ كَمَا خَشَشْتُ يَبْسَ الْحَصَادِ جُنُوبُ وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْأَقَاءِ خَصِيبُ وَمَا جَعَلْتُ جُلُ مَعَا وَعَتِيبُ يَشْكُهُ لَمْ يَسْتَلِبْ وَسَلِيبُ صَوَاعِثُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبُ وَإِلَّا طِيرُ كَالْفَنَاءِ نَجِيبُ يَمَا أَبْتَلَّ مِنْ حَدِّ الطُّبَاتِ خَضِيبُ

وَأَنْتَ الَّذِي آتَاهُ فِي عَدُوِّهِ مِنْ الْبُوسِ وَالْتَعَمَى لَهُنَّ ذُؤُوبُ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَتْ نِعْمَةٌ فَحَقُّ لِسَاكِ مِنْ نَدَاكَ ذُؤُوبُ
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا قَلِيلُهُ مُسَاوٍ وَلَا دَانَ لِدَاكَ قَرِيبُ
فَلَا تَحْرِمْ مِنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابِهِ فَإِنِّي أَمْرُوهُ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ

للفرزق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

١٣٠

إِلَيْكَ سَمْتُ يَا ابْنَ الْوَلِيدِ رَكَابُكَ وَرُكْبَانُهَا أَتَمَّى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
إِلَى عُمَرِ أَقْبَلَنْ مُعْتِدَاتِهِ سِرَاعًا وَنِعَمَ الرُّكْبِ وَالْمُتَعَمِّدُ
وَلَمْ تَجِرْ إِلَّا جِئْتَ لِلْحِلِّ سَابِقًا وَلَا عُدْتَ إِلَّا أَنْتَ فِي الْعُودِ أَحْمَدُ
إِلَى ابْنِ الْإِمَامَيْنِ الَّذِينَ أَبُوهَا إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا النُّبُوَّةُ يُسَجَّدُ
إِذَا هُوَ أُعْطِيَ الْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ الْغَدُ
بِحَقِّ أَمْرِيءَ بَيْنَ الْوَلِيدِ قَتَاتُهُ وَكِنْدَةٌ فَوْقَ الْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ
أَقُولُ لِحَرْفٍ مِنْ يَدِ رَحَلَهَا لَهَا سَنَامًا وَتَسْوِيدُ الْقَطَا وَهِيَ هُجْدُ
عَلَيْكَ فَتَى النَّاسِ الَّذِي إِنْ بَلَغَتْهُ فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدُّ
وَأَنَّ لَهُ نَارَيْنِ كِلْتَاهُمَا لَهَا قَرَى دَائِمٌ قَدَامَ بَيْتِهِ فُوقْدُ
فَهْذِي لِعَبْطِ الْمَشْبَعَاتِ إِذَا شَنَا وَهْذِي يَدٌ فِيهَا الْحُسَامُ الْمُهَنْدُ
وَلَوْ خَلَدَ الْفَخْرُ أَمْرًا فِي حَيَاتِهِ خَلَدَتْ وَمَا بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدُ
وَأَنْتَ أَمْرُو عُوْدَتْ لِلْعَبْدِ عَادَةٌ وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ
تُسَالِّئُنِي مَا بَالُ جَنِيكَ جَافِيَا أَهْمًا جَنًا أَمْ جَفْنُ عَيْنِكَ أَرْمَدُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ عِيَالُ أَرَاهُمْ وَمَالَهُمْ مَا فِيهِ لِلنَّيْثِ مَقْعَدُ

قَالَتْ أَلَيْسَ ابْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي لَهُ
يَجُودُ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ يَا ابْنَ قَالِبٍ
مِنَ النَّيْلِ إِذْ عَمَّ الْفَسَادُ غُلَاظُهُ
فَإِنَّ أَرْتَدَادَ أَلْهَمَ عَجَزَ عَلَى الْفَتَى
وَلَا تُنْجِي فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
جَرَى ابْنُ أَبِي الْعَلَايَةِ فَاحْرَزَ غَايَةَ
وَكَانَ إِذَا أَحْمَرَّ الشَّتَاءُ جَفَانُهُ
لَهُمْ طُرُقُ أَقْوَامِهِمْ قَدْ عَرَفْنَاهَا
وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٍ
إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مُجَدِّدَهُمْ وَيَوْمَهُم

والفرزدق في وصف الامام زين العابدين

١٣١

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ أَتَبَطَّحَاءَ وَطَائِفَهُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يُنْبِئُ إِلَى ذُرْوَةِ الْغِيَا أَلَّتِي قَصُرَتْ
يَكَادُ يَمْسُكُهُ عِرْقَانُ رَاحَتِهِ
فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَأَى رِيحُهُ عَيْقُ
يُنْضِي حَيَاءً وَيُنْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
يَنْشَقُّ نَوْرُ الْهُدَى مِنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ

وَأَلَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا الَّذِي أَلْتَنِي الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَعِ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
كَالْشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا أَلْتَمَمُ

مُشَقَّةً مِنْ كِرَامِ الْقَوْمِ نَبْعُهُ
هَذَا ابْنُ قَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
اللَّهُ شَرَفُهُ قَدْرًا وَعَظَمُهُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
حَمَلُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَضُوا
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْمَشَتْ
مِنْ مَعَشَرِ حَبِيبٍ دِينٍ وَبَعْضُهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَيْتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَابًا بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمْ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَرْمَتْ أَرْمَتْ
لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْثَرِهِمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
يَأْتِي لَهُمْ أَنْ يُحْلَلَ الدَّمُ سَاحَتَهُمْ
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلَوِيَّةَ ذَا

طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْحَمْدُ وَالشِّمُّ
يُجِدُّهُ أَوْلِيَائِهِ اللَّهُ قَدْ حُتُّوا
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْحَجْمُ
يَسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ
يَزِينُهُ أَثْنَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالشِّمُّ
حُلُوُّ الشَّمَائِلِ يَحُلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ
عَنْهَا الْغِيَاثُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
كَفَرُ وَفَرِيقُهُمْ مِنْجَى وَمُعْتَصِمُ
أَوْقِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ لَهُمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرَّمُوا
وَالْأَسْدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
سَيَّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَخَتْمٍ بِهِ الْكَلِمُ
خُلُقُ كَرِيمٍ وَأَيُّدٍ بِاللَّيْثِ هُضْمُ
لَأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوَّلُهُ نَعَمُ
فَالَّذِينَ مِنْ يَتِّ هَذَا نَالَهُ الْأُمُ

لابن خفاجة الاندلسي في مدح الامير يحيى بن ابراهيم

صَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ طَمَاحُ الْعُلَا
حَرَّارُ أَذْيَالِ الْعَالِي وَالْقَا
طَامِي عُبابِ الْجُودِ رَحْبُ الدَّارِ
حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحَمَى وَالْجَارِ
طَرْدُ الْقَنَاصِ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ
زَجَلُ الْجَنَاحِ مُورِدُ الْأَنْظَارِ
مُتَقَنُّ اعْطَافِهِ بِجَمِيلَةٍ
مَكْحُولَةُ أَجْفَانِهِ بِنُضَارِ
خَدَمَ الْقَضَاءِ مُرَادُهُ فَكَأَنَّمَا
مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعْنَةُ الْأَقْدَارِ
وَعَنَى الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
أَصْنَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
وَجَلَا الْإِمَارَةَ فِي رَفِيقِ نَضَارَةٍ
جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّةً بِفِلَادَةٍ
مِنْهَا وَحَلَى مِعْصَمًا بِسِوَارِ
جَذْلَانُ يَمْلَأُ مِثْعَةً وَبَشَاشَةً
أَيْدِي الْعَفَاةِ وَأَعْيُنَ الزُّوَارِ
أَرْجَ النَّدِيِّ بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ
مُتَّقِسٌ عَنْ رَوْضَةِ مَعْطَارِ
بَطْلٌ حَوَى الْفَلَكَ الْغُحِيطَ بِسَرْجِهِ
وَأَسْتَلَّ صَارِمُهُ يَدَ الْمُقْدَارِ
يَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ
وَأَحْلَلُ تَعَثُّرِي شِبَاشُوكِ الْقَنَا
وَالْيَيْضُ تَجَنِّي فِي الْأُطْلَى فَكَأَنَّمَا
وَالْتَقَعَ يَكْسَرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الصُّحَى
صَحْبَ الْحَسَامِ النَّصْرُ صُحْبَةَ عِبْطَةٍ
لَوْ أَنَّهُ أَوْمَى إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ
وَقَضَى وَقَدْ مَلَكَتْهُ هِزَّةُ عِزَّةٍ
تَحْتَ الْعِجَاجِ وَصُحْبَةُ اسْتِشَارِ

١٢٢ لابن الأزرق الأندلسي في مدح الرئيس أبي يحيى بن عاصم وتهنئته بعيد

يَا مُطْلِعَ الْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى
بِكَ مَجْلِسُ الْأَنْسِ أَطْمَأَنَّ وَبِأَبْنِ عَا
بَذَرُ بَأَنْوَارِ الْهَدَى مُتَطَّلِعُ
حَامِي فَلَمْ تَرْتَعْ لِحَطْبٍ يَعْتَرِي
شَيْمٌ مُهَذَّبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذَكَرُهُ لَبَدَأَ عَلَى
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تُحْمَى إِلَهَ لَا
بَيْتٌ عَلَى عَمْدٍ الْفَخَارِ مُطَنَّبٌ
إِنَّا لَنَعْدُو هُمَا فَيُنَلِّسَا
حَتَّى أَقْنَا وَالْأَمَانِي مُنْهَضَا
لَمْ نَذِرْ قَبْلَ بَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ
هُنَّ الْبِرَاعُ بِهَا يُؤَمَّنُ خَائِفُ
مَهْمَا أَنْبَرَتْ فَهِيَ السَّهَامُ يُرَى لَهَا
يَسْفَى بِمَأْمَلِهِ الشَّكِيُّ الْغَمَرِيُّ
قَدْ جَمَعَ الْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ
عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ بَيْسٌ مُشْرِ
لِلَّهِ مِنْ تِلْكَ الْبِرَاعِ جَوَادِبُ
رُضْنًا شِمَاسُ الْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا

وَمُسْتَشْعِ الصَّبَاءِ تَارًا تُلْمَسُ
صِمٌّ أَطْمَأَنَّ مِنَ الرَّأْسَةِ مَجْلِسُ
غَيْثٌ بِأَشْرَافِ النَّدَى مُتَجَسِّسُ
وَوَقَى فَلَمْ تَحْضَلْ بِدَهْرِ يَجْسُ
وَمَكَارِمُ هُنَّ وَتَجِدُ أَقْسُ
أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
وَبِهِ خِلَالُ الْفَخْرِ طَرًّا مُحَرَّسُ
تَجِدُ عَلَى مَثَنِ السَّمَاءِ مُؤَسَّسُ
رِيًّا وَبُوحْشًا أَلْوَى قِيُونُ
تَ وَابْتَسَمْنَا وَالزَّمَانُ مُعْبَسُ
أَنَّ الدَّوَابِلَ بِالْغَمَامِ تَجْسُ
وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيَغْنَى مُفْلِسُ
وَقَعَ لِأَعْرَاضِ الْيَكَاةِ مُقَرَّطُسُ
يَحْيَى بِمَأْمَلِهِ الْحَمَامُ الْمُوَيْسُ
فَلَذَا أَطْرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعْكَسُ
غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ قَصِيحُ أَخْرَسُ
لِلْشَحْرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا الْمُغْنِيطُسُ
فَهِيَ أَلَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَسْتَسُ

وَالَيْكُمَا حَلَا تَشَابَهَ نَسَبُهَا مِنِّي يُفَصِّلُهَا وَمِثْلَكَ يَابِسُ
وَأَهْنَأُ بَعِيدٍ بِاسْمٍ مُتَهَلِّلٍ وَأَقَالُكَ يَجْهَرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ
وَأَحْسِنُ لَوَاءً أَتَفْخِرُ مَوْقُوفًا قَامَ نَ الْحَمْدُ مَوْفُوفٌ عَلَيْكَ مَجْبَسُ

لاي غام في هارون الواثق بالله من قصيدة

١٣٤

سِيرُوا بَنِي الْحُلَاجَاتِ يَنْجَحُ سَمْعُكُمْ غَيْثُ سَحَابِ الْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ
فَالْحَادِثَاتُ بِوَيْلِهِ مَصْفُودَةٌ وَأَتَحَلُّ فِي شُؤْبِهِ مَسْجُونُ
حَمَلُوا ثِقِيلَ أَلْهَمٍ وَأَسْتَأَى بِهِمْ سَقَرُ يَدِ الْمُنِّ وَهُوَ مَتِينُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْهُ عَنْ أَكْتَافِهِمْ بِالْعَزْمِ وَهُوَ عَلَى النَّجَاحِ صَمِينُ
وَجَدُوا جَنَابَ الْمَلِكِ أَخْضَرَ فَاجْتَلَوْا هَارُونُ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
أَلْقُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَهُ خَضِلَ النِّعَامِ وَظَلَّهُ مَسْكُونُ
فَقَدُوا وَافِدًا وَتَقُوا بِرَأْفَةٍ وَاقٍ بِاللَّهِ طَائِرُهُ لَمْ يَمِثُونُ
مَلَكُوا خِطَامَ الْعَيْشِ بِالْمَلِكِ الَّذِي أَخْلَافُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ حُصُونُ
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ خَفَّ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهُوَ رَكِينُ
لَيْثٌ إِذَا خَفَقَ أَلْوَاءُ رَأْيَتِهِ يَمْلُوقَرَا أَلْهِيَاءَ وَهِيَ زَبُونُ
لِحْيَا ضُحَا مُتَوَرِّدٌ وَلِحْطُهَا مُتَعَمِّدٌ وَبَثْدِيهَا مَلْبُونُ
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ يَمْلُونَا وَظُهُورُ خُطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
وَلَذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ حَلِيَّةٌ صَدَقَ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مِثْذَ تَرَعَرَعٍ أَنَّهُ لِأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

يَا أَبْنَ الْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ
يَسْمُوكَ السَّفَاحَ وَالْمَنْصُورَ وَأَا
مَنْ يَنْشُ صَوَاءَ أَلَاكَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
فُرْسَانُ مَمْلَكَةِ أُسُودٍ خِلَافَةٍ
فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ
قَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا
يَفْدِي أَمِينَ اللَّهِ كُلُّ مُنَافِقٍ
مِمَّنْ يَدَاهُ يَسْرِيَانِ وَلَمْ تَزَلْ
تُدْعَى بِطَاعَتِكَ الْوُحُوشُ قَتَرَعَوِي
مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مَرْتَقَى مَجْدٍ أَلَا
كَرَّمَ يَذُوبُ الْزَنْ مِنْهُ وَلَيْنُ
مَهْدِي وَالْمَعْصُومُ وَالْمَأْمُونُ
مَا لَأَدَى مَلَا السَّمَاءَ مَكِينُ
ظِلُّ الْهُدَى غَابَ لَهُمْ وَعَرِينُ
مُتَكَنِّفَاهَا النَّصْرُ وَاللَّهُ مَكِينُ
وَالْهِنْدُ بَعْضُ ثُغُورِهَا وَالصِّينُ
شَنَاةُ بَيْنِ الصُّلُوحِ كَمِينُ
فِينَا وَكَلْنَا رَاحَتِكَ يَمِينُ
وَالْأَسَدُ فِي عَرِيسِهَا قَتْدِينُ
كُلُّ أَفْتَخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

١٣٥ وله في المعتم بالله عد قتح عمورية عاصمة الروم من قصيدة

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بَيْضُ الصَّفَاحِ لِأَسُودِ الصَّخَائِفِ فِي
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ
أَيْنَ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا
تَحْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً
عَجَابًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُخْفَلَةً
وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلَمَةٍ
فَنَحَّ الْقُبُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
مُتَوْنِينَ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَعْمٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ
عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغُرَيَّ ذُو الذَّنَبِ
نَظَمُ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ ثَرَمُ مِنَ الْخُطْبِ

فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبَرُّزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْخُشْبِ
 يَا يَوْمَ وَقَعَتْ عُمُورِيَّةٌ أَنْصَرَفَتْ عَنْكَ أَلْمَى حَقْلًا مَعْسُولَةً الْخَلْبِ
 أَبْقَيْتَ جَدِّي بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرْكِ فِي صَبَبِ
 أَمْ لَهُمْ تَوَرَّجُوا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ
 وَرَزَّةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتَهَا كِنَرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَيْ كَرِبِ
 مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي الْأَلْيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبِ
 بِكَرٍّ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النَّوَبِ
 حَتَّى إِذَا خَضَّ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَخْضَ الْحَلِيَّةِ كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقْبِ
 أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهُمَا قَرَاجَةُ الْكُرْبِ
 جَرَى لَهَا الْقَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْفَرَةٍ إِذْ غَوْدَرَتْ وَحْشَةُ السَّلَاحَاتِ وَالرَّحَبِ
 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخُرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
 كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَاتِي الدَّوَابِّ مِنْ أَيْ دَمٍ سَرَبِ
 بَسْنَةُ السَّيْفِ وَالْحَطِي مِنْ دَمِهِ لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مَخْتَضِبِ
 لَقَدْ تَرَكْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشْبِ
 غَادَرْتُ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ صُحَى يَشْلُهُ وَنَسْطَهَا صُحْجٌ مِنَ اللَّهَبِ
 حَتَّى كَانَ جَلَابِيبُ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَقِبِ
 صَوْتُ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي صُحَى شُجْبِ
 فَالْشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَقْلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
 تَصْرَحُ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ مِنْهَا طَاهِرِ جُنْبِ

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَلِكَ عَلَى
مَا رُبَّ مَيَّةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصُرٍ كُنْتُمْ
تَذِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُتَّقِمٍ
وَمَطْعُمُ النَّصْلِ لَمْ تَكُفُّمْ أَسِنَّةَ
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَفْذُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوُغَى لَعَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بَرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْبِقِينَ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْثَ صَدْرُ
أَمَانِيَا سَلَبْتَهُمْ نَجْحَ هَاجِسَهَا
إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَمَرٍ
لَيْتَ صَوْتًا زَبَطَرِيَا هَرَقَتْ لَهُ
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
أَجْبَتْهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتَا
حَتَّى تَرَكْتَ عُمُودَ الشَّرِكِ مُنْقَعَرًا
لَمَّا رَأَى الْحَرْبُ رَأْيَ الْعَيْنِ تَوَفَّلِسُ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزِينَتَهَا
هَيْهَاتَ زَعَزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ

بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَتْرُبْ عَلَى عَزَبٍ
غِيلَانُ أَبِي رُبِّي مِنْ رَيْبِهَا الْحَرْبِ
لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السَّمَرِ وَالْأَضْبِ
لِلَّهِ مُرْتَبِعٍ فِي اللَّهِ مُرْتَبِعٍ
يَوْمًا وَلَا حِجَّتَ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبِ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِيبِ
وَاللَّهُ مُفْتَاحُ بَابِ الْمُعْقِلِ الْأَشْبِ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ
ظَبِي السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَتَا السُّلْبِ
دَلُّوا الْحَيَاتِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ
كَأْسُ الْكَرَى وَرَضَابُ الْخُرْدِ الْعَرَبِ
رَدَّ الثُّغُورَ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ
وَلَوْ أَجَبَتْ بَغِيرَ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو الْتِيَارِ وَالْعَبَبِ
عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبِ

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا
وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئِ مَنْطِقَهُ
أَحْسَى قَرَايِنُهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
مُوكَّلاً يَفْقَاحُ الْأَرْضَ يُشْرِفُهُ
إِنْ يَبْدُ مِنْ حَرِّهَا عَذْوُ الظَّلِيمِ فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْهًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
وَمُنْغَضِبٍ رَجَعَتْ يَبِضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَارِقِ لَجِبٍ
كَمْ نَبَلٍ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسَابِيقِ الرِّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَهُ
يَبِضُ إِذَا انْتَضَيْتِ مِنْ حُجُبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَارِي اللَّهِ سَعِيكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
قَبِينَ أَيَّامِكَ أَلَّا تَنِي نَصْرَتِ بِهَا
أَبَقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرِ كَأَسْمِهِمْ

عَلَى الْحَصَى وَيَبِ قَمَرٌ إِلَى الذَّهَبِ
يَوْمَ الْكَرِيهِةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
بَسَكْتُهُ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَنْبٍ
يُخْتِثُ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
مِنْ خُفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خُفَّةِ الطَّرَبِ
أَوْسَعَتْ جَاوِحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْخُطْبِ
جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ
حَيَّ الرِّضَاعِ عَنْ رَدِّهِمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ
تَجَنُّوا الرِّجَالَ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكَبِ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَبِّ
إِلَى الْخُدْرَةِ الْعَذْرَاءُ مِنْ سَبَبِ
تَهْتَرُ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُ فِي كَثَبِ
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجُبِ
جَرُّوْمَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
وَبَيْنَ أَيَّامٍ بِذَرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ
صُفْرُ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

أَخَافُ صَرْفَ الدَّهْرِ أَمْ جِدَانَهُ وَالْدَّهْرُ لِلنَّصُورِ بَعْضُ عَيْدِهِ
مَلِكٌ نَدَاهُ فَكُنِّي وَأَنْتَ أَشْنِي مِنْ مَخْلِيهِ وَمِنْ إِسَارِ قِيُودِهِ
مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتُ عَنْ إِحْسَانِهِ حَدَّثْتُ عَنْ مُبْدِي التَّدْيِ وَمُعِيدِهِ
سَادَ الْمُلُوكُ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ وَالْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
وَإِذَا تَرَنَّمْتَ الرُّوَاةَ بِمَدْحِهِ وَثَنَانِهِ أَهْتَرَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
لِأَيِّ أَلْعَالِي رَاحَةٌ وَكَكَافَةٌ كَالنَّيْثِ يَوْمَ بَرْوَقِهِ وَرَعُودِهِ
صَبٌّ بِتَحْصِيلِ الشَّاءِ وَجَمْعِهِ كَلِفٌ بِبَذْلِ أَلْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِهِ
مَا زَالَ يَشْتَمِلُ حَاسِدِيهِ نَوَالَهُ حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
سَلَّ عَفْوُهُ وَحَسَامَتُهُ فِي غَمْدِهِ وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارٍ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَعْنَى أَوْرَى مُتَلَمِّعًا بِرَدَائِهِ وَيَخْوَضُهَا مُتَسَرِّبًا بِحَدِيدِهِ
قَرَى الشَّحَاحَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةٌ وَالْمَوْتُ بَيْنَ لَهَاوَاتِهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَهَقَّرُ الْجَيْشُ أَلِلَهُامُ مَخَافَةً مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُحَقَّقَةً الرَّجَاءُ عُدَانَهُ وَقُلُوبُهَا خَفَافَةٌ كَبُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كَثُرَتْ فِيهِ أَلْقَانَا وَصَلَ الْحُسَامُ رُكُوعُهُ بِسُجُودِهِ
جَارَى أَلْعَمَامَ فَهَاتَهُ بِنَوَالِهِ كَرَمًا وَقَاقَ كَبِيرَهُ بِزُهَيْدِهِ
وَالدِّينُ أَصْلَهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ حِينَ أَعْتَى بِحُفُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَالْمَلِكُ لَمْ يَنْفَكْ يُعْمَلُ عِزُّهُ فِي نَصْرِ ظَاهِرِهِ وَنَضْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ أَلْنَسَايَا وَالْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

وَأَرَى الْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ وَأَرَى الْوُجُودَ مُشْرِقًا بِوُجُودِهِ
 فَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى لَاخْتَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
 يَا آلَ أَيُّوبَ جَزَيْتُمْ صَالِحًا عَنْ مُحْسِنٍ مَدَحَ الْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
 وَتَعَمَّتُمْ مَا أَفْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الصُّحَى صُبْحٌ وَمَا فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَارَ الْعُلَى فَتَنِي عَنَانَ الْهَكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
 أَمَا الزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عَهْدِهِ وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
 وَالشَّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مِنْ يَهْتَرِعُهُ لِدَسَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ تَشِيدِهِ
 فَاسْلَمَ لِمَلِكٍ بَلْ لِعَجْدٍ أَنْتَ فِي تَأْسِيسِهِ وَاللَّهُ فِي تَأْيِيدِهِ

لإبي الطيب المنيني في الحسين بن اسحاق التتوخي

١٣٧

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْخَزَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ يَمْنُ أَفَارِقُ
 وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَنًا وَقُوفَنَا قَرِيقُ هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
 وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنْ أُنْبَا وَصَارَ بِهِارًا فِي الْخُدُودِ الشَّنَائِقُ
 عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفَرْقُهُ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقُ
 تَعَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَائِقُ
 وَلَيْسَ دَجُوجِي كَأَنَّا جَلَّتْ لَنَا مُحْيَاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَائِقُ
 فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جَنُّهُ وَلَا جَالِهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا أَلَا يَأِقُ
 وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنِّي مِنَ السُّكْرِ فِي الْغُرَزِينَ تَوْبُ شُبَارِقُ
 شَدَّوَابُنِي إِسْحَاقُ الْحُسَيْنِ فَصَالِحَتْ ذَقَارِيهَا كَبِيرَانُهَا وَالنَّارِقُ
 يَمْنُ تَقْشِيرُ الْأَرْضِ خَوْفًا إِذَا مَشَى عَلَيَّهَا وَتَرَمَّجُ الْجِبَالِ الشَّوَاهِقُ

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخَشَى وَيُرْتَجَى
وَلِكِنَّهَا تَمْنِي وَهَذَا مُخْتِمٌ
تَخْلَى مِنَ الدُّنْيَا لَيْتَسَى فَمَا خَلَّتْ
غَذَا الْمُنْدُ وَآيَاتِ بِالْهَامِ وَالطَّلَى
تُشَقُّ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
يُجْبِهَا مِنْ حَقِّهِ عَنْهُ غَافِلٌ
يُحَاجِي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ
نَكَرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُنْغَضٌ
أَلَا قَلَمًا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا
سَيَحْيِي بِكَ السَّمَارُ مَا لَاحَ كَوُكَبٌ
فَمَا تَرَزُّقُ الْأَقْدَارُ مِنْ أَنْتَ حَارِمٌ
وَلَا تَقْشُرُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاقِبٌ
لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَنَى
هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكأ وكان يُقَبُّ بالخنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ
وَأَجَزُ الْأَمِيرِ الَّذِي نَعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
قَرِيبًا جَزَتْ الْإِحْسَانَ مُوَلِيَهُ
خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَكْسَالٌ

وَأِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشَّكْلِ تَمْنَعُنِي
وَمَا شَكَّرْتُ لِأَنَّ أُمَالَ فَرَحَنِي
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا
فَكُنْتُ مُنِيتَ رَوْضِ الْحَزَنِ بِأَكْرَهُ
غَيْثٍ يُبَيِّنُ لِلنَّظَارِ مَوْقِعَهُ
لَا يُدْرِكُ الْجَدَّ إِلَّا سَيِّدُ قَطْنٍ
لَا وَارِثُ جَهْلَتِ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ
قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ
تَذْرِي الْقَتَاةَ إِذَا أَهْتَرَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَهَاتَاكَ وَدُخُولِ الْكَافِ مَنَقَصَهُ
أَلْقَانِدُ الْأَسَدِ غَدَّتْهَا بِرَائِدُهُ
أَلْقَاتِلُ السَّيْفِ فِي جَنَمِ الْقَتِيلِ بِهِ
يُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْفَارَاتِ هَيْئَتُهُ
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ
تَسْمِي الضُّيُوفِ مُشَاهَاةَ بَعْوَتِهِ
لَوْ أَشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا
لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ
يُرْوِي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضَلَاتِ مَا تَرَبُّوا
يَقْرِي صَوَارِمَهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ

ظُهُورَ حَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ
سَيَّانٍ عِنْدِي إِكْتَادُ وَإِقْلَالُ
وَأَتْنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالُ
غَيْثٌ يَغَيِّرُ سَبَاخَ الْأَرْضِ هَطَالُ
أَنَّ الْقُبُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالُ
لَمَّا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
وَلَا كُتُوبُ يَغَيِّرُ السَّيْفِ سَأَلُ
أَنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْأُمْسَالِ عَذَالُ
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ
كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ
بِمِثْلَهَا مِنْ عِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ
وَالسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
وَمَا لَهُ بِأَقَاصِي الْأَبْرِ أَهْمَالُ
غَيْرُ وَهَيْقٍ وَخُنْسَاءٍ وَذِيَالُ
كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالُ
خَرَّادِلُ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ
إِلَّا إِذَا أَحْتَفَزَ الضَّيْفَانُ تَرْحَالُ
مُخَضُّ اللَّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ
كَأَنَّمَا السَّاعُ زَالُ وَقُقَالُ

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مَخْلُطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالُ
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأَطْفَالُ
أَمْضَى الْقَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالسَّمَرُ ضَلَالُ
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْأَلُ
وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمُجَنُّونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَمَلِ عَقَالُ
يَرِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ وَلَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ
إِذَا الْعَدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِيَالُ
يُرْوِعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَتَالُ
أَنَالَهُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلِيَّتُهُ مُنَدٍّ وَأَصَمُّ الْكُتُبِ عَسَالُ
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالُ
وَكَيْفَ أَسْتَرْمَأُولَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ غَمَرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ
لَطَّقْتَ رَأْيَكَ فِي يَرِي وَتَكْرَمِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلَمَاءِ يَنْجَالُ
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَهْكَ أَمَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَمَانِي طُولُ لَابِسِهِ إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التَّنَالِ تَنْبَالُ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنَّ تَحْتَالَ فِي بَشَرٍ فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالُ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

وَلَا تُعَذِّبْكَ صَوَانَا لِمُحِبَّتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرُّوعِ بَذَالٌ
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ
وَأِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَ بِالرَّجُلِ شِمَالٌ
إِنَّا لَهِيَ زَمَنُ تَرْكِ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ
ذَكَرَ الْهَيَّ عُمَرُ الْثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالٌ

وللمتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة للحدث

١٣٩

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ
يُكَفُّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخِصَارِمُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ
يُقَدِّدِي أَمَّ الطَّيْرِ عُمَرَا سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَانُهَا وَالْقَشَاعِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بَغَيْرِ تَحَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
هَلْ أُلْحِثَ الْحَمْرَاءُ تُعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ النِّعَامُ
سَقَتَهَا النِّعَامُ الْعُرْفُ بِلِ زُؤُلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتَهَا الْجَمَاجِمُ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَتَا تَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ
طَرِيدُهُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيئِ وَالْدَّهْرُ رَاغِمُ
تَفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ وَهَنَّ لِمَا يَأْخُذُنِ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَكَيْفَ تَرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسَ هَدَمَهَا وَذَا الطَّعْنُ آسَاسُهَا وَدَعَائِمُ

وَقَدْ حَاكُمُوهَا وَالنَّايَا حَوَاكِمُ
 أَتَوَكُّ بِجُرُونِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
 إِذَا بِرِقْوَالَمْ تُعْرِفِ أَيْضُ مِنْهُمْ
 خَمِيسُ بَشْرِقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبُ زَحْفُهُ
 تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لَسَنٍ وَأُمَةٍ
 فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغَشِّ نَارُهُ
 تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا
 وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِيمَةٌ
 تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ
 حَمَمَتْ جَنَاحِهِمْ عَلَى الْقَلْبِ صَمَّةٌ
 يَضْرِبُ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ
 حَقَرَتْ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
 نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةً
 تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
 تَنْظُنُّ فِرَاحُ الْفَتْحِ أَنَّكَ زُرْتَهَا
 إِذَا زَلَقْتَ مَشِيَّتَهَا بِبُطُونِهَا
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتَقِ مُقَدِّمٌ
 فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ
 سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهْنٌ قَوَائِمُ
 يُكَلِّبُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَامِ
 وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَانُ
 فَأُتِفِهِمُ الْخُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمُ
 قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمُ
 وَفَرٌّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ
 كَأَنَّكَ فِي جَهَنَّمَ أَرْدَى وَهُوَ نَائِمٌ
 وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَشَرُّكَ بَلِيمٌ
 إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
 تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
 وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ
 وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَائِمٌ
 مَقَابِيحُهُ أَيْضُ الْخُفَافِ الصَّوَارِمُ
 كَمَا بُثِرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ
 وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
 بِأَمَلَتِهَا وَهِيَ الْغَتَاقُ الصَّلَادِمُ
 كَمَا تَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ
 قَفَاهُ عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَا نِمُ

أَيْنِكِرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفْتَ رِيحَ اللَّيْلِ الْبَهَائِمُ
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بَابَتُهُ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْفَوَائِمُ
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ أَظْلُمَا بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُومُ وَالْمَعَاصِمُ
وَيَفْقَهُمْ صَوْتَ الْمَشْرِفَةِ فِيهِمْ عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ
يُسْرًا بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا تَجَا مِنْكَ غَائِمُ
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمُ
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا يَرْجُلُهُ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعِهِ الْغَمَائِمُ
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَسْتُ مُغْنَمًا وَلَا فِيكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ
هَنِيئًا لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَانُ حَدَّيْكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَى بِكَ دَائِمُ



الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب أبي القاسم بن الجَدِّ عن أمير المسلمين إلى أهل سَنَةِ

١٤٠ كُتِبْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَرَمِكُمْ بِتَقْوَاهُ . وَيَسِّرْكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ . وَاسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَاهُ . وَقَدْ رَأَيْنَا وَاللَّهِ بِفَضْلِهِ يَقْرُنُ جَمِيعَ آرَائِنَا بِالتَّسْدِيدِ . وَلَا يَخْتَلِفُنَا فِي كَافَةِ أَمْرَانَا مِنَ الظَّرِّ الْحَمِيدِ . إِنْ نَوَلْنِي أَبَا زَكَرِيَّا بِحَبِيٍّ بِنِ أَيْ بَكْرٍ عَلَى ابْنِنَا . النَّاشِيءُ فِي حَجْرِنَا . اعْزَهُ اللَّهُ وَسَدِّدْهُ فِيمَا قَلَّدْنَاهُ إِيَّاهُ مِنْ مَدِينَتِي قَاسٍ وَسَبْتَةٍ وَجَمِيعِ أَعْمَالِهَا حَرَمِهَا اللَّهُ عَلَى الرَّسْمِ الَّذِي تَوَلَّاهُ فَيَرْهُ قَبْلَهُ . فَانْقُذْنَا ذَلِكَ لَهُ . لِمَا تَوَسَّعْنَا مِنْ مَخَالِلِ النِّجَابَةِ قَبْلَهُ . وَوَصَيْنَاهُ بِمَا نَرْجُو أَنْ يَحْتَدِيَهُ وَيَسْتَلِهُ . وَيَجْرِي قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ . وَنَحْنُ مِنْ وَرَاءِ اخْتِبَارِهِ . وَالْفَحْصِ عَنْ أَخْبَارِهِ . لَا تَنِي بِحَوْلِ اللَّهِ فِي امْتِحَانِهِ وَتَجْرِبِهِ . وَالْعَنَايَةِ بِتَجْرِبِهِ وَتَدْرِيبِهِ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْقُقُ مَخْلُصَاتِهِ . وَيُوقِفُهُ مِنْ سَدَادِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَى مَا يَرْضِيهِ . فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ خُطَابُنَا فَالْتَزِمُوا لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . وَالتَّصَبُّعَ وَالْمُشَاطَعَةَ جَهْدَ الْإِسْطَاعَةِ . وَعَظِّمُوا بِحَسَبِ مَكَانِهِ مَنْاقِدَهُ . وَامْتَلُوا فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْحَقِّ خِيَةً وَأَمْرَهُ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ وَيَعْرِفُكُمْ يُنْ وَلَاتِهِ بِعَزَّتِهِ (لَا بِنَ خَاقَانَ)

كتاب خالد إلى أبي بكر بن هُجَّاجِ اجْنَادِينَ

١٤١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ أَزِيدُهُ حَمْدًا وَتَكْرًا عَلَى سَلَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَدِمَارِ الْأَعْدَاءِ وَاتِّحَادِ جُورِهِمْ وَانْصِدَاعِ بِيضَتِهِمْ . وَأَنَا لَقَيْنَا جُوعَهُمْ بِأَجْنَادِينَ مَعَ وَرْدَانٍ صَاحِبِ حِمَصٍ وَقَدْ نَشَرُوا كَتِيمَهُمْ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمْ وَتَقَاسَمُوا بِدِينِهِمْ أَنْ لَا يَفْرُونَ وَلَا يَنْهَضُونَ . فَخَرَجْنَا إِلَيْهِمْ وَاقْتِنًا بِاللَّهِ مَتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ فَعَلِمَ رَبُّنَا مَا أَصْرُنَاهُ فِي أَفْئِدَتِنَا وَمِرَآئِنَا فَرَزَقْنَا الصَّبْرَ وَأَيَّدْنَا بِالنَّصْرِ . وَكَبَتِ أَعْدَاءُ اللَّهِ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ فِي كُلِّ فُجٍّ وَشُبٍّ وَوَادٍ وَجَمَلَةٍ مِنْ أَحْصَيْنَا مِنَ الرُّومِ مَسَنَ قَتْلِ خَمْسُونَ أَلْفًا وَقَتْلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَثَانِيهِ أَرْبَعٌ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا خَتَمَ اللَّهُ لَهُمُ بِالسَّهَادَةِ . وَنَحْنُ رَاجِعُونَ إِلَى دِمَشْقٍ فَادْعُ اللَّهُ لَنَا بِالنَّصْرِ . وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (قُتُوحُ الشَّامِ الْوِاقِدِي)

كتاب الحُرَيْرِيِّ إِلَى الْمُسْتَرْشِدِ بِاللَّهِ لِمَا وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ الْمُسْتَظْهِرِ

١٤٢ لِلدَّهْرِ اعْتَرَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ وَادَامَ لَهُ مُسَاعِفَةُ الْأَقْدَارِ . وَمُضَافَةُ الْأَقْتِدَارِ . وَابِلَاءُ صَنَائِعِ الْمُبَارَاةِ . وَالْإِسْتِيلَاءُ عَلَى جَوَامِعِ الْمَسَارِّ . خُطُوبُ مُتَفَاضِلَةِ الْقِيَمِ . كُتُفَاضِلُ مَا تَنْشِيهِ

من القم. وضروب متفاوتة الدرج. بحسب ما تنقيهِ من المنيح. فاعظمها ايلاماً للقلوب. واضراماً للكروب. واستجلاباً للوابع العموم. وإيحياً للوازم الحزن على العموم. رزية تساهم فيه الانام. واظلمت ليوم الأيام. وكان في معاهد الخلقة ناجماً. وعلى سدة الامامة المقدسة هاجماً. كالفصيحة بطود الدين الشايخ. ودوحة المجد الباذخ. وبحر الكرم الراخر. وقيلة المآثر والمفاخر. واهاً هو خطب كاد يشيب منه الاطفال. وتنشق الأرض وتخر الجبال. غير ان الله جلّت اسماؤه. وتعاظم علاؤه. نظر لأصناف عبيده. ومن على أهل توحيدِهِ. باستخلاف المسترشد بالله. ولولا هذه النخلة التي انتاشت الدين. وجبرت مصاب المسلمين. لفستدت الأرض. ولكن الله ذو الفضل على العالمين. نشر الله في الخافقين اعلام دولته. وحلّى تواريج السير بتناقب سيرته. وحقق آمال المستضعفين والمستضعفين في اسعافه ونصرته. قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين المقدورين. والمقامين المشهورين. ما يلترمه المباهي باخلاص الطاعة. المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن صُمَاحِج الى المعتد يفرّيه بقتل ابن زيدون وزيريه

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| يا أبا الملك العلي الأعظم | اقطع ويريدني كل باغ بنشيم |
| واحيم سيفك داء كل منافق | بيدي الجميل وضد ذلك يكتم |
| لا تحقرن من الكلام قلبه | إن الكلام له سيف تكلم |
| فاحيم دواعي كل هم دونه | فالداء يسري إن غدا لا يحسم |
| كم سقط زبد قد غا حتى غدا | يركان زار كل شيء يحطم |
| وكذلك السيل الجفاف فأنما | أولاه طل ثم وبلى يحجم |
| واذكر صنيع أباك أول مرة | في كل منهم فانك تعلم |
| لم يبق منهم من توقع شره | فصفت له الدنيا ولذ المطعم |
| فعلى م تنكل عن صنيع مثله | ولأنت أمضى في الخطوب وأشهم |
| وجنائك الثبت الذي لا ينثي | وحسامك العضب الذي لا يكهم |
| والحال أوسع والعوالي جمة | والمجد أشمخ والصرعة ضيفم |
| لا تترك الناس موضع ضمة | واحرز قتلك في العظام يحزم |
| قد قال شاعر كندة فيما مضى | بيتاً على مر الليالي يعلم |
| لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى | حتى يراق على جوانبه الدم |
| فاجله قدوتك التي تتسداها | في كل ما يبقو ورأيك أحكم |
| واسلم على الأيام انك زبنا | وجالها والدهر دونك مأمم |
| لازك بالنصر العزيز هنتاً | والدين عن محمود سعلك ييسم |
| ووقيت مكروه الحوادث واعتدت | طير السمود بايككم ترمم |

كتاب ألفنس بن سانشس الى العتمد

(لما ملك اذفنش ابن شانجه اعمال طليطلة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امره تكون طليطلة نقطة دائرتها وخاطب العتمد على الله ابا القسم بن عباد يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله وتشطط عليه في الطلب . واطهر له السرور بالغلب . فها خاطبه به)
 ١٤٤ من الأنيطور ذي اللتين الملك المفضل اذفنش ابن شانجه الى العتمد بالله سدد الله آراءه وبصره مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد ملك شرقته القنا . وثبت في ربه المني . باغترار الرح بعامله . والسيف بساعد حامله . وقد ابصرتم بطليطلة تزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمت اخوانكم . وعظمت بالدمه زمانكم . والحذر من ايقظ بالله . قبل الوقوع في الحباله . ولولا عهد سلف بيننا نخط زمامه . ونسي نور الوفاء امامه . لنهض بنا نحوكم نهض العزم ورائده . ووصل رسول النزو ووارده . لكن الأقدار . تقطع بالاعذار . ولا يعمل الا من خاف القوت فيما يرومه . او خشي الفلبه على ما يسومه . وقد حملنا الرسالة اليك القسس البرهانس وعنده من التسديد الذي تلقى به امثالك . والعقل الذي تدبر به بلادك ورجالك . ما اوجب استتابته فيما يدق ويحل . فيما يصلح لا فيما يخل وانت عندما تأتبه من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسى يمينك وبين يدك (تاريخ العبادين)

جواب العتمد بالله الى الملك ألفنس بن سانشس

١٤٥ من الملك المنصور بفضل الله العتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عباد الى اذفنش ابن شانجه الذي لقب نفسه بملك الملوك وبها بذى اللتين قطع الله بدعواه . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فانه اول ما يبدأ به من دعواه انه ذو اللتين والمسلمون احق جذا الاسم لان الذي تمكوه من امصار البلاد . وعظيم الاستعداد . ومحبي المملكة لا تبلفه قدرتكم . ولا تعرفه ملككم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن النظر السديد جميل مباديك . فركبنا مركبا عجز نخفه الكيس . وطايناك كؤوس دعة قات في اثنتها ليس . ولم تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك . وانما لتعجب من استعجالك . براي لم تحكم انحاؤه . ولا حسن انحاؤه . واغجابك بضع وافقتك فيه الاقدار . واغمرت بنفسك اسوأ الاغترار . وتعلم اننا في العدد والعديد . والنظر السديد . ولدينا من كماء الفرسان . وحيل الانسان . وحماة الشيمان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدروا الصبر . وكروا القبر . تسيل نفوسهم على حد الشفار . وينعم النام في القفار . يدرون رحي المنون بمركات الغرائم . ويشفون من خطب الجنون بنوام الغرائم . وقد ادوا لك ولقومك جلادا رتبة الاتفاق . وشقارا جدادا شحذا الاصفاق . وقد يأتي المحبوب من المكروه . والندم من محبة الشره . نهت من غلة طال زمانها . وايقظت من نومة تجدد ايمانها . ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة . او وقفة

متساعده . الأذل تعلم مقداره . وتحقق متارهُ . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيحك
وتقريبك بما الموت دونه . وبالله نستعين ولا نستعطي في مسيرنا اليك والله ينصر دينهُ . والسلام
على من علم الحق فأتبعهُ . واجتنب الباطل وحُدَّهُ

مكتوب المهتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يستجده على الاذفئش

١٤٦ (من اشيلية في غرة جمادى الاولى سنة ٣٧٩) . أيد الله امير المؤمنين ونصرهُ ونصر
به الدين فاناً نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرق جمعنا . وتشتت انسابنا .
بقطع المادة من خيفتنا . فصرنا فيها شعوباً لا قبائل واشتاتاً لا قرابة ولا عشاثر . فقلنا ناصرنا وكثر
شامتنا . وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفئش . وانخ ملينا بكلكله ووطى بقدمه وأسر
المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحد منا طاقة
على نصره جاره ولاخيه ولو شاءوا لفعلوا . الا ان الهواء والماء منهم عن ذلك وقد ساءت
الأحوال . وانقطعت الآمال . وانتم أيد الله سلطانكم سيد حمير . وبلكها الأكبر . واميرها
وزعيمها نزعتم جمعي اليكم . واستصرخت بالله وبكم . واستغثت بجرمكم لتجوزوا للجهاد هذا
العدو الكافر وتحموا شريعة الاسلام . وتذبوا عن دين محمد . ولكم بذلك عند الله الثواب
الكرم . والاجر الجسيم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام الكريم . على حضرتمكم
السامية ورحمة الله وبركاته (تاريخ غرناطة لابن الخطيب)

في الطلب والاشواق

١٤٧ لما استأسر الزوم ضرار كتب الى اخته الى معشر الاسلام

ألا ايها الشخصان بالله بلغنا فلاقينا ما عشنا الف نعمة
ولا ضاع عند الله ما تصنمانه
بصنعكمما بي ناث خيراً وراحة
ومالي وببيت الله موثي وانما
ضعيفة حبل ليس فيها جلادة
وكنتم لها ركناً بيمد رجالها
واطعمها من صيد كفي ارباباً
واحمي حماها أن تضام فلم ازل
واني اردت الله لا شيء غيره
كذلك اخي جاهدت كل كافر
تقول وقد جار القراق بينه
سلاي الى اطلال مكة والحجر
بعز واقبال يدوم مع الصبر
فقد خف عني ما وجدت من الضر
كذلك فعل الخير بين الوري يجري
تركت عجبوراً في المهامه والقفير
على نائبات الحادثات التي تجري
وأكرمها جهدي وان مسني فقري
مع الطي والوحش المقيمة في البر
لها ناصراً في موقف الشر والضر
وجاهدت في جيش الملاعين بالسير
وما برحت بالظن في الكفر والفير
الا يا أخي ما لي على الين من صبر

ألا يا أخي هذا الفراق من لنا
 ألا بلغناها عن أخيها تحية
 جريح طريح بالسيف مبضع
 حمام نجد لبني قول شائق
 وقولي ضرائر في القيود مكبل
 حمام نجد اسمي قول منرد
 وإن سألو عني الأجابة خفري
 حمام نجد أن اتيت خياننا
 وقولي لهم إن الأدير بحرقة
 له من عداد العمر عشر وسبعة
 وفي خده خال تحت مدافع
 مضى سائرا بيني الجهاد تبرعا
 ألا فادفني ببارك الله فيكما
 ألا يا تحامات الحطيم وزنم
 عسى نسمح الايام منها بزور
 بجير رجوع قادم منك بالشر
 وقولا غريب مات في قبضة القبر
 على نضرة الاسلام والظاهر الطهر
 الى عسكر الاسلام والسادة الغر
 بعيد عن الأوطان في بلد وغر
 غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
 بان دموعي كالسحاب وكالقطر
 فقولي كذاك الدهر عمر على سر
 له علة بين الجوانح والصدر
 وواحدة عند الحساب بلا نكر
 على فقد اوطان وكسر بلا جبر
 فوافاه اولاد اللثام على غدر
 ألا واكتب هذا الغريب على قبري
 ألا أخبري أي ودلي على قبري
 لقبر غريب لا يزار من النكر

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكائس يستدعي سراج الدين الاسكندري ويداعبه

يا إذا الذي فكره مثل اسمه يقد
 بم اعتذارك عن هذا الصدود لنا
 عافاك ربك من داء القطيعة بل
 قيم التواني والخلان قد حفلت
 ان ذاع وصفك في تأديهم طربوا
 ان لم تشرف بناديجهم ذأ شرفوا
 اذا هجرت بني الآداب فابد لنا
 قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا
 ما هكذا تفعل الدنيا بصاحبها
 وبعد فاحضر وذنب البعد مفتقر
 بادر لنا فبنو الآداب كلهم
 وأبعدوك فان لم تأت نخوم
 وأنت أدري بقوم ان بلوا سلخوا
 فندت عنا وما من شأنك القصد
 هذا وقد ضما بالجيرة البلد
 شفاك من داء أمر كله ككد
 على المودة لاحد ولا حسد
 أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
 أول تنفق لهم آدابهم كسدوا
 بم اعتذارك لا أهل ولا ولد
 وكنت تؤنسهم قريبا وان بعدوا
 فالتاس بالناس والإخوان تنقد
 وان تطاول من هجراتك الأمد
 تجسموا من فجاج الأرض واحقدوا
 وكلهم مغيث في الحال ما بعد
 بالنس ما لقتلى حرجا قود

لا زلت ترفي على زهر القيوم علًا ما هبت الريح أقواماً وما رصدوا
في الثاب واللوم

كتاب الي بكر بن القصيرة عن امير المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعديّة

١٤٩ أما بعد يا أمة لا تعقل رشدّها . ولا تجري الى ما تقتضيه نسم الله عندها . ولا تقلع عن
لذي نفسيه قريباً وبعداً جهدها . فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة . ولا تراقبون في مؤمن
إلّا ولا ذمّة . قد اعماكم عن مصالحكم الأثر . واضلّكم ضلالاً بعيداً البطر . وبذتم المعروف
وداء ظهوركم . واتمّ ما ينكر مقتدياً في ذلك صغيركم كبيركم . وخاملكم بمشهوركم . ليس فيكم
زاجر . ولا مسكم إلا غوي فاجر . وما نرى إلا أن الله عزّ وجلّ قد شاء مسخكم . وأراد مسخكم
ومسخكم . فسلب عليكم الشيطان يغزكم ويغريكم . ويزين لكم قبائح معاصيكم . وكانكم به قد
نكص على عقبيه عنكم . وقال : اني بريئ منكم . وترككم في صفة خاسرة . لا تستقيلوها ان لم
تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اذاراً لكم . وانذاراً قبلكم . فتوبوا . وأنبوا . واقلعوا .
واتزعوا . واقتصوا من انفسكم كل من وترتموه . وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغشتموه . ولا
تستطيخوا على احد بعد . ولا يكن الى اذاه صدور ولا ورد . والا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم
متلاً سائراً . وحدثنا غائراً . فأتقوا الله في انفسكم واهليكم . وإياكم والاعتزاز فانه يورطكم فيما
يريدكم . ويسوقكم الى ما يُشمت بكم اعاديكم . وكفى بهذا بصرة وتذكرة . ليست لكم بعدها
حجة ولا معذرة . ولا توفيق إلا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه الي القاسم ابن الجند عن امير المسلمين وناصر الدين
الى اهل أشيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواه . ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاه .
وجنبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يسخطه وينهه . من حاضرة مرآ كش حرصها الله لست
بقين من جمادى الاولى سنة اثني عشرة وخمسمائة . وقد بلغنا ما تأكّد بين اعيانكم من اسباب
التباعد والتباين . ودواعي التحاسد والتضامن . واتصال التباغض والتدابير . وقادي التقاطع
والتهاجر . وفي هذا على فقهاكم وصلحاتكم مطمئن بين . ومنمّر لا يرضاه مؤمن دين . فهلا
سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف
الآراء المختلفة وجمع الاهواء المتفرقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفق للصواب . ان نعد
اليكم بهذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئ عليكم . فاقمعوا الانفس الامارة بالسوء . وادعوا
في السكون والهدوء . وتكبّعوا عن طريق البغي الذميمة المشنوّ . واحذروا دواعي الفتى . وعواقب
الإحْن . وما يجر داء الضمائر . وفساد السرائر . وعمى البصائر . ووخيم المصاير . واشفقوا على

ادبائكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم . واخلعوا السمع والطاعة لوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسته جمهوركم . اخينا الكريم علينا اي احقاق ابراهيم ابقاه الله . وادام عزه بقواه . واعلموا ان يده فيكم كيدنا . ومشهده كمشهدنا . فقفوا عندما يحضركم عليه . ويدعوكم اليه . ولا تختلفوا في امر من الامور لديه . واتقادوا اسلس اقتياد لحكمه وعزيمه . ولا تقيموا على فتح عناد بين حده ورسيمه . والله تعالى يغي بكم الى الحسن . ويبسرکم الى ما فيه صلاح الدين والدنيا . بقدرته (قلائد العقيان لابن خاقان)

في المدح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البسطامي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تشر به الخواطر . واحياه بلده العلوم احياه الروض بالسحب المواطر . واداد شمسها المنيرة الى افقها . واحلها بالمطالع الذي هو من حقها . فماد الى وظيفتها عود الحلي الى العاقل . واطهرها به ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمس . ظاهرة في يومه بحسن ما عودها في امسه . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع ويلها . وخوة على اهلها خو المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأمن بها سارية . وسحاب البسن من فوقها جارية . والارزاق تهل من اقلامه كما ينهل المطر من مزنه . وانواع الخيرات تجني من كرمه كما تجني الثمر من غصنه . لازالت اقلامه محكمة في اراضي العلماء . نافذا امرها في اقاليم الفضلاء

١٥٢ كتب ذو الوزارين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف اخيه

بهنيه ببولود من قصيدة

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| ورد الكتاب به فرحت ككاني | تسوان راح في ثياب تجتر |
| لا فضضت ختامه فتبليت | بيض الاماني في سواد الاسطر |
| قبلت من فرح به خذ التري | شكراً ولا حظ لمن لم يشكر |
| يا مورد الخبر الشبي وحادي ال | أمل القصي وهادي البناء السري |
| زدني من الخبر الذي اورده | يا برد ذاك على فؤاد الخبر |
| صحفاً وعقراً للزمان فانه | ضحكت اسرة وجهه المتسري |
| طلع الشير بنجم سعد لاح من | أفق الملى وبشبل ليث تحدر |
| له درك اي فرع سيادة | اعطيه وقضيه دوحة مغفر |
| طابت أرونته وابتغ فرعه | والفرع يعرف فيه طيب النصر |
| انت الجدير بكل فضل نلت | وحوته وبكل مكرمة حري |
| غنا رجماً انما قد انجيت | برحيم الحمود اسنى مذكر |
| نامت عيون الدهر عن جنباته | وحمت مناهله شون الصبر |

وصفا له ولاخوة يتلونه ماء الحياة لديك غير مكدر
فلأنت بدر السعد وهو هلاله ولأت سيف المجد وهو السهمي
لازكت تبقى للحماد جامعا مع احمد في ظل عيش اخضر
والسعد ينشر فوق داسك راية تبقى مع العليا بقاء الادهري

١٥٣ قال صفي الدين الحلي يشكر انعام السلطان الملك المؤيد عماد الدين

اسماعيل وقد حمل اليه تحفا وكسوات البيت وآلاته ومهمات جميعها

جزاك الله من حُسنائك خيرا وكان لك الميمَنُ خير راع
فقد قصرت بالاحسان لفظي كما طوّلت بالإنعام باعي
فأخزني الحياء وليس يدري جميع الناس ما سبب امتاعي
فأشكرُ حسن صنعك في اتصال وخطوي نحو ربك في انقطاع
وقافية شبيه الشمس حسنا تُردّد بين كفي والبراع
لها فضلٌ على غرر القوافي كما فضل البقاع على البقاع
غدت ثنني على طيبك لما ضمنت لرجاء نبح المساعي
قدمت ولا برحت مدى الليالي سعيّد الجّد ذا امرٍ مطاع

١٥٤

كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرفت قرب الدار مِن أحب فكنّت أجد السير لولا ضرورة
لاتلو من أي الحماد سورة وأبصر من شخص الحسن صورة

كنّت إبقاك الله تعالى لأختياطي بولائك . وسروري لمقائك . اودّ أن اطوي البك

هذه المرحلة . واجدد المهد بليقك المؤلمة . فنع مانع . وما ندري في الآتي ما الله صانع . وعلى
كل حال فشأنني قد وضع منه سبيل مسلوك . وعلمه مالك ومسلوك . واعتقادي أكثر ما تسعه
المبارة . والالفاظ المستعارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط
الوزارة . المتصفة بالعفاف والطهارة . والسلام (نفع الطبيب للقري)

في التمزية

كتاب ابي اسحاق الصايي الى محمد بن العباس يعزبه عن طفل

١٥٥ الدنيا اطالب الله بقاء الرئيس أقدار تُردّ في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا
يردّ منها شيء عن مدها . ولا يصدّ عن مطلبه ومنها . فهي كالسهم التي تثبت في الأغراض . ولا
ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يفسد عن الزيادة ولم يقطع عند
المصيبة . ولم ينجح عند النقيصة . وأمين أن يستخفّ احد الطرفين حكمه . ويستترل احد

الأمرين حرمة . ولم يدع أن يوطن نفسه على النزلة قبل نزولها . ويأخذ الامم للعالة قبل حلولها . وإن يحاور الخير بالشكر . ويساور الحنة بالصبر . فيختار فائدة الأولى حاجلاً . ويستسري فائدة الاخرى آجلاً . وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدراً . الحديث سنأما أرمض وأومض . وأقلق وأمض . ومسني من التأم له ما يحق على مثلي من تواتر ابدي الرئيس اليه . ووجبت مشاركته في الملم عليه . فأن الله وأنا اليه راجعون . وعند الله نخسبة غصنا ذوى . وشهاباً خيا . وفرحاً دلي على اصله . وخطيباً ابنته وشيخه . وإياه أسألت ان يجعله للرئيس فرطاً صالحاً وذخراً عتيقاً . وان ينفعه يوم الدين حيث لا ينفع الا مثله بين البتين بمجوده ومجده . ولئن كان المصاب به عظيماً . والحادث فيه جسيماً . لقد احسن الله اليه . والى الرئيس فيه . أما اليه . فان الله نزهه باحترام . عن اقتراح الآثام . وصانته الاختصار . عن ملابس الاوزار . فورد دنياه رشيداً . وصدر عنها سعيداً . بقي الصحيفة من سواد الذنوب . بري الساحة من دَرَن السيوب . لم تدنس الحرائر . ولم تعلق به الصغائر والكبائر . قدرع الله عنه دقيق الحساب . واسم له الثواب مع أهل الصواب . وألحقه بالصدّيقين الفاضلين في المعاد . وبوأه حيث فضلهم من غير سعي واجتهاد . وأما الرئيس فان الله لما اختار ذلك قبضه قبل رؤيته وقبل معاينته على الحالة التي يكون معها الرقة . التي تنضاعف عندها الحرقه . وسماه من فنة المرافقة . ليرفعه عن جزع المارقة . وكان هو المبقى في دنياه . وهو الواحد للماضي الذخيرة لأخراه . وقد قيل ان تسلم الحلة فالسخل هدر . وعزيز علي ان اقول المهور لامر من بعده ولا أوفي التوجع عليه . واجب فقدّه فهو له سلامة ومنه بضعة . ولكن ذلك طريق التسلية . وسيل التعزية . والمنهج السلوك في مخاطبة مثله ممن يقبل منفعة الذكرى وان اغناه السبطار . ولا يأتي ورود الموعظة وان كفاه الاعتبار . والله تعالى يقي الرئيس المصائب . ويميزه من الثواب . ويراه بعينه التي لاتام . ويجعله في حماء الذي لا يرام . ويقيه موفوراً غير منتقض ويهدمنا الى السوء امامه . والى الحدور قدّامه . ويسد لي من بينهم في هذه الدعوة . اذ كنت اراها من أسعد احوالي . وأطّرها من أبلغ امانتي وأمالي (للغيرواني)

لاي فضل الميكالي تعزية الى أبي عمرو البحتري في أخ

١٥٦ لقد طاش اخوك نبيه الذكر . حليل القدر . عبق الثناء والنثر . يجمل به أهل بلده . ويتباهى بكماله ذوو مودته . ويفتخر الأثر وحاملوه بتراحي بقائه ومدته . حتى اذا قسم ذروة الفضائل والمناقب . وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب . اختطفته يد المقدار . ومحت أثره بين الآثار . فالفضل خاشع الطرف للقدرة . والكرم خالي الربع من بعده . والحديث يندب حافظه ودارسه . وحسن المهد يكي كافله وحارسه

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللوشي رسالة كتب بها الى امير المسلمين

يعزيه في الامير مزديلي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدله . السابغ فضله . العظيم سلطانه . العلي مكانه . السني قدره . وشانه . في سعد تطرف عنه امين الثواب . وجد نصرف دونه اوجه المصائب . كل رزء ادام الله تأييده وان عظم وجل . حتى استولى على النفوس منه الوجلب . اذا عدا بابه . وتخطى جناحه . فقد اخطأ بمحمد الله المقتل . وصدد عن سواء الغرض وطل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالية لا تصاول . واحكامه نافذة لا تراول . فالصبر لواقمها اولى . وكتبته ادام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بلاء جبرتها شريفة مغرورة . لما نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤه المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزديلي قدس الله روحه . وسقى ضريحه . فياله من رزء قسم الظهر . ووسم القيوم الزهر . واذا كى الاخران . وابكى الاجفان . واقصى المهاد بمكانته من الدولة المنيعة . ومترلته من الامرة الرفيعة الشريفة . وعند الله تختبئ ذخيرة عظمى . ونسأله المغفرة له والرحمى . فانه كان نور الله وجهه متوفر الصمة على الجهاد . من أهل الجدي في ذلك والاجتهاد . وحسبه انه لم يقض نجه إلا وهو متميز في عساكره قادركه الموت مهاجراً . ومع الله تاجراً . وارجو ان يكون تعالى قد قرن له فاتحة السعادة . بمخاتمة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زندا ان من تضعضه الخطوب وان اهتمت . وتوجعه الحوادث اذا ادهست . والله يحسن عزاءه على فجعه . ولا يديني حادثاً بعده من ربه . بته عز وجل

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزياً القاضي ابا الحسن بن زتباع

في قريب مات له

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| يشاطرك الصبابة والسهاد | ويحضك المحبة والودادا |
| صديق لو كشفت الغيب عنه | وجدت هواك قد ملأ القوادا |
| يعز عليه رزئت بت عنه | شقيق النفس تلهمها سدا |
| أشفق للعباد ونحن منهم | من الرب الذي خلق العبادا |
| أراد بنا الفناء على سواء | ولا بد لنا مما ارادا |
| لئن قدمت علقتا مستفاداً | لقد أكرمت حظاً مستفادا |
| ومثلك لا يضعضه مصاب | ولا يعطي لتأبته قيادا |
| وما زلت الرشيد نبي وحاشي | لملك أن نعلمه الرشادا |

كتب بديع الزمان الهمداني الى أبي عامر عدنان الضبي يعزيه بعض اقاربه
اذا ما الدهر جر على اناس حوادثه اناخ بأخريته
فقل للشامتين بناء أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

١٥٩ احسن ما في الدهر عمومته بالنوائب . وخصوصه بالرغائب . فهو يدعو الجفلى اذا
ساء . ويحس بالنعمة اذا شاء . فلينظر الشامت فان كان أفلت . فله ان يشمت . وينظر
الانسان في الدهر وصروفه . والموت وصنوفه . من فاتحه امره . الى خاتمة عمره . هل يجد اثرا
في نفسه ام لتدبيره . عونا على تصويره . ام لعمله . تقدما لأمله . ام لحيله . تأخيرا لأجله .
كلابل هو العبد لم يكن شيئا مذكورا . خلق مقهورا . ورزق مقدورا . فهو بيمين جبرا . وبهلك
صبرا . وليتأمل المرء كيف كان قبلا . فان كان العدم اصلا . والوجود فضلا . فليعلم الموت
عدلا . والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضرر بما تقع . وان احب ان لا يحزن
فلينظر يمينته . هل يرى الأمانة . ثم يعطف يسرة . هل يرى الآ حصرة . ومثل الشيخ الرئيس من
تقطن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعد لعمتها صدرا لا يلاؤه فرحا . ولبوسها قلبا لا
يطير به جزعا . وصحب الدهر برأي من يعلم ان للنعمة حدا . وللعارية ردا . ولقد نعي الى ابو
قيصة قدس الله روحه . وبرد ضريحه . فعرضت على آمالي قعودا . وأمانى سودا . وبكيت
والسني بما يملك . وضحك وشر الشدائد ما يضحك . وعضضت الاصبع حتى اقيتته . وذممت
الموت حتى تمنيت . والموت خطب قد عظم حتى هان . وأمر قد خشن حتى لان . ونكر قد عم
حتى عاد عرفا . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها . وجئت حتى صار اصغر
ذنوبها . واضمرت حتى صار ايسر غيوبها . واجمت حتى صار اظهر عيوبها . ولعل هذا
السهم آخر ما في كائناتها . وازكى ما في خزانها . ونحن معاصر التسع نتعلم الأدب من اخلاقه .
والجميل من افعاله . فلا نتمتع على الجميل وهو الصبر . ولا نرغب في الجزيل وهو الاجر .
فليس فيها رأيه . ان شاء الله تعالى (رسائل بديع الزمان الهمداني)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى الرئيس طوس يعزيه عن شقيق له
١٦٠ كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركنا هودا . ولهدا ملحودا . واما
مفقودا . وحوضا من النية مورودا . ويعلم ان ايامه مكتوبة . وأناقسه محسوبة . وان شباك
النايا له منصوبة . أف ل هذه الدنيا ما اكدر صافيا . وأخيب راجيا . وأعذر اياها ولياليها .
وانتص لدائها وملاهيها . تفرق بين الاحباء والاحباب بالقوات . وبين الاحياء والاموات
بالزفات . ورد على خبر وفاة فلان . فدارت بي الارض حيرة . واطلقت في عيني الدنيا حسرة .
وملا الوله والوهل قلبي وسواس وفكرة . وتذكرت ما كان يجمعني وياه من سكري الشباب
والشراب . فعلت انه شرب بكاسي انا شارب من شرابها ورئي سهم سوف أرى جا . فكيت

عليه بكاء لي نصفه . وحزنت عليه حزناً لغي شطره . وسألت الله تعالى فأنه أكرم مسئول .
واعظم مأمول . أن يفيض عليه من رحمته . ما يتم به سهمه من نعمته . وأن يتفمّد كل
زلة ارتكبتها برحمته . ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بجنته . وإن يذكر له تلك الاخلاق
الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقدته .
والقمة من بعده . والتحسر على قربه يبعده . فخلص الى قلبي وجع ثانٍ انساني الماضي . وثالث
انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجمين .
والمصائب اثنتين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : األه وأنا اليه راجعون اللهم لا شكاية
لقضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كُفْران لنعمتك . ولا مناصبة لقدرتك . اللهم أرحم الماضي
رحمة تحبب اليه ماته . وابق الحى بقاء جنّيه حياته . واطيع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع .
ولا يضع غناه يد الصلح . ولا يلم جانب الاجر والذخر بالاثم والوزر . ولا يجد مدوّه الشيطان
سبيلاً اليه . ولا سلطاناً عليه . اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار . لا جرياً على مذهبي في
الاختصار والاختصار . ولكني لم اجد من اساني بسطة . ولا في قريحتي فضلة . ويحق لهذه الفادحة
الحادثة ان تدع اللسان محصوراً . والبيان مقصوراً . او ان تحدث في العقل خلاً . وفي البيان
شلا . وليرفقي سيدي خير ما هداه الله اليه من جميل العزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون
سكوتي الى ما اعرفه من سلوته . اضعاف قلقي كان بما ظنّته من حرقته . وان كنت اعلم انه لا
يخلى ساحة الحالم والعلم . ولا يخلّ بالواجب من التمسك بالخزم . ولا يخلّ عقدة صبره . ولا
تتداعى اركان صدره . ولا يعي الرشد في جميع اموره . وهذه شريطة الكمال . وسجية الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أما بعد أيد الله القاضي فأنه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه . ولم ينصر اصدقاءه .
من خذل حوباءه . وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها . وعليه
ضربها . وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام . وخصت الكرام . ووجب على كل من اشم
روائح العقل . وميز بين النقصان والفضل . ان ينفطر لها ألماً . وان يبكي عندها دماً . وخلص
الي من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفاً طالما رفعتها .
وقبضت بناتاً طالما بسطته . وحتى عزيت كما يعزى الثكلان . ومليت كما يسلى اللهفان . وانا بعد
ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزة هلمة . واستقل سعي عيني وهي سخينة دمة . وكان يجب
على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصبره هاراً واساهره
ليلاً وتكون الحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر
الى الذنب الخفي . ويتفاني عن العذر الجلي . وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة .
وأخرى يسم بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينه وبين العفو نسب . ولا له الى التثبت

طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لخطيئة . بعد ما عرفت من شططه . لتحملت دونه الوزر في ظلي . ولكنت مقدمته الى ذي . ومن قعد تحت الريبة ركبته . ومن تعرض للظنة نالته ومن دعا الناس الى ذمه رموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها . ويتذلني لها . فاكون قد ضررت نفسي ولم اقع خير في فاذا بالحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكررت عليه كرتين . يرى بولي من اولياته . داء لا يقدر على دوائه . ويرى وقوداً لا يصل الى اطاعته . ويتبين في حالة متصلة بحاله ثلثة لا يمكن سدها . ومحنة لا يستوي لها ردها . فلما مثلت بين تخلفي آمنًا . وحضوري خائفًا . هدت بين طرفي الرؤية . ووزنت بين مقدارَي الحنة . فرأيت ان اميل مع السلامة . واقنع من العمل بالثبة . واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة . فعبت وكلي غير جسسي شاهد . وقيزت وما انا الا مشاهد . وبعدت وقلبي سهم واغضيت على عين كلها قذى . وانطويت على صدر كل شجيا . وانصرفت بقلب ساقط راض وانغمضت بعين ضاحك بك وقلت :

فان تخبثوا القسري لا تخبثوا اسمه ولا تخبثوا معروفه في القبائل
ولقد نجت في ذم الظالم حللاً لا يبلها الماء . ولا يخففها الهواء . ولا تطغي عليها الظلاء .
والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والراجح من محنة فانية . وشروته باقية .
ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم لكان يحنى . جل الله تعالى هذه الحادثة بتراء
عقاه ليس لها مدد . ولا ليوسها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالسر . وخاتمة لقائه
لرب الدهر . ولا حرمة فيما نزل به مشوية الصابرين . ولا اخلاء في بعده من الشاكرين . برحمته
١٦٢ قال صفي الدين الحلي يعزى الملك الافضل صاحب حماة بوالده الملك المؤيد

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| خضع همومك فالحياة غرور | ورحى المنون على الأنام تدور |
| والمرء في دار الفناء مكلف | لا قادر فيها ولا معذور |
| والناس في الدنيا كظلمة زائل | كل الى حكم القضاء بصير |
| فالنكس والملك التوج واحد | لا امر يبقى ولا مأمور |
| عجبا لم ترك التذكر واشي | في الامن وهو بعيشه مغرور |
| في فقدنا الملك المؤيد تاهد | ألا يدوم مع الزمان سرور |
| ملك تيمنت الملوك برأيه | فكانه لصلاحهم إفساد |
| ما آل أيوب الذين سماهم | بحر بامواج التدى مسجور |
| اضحت مدائحهم الحسان مرثيا | للناس منها رنة وزفير |
| وبكت له اهل الثغور وطالما | ضحكت لدست الملك منه ثغور |

أَمْسَى عَمَادُ الدِّينِ بَعْدَ حُلُومِهِ
وَإِذَا الْقَضَاءُ جَرَى بِأَمْرِ نَافِذٍ
أَنْ لَمْ تُصَرِّفِ الدَّهْرَ فِيهِ أَجَانِي
أَوْ قُلْتَ أَيْنَ تَرَى الْمُوَيْدَ قَالَ لِي
أَمْ أَيْنَ كَسَرَى أَزْدَشِيرُ وَقِصْرُ
أَيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سَلْجَانُ الَّذِي
وَالرَّيْحُ تَجْرِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ
فَكَتَّ جَمَّ أَيْدِي الْمَوْنِ وَلَمْ تَزَلْ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ مَا جُدَّ
كُلُّهُ يَصِيرُ إِلَى الْبَلَى فَاجْتَنُ

وَلَطَبَهُ عَمَّا عَرَاهُ قَصُورُ
غَلَطَ الطَّيِّبُ وَاخْطَأَ التَّدْبِيرُ
أَبَتْ النَّهْيُ أَنْ يُعْتَبَرَ الْمَقْدُورُ
أَيْنَ الْمُنْظَرُ قَبْلُ وَالْمُصَوَّرُ
وَالْهَرَمَزَانُ وَقِيلَاهُ سَابُورُ
كَانَتْ يَحْفَلُهُ الْجِبَالُ تَقُورُ
مُنْقَادَةٌ وَبِهِ الْبَسَاطُ يَسِيرُ
خَيْلُ الْمَوْنِ عَلَى الْإِنَامِ تَقِيرُ
مَا ضَمَّتْ الرِّسْلُ الْكِرَامُ قُبُورُ
أَنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ

كُتِبَ الطُّغْرَانِيُّ إِلَى مَعِينِ الْمَلِكِ فَضَّلَ اللَّهِ فِي نَكْبَتِهِ

١٦٣

فَصَبْرًا مَعِينِ الْمَلِكِ أَنْ عَنَّ حَادِثُ
وَلَا تَبَاسُنْ مِنْ صَنْعِ رَبِّكَ إِنَّهُ
فَإِنْ اللَّيَالِي إِذْ يَزُولُ نَعِيمُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ بَعْدَ ظِلَامِهِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كَسُوفِهَا
وَإِنَّ الْهَلَالَ الضُّوْءُ يَقْمَرُ بَعْدَمَا
فَقَدْ يَطِيفُ الدَّهْرُ الْإِيَّ عَنَانُهُ
وَيَرْتَأَشُ مَقْصُوصُ الْجَاهِلِينَ بَعْدَمَا
وَيَسْتَأْنِفُ النَّصْنُ السَّيْبُ فَضَارُهُ
وَالنَّجْمُ مِنْ بَعْدِ الرَّجُوعِ اسْتِقَامُهُ
وَبَعْضُ الرُّوَايَا يُوجِبُ الشُّكْرَ وَقِفْهَا
وَلَا غُرُورَ أَنْ اخْتِمْ عَلَيْكَ فَائِزًا
وَإِي قَنَاقَةً لَمْ تَرْتَحِمْ كَمُوجِهَا
أَسَأْتَ إِلَى الْإِيَّامِ حَتَّى وَتَرَحَّأَ
وَصَارَمَتَهَا فِيمَا ارَادَتْ صُرُوفِهَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا السَّيْفُ يَسْكُنُ غَمْدُهُ
أَمَّا لَكَ بِالصَّدِيقِ يُوسُفُ أَسُوءُ
وَمَا غَضَّ مِنْكَ الْخَبْسُ وَالذِّكْرُ سَائِلُ

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلُ
ضَمِينُ بَانَ اللَّهُ سَوْفَ يَدِيلُ
تَبَشِّرُ أَنَّ الْبَائِتَاتِ تَزُولُ
عَلَيْهِ لِإِسْفَارِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ
لَهَا صَفْحَةٌ تَقْشِي الْعَيُونَ صَقِيلُ
بَدَا وَهُوَ شَحْتُ الْجَاهِلِينَ ضَلِيلُ
فِي شَفَى عَلِيلُ أَوْ يَلُّ غَلِيلُ
تَسَاقُطُ رِيَشُ وَاسْتَطَارَ نَسِيلُ
فِي وَرْقٍ مَا لَمْ يَتَوَرَّهْ ذُبُولُ
وَالْخَطُّ مِنْ بَعْدِ الذَّهَابِ قَفُولُ
عَلَيْكَ وَاحْدَاتِ الزَّمَانِ تَكُولُ
يَصَادِمُ بِالْمُخْطَبِ الْخَلِيلِ جَلِيلُ
وَإِي حُسَامُ لَمْ تَصْبُهُ فَلُولُ
فَعَنْدَكَ أَضْغَانُ لَهَا وَتَبُولُ
وَلَوْلَاكَ كَانَتْ تَنْتَبِي وَتَهْوُلُ
لِيَشْقَى بِهِ يَوْمَ التَّرَالِ قَتِيلُ
فَتَحْمِلُ وَطْءَ الدَّهْرِ وَهُوَ ثَقِيلُ
طَلِيقُ لُهُ فِي الْخَائِقِينَ زَمِيلُ

فلا تدعني للظب أدك ثقله فثلك للأمر العظيم حول
فلا تجزعن للكلب مسك وقعه فان خلاخيل الرجال كبول
في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيه باي نصر

١٦٤ انا في مفاتيح الامير بين ثقة تعد . ويدترعد . ولم لا يكون ذلك البحر وان لم اره
فقد سمعت خبره . ومن رأى من السيف أثره . فقد رأى أكثره . واذا لم ألقه . فهل أجمل
خلقه . وما وراء ذلك من تالذ اصل ونشب . وطارف فضل وأدب . وبعد همه وصيت .
فعلوم تشهد بذلك الدفاتر . والخبر المتواتر . وتطبق به الأشعار . كما تختلف عليه الآثار . والعين
أقل الحواس ادراكا . والآذان أكثرها استمساكا . ان شيخنا أبا نصر بن دوسنام سأني
طول هذه المدة . مكتبة تلك السدة . مستشفعا بكتاني الى الخلق العظيم . والعليق الكريم .
والفضل الجسيم . وكل شيء على الميم في باب التفخيم . وفي ان أعرف شغل شاغل . وحتى أقبل
وأدخل . دخولا معلوما . لا يقتضي لوما . فلا تظنن الا الجميل وعرفته ان المرء وجوده . ثم
جوده . وشفيح لا يعرف غريب ولكنه من غريب الحبيث . لا من غريب الحديث . فأني الآن
أفعل وقد فعلت على السخط من القسط . فان قبلت الشفاعة فالجبد يأتي الآن يعمل عمله . وان
رُدت فليست كلمة السوء مثله . والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخه ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعا

١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه . وبلغ سيادتكم ما تؤمل من فضل
الله تعالى وترجوه . وكلا بين حفظه ذاتكم العاخرة . وجعل عز الدنيا متصلا لكم بعز الآخرة .
بعد تقبيل يديكم التي يدها لا تزال تُشكر . وحسنها عند الله تعالى تُذكر . أنهي الى مقامكم ان
الشيخ ابا فلان مع كونه مستحقا لتجلة . بهجرة الى ابوابكم الكريمة قدمت . ومماثل من
اصالة وحشمة كرم . وفضل ووقار وتنويه الولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى
الفضل برة . وادب شكر الاختبار عليه وسره . وله بمعرفة سلفكم الارضي وسيلة مرعية . وفي
الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضية . وتوجه الى بابكم والتمسك باسبابكم . والمؤمل من سيدي
ستره بجناب رعيه في حال الكبرية . ولحظه بطرف المبرة . اما في استعال يلقى بذوي الاحتشام .
او سكون تحت رعي واهتمام . واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام . وهو احق الغرضين
بالترام . وحالة سيدي في حفظه رسم مثله . على الله تعالى الذي يجزي الحسين بفضل . ومنه
نسأل ان يديم ايام المجلس العتي محروسا من اللواتب . مبلغ الآمال والمآرب . والمملوك قد
قرّر شأنه في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم . والتحسب في هذه الابواب عليكم .
وقبيل القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع . ويملك الأمر اجمع . والسلام (نفع الطبيب للقرى)

أَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّرَاخِيمِ

شعراء الجاهلية

أَعْشَى قَيْسٍ (٦٢٩ م)

٦٢٩ هـ. يعقوب بن قيس بن جندل ويكنى أبا بصير وهو واحد الاطلام من شعراء الجاهلية وفحولهم. وتقدم على سائرهم وليس ذلك بجَمْع عليه لافيه ولا في غيره. وكان قوم يقدّمون الأعشى على سائر الشعراء فيجتمعون بكثرة تصرفه في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره. ويقال انه أول من سأل بشعره واتبع به اقصا البلاد. وكان يفتي في شعره فكانت العرب تسميه صنّاجة العرب. ومن اخباره انه أتى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جأثرته. فقال الأسود: ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرساً. فاعطاه خمسمائة مثقال دهنًا وخمسمائة حللاً وعنبراً. فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فألقى حلقة بن علاثة. فقال له: أاجري. فقال: قد اجرتك. قال: من الجن والإنس. قال: نعم. قال: ومن الموت. قال: لا. فألقى عامر بن الطفيل. فقال: اجري. قال: قد اجرتك. قال: من الجن والإنس. قال: نعم. قال: ومن الموت. قال: نعم. قال: وكيف تُجيبني من الموت. قال: ان متّ واثت في جوارحي بعتت الى اهلك الدية. فقال: الان عملت انك قد اجرتني من الموت. فمدح عامراً وهجا حلقة. فقال حلقة: لو عملت الذي ارادك كنت اعطيتك اياه. ويُعبر عن الأعشى انه لما ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدة. فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صنّاجة العرب ما مدح احداً قط الا رفع في قدره. فلما ورد عليهم قالوا له: أين اردت يا ابا بصير. قال: اردت صاحبكم هذا لاسلم. قالوا: انه يهاك عن خلل ويجرها عليك. وكلها بك رفق ولك موافق. قال: وما هن. فقال ابو سفيان بن حرب: القار. قال: لعلني ان لقيته أن أصيب منه عوضاً من القار. ثم ماذا. قالوا: الربا. قال: ما دنت ولا ادنت. ثم ماذا. قالوا: الحمر. قال: اوه ارجع الى صُباة قد بقيت لي في المهراس فاشرجا. فقال له ابو سفيان: هل لك في خير ما هممت به. قال: وما هو. قال: نحن وهو الآن في هذنة فتأخذ مائة من الابل وترح الى بلدك سنلك هذه وتظن ما يصير اليه امرنا فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً وان ظهر علينا اتيت. فقال: ما اكره ذلك. فقال ابو سفيان: يا مبشر قريش هذا الأعشى والله لئن اتى محمداً واتبعه لاضرمن عليك نيران العرب

بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة
رمى به بعيره فقتله (الأناني لأبي النرج الأصماني)

أوس بن حجر (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأصمعي : هو أوس بن حجر بن مالك شاعر قديم من شعراء الجاهلية وفحولها .
يمجد في شعره ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان اتقطع الى فضالة بن كعدة لما جاد عليه من
النعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليمة . قال فيه اوس بن حجر يرثيه :

يا عين لا بد من سكب وتحمال على فضالة جلب الرز والعالى
أبا دليمة من توصي بارملة ام من لأشعث ذي طمرين محال
أبا دليمة من يكني الشيرة اذ امسوا من الأمر في لبس وببال
لا زال مسك وريحان له ارج على صداك بصافي اللون سلسال
ومن فاضل مرأثيه اياه ونادى قولاه :

ايها النفس أجلي جزا ان الذي تكرهين قد وقعنا
ان الذي جمع الساحة والى م حدة والخزم والقوى جعنا
الحليف المتسلف المرزا لم يجمع بضمف ولم يمت طبعنا
اودى وهل تنفع الإشاعة من شيء لمن قد يحاول الزما
وعمر أوس بن حجر طويلا وكانت وفاته في أول ظهور الاسلام

تأبط شرأ (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهسي احد محاضيد العرب ومفاويزهم المعدودين وقد
غلب عليه هذا اللقب لما اخبره الأصمعي قال : سارتا بط شرأ في ليلة ذات ظلمة وورق ورعد
فاخذ عليه الطريق اسد وقيل غول فلم يراوغه وهو يطلبه ويلتمس غرة منه فلا يقدر عليه حتى
ظفر به وقتله . فلما اصبح حمله تحت ابطه وجاء به الى اصحابه فقالوا له : لقد تا بطت شرأ فقال :

ألا من مبلغ فيان قم بما لاقيت عند رحي بطن
واني قد لقيت النول تحوي بسهب كالصميفة صممان
فقلت لها كلانا نضو أين اخو سفي فلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوى لها كفي بمصقول يمان
فأضربها بلا دهتي فخرت صريعا لليدين وللجوان
فقال مد فقلت لها رويدا مكانك اني ثبت الحنان
فلم انفك متكتا عليها لأنظر مصيحا ماذا آتاني

اذا عينا في رأس قبيح كراس الهرمشقوق الساسي
وساقا مخرج وشواة كلب وثوب من عبا اوشنان

ومن اخباره انه كان يشترعسل في نار من بلاد هذيل يأتيه كل عام . وان هذيل ذكرته
فرصدوه لإبان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابه تدلى فدخل النار وقد اغاروا عليهم . فانفروم
وسبقوهم ووقفوا على النار . فحروا الحبل فاطلع تأبط شرأ راسه . فقالوا : اصعد . فقال : لا
اراكم . قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فلام اصعد على الطلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك .
قال : فاراكم قاتلي وآكلي جنادي . لا والله لا افعل . قال : وكان قبل ذلك نقب في النار
نقبا اعده للهرب . قال : ففعل يسيل العسل من النار وجرقة ثم عمد الى الرق فشدته على
صدره ثم لصق بالسل . فلم يبرح يتلصق عليه حتى خرج سليما . وفاتم موضعه الذي وقع فيه
وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تأبط شرأ في ذلك :

اقول للبيان وقد صغرت لهم وطاي ويوي ضيق الحير معور
لكم خصلة اما فداء ومنه واما دما والقتل بالخر اجلد
واخرى اصادي النفس عنها وإخا لمورد حزم ان ظفرت ومصدر
فرشت لها صدري فزل عن الصفا به جو جره صلب ومتن مختصر
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا به كدحة خزيان والموت ينظر
فأبت الى قهم وما كنت اثبا وكم مثلها فارقتها وهي تصغر
اذا المرء لم يتحل وقد جد جده اضاع وقاسى امره وهو مدير
ولكن اخو الخزم الذي ليس نازلا به الامر الا وهو الخزم مبصر
فذاك قريع الدهر ما كان حولا اذا سد منه منخر جاش منخر
فانك لو قايت بالصب حياي . للبيان لم يقصر في الدهر . قصر

وكان تأبط شرأ اعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عيين . وكان اذا جاع لم تقم له
قالفة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظره اسمها . ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى ياخذ
فيذبحه بسيفه فيشويه ثم يأكله . وقيل ان تأبط شرأ لقي ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له
ابو وهب كان جبانا اهو ج وعليه حلة جيدة . فقال ابو وهب لتأبط شرأ : يم تغلب الرجال
يا ثابت وانت كما أرى دميم ضليل . قال : باسي . انما اقول ساعة ما اتى الرجل : انا تأبط شرأ
فيخاض قلبه حتى انال منه ما اردت . فقال له الثقيفي : فهل لك ان تبني اسمك . قال : نعم .
قال : فم تبناعه . قال : هذه الحلة وبكنيتي . قال له افعل ففعل . وقال له تأبط شرأ : لك
اسمي ولي كنيتك . واخذ حلته واعطاه طمره ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي :
ألا هل اتى الحسناء ان حليها تأبط شرأ واكنيت ابا وهب .

فَقَبْتُ تَسْمِيَّ اسْمِي وَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ : فَاَيْنَ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الْحَرْطِ
وَإَيْنَ لَهُ بَأْسٌ صَكَّائِي وَسَوْرَتِي : وَإَيْنَ لَهُ فِي كُلِّ قَادِحَةٍ قَلْبِي
وَقَتْلُ تَأْبِطِ شَرًّا فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ . وَرُبِّي بِهِ فِي غَارٍ يُقَالُ لَهُ رَحَّانُ (الْأَنْثَانِي)

حَارِثُ بْنُ حَلِزَةَ (٥٦٠ م)

١٦٩ هو ابن مكروه بن يزيد الشكري البكري صاحب المعلقة . وكان من خبر هذه
القصيدية والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جباراً عظيم الشأن
والملك لما جمع بكراً وتغلب ابني وائل واصلح بينها اخذ من الحيين رهناً من كل حي مائة غلام
ليكتف بعضهم عن بعض . فكان اولئك الرهن يكونون معه في مسيرهم ويغزون معه . فأصابهم
سُموم في بعض منيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات
ابنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه
بالقصة . فقال عمرو : اري والله الامر سينجلي عن أحمر أصم من بني يشكر . فجاءت بكر
الحارث بن حلزة وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن
كلثوم للحارث بن حلزة : يا أصم جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفتخرون عليك .
فقال الحارث : وعلى من اظلمت السماء كلما يفتخرون ثم لا ينكر ذلك . وقام الحارث بن حلزة
فارجل قصيدته هذه ارجحاً . توكل على قوسه واشدها واقطم كفه وهو لا يشعر من الضرب
حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي : انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضوح .
فقبل لعمرو بن هند ان به وشيحاً . فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلم اعجب بمنطقه فلم
يزل عمرو يقول : ادنوه ادنوه حتى امر بطرح الستر واقعده معه قريباً منه لا يجابه به . وغير
الحارث طويلاً وابنه ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)

دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ (٦٣٠ م)

١٧٠ هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل . وكان اطول الفرسان الشعراء
غزواً وابداهم اثراً واكثرهم ظفراً . وأبهم نقيباً عند العرب يقال انه غزا مائة غزاة ما اخفق
في واحدة منها . فادرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين ولا فضل
فيه للحرب . وانما اخرجوه تبعاً به وليقبسوا من وراثته . فنهزم مالك بن عوف من قول مشورتهم .
وقُتِلَ دُرَيْدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى شَرَكِهِ . وله في اخيه عبدالله مراثٍ اجاد فيها ما اراد . واخبر
ابو عبيدة قال : هجا دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَدْعَانَ التَّيْسِيَّ تِمِّمْ قَرِيشَ فَقَالَ :

هَلْ بِالْحَوَادِثِ وَالْإِيَامِ مِنْ عَجَبٍ : أَمْ بَابِنِ جَدْعَانَ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ كَلْبٍ

قَالَ : فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ بِكَافٍ فَنَجَّاهُ وَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي يَا دُرَيْدُ . قَالَ : لَا .

قال : فلمْ هجوتني . قال : من انت . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوئك لانك كنت امرأً كريماً فاحيثُ ان اضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساهُ وحمله على ناقةٍ ورحلها . فقال دُرَيْدٌ يمدحه :

اليك اَبْنُ جُدْعَانَ اَعْلَمْتُهَا مخففةُ السرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأً جوادَ الرضا وحليم الغضب
وجلداً اذا الحرب مرت به يعين عليها يمزله الحطب
رحلت البلاد فما ان أرى شبيه ابن جُدعان وسط العرب
سوى ملكٍ شامخٍ مُلكُهُ له البحر يجري وعين الذهب

وكانت وفاته في وقعة حُنين ادركه ربيعة بن ربيع السلي فاخذ بخطام جملة وهو يظن انها امرأة وذلك انه كان شعاراً له فاناخ به . فاذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له دُرَيْدٌ : ماذا تريد . قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن ربيع السلي . فانشأ دُرَيْدٌ يقول :

ويح ابن أكسة ماذا تريد من المرعش الذاهب الأدرد
فاقم لو أنَّ بي قوةً لوكت فرائصه ترعد
ويا كهف نفسي ان لا تكون معي قوة الشامخ الأورد

ثم ضربته السلي بسيفه فلم يبق شيئاً . فقال له : بش ما سلحتك أمك . خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القربا فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعاً (لابي زكريا النوي)

زُهَيْرُ بْنُ سَلَمَى (٦٣١ م) وَأَبْنُهُ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ (٦٥٣ م)

١٧١ زُهَيْرٌ هو ربيعة بن رباح المزني . وكان سيداً كثير المال في الجاهلية حليماً معروفاً بالودع . وهو احد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء . وهم امرؤ القيس وزُهَيْرُ والنابغة الذبياني . وكان ابو بكر يسميه شاعر الشعراء لانه كان لا يماثل في الكلام . وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً الا بما فيه ويعد عن مخف الكلام . ويصح كثير المعاني في قليل من الألفاظ . وكان يظن في مدح هرم بن سنان المزني من آل أبي حارثة احد غطارقة العرب . وله فيه غرر القصائد . وكان هرم قد آلى ان لا يمدحه زُهَيْرٌ الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه . ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او ولدة او فرساً . فاستحيا زُهَيْرٌ ما كان يقبله منه . فكان اذا رآه في ملا قال : عموا صباحاً غير هرم وخيركم استئثيت . حدث الجوهري عن عمر قال : قال عمر لابن زُهَيْرٍ : ما فعلت الحُكْلُ التي كساها هرم أباك . قال : ابلاها الدهر . قال : لكن الحُكْلُ التي كساها ابوك هريماً لم يلبها الدهر

وأما ابنه كعب فهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء وكان له أخ اسمه يُجَيْر سمع من محمد فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغنا عني بُجَيْراً رسالةً على أي شيء ويب فبك دلكا
على خلقي لم تُلَفْ أمّا ولا أبا عليه ولم تُدرك عليه أخاك لكا
سفاك أبو بكر بكاس روية فاحلك المأمون منها وعلكا

فبلغت آياته محمداً فغضب عليه واهدر دمه . وقال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله . فكتب إليه أخوه يُجَيْرُهُ وقال له : انج وما أراك بمقتل . وكتب إليه بعد ذلك يأمره ان يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدته (بانت سعاد) يعتذرها الى محمد فأمنه (الأطافي)

الشَّنْفَرَى (٥١٠م)

١٧٢ هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر من أهل اليمن . والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الأزد من العدنانيين . وكان في العرب من العدنانيين من لا يلحقه الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمر بن براق وأسير بن جابر وتباط شراً . وكان الشنفرى حلف ليقتل من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى : لطفك . ثم يرميه فيصيب عينه . فاحتالوا عليه فامسكوه وكان الذي أمسكه أسير ابن جابر أحد العدنانيين رصده حتى تزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً . ثم قتله فرجل منهم بجحيمته فصر بها برجله فدخلت شظية من الجمجمة فأت منها . فتمت القتلى مائة . وله الشعر الحسن في الفخر والحامسة منه لايتنه المعروفة بلامية العرب (الميلداني)

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ (٥٩٦م)

١٧٣ هو أبو نجد عروة بن الورد بن زياد العبسي شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها المتقدمين الأجواد . وكان يُلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش الا مفزاه وكان يمارض حائماً في جوده . فكان غض الطرف قليل الفخس كثير العطاء حامياً لحقيقته . ومن شعره قوله :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شك الفقر أو لأم الصديق فاكثرا
وصار على الأدنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القرى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من كل وجهة من الناس الا من أجده وشعرا
فيسر في بلاد الله والتميس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فتعذرا
وقتل عروة في بعض غاراته . قتله رجل من طهية (من ديوانه)

عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ (٥٧٠ م).

١٧٦ هو ابن مالك بن عتاب التغلبي صاحب الملقبة المروفة . وله في شعره غرائب بغوص في بحر الكلام على دُرِّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيباً بسوق عكاظ في مواسم مكة . وبنو تغلب تُعظمها جداً يرونها صفارها وكبارها . ولأحضرته الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنوه فقال : يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي . ولا بد أن ينزل لي ما نزل جمع من الموت . وإني والله ما عيّرت أحداً بشيء إلا عُيّرت بمثله . إن كان حقاً فحقاً وإن كان باطلاً فباطلاً . فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم . وأحسنوا جواركم يُحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب . وإذا حدثتم فموا . وإذا حدثتم فأوجزوا . فإن مع الاكتار تكون الأهدار . وأشجع القوم العطوف بعد الكثر كما أن أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا من إذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لا يرجي خبره ولا يخاف شره . فسكوه خير من دره . وعقوه خير من بره .

عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيَّةُ (٦١٥ م)

١٧٥ هو عنتره بن شداد العبسي . وكانت أمه أمة حبشية يقال لها زبيبة . وكان سب أدماء أبي عنتره أباه أن بعض أحياء العرب أناروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلهم فتبعهم العبسيون فلحقهم فقاتلهم عامهم وعنتره يومئذ فيهم فقال له أبوه كبر يا عنتره . فقال عنتره : العبد لا يحسن الكبر . إنما يحسن الحلب والصبر . فقال : كر وأنت حرٌّ فكر . وقاتل يومئذ قتالاً حسناً فادماه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه . وعنتره أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنتره وخفاف بن نذبة والسليك بن سلكة . قال أبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وطيهم قيس بن زهير فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنتره . ولحقهم كبشكبة من الحيل فحماى عنتره عن الناس فلم يصب مدبر . وكان قيس بن زهير سيدهم فساءه ما صنع عنتره يومئذ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء . وكان قيس أكلوا فبلغ عنتره ما قال . فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها :

| | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| بكرت تخوفني الخُتُوفَ كَأَنِّي | أصبحتُ عن عرض الخُتُوفِ بَمَعَزِلِ |
| فاجئها إن المبة منهل | لا بد أن أسقى بكأس المنهل |
| فإني جءك لا أبأ لك وأعلي | أني امرؤ سأموت إن لم أقتل |
| إن المبة لو تمثّل مُتَلَّتْ | مثلي إذا تزلوا بضنك المنزل |
| إني امرؤ من خير عبس منصّباً | شطري وأحيي سائري بالمنصّل |

وإذا الكتيبة أجمعت وتلاحظت ألفت خيراً من مسمّ مخولب
والخيل تعلم والفوارس أتت فرقت جمعهم بضربة فيصلب
ان يلغوا أكرروا وان يستلموا اشدّذ وان يلغوا بضنك أنزل
ولقد أبيت على الطوى واطلته حتى انال يوكرم المأكلي

وقيل لعنته أنت أجمع العرب قال : لا . قال : فبإذا شاع لك هذا في الناس . قال : كنت أقدم اذا رأيت الإقدام عزماً . وأجمع اذا رأيت الاجحام خرمًا . ولا أدخل موضعاً ألا أرى لي منه مخرباً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربة الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأتني عليه فاقته . وحدث عن عمر بن الخطاب انه قال للحطية : كيف كنتم في حركم . قال : كنّا ألف فارس حازم . قال : وكيف يكون ذلك . قال : كان قيس بن زهير فينا . (وكان حازماً) فكنّا لا نصيه . وكان فارسنا عنتره فكنّا نحمل اذا حمل ونجم اذا أجمع . وكان فينا الريع بن زياد وكان ذا رأي فكنّا نستشيرُه ولا نخالفُه . وكان فينا عروة بن الورد فكنّا نأتمُّ بشعره فكنّا كما وصفت لك . فقال عمر : صدقت . قال ابن الكلبي : كان عمرو بن معدي كرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقي حرّاًها وهيمناها يعني بالحرّين عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب والعبدين عنتره والسليك بن السليكة . وكان عنتره أحسن العرب شيمه وأعلامهمه وأعزهم نفساً . وكان مع شدة بطشه حليماً لين العريكة سهل الأخلاق . وكان شديد النخوة كريماً مضيقاً لطيف المخاضرة رقيق الشعر . وله فيه لطائف كثيرة يعرض فيه عن تناثر الألفاظ وخشونة المعاني . وعمر عنتره تسعين سنة

النابغة الذبياني (٦٠٤ م) والنابغة الجعدي (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمية . وهو أحد الأشراف الذين غضّر الشعر منهم . وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء . وإنما لقّب نابغة لطول باعه في الشعر . وكان يضرب للنابغة قبة من آدم بسوق عكاظ فدأبته الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان النابغة كبيراً عند التمان خاصاً به . وكان من ندمائه وأهل أسره . ثم تغير عليه وأوعده وتهدده . فهرب منه فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسان فامتحهم . ثم كتب الى التمان يعتذر اليه بقصيدته المسمية التي مطلعها (يا دارمية) . فأمته التمان واستنشدته من شعره فأذن له ان ينشده قصيدته التي يقول فيها :

حلفت فلم أترك لنفسك ريةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منها كوكبٌ

ثم أسّ النابغة وكبر وتوفي في السنة التي قُتل فيها التمان بن المنذر
أما النابغة الجعدي فهو أبو ليلى حسان بن قيس وكان أسن من النابغة الذبياني . وكان

شاعراً مقلداً طويل البقاء في الجاهلية والاسلام . نادى المذمر ومدحه وكان على دين الخبيثة يتر بالتوحيد ويعصم ويستغفر ويتوقع اشياء لواقبها ومن قوله :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها ففسد ظلا

الحافظ الراقع السماء على ال أرض ولم يبين تحتها دعاء

وكانت وفاته بأصبهان وله من العمر ما ينيف على المائة (شعراء الجاهلية لابي عبيدة)

الشعراء المخضرمون

حسان بن ثابت (٦٧٥ م) (٥٤ هـ)

١٧٧ هو أبو عبد الرحمان حسان بن ثابت بن المذمر الأنصاري من المخضرمين . عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام وتوفي بالمدينة . وقد أجمعت العرب على ان حسان أشعر أهل المذمر . ولما كان أهل مكة يعيرون الاسلام ويهجون صاحبه أذن محمد لحسان أن يحكي أعراض المسلمين فقال : اجمعهم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس . ومن قوله في الفخر :

نحنُ الملوك فلا حيُّ يقارننا منَّا الملوك وفيما يُؤخذ الرُّبعُ

تلك المسكارم خزانها مقارعة إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلهم عند النهاب . وفضلُ المرء يُدعُ

وتنحر الكوم عبطاً في منازلنا للنازلين اذا ما استطمعوا سعيوا

ونحن نطعم عند التحل ما أكلوا من العسيط اذا لم يظهر الفزعُ

وتنصر الناس تأتينا سرانهم من كل أوبى فمضي ثم تلعبُ

وقد تستحسن له قصائد في وقعة بدر يفخر بها . وفي آخر حياته كُف بصره

الخطبة

١٧٨ الخطبة لقبُ لقب به لقصره واسمهُ أبو مليكة جبرول بن أوس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدمهم وفصحاهم . متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر . وكان ذا شرف وسفهِ ينسب الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . وكان الخطبة مطبوعاً على الهجاء وفي النفس قبح المنظر رث الهيئة فاسد الدين . وكان بذياً هجاء . فالتبس ذات يوم إنساناً يهجو فلم يحده وضاق عليه ذلك فانشأ يقول :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بشرٍ فما أري لئن أنا قائله

وجعل يدهور هذا البيت في أشدائه ولا يرى إنساناً اذا أطلع في ركي فوأي وجهه فقال :

أرى لي وجهاً شره الله خلقه ففتح من وجهه وفتح حامله

قال ابن أبي بكرة لقيت الخطبة بذات عرق فقلت له : يا أبا مليكة من أشعر الناس

فاخرج لسانه كأنه حية ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مر ابن الحماة بالحطينة وهو جالس بفناء بيته فقال : (السلام عليكم . فقال : قلت ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بنير زائد . فقال : ما صنعت لأهلك قراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فائقاً به . قال : دونك الجبل يغني عليك . قال : انا ابن الحماة . قال : انصرف وكن ابن أي طائر شئت . ومن شعره في المديح :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت السماء فيهم جزوا بها وإن قال مولاهم على جمل حادث
وكان الحطينة يهجو الزيرقان بن بدر . فاستعدى عليه الزيرقان عمر بن الخطاب فرفضه
عمر إليه ثم أمر به فجعل في يده فأنشده :

ماذا تقول لأفراخ بذي مخز أقيت كاسيهم في قعر مظلمة
رغب لحوصل لا ماله ولا شجر ألقى البك مقاليد النهي البشر
فأغفر عليك سلام الله يا عمر لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
لم يؤثرك بها إذ قدموك لها بين الأباطح تشاهم بها القرر
فاخرجه وقال له : إياك وهجا الناس فاقام بالبادية الى وفاته في خلافة عمر وكان قد بلغ
من العمر ثماناً ومائة سنة (الأعاني للاصبهاني)

الحلساء (٦٤٦ م) (٥٢٤ هـ)

١٧٩ هـ هي تخاضعت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سليم من أهل نجد من شوارع العرب . وأجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكان التابعة الذيباني يجلس شعراء العرب بعكاظ على كرسي يشدونه فيفضل من يرى تفضيله . فأنشده في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها : لولا ان هذا الأعشى انشدني قبلك (يعني الأعشى) فصلتك على شعراء هذا الموسم . وأكثر شعرها في مراثي اخوها معاوية وصنجر . وكان صنجر قتل يوم الكلاب من أيام العرب . فلما مات دفن في أرض بني سليم بقرب عسب وحضرت الحسناء لقادسية مع بنها وهم أربعة رجال فقالت لهم : من أول الليل يا بني انكم أسلمت طائمين ومهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها . وجلت نار اطلأ أوراقها . فتمسوا وطيسها . وجدلوا ريسها . تظفروا بالغمم والكرامة . في

دار الخلد والمقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ففقدوا واحداً بعد واحد يشدون اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لم حتى قُتلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم مستقر الرحمة . وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنينا الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض . ومن قولها في أخيها صخر :

ألا يا صخر ان أبكت عيني فقد أضحكني زمناً طويلاً
بكيتك في نساء ممولات وكنت أحق من أبدى العويلاً
دفعت بك الخطوب وأنت حي فن ذا يدفع الخطب الجليلاً
إذا فجع البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلاً
ولها فيه : إذ ذهب فلا يُعدّ لك الله من رجل دراك ضمير وطلاب بأوتار
فسوف أبكيك ما مات مطوقة وما أضاعت نجوم الليل للساري

وقالت ايضاً :

وما بلغت كفى امرئ متاولاً من الجدة الآ والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مِدحةً وان أطنبوا الآ الذي فيك أفضل
وقبل ان الحفساء أدركت الاسلام وأسلمت (للشريفي)

عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبَ (٦٤٣ م) (٢١١ هـ)

١٨٠ هو أبو ثور بن عبد الله الزبيدي الصمائي من سادات أهل اليمن وفصحاءهم يقول الشعر الحسن . وكان بعيد الفارة وشهد يوم القادسية وله فيها بلاه حسن . وكان هو آخر القوم . وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها . فأتى بفرس فأخذ بكوة ذنبه وأجلد به إلى الأرض فألقى الفرس فرده . وأتى بأخر ففعل به مثل ذلك فتحمل ولم يقع . فقال : هذا على كل حال أقوى من تلك . وقال لأصحابه : اني حامل وطائر الجسر فان اسرعت بمقدار جزر الجزر وجدعوني وسيفي يدي أقاتل به تلقاء وحبي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت وجردت . وان ابطأت وجدعوني قتلاً بينهم وقد قتلت وجردت ثم انقش فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زبيد تدعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوه حياً . فحملوا فاتموا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من الجمع فأسكها وان الفارس لضرب الفرس فاستقدر ان تتحرك من يده . فلما غشاه رعى الأعجمي نفسه وخلق فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني . قالوا : أين فرسك . قال : ربي بشابة فسب فرسي . ثم شد على رستم وهو الذي كان قد ملك الفرس وكان رستم على قيل . فجذم عرقوبه فيسقط فأت رستم من ذلك فاضرم الفرس . وله في الحروب أخبار ماثورة يضرب الأعداء بسيفه الصمصامة . قيل ان عمر بن الخطاب استوهب الصمصامة فوهبه عمرو له . فقيل

لعمرى : انه غيره فذكر له ذلك فغضب وقال : هاته فاضرب عنق بعير ضربة واحدة فاباها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقبل له : انك شجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقمة اليرموك وكان يستشير القوادى في حروبه .

لَيْسِدُ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامري أحد شعراء الحاهلية المدودين فيها والمخضرمين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المصميين . وأدرك لبسدا لبيد الإسلام وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام عمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمره مائة وخمسا واربعين سنة . وكان لبسدا جوادا من أفصح شعراء العرب وأقلم لغوا في شعره يقضى منه العجب لجودة اختياره وصحة إنشاده . وقيل انه هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعه : الحمد لله اذ لم يأتي أحلي حتى لبست من الإسلام سرا لا ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان عمر بن الخطاب استنشد أيام خلافته من شعره فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشر . فسر عمر بجوابه وأجزل عليه العطاء . وله المعلقة المقامة المشهورة (لاني عبدة)

الشعراء المسلمون

إِبْنُ خَفَاجَةَ (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) (١٠٦٠ - ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو اسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ولد بمجزرة شقر من أعمال بلنسية من بلاد الاندلس وكان مقيما شرق الأندلس ولم يتعرض لاستراحة ملوك طوائفها مع خافتهم على أهل الأدب . وله ديوان شعر احسن فيه كل إحسان . وابن خفاجة هذا هو مالك أعنة المحاسن ونهاج طريقها . المارف بترصيعها وتنسيقها . الناظم لعقودها . الراقم لبرودها . المجيد لإبرافها . العالم بجلالاتها وزفافها . تصرف في فنون الإبداع كيف شاء . وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء . فشمع القول وروقه ومد في ميدان الاعجاز طلقه . فجاء نظامه ارق من النسيم العليل . وآتى من الروض البليل . يكاد يترج الروح . وترتاح له النفس كالنفس المروح . ان وصف فناهيك من غرض انفراد بمضماره . وتجرد بحسب ذماره . وان مدح فلا الأعشى للمخلق . ولا حسان لأهل جلق . وان تصرف في فنون الأوصاف . فهو فيها كفارس خصاف . وكان في شيبته مخلوع الرسن . في ميدان مجونه . كثير الوسن . بين صفا الاتهاك ومجونه . لا يالي بمن أكتبس . ولا اي نار اقتبس . الا انه قد نسك نسك ابن أذينة . وغض عن ارسال نظره في اعقاب الهوى عنه . وقد اثبت ما يقف عليه اللواء .

(قلائد العيان لابن خاقان)

وتصرف اليه الاهواء

ابن دُرَيْدٍ (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) (٨٣٩ - ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أبو بكر محمد بن دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ ولد بالبصرة ونشأ بعمان . وطلب علم النحو وكان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وانساب العرب وأشعارهم . وكان شاعراً كثير الشعر . فمن ذلك مقصودته المشهورة فكان يقال ان أبا بكر بن دُرَيْدٍ أعلم (الشعراء وأشعر العلماء) . وله في الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتاب إلى غير ذلك . وذكر انه مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفِنَا في مقبرة الخيزران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيْدٍ والجبائي . ورثاه حجة فقال :

فَقُلْتُ بَابِن دُرَيْدٍ كُلُّ مُنْفَعَةٍ لَّمَّا خَدَا ثَلَاثَ الْأَحْجَارِ وَالتَّرَبِّ
فَدَكُنْتُ أَبِي لَفَقْدَ الْجُودِ أَوْنَةٌ فَصُرْتُ أَبِي لَفَقْدَ الْجُودِ وَالْأَدَبِ (الانباري)

ابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ - ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يفوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويرزها في أحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية . وله القصائد المطولة والمقاطع البديعة . وله في الهجاء والمدح كل شيء ظريف . فمن ذلك قوله وما سبقه أحد إلى هذا المعنى :

أَرَأَوْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نُجُومٍ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِحٌ تَجْلُو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ رُجُومٍ

ومات ابن الرومي ببغداد وفيها يقول وقد ناب عنها في بعض أسفاره :

بَلَدٌ صَحِبَتْهُ الشَّيْبَةُ وَالصَّبَا وَلَيْسَتْ تُوبُ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدُ
فَإِذَا تَجَلَّى فِي الْقُسَيْرِ رَأْيُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ

ابن زَيْدُونَ (٣٥٤ - ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ - ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور كان غاية مثور ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حر الأيام حراً . وفاق الأتام طراً . وصرف السلطان نقماً وضراً . ووسع البيان نظماً ونثراً . إلى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للدرر تألقه . وشعر ليس للبحر بيان . ولا للنجوم اقترانه . وحظ من التفرغ للمعاني . شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة . وبرع أدبه وحاد شعره . وعلا شأنه وانطلق لسانه . ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب إشبيلية فجعله من خواصه يحاسبه في خلواته . ويركن إلى إشارات . وكان معه في

صورة وذير وله شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله:

يا بانعا حظهُ مني ولو بُدات لي الحياةُ بحظي منه لم أبغ
يكفك أنك إن حملت قلبي ما لا يستطيع قلوبُ الناس يستطع
ته أحمل وأستطيل أصبر وعزاً هن وول أقبل وقل أسمع ومن أطلع
وله القصائد الطائفة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائده قصيدته النونية
التي منها: تكاد حين تناجيكم ضايرنا يقضي علينا الأمل لولا تأسنا
حالت لبعدم أماننا فعدت سودا وكانت بكم بيضا لبالنا
بالأس كئنا وما يُحشى تفرقنا واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
وهي طويلة وكل أياها تُحب . وكانت وفاته بأشيلية (الذخيرة لابن بسام)

ابن مطروح (٥٩٢ - ٦٥٩ هـ) (١١٩٧ - ١٢٥٢ م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقب جمال الدين من أهل سعيد مصر . ونشأ
هناك وأقام بقوص مدة وتقلت به الأحوال في الخدم والولايات . ثم اتصل بخدمه السلطان
الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين الأيوبي . وكان اذ ذاك نائبا عن أبيه الملك
الكامل بالديار المصرية فرتبه السلطان نظرا في الخزانة . ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده الى
ان ملك الملك الصالح دمشق . فرتبه بدمشق نائبا في صورة وزير لها . فحسن حاله .
وارتفعت منزلته . ثم تغير عليه الملك الصالح وتكرله وعزله عن ولايته لأموه نغمها عليه . فقي
ابن مطروح مواظبا على الخدمة مع الاعراض عنه الى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وأقام
بها في داره الى وفاته . وكانت أدواته جميلة وخلافة حميدة . جمع بين الفضل والمروءة
والأخلاق المرضية . ويستجاد له قوله في بعض أسفاره وقد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض:
يا رب ان عجز الطبيب فداوني بلطف صنعك واشفني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُبيت وإن من شيم الكرام البر بالاضياف
وكان بينه وبين أدباء عصره مذكرات أدبية لطيفة ومكاتبات في الغيبة . واجتمع في
مصر بهاء الدين زهير الشاعر . ولابن مطروح ديوان شعر يتداوله الناس (لابن خلكان)

ابن التيه (٥٥٩ - ٦١٩ هـ) (١١٦٥ - ١٢٢٣ م)

١٨٧ هو أبو الحسن علي الشاعر البارع كمال الدين بن التيه المصري . بدر فصاحته تعلّى
بصفة الكمال . وشمس بلاغته لا يعترى سناها زوال . كلامه تعشقه الطباع . وتلتذ به الأسماع .
وله شعر اعذب من الماء الزلال وأغرب من السحر الحلال . ونثره ألطف من ككاسات
الشمول وأرق من نسائم الشمال . فالنظم والنثر عنده جنتان عن يمين وشمال . مدح بني

أَيُّوبَ وَاتَّصَلَ بِالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى وَكَتَبَ لَهُ الْإِنْشَاءَ . فَجَبَّرَ حُلُلَ الْبَرَاةِ وَوَشَّى . وَاطْرَبَ الْمَسَاعِ وَأَنْشَأَ . وَمَدَحُهُ بِقَصَائِدَ نَظَّمَ جَاءَ فِي جِدِّ الدَّهْرِ اللَّائِي . وَخَلَّدَ ذِكْرَهُ فِي صَحَافِ الْأَيَّامِ وَاللِّبَالِي . وَلَهُ الدِّيَوَانُ الْمَشْهُورُ الْفَتْنِيَّةُ مِنْ تَنْتَاجِ فِكْرِهِ . وَنَفَثَاتِ سَمَرِهِ . لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَقِي الدَّرَّةَ الْفَرِيدَةَ وَاخْتَأَى . وَتَقَرَّرَى النَّادِرَةَ الشَّارِدَةَ لِيَثْبَتَهَا . وَسَكَنَ ابْنُ التَّبِيَةِ نَصِيدِينَ الشَّرْقِ وَتَوَقَّى جَاءَ

أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ (١٩٠ - ٥٣١) (٨٠٧ - ٨٤٦ م)

١٨٨ قال الصولي: كان أبوه نصرانياً . وكان واحد عصره في ديباجة لفظه وبضاعة شعره وحسن أسلوبه . وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله . واثقان معرفته بحسن اختياره . وله مجموع آخر سماه (خول الشعراء) جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمختصرين والاسلاميين . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره . قيل انه كان يحفظ أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب البصرة . وقال العلماء: خرج من قبيلة طي ثلاثة كل واحد مجيد في باب حاتم الطائي في جوده . وداود بن نصير الطائي في زهده . وأبو تَمَّامٍ حبيب بن أوس الطائي في شعره . وأخباره كثيرة ورأيت الناس يطبقون على انه مدح الخليفة بقصيدته السنية فلما انتهى فيها إلى قوله:

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أخف في ذكاه إياس
قال الوزير أنشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد يقول:
لاتكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فاله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والتبراس
فقال الوزير للخليفة: أي شيء طلبه فاعطه . وذكر الصولي ان أبا تَمَّامٍ لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله:

ديعة سمحة القياد سكوب مستفيث بما الترى المكروب
لوسمت بقعة لأعظام أخرى كسنى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الزيات: يا أبا تَمَّامٍ انك لتخلي شعرك من جواهر لفظك وبتدع معانيك ما يزيد حسناً على جي الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدْخِرُ لك شيء من جزيل المكافاة ألا ويقصر عن شعرك في الموازنة . ورتاه الحسن بن وهب بقوله:

فجيع القرىض بجاتم الشعراء وندير روضته حبيب الطائي
ماتا ممّا فقبجورا في حفرة وكذاك كانا قبل في الأحياء

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (١٣٠ - ٥٢١) (٧٤٨ - ٨٢٧ م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المَعْرِي المروفي بابي العتاهية الشاعر المشهور مولده

بعين السمروهي بليدة بالجماز قرب المدينة . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار فقيل له الجرار . قال اجمع السلي الشاعر المشهور . اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه . فدخلنا فامرنا بالجلوس فأتقنا ان جلس بجني بشر بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشار حساً فقال لي : من هذا . فقلت : أبو العتاهية . فقال : أترأه ينشد في هذا المحفل . فقلت : احسبه سيفعل . قال فامرهُ المهدي فانشد :

أنته الخلاقة منقادةً اليه تجرّ اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو راسها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بناب القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشار : انظر ويحك يا اجمع هل طار الخليفة عن فرشه . قال اجمع : فوالله ما انصرف احد عند ذلك المجلس بمجازة غير أبي العتاهية . وله في الزهد اشعار كثيرة وهو من مقدمي المولدين في طبقات بشار وأبي نواس وتلك الطائفة . وشعره كثير . وتوفي ببغداد ولما حضرته الوفاة قال : اشتيت ان يحيى مخارق المغني ويغني عن رأسي . واليثنان نه من جملة أبيات
إذا ما انقضت مني من الدهر مدتي فإن عزاء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكرني وتُنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
وأوصي ان يكب على قبري :

إن عيشاً يكون آخره الموت لعيش مجمل التغيض (لابن خلكان)

أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٩٣٣ - ٩٦٩ م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهره وشمس عصره أدباً . وفضلاً وكرماً ومجداً . وبلاءً وبراعةً . وفروسيةً وشجاعةً . وشعره مشهور بين الحسن والجودة . والسهولة والجزالة والمذوبة . والفخامة والحلاوة . ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعدّ أشعر منهُ عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : بدى الشعر بملك وختم بملك . يعني امرأ القدس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحاشى جانبه . فلا يبري لمباراته . ولا يمتدح على مجاراته . وانما لم يمدحه ومدح من دونه من كل حمدان تحيياً له واجلالاً . لا اغفالاً واضلالاً . وكان سيف الدولة يحب جداً يحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه . ويستحبّه في غزواته ويستنقذه في أعماله . وأمر أبو فراس مرتين فالمرّة الاولى بمقارة الكل في ستة ثمان واربعين وثلاثمائة وما تمدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفراة يجري من تحتها . وفيها انه ركب فرسه وركضه برجله فاهوى به من أعلى الحصن

الى القرأت . والمرة الثانية أسرهُ الروم على منيع في شوال سنة احدى وخمسين وحملاه الى قسطنطينة . وأقام في الاسر اربع سنين وله في الاسر اشعار كثيرة مشتهة في ديوانه . وكانت مدينة منيع اقطاعاً له ومن شعره :

قد كنت هديني اسطرها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بضد ما أملتُ والمرء يشرق بالزلزال البارد
فصبرت كالولد التي لبره أغضى على ألم لضرب الوالد
ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي اسرته في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . ورأيت في ديوانه انه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته :

ابنيتي لا تجزي كل الأثام الى ذهاب
نوحى علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا كلمتني فعيت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يجمع بالشباب
هذا يدل على انه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة (اليقينة للثعالبي)

أبو نؤاس (١٤٥ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م)

١٩١ هو أبو علي الحسن بن هاني المعروف بابي نؤاس الحكيم الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلّه والبة بن الحباب . ورأى فيه تماثيل النجابة فصار أبو نؤاس معه . ورؤي ان الحبيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نؤاس عن نسبه فقال : أغثناني أدبي عن نسي . فاسمك عنه . قال اسماعيل بن نوح : ما رأيت قط اوسع طمأ من أبي نؤاس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وطي بن حمزة فهذا يوجد ديوانه مختلفاً ومع شهرة ديوانه لا حاجة الى ذكر شيء منه . ورأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النؤاس : ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وكان محمد الأمين قد منخط على أبي نؤاس لقضية جرت له معه فتهدده بالقتل وحبسه .

فكتب اليه من السجن :

بك أستجير من الردى متعوذاً من سطو باسك
وحياة رأسك لا اعو دُ لثلاثها وحياة رأسك
من ذا يكون أباً نوا سك إن قتلت أباً نوايسك

وله معه وقائع كثيرة . وكانت وفاته ببغداد . وأما قيل له أبو نواس لذو ابنتين كانتا له
توسان على طائفة . وصفه أبو عبد الله الجباز قال : كان أبو نواس اطرف الناس منطقاً
وأغزرم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً وأكثرهم حياء . وكان ابيض اللون جميل
الوجه مليح النخمة والإشارة . ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم
الأنف . حسن العينين والمضحك . حلو الصورة لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان
جيد البيان . طرب الالفاظ حلو الشائل كثير الوادر . وأعلم الناس كيف تكلمت العرب .
راوية للاشعار علامة بالأخبار كأن كلامه شعرٌ موزون (لابن خلكان والقيرواني)

الأيوردي (٤٩٨ - ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ - ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس الأيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء
المشاهير راوية نسبة شاعراً طريفاً . قسم ديوان شعره الى أقسام منها المراقبات ومنها النجديات
وغير ذلك . وكان من أخير الناس بعلم الأنساب . نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات . وكان
فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرفاً في فنون حجة من العلوم . طارفاً بتاريخ
العرب فصيح الكلام حاذقاً في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهره وحيد
عصره . وكان فيه تبه وكبر وعزة نفس . ومن بحاسن شعره قوله :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ملكننا أقاليم البلاد فأذغت | لنا رغبةً أو رهبةً عظاؤها |
| فلما انتهت أيامنا عقلت بنا | شدائد أيام قليل رخاؤها |
| وكان الينا في السرور ابتسامها | فصار علينا في الصوم بكائها |
| وصرنا نلالي الثابتات بأوجه | رفاق الحواشي كاد يقطر ماؤها |
| إذا ما هممنا أن نبوح بما جئت | علينا الليالي لم يدعنا حياؤها |

وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ايورد وكتاب المختلف والمؤتلف . وطبقات كل فن
وما اختلف واثبت في أنساب العرب . وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثله . وكان
حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة . وكانت وفاته باصهان مسموماً (لابن خلكان)

البحثري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ - ٨٩٨ م)

٩٣ هو أبو عباد الوليد بن عبيد البحثري شاعر مقدم لا يعدل به أحد يفضل على حبيب .
والناس في تفضيلها على اختلاف . ولد بحنيج ونشأ وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح
جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ثم عاد الى الشام . وكان حسن
المذهب تقي الكلام حتم به الشعراء المحدثون . وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان
بضاعته فيه نزرة . وحدث البحثري عن نفسه قال : وكان أول امرئ اني دخلت على أبي

سعيد محمد بن يوسف المري فانشدته قصيدة أولها : (أأفاق صب من هوى فأيقنا) .
فسر أبو يوسف بما وقال : أحسنَ والله يا فتى واجدت . وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب
الجلس منه فوق كل من حضر . فاقبل علي وقال : أما تستحي مني . هذا شعري تنقله وتنشده
بمحضرتي . فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول . قال : نعم . وأما علقه مني وسبق به اليك وزاد
فيه . ثم اندفع فانشد أكثر القصيدة حتى تشككت في علم الله في نفسي وبقيت متحيراً . فقال لي أبو
سعيد : يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يفنيك عن هذا . فجعلت احلف بكل محرجة من
الايان ان الشعر لي ما سمعته منه ولا اتلته فلم ينفع ذلك شيئاً . وأطرق أبو سعيد وقطع لي
حتى تمنيت ان يساخ بي في الارض . فقصت منكسف البال اجر رجلي فما بلغت باب الدار حتى
ردني الغلام . فاقبل علي الرجل وقال : الشعر لك يا بني . والله ما قلته قط ولا سمعته إلا منك .
ولكنني كنت ظننت انك تخاوت بموضعي فاقدمت على الانشاد بمحضرتي تريد مضاهاتي حتى
عرفني الامير نسبك . ولوددت ان لاتلد طائفة إلا مثلك . ودعاني وضعتني اليه وياقني وأبو
سعيد يضحك . فلزمته بعد ذلك واخذت عنه واحذيت فنه

وعن أبي القوث عن ابيه البحتري قال : قال لي أبو غمام : بلغني ان بني حميد اعطوك ما لا جليلاً فيم
مدحتهم فأشدني شتاً منه . فانشدته فقال لي : كم اعطوك . فقلت : كذا . فقال لي : ظلوك . ما
وفوك حقلك والله كبيت منها خير مما اخذت . ثم اطرق قليلاً ثم قال : لعمري لقد مات الكرام
وزهب الناس وفاضت المسكرم وكسدت اسواق الأدب . انت والله يا بني امير الشعراء غداً
بعدي . فقصت فقصت رأسه ويديه ورجليه وقلت : والله لهذا القول اسر لي ما وصل الي منكم .
قيل البحتري أيكما أشعر انت أو أبو غمام قال : جيده خير من جيدي وردتي خير من رديته .
وصدق فان أبا غمام لا يمتلق به احد في جيده . وربما اختل لفظه لا منته . والبحتري لا يحتل لفظه .
وقيل له : قد مئرت باخذائك أبا غمام في شعرك . فقال : أعياب علي ان اتبع أبا غمام ما عملت
بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي . وذكروا معنى تعاوره البحتري وأبو غمام فقال المبرد البحتري :
انت في هذا أشعر من أبي غمام . فقال : لا والله ذلك الرئيس الأستاذ . والله ما اكلت الخبز إلا
به . قال المبرد : شعر البحتري احسن استواء من شعر أبي غمام . لان البحتري يقول القصيدة كلها
تكون سليمة من طعن طاعن . وأبو غمام يقول البيت النادر والبادر . (وهذا المعنى كان اعجب
الى الاصمعي) . وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدرّة ثم قال : لأبي غمام والبحتري من المحاسن ما لو
قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله وذكر المبرد شعراً له وقدمه على نظرائه :

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| واذا ذكرت محاسن ابني صاعد | أدت اليك مخالب ابني مخلد |
| كالفردين اذا تأمل ناظر | لم يعل موضع فرقد عن فرقد |
| وعندها : أغنت يداي وشرّد جوّد | بجلي فافقرني بما أغضاني |

وله أيضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الأسد وقتله :

حملت عليه السيف لاعطفك انثى ولا يدك ارتدّت ولا حذّه نبا
فاجهم لما لم يحيد فيك مطعماً وصمم لما لم يحيد عنك هرباً
وله فيه : وما منع الفتح بن خاقان نسله ولكنها الايام تعطي وتحريم
صاحب خطائي جوّده وهو مسبل ويحمر عذابي فيضه وهو مفعم
أأشكو نداء بعدان وسع الوري ومن ذا يذم النيك الآمدم

والبحثري مكبر جداً وديوان شعره منسج مختلفاً بالزيادة والنقص لأن شعره لا ينضب
كثرتّه . قال البحثري : كنت أدم الشعر في حديثي وكنت ارجع فيه الى الطبع ولم أكن اقف
على تسهيل مأخذ وجوه اقتضابيه حتى قصدت أبا غم وانقطعت فيه اليه وانكلت في تعريفه
عليه . فكان أول ما قال لي : أبا عاده تحب الأوقات وانت قليل الحسوم صفر من الغنوم .
ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم . فان
اردت النسب فاجمل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً . واذا اخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه . وأظهر
مناسبة . وأين معالنه . وإياك ان تشين شعرك بالألفاظ العجبة . وكن كألك خياط تقطع
الثياب على مقادير الأجسام . واذا عارضك الضحير فأرح نفسك ولا تعمل شعراً إلا وانت فارغ
القلب . واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظم . فان الشهوة تجمع النفس .
وجملة الحال ان تمتب نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وا تركوه
فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى . فاعلت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحثري انه كان بحلب شخص يقال له طاهر ابن محمد الهاشمي مات ابوه وخلف
له مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوّار في سبيل الله . فقصده البحثري من العراق
فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد في بيته لديون ركبته . فاعتم البحثري لذلك غماً شديداً
وبعث المذحة اليه مع بعض مواليه . فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له : يغ
داري . فقال له : اتبع دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال : لا بد من بيعها . فباعها بثلاثمائة دينار
فاخذ صرة وديب فيها مائة دينار وانفذهها الى البحثري . وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الآيات :

لو يكون الحباء حسب الذي أرى ت لدينا به محل واهل
لحلت الحيين والدر واليا قوت خشوا وكان ذاك يقل
والأديب الأريب يسم بالعد ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحثري ردّ الدنانير وكتب اليه :

بأي انت واهل للبر أهل والساعي بعد وسبعك قبل
والنوال القليل يكثّر ان شا مرجبك والكتبر يقل

غير اني رددت برك اذكا ن رباً منك والربا لا يجل
 واذا ما جزيت شعراً بشعري فُضي الحق والدنانير فضل
 فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين ديناراً اخرى وحلف انه لا يردّها عليه
 وسيرها فلما وصلت البغدي انشأ يقول :
 شكرتك ان الشكر للعبد نعمة ومن يشكر المعروف فانه زائده
 لكل زمان واحد يُقصدى به وهذا زمان انت لانتك واحده (الأخاني)

أَبُوسَيْفِي (٣٣٩ - ٤٠٠ هـ) (٩٥١ - ١٠١٢ م)

١٩٤ هو ابو الفتح علي بن محمد الكاتب البسي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنبيّة
 والتجنيس الأنيس . البديع التاميس . وكان في غفوان امره كاتباً لبايتوز صاحب بُسْت .
 فلما افتحمها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتخفى عن الخدمة فدلّ
 عليه فاستغضره وفرض اليه سمات ديوانه مع كون بايتوز في قيد الحياة . فأشقى من سعي
 حساده فطلب ان يقتل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقر الأمر فأجيب الى
 طلبه وأُتار عليه بناحية الرُّمَج . فبقي فيها حتى استدعاه السلطان العظيم عين الدولة محمد بن
 سبكتكين وقبذ كعب له مدّة فتوح . فبقي عنده الى ان زحزحه القضاء عن خدمته ونبذّه الى
 ديار الترك فانتقل جا الى جوار ربه . وله نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بَهَاءُ الدِّينِ زَهِيرٌ (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) (١١٨٦ - ١٢٥٩ م)

١٩٥ أبو الفضل زهير الملقّب جاء الدين الكاتب من فضلاء عصره وأحسنهم نظاماً ونظراً
 وخطاً ومن أكبرهم مروءة . كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين بن الملك
 الكامل بالديار المصرية . وتوجّه في خدمته الى البلاد الشرقية . وأقام بها الى ان ملك الملك
 الصالح مدينة دمشق فانتقل اليها في خدمته . وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على
 الملك الصالح . وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابلس وفرّق عنه . وقبض عليه
 ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك . فأقام بهاء الدين زهير
 المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره . ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح
 وملك الديار المصرية . وقدم اليها جاء الدين سنة سبع وثلاثين وسبائة فاجتمعت به ورأيت فوق
 ما سمعت عنه من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا . وكان متسكناً من صاحبه
 كبير القدر عنده لا يطلع على سرّه الخفي غيره . ومع هذا كله فانه كان لا يتوسّط عنده إلا
 بالخير . ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته وانشدني كثيراً من شعره . ودويوانه
 كثير الوجود بأيدي الناس . وله شعر جيد . فمن ذلك ما قاله وقد غرقت به سفينة فسلم

بنفسه منها وذهب ما كان معه :

لا تعتب الدهر في خطب رماك به
حاسب زمانك في حالي تصرفه
والله قد جعل الأيام دائرة
ورأس مالك وهي الروح قد سلت
ما كنت أول مفدوح بمادته
ورب مال غنا من بعد مرزئة
وكانت وفاته بالقاهرة بالوباء
ان استرد قدما طالما وهبا
تجده اعطاك اضعاف الذي سلبا
فلا ترى راحة تبقى ولا تعب
لا تأسفن لشيء بعدها ذهبا
كذا مضى الدهر لا بدئا ولا عجا
أما ترى الشمع بعد القطف ملتها
(لاين خلكان)

جرير (٤٢ - ١١٠هـ) (٦٦٣ - ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطية السبيعي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام .
وكان بينه وبين الفرزدق مهاجة وتقااض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في ايجم
المتقدم . واحتج من قدم جرير بأنه كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظا واقلهم تكلفا
وكان دينا عفيفا . وسئل اعرابي ايجم عنكم أشعر الشعراء . قال : بيوت الشعر فخر ومدح
وهجاء وفي كلها غلب جرير . فقال في النفر :

اذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا
وقال في مدح ابن مروان :

السم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح
وقال في هجاء الراعي الشاعر :

فمنض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وذكر الأصمعي قال : كان ينهش جريرا ثلاثة واربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره
ويرمي بهم واحدا واحدا وثبت له الفرزدق والأخطل . وامتدح جرير الخلفاء فن قوله في
مدح حمزة : أنا لارجو اذا ما الليث أخلفنا
نائب الخلافة اذ كانت له قدرا
أذكر الجهد والبلوى التي تزلت
ما زلت بمدك في دار تعرفني
لا ينفع الحاضر المجهود باديسنا
كم بالمواسم من شتاء أرملة
يدعوك دعوة ملهوف كان به
من يمدك تكفي فقد والده
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربّه موسى على قدر
ام تكفي بالذي بلغت من خبري
قد طال بمدك إصعادي وتخدري
ولا يهود لنا باد على حصر
ومن يقيم ضعيف الصوت والبصر
خبلا من الحن او مسأ من البشر
كالفرخ في العش لم ينهش ولم يطير (الأعاني)

صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِّيُّ (٦٨٥ - ٥٧٤٠) (١٢٨٧ - ١٣٤٠م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلبي الملقب بصفي الدين مناهل ألفاظه العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيه المفرحة بنشرها الأبواب شافية لمن كسر من نهرها الرائق المديد واخبر عن نفسه قال : كنت قبل ان اشب عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . بهجاً بالشعر نظماً وحفظاً . متقناً علومه معنى ولفظاً . فاعده من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب وبجحت اوجبت بعدي عن عربي . وهجر اهلي وقريني . بعد ان تكمل لي من الأشعار . ما سبقي الى الأصرار . فحططت رحالي بفناء ملوك آل أرتق اصحاب ماردين . فثبتوا بالاحسان قدي . وصانوا عن بني الزمان وجي ودي . فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها وبه تختتم . ووسمته بدر النور . في مدائح الملك المنصور . ثم قذف في خوف بلادي الى الديار المصرية . واهلت للثول في الحضرة الشريفة الملكية الناصرية . فسلمني من الانعام ما الزمتني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأيت كفراخا كالعقوق . فجمعت له من جد شعره وهزله . ورقيق لفظه وجزله . فبوته ابي التوب . وربته احسن الترتيب . فوقع عنده بموقع الاستئمان . وأكرم مثواي وأجزل حلي الاحسان . (اه) واصفي الدين الحلبي مؤلفات منها كتاب في علم الرمي وكتاب في اغلاط العرب . وكانت وفاته في بغداد (من ديوانه)

أَلْخَوَارِزْمِيُّ (٣١٦ - ٣٨٣هـ) (٩٢٩ - ٩٩٢م)

١٩٨ هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال له الطبري خزي ايضاً ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليه في عصره . ويُحكى انه قصد حضرة صاحب بن عباد وهو بارغان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه : قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمه فقال للصاحب : قل له : قد أُرْمَتْ نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له او بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال . فقال للصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن له في الدخول . فدخل عليه فعرفه وانسلط له . وابو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظم قوله :

رَأَيْتُكَ ان ايسرتْ خَيْمَتِ عِنْدَنَا مَقِيماً وان اعسرتْ زُرْتُ لَمَّا

فَإِنْتَ اَلَّا الْبَدْرُ ان قُلَّ ضَوْؤُهُ اَغْبً وان زاد الضياءُ اَقَامَا

وكان أبو بكر قليل الوفاء فهماه أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :
 أبو بكر له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاء
 موثته إذا دامت لخبث فمن وقت الصباح الى المساء
 وطلعه ونوادره كثيرة . ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها (لابن خلّكان)

الطُّغْرَايُ (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ - ١١٢٠ م)

١٩٩ هو مؤيد الدين الاصطخاني المنشئ المعروف بالطغرائي كان عزيز الفضل لطيف
 الطبع . فاق أهل عصره بصغة نظم والنثر . وله ديوان شعر جيد . ومن محاسن شعره قصيدته
 المعروفة بلامية العجم . وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسة يصف حاله ويشكو زمانه .
 وكان الطغرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر المعاد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقية
 ان الطغرائي المذكور كان يُعَمِّت بالاساذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي
 بالموصل . وانه لما جرى بينه وبين اخيه السلطان محمود المصاف بالمقرب من همدان وكانت
 النصرة لمحمود فاؤل من أخذ الاساذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر به وزير محمود وهو
 الكمال نظام الدين السمعري فقال : من يكن ملحقاً بقل . وقد كانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله
 جذه الحجة وقتل في سوق ببغداد عند المدرسة النظامية . وقيل قتله عبد اسود كان للطغرائي
 المذكور لانه قتل اساذه (لابن خلّكان)

الْفَارِضِيُّ (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) (١١٨١ - ١٢٣٥ م)

٢٠٠ هو عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف
 بابن الفارض المنعوت بالشرف . له ديوان شعر لطيف . واسلوبه فيه رائق ظريف . ينحو
 معنى طريقة القراء . وله قصيدة مقدار ستائة بيت على اصطلاحهم ومنهم . وما ألطف قوله
 من جملة قصيدة طويلة :

أهلاً بما لم أكن أهلاً بموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج
 لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكّرتك على ما فيك من عوج
 وأحسن ما قال في صفة الباري قوله :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الرمان وفيه ما لم يوصف
 وله دوبيت موالياً والغاز . وسمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجرد
 جاورمكه زمناً وكان حسن الصحبة محمود العشرة . وكانت ولادته بالقاهرة وتوفي بها ودُفِن
 من القند بسفح المقطم (لابن خلّكان)

أَلْفَرَزْدَقُ (٣٨ - ١٢٠ هـ) (٦٥٩ - ٧٢٩ م)

٢٠١ اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمي من أشرف تميم . والفَرَزْدَقُ لُقْبُ يهجهوه وجهه وظله . والفَرَزْدَقُ قطع العجين . وكان الفَرَزْدَقُ ردي الطباع قبيح النظر . سيئ الخُبر . قاذفًا للحصنات خيث الهجو . وكان مهيبًا تخافه الشعراء . وقد يمتحج البعض في تقديمه على أنه يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسرِهِ . والفَرَزْدَقُ أكثر الشعراء مقلدًا والمقلد المقتفى المشهور الذي يضرب به المثل فمن ذلك قوله :

وكنّا إذا الجيَارَ صعرَ خذهُ ضربناه حتى تستقيمَ الاخادعُ
وقوله : وكنت كذّاب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً احال على الدمِ
وقوله : ترى كل مظلومٍ إلينا فرارهُ ويصربُ منا جهدهُ كلَّ مظلِمِ
وقوله : ترى الناس ما سرنا يسرون حولنا وان نحن اومأنا إلى الناس وقفوا
وله القصائد الغراء في الرثاء والفخر والهجو والمدح فمن ذلك قصيدته الميمية في زين العابدين . وقوله في بني المهلب :

فلأمدحن بني المهلب مدحةً غراء قاهرة على الأشعارِ
مثل النجوم امامها قراؤها تجلو المعى وتضيء ليل السارِ
ورثوا الطعام عن المهلب والقري وخلانقاً كتدق الأكارِ
كان المهلب العراق وقايةً وحيا الربيع ومقلب الفرائِ
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصارِ
ومات الفَرَزْدَقُ بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجريير (الشريشي)

أَلْحَجيُّ (٥١٩ - ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ - ١٢٠٠ م)

٢٠٢ هو ابو علي عبد الرحيم بن احمد اللخمي السقلافي المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب بحجر الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وقكن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين وله فيه غرائب مع الاكثار . ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقتصر عن مائة مجلدة وهو مجيد في أكثرها . وهو رب القلم والبيان . واللسن واللسان . والقرينة الوقادة . والبصيرة القادة . والبديعة المعجزة . والبديعة المطرزة . والفضل الذي ما سمع في الأوائل بن لو ما في زمانه لملتقى بفبارِهِ . او جرى في مضمارهِ . بخترع الأفكار . ويفترع الأبتكار . ويطلع الأنوار . ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائهِ . رابط السلك بللائهِ . ان شاء انتأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

دُونَ لَكُنْ لاهل الصناعة . خير بضاعة . ابن قسُّ عند فصاحتِهِ . وابن قيس في مقام حصاصتِهِ .
ومن حاتمٌ وعمرو في سياحتِهِ ومحاسنِهِ . ولطيفُهُ ونوادِرُهُ كثيرةٌ وله في النظم ايضاً اَشْيَاءٌ حسنة .
منها قوله : واذا السعادة لاحتظك عيوضُها تمَّ فالخاوفُ فكلهنَّ أمانُ
واصطدَّ بها النقاء في حبالٍ واقتدَّ بها الجوزاءُ في عنانٍ
وكانت وفاته بالقاهرة (الخريدة للمهاد الاصهاني)

أبو العلاء المَعْرِيّ (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م)

٣٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المَعْرِيّ التنوخي كان علامة عصرِهِ . وله التصانيف المشهورة والرسائل الماثورة . وله من النظم لزوم ما لا يلزم . وله سقط الزند وهو متن التنوير وكتاب الايك والنصون . وكان متضلعا من فنون الأدب . وأخذ عنه أبو القاسم التنوخي والخطيب أبو زكريا يحيى البريزي تارح الحماسة وغيرهما ثم عي بالجدري . ومن تصانيفه كتاب اللامع العزيري وهو شرح شعر المتنبي ولا قرئ عليه الكتاب المذكور أخذ الحماسة في وصفهِ واطرائهِ . فقال أبو العلاء : كأننا نظر المتنبي الي بلحظ النيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي واسمعت كلاني من به صمم

واختصر ديوان أبي نغم حبيب وشرحه وديوان البحتري وديوان المتنبي وتكلم على غريب اشتهارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما اخذ عليهم . وتولى الانتصار لهم والقدر في بعض المواضع عليهم . والتوجيه للخطأ في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرتين . ولما رجع منها في المرة الثانية لزم منزله وشرع في التصنيف . وكان يميل على بضع عشرة بحبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنه ناس وسار اليه الطلبة من الأفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمي نفسه رهن الحبسين للزوم منزله ولذهاب عينيه . ومكث نحسا وأربعين سنة لا ياكل اللحم ترهفا . وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة . ولما توفي قرئ على قبره سبعون مائة منها قول أبي الفتح حصينة المعري :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| العلم بعد أبي العلاء مضى | والارض خالية الجوانب بلق |
| أودى وقد ملأ البلاد غرائباً | تسري كما تسري النجوم الطلغ |
| ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى | ان الثرى فيه الكواكب تودع |
| جبل ظننت وقد تززع ركنه | ان الجبال الراسيات تززع |
| وعجبت ان تسع المعرة قبره | ويضيق بطن الارض عنه الأوسع |
| لو فاضت المهجات يوم وفاته | ما استكثرت فيه فكيف الأدمع |
| عين تهبط للغاف وللتقى | ابداً وقلب للمهمن يخشع |
| شيم تجسسه فهن لجده | تاج ولكن بالتشاء يرصع |
| جادت ثراك أبا العلاء غمامة | كندى يديك ومزنة لا تقلع |

ما ضَيَّعَ الباكي عليك دموعه . ان الدموع على سواك تُضيِّعُ
قصيدتك طلاب العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يُقَرِّعُ
مات النوى وتطَلَّتْ أسبابه . وقضى التأدُّبُ والمكارم أجمعُ

أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي (٣٠٣ - ٣٥٤) (٩١٦ - ٩٦٦)

٢٠٤ هو أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها . وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحواشيها . ولا يُسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والشعر . وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة إلى ذكر شيء منه لشهرته لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وهما :

أَبِينِ مَقْتَرِ الْبَيْتِ نَظَرْتِي فَاهْتَنَيْتِي وَقَدَفْتَنِي مِنْ حَالَتِي
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومَ لِأَنِّي انْتَرَلْتُ أَمَّا لِي بِغَيْرِ الْخَالَتِي

ولمَّا كان بمصر مرض وكان له صديق يشاء في علته فلما أبل انقطع عنه . فكتب إليه :
وصلتني وصلك الله متلاً . وقطعتني مبالاً . فإن رأيت إن لا تحبب العلة المي . ولا تذكر الصحة علي .
فلت إن شاء الله تعالى . والناس في شعره على طبقات . فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه وله التشايبه البديعة كقوله :

في جفيل ستر العيون غباره فسكاً نأ يصرن بالآذان

واعنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعمائة شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره . ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة . وأما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم . فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وجلسه طويلاً . ثم استتابه وأطلقه . وقيل غير ذلك وهذا أصح . وقيل أنه قال : أنا أول من تنبأ بالشعر . ثم اتفق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧ . وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضوره . فوقع بين المتنبي وبين (ابن) ابن خالويه القوي كلام . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فتجبه وخرج ودمه يسيل على ثيابه . فغضب وخرج إلى مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافوراً ولم يرضه هجاءه وفارقة سنة ٣٥٠ فوجهه كافور خلعه وراحل إلى جبات شتى فلم يلحق به . وقصد المتنبي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزله حازرته . ولمَّا رجع من عنده قاصداً بغداد ثم الكوفة في شعبان لأن خلون منه عرض له فاتك بن أبي الجهل الاسدي بعدة من أصحابه . وكان مع المتنبي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلهم . فقتل المتنبي وأسنه وغلظه مقلع بالقرب من العمانية (اليقظة التتالي وغير ذلك)

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ (*)

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وشفوره وكيف تغلبوا عليه
وبداية امرهم في ذلك ومصابيره

الزحقة الاولى (١٠٩١ - ١٠٩٩ م)

٢٠٢ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستفحل امرهم بعد الروم . وكان
مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعمائة (١٠٨٧ م) فجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون
بقدوين والقمص (ريوند) وغفريد وبويموند . فجمعوا طريقهم في البر على القسطنطينية فتمهم
ملك الروم (أكيس) من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم ان يسلموا له انطاكية لكون
المسلمين كانوا اخذوها من مالبيك فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور في خليجيه . فجازوا في العدد
والعدة واتوها الى بلاد قلعج ارسلان صاحب قونية فجمع للقائهم فهزموه . ثم ساروا الى انطاكية
وجا باغيسيان من امراء الجوقية فاخذوها عنوة ووضعوا السيف في المسلمين الذين جا ونهبوا
اموالهم . وقتل باغيسيان وحمل رأسه اليهم وردوا امر المدينة الى بويموند (١٠٩٩ م) . فلما
سمع كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام في كثير
من الامراء والقواد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتد عليهم
الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كربوقا . ثم ان كربوقا
اساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء فخبئت نياتهم عليه . وكان مع الفرنج
راهب مطاع فيهم فقال لهم : ان رُجَّ الحرمة التي طعن بها المسيح مدفونة بكنيسة القتيان فان
وجدوها فاكم تظفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام . فلما كان اليوم
الرابع ادخلهم الموضع فغفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا
بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلما تكاملوا ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا
صافاً عظيماً فولى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات
والأموال والدواب والاملحة فصلحت حالهم وطادت اليهم قوتهم . وساروا الى معرة النعمان
فملكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها وملطية فلما . ثم
دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة فسار الفرنج الى ابيات القدس وكان بيت المقدس قد

(*) قد سبق الوعد بان نجعل خاتمة التاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء اخبار
الدول الاسلامية وحروب الصليبيين واكتفينا بلمعة من تاريخ التتروسلاطين الدولة العثمانية

ملكه السلجوقية . ثم طمع فيه أهل مصر فاستولوا عليه فصار امر القدس في يد خليفة مصر . فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصده الفرنج وحاصروه أربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب النائم السيف فاحصي القتل فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليه الاحصاء وجاء الصريح الى بغداد صحبة القاضي ابي سعيد الحروري فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفر الايبوردي :

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| مزجتنا دماء بالدموع السواجـ | فلم يبق منّا عُرصةً للرآجمـ |
| وشرّ سلاح المرء دمعٌ يفيضهـ | اذا الحربُ ثبّتت نارها بالصوامـ |
| وكيف تنام العين ملء جفونهاـ | على هفواتٍ ايقظت كلّ نائمـ |
| واخواننا بالشام أضحي مقلهمـ | ظهور المذاكي اوطون القشاعمـ |
| يسومهم الرومُ العوانَ وأنتمـ | تجرون ذيل الخفض فعل المسالمـ |
| أترضى صناديد الأعراب بالأذىـ | وتنضي على ذلّ كآة الاجامـ |
| فليتهم إذ لم يذودوا حميةـ | عن الدين ضنوا غيرةً بالمحامـ |

ملك غفرید (١٠٩٩ م) وبقدوين الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتمكن الفرنج من البلاد وولّوا على بيت المقدس غفرید من ملوكهم . ولما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الأفضل الجيوش والمساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلموا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونال الفرنج عسقلان حتى مانع اهلها الفرنج بشمرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتقوا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقلد عليها الامارة ثم اقتحم حصن حيفا . وكانت وفاة غفرید سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمم بعده اخوه بقدوين صاحب الرها . وسار في ملكه الفرنج الى مروج وقيسارية فلكوها عنوة (١١٠٠ م) وملكو ارسوف بالأمان . وفي سنة ٥٩٥ هـ سار صغيل (ريموند) الى طرابلس وشد حصارها واعانته اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثم صالحوه على مالٍ وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة . ثم رحل الى حصص ونازلها وملك اعمالها . ثم استغل امر الفرنج بالشام ونذّب بقدوين جمعاً كثيراً ممن سار الى زيارة القدس للنزوفاتوا على عمّا وقيسارية واكتسحوا نواحيها . وفي سنة ٥٩٧ هـ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل خلقاً كثيراً من التجار والحجاج فاستعان بهم صغيل على حصار طرابلس فحاصرها براً وبحراً حتى ينسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سبر الأفضل صاحب مصر عسكرياً ضخماً الى قبر الفرنج فلكوا الرملة واستنجد صاحب عسقلان وطبركين اتا بك صاحب دمشق فقصدهم بقدوين فاقتتلوا وكثرت

بينهم القتل واستشهد صاحب عسقلان ومحاجزوا وهاكلوا الى بلدو . ثم سار الفرنج الى حصن اقامية فحاصروه حتى جهد اهلها الجوع وملكوا البلد والقلمة . وقتلوا القاضي المتطلب عليها . وفي سنة ٥٩٩ هـ سار صنجيل ثالثة الى طرابلس وأقام عليها وبني بالقرب منها حصناً وبني تحتها ريفاً وهو المعروف بحصن صنجيل فسار صاحب طرابلس اليه واحرق الريف ووقف صنجيل على بعض سفوفه المحرقة فانخسف به فهلك وحمل الى القدس ودُفن فيه . وفي سنة ٥٠٢ هـ سار طفركين اثابك من دمشق الى طبرية فزحف اليه ابن اخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استأثروا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتله طفركين بعد ان فادى نفسه بثلاثين الف دينار وخمسمائة اسير فلم يقبل منه الا الاسلام او القتل . ولما كانت سنة ٥٠٣ هـ وصل القمص (ديوند) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصروا طرابلس مع بقدوين ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتد بهم الحصار وطردوا القوت لتأخر الاسطول المصري بالميرة فلكوها عنوة وانجحوا فيها . ثم استولى الفرنج على بيروت عنوة واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحج والغزو ونازلوا صيدا برّاً وبحراً واسطول مصر يعجز عن انجادهم . ثم زحفوا الى صور في ابراج الحشب المصحفة فصعقت نفوسهم ان يصيهم مثل ما اصاب اهل بيروت فاستأمنوا فآمنهم الفرنج وعاد بقدوين الى القدس . ثم دخلت سنة ٥٠٤ هـ فقصد بقدوين الديار المصرية فاتى الى القرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعا ومساجدها ورحل عنها راجعاً الى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش . فرحل اصحابه بجثته فدفنوها بكيسة القيامة (لاي الفداء ولجبر الدين الحنبلي)

ملك بقدوين الثاني (١١١٨ م) زنكي وفتحاته

٢٠٧ ووصى بقدوين بيلاده القمص صاحب الرها وهو بقدوين الثاني الذي كان اسمه جكرمش وأطلقه جادلي وكان حاضراً في القدس لزيارة الحج . فسلم امر الرها لجوسلين وكان شجاعاً من فحولهم أغار مراراً على جموع العرب والتركمان وغنم اموالهم ومواشيهم . وفي عهد بقدوين الثاني سار ابو الغازي صاحب مارددين الى غزو الفرنج واجتمع بطفركين صاحب دمشق فاستولوا على رملة من اعمال دمشق وغيرها من بلاد القرات قبائلها في تحصينها واعتمدوا على تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقتل صاحب انطاكية فاستنجد الفرنج ببقدوين فحشد المساكن وزحف الى مقاتلة المسلمين فناجزهم ابو الغازي وصدق الحملة عليهم فقاتلوه اشد القتال وهزموه . ثم رجع طفركين الى دمشق وأبو الغازي الى مارددين فاغتالته بها النية . ثم قام بعده بلك ابن أخيه فعاودوا الحرب فقتل بلك في الفرنج فتكة شعاء فأسر جوسلين صاحب الرها وحبسه في سخرت برت فسار بقدوين اليه في جموعه فهزمهم بلك وأسر الملك وجماعة من زعمائهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بلك الى حران وملكها ولما غاب من

خرت برت تميل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمدخله بعض الجند . وسار بقديون الى بلده
وملك الآخرون القلعة فعاد بآل الهيم وحاصرها وارتجعها من ايديهم ورتب فيها الحامية . وفي
سنة ٥١٨ هـ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصار طويل وكانت للنفاء العلويين
اصحاب مصر . وكان ملكها بالآمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حمله من
اموالهم . وفي عهد بقديون ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن أتغر وكان أول امره ان السلطان
محمود السلجوقي ولأه على الموصل والحزيرة وديار بكر ثم استقل في ملكه واستولى على الشام
وأورث بني ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت
منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاق الأمر على
أهلها . فلما قرب زنكي من حلب اجفل عنه الفرنج ورحلوا عنها فسلم أهل حلب المدينة والقلعة
اليه . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ هـ وساروا الى دمشق وتزلوا مع الصفر واستنجد طغر بكين
صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليه . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط
طغر بكين في المعتك . فظن أصحابه انه قُتل فاهزم طغر بكين والحياة والفرنج في اتباعهم وقد
انخروا في رجالة التركمان . فلما اتبعوا المهزمين خالف رجالة الى معسكرهم فهبوا سوادهم
وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المهزمين فوجدوا خباهم وأتقاهم
منهوبة فاهزموا ايضا . فمات بعد زمان ملكهم بقديون (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلُك (١١٣١ م) بقديون الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاته

٣٠٨ وصار الأمر الى فُلُك من زعمائهم وفي عهده سار زنكي عسكرياً كثيفاً لفتح دمشق
فبعث معين الدولة أتر صاحبها الى ملك الفرنج ليستجده على مدافعة على ان يحاصر قاشاش فإذا
فتحها اعطاهم إياها . فاجابوا الى ذلك حذراً من استطالة زنكي على دمشق فحصى الله عسكر زنكي
فاهزموا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاشاش فلحقها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدهم وكانت
لزنكي . فاستلحموا بها الحامية واستبد بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فُلُك لبقديون الثالث
(١١٤٥) . وفي أيامه مات صاحب الرها فصار عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً
ونقب سورها ونصبوا عليها السلام وتسلوها وفتحوا البلد عنوة واغشوا في القتل والسبي والنهب .
ثم نادوا بالآمان فراجع التصاري الى البلد فاقروهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدة حتى اصلى
اسوارها وخدانتها فحسنت عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم تسلم مدينة سروج وسائر الأماكن التي
كانت بيد الفرنج شرقي الفرات الآ البيرة لامتناعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٢١ هـ
قتله جماعة من مالهيك . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون طليح العينين قد
وخطة الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة . وكان شديد الهيبة على عسكره . وكان له
الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق . وكان شجاعاً فاتكاً وكانت الاعداء محبطة

بملكته من كل جهة وهو يتصرف منها ويستولي على بلادهم . ودُفِن في الرقة فولي امر الموصل بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه الأكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة . فسار الى سنجار وملكها ولم يحافقه اخوه قطب الدين ثم اصطالحا وأعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرجة فبقي الشام له وديار الجزيرة لآخيه . فلما قُتِل الاتابك زنكي طمع جوسلين ان يسترد الرها وكان مقيماً في ولايته في تل نافر فراسل أهل الرها وعاسمهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فاجابوه وأوعده ليوم عيّنوه فسار في عسكره وملك البلد . فزحف اليهم نور الدين واقطع البلد واستباح اهله

زحقة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٢٠٩ ولما استولى المسلمون على الرها أخذ ظلّ الفرنج بالقلص في المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد الصرائية من الروم والفرنج يستجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلائهم على انطاكية وما ينشئ بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس . فتأبّت امم الفرنج من كل ناحية وسيروا مدداً لهم على المسلمين لما يرونه من تفرّد هؤلاء بالشام بين عدوهم . فسار في سنة ٥٤٣ هـ ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كونراد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام ليشكّون في القلّب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر حددهم وأموالهم . فاجتمعوا بالقسطنطينية وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينية فلما وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقديون مستلين امرهم فجدّوا بالمسير الى دمشق فصار مروها فقام معين الدولة أنز في مدافعتهم أقام الحمود . ثم قاتلهم الفرنج فثألوا من المسلمين بعد الشدة والمصايرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوّه الى نصرة المسلمين . فجميع عساكره وسار الى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكان الشام والواردين مع الألمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طعنة . فاجتمعوا الى ملك الألمان وخوّفوه من صاحب الموصل وقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانحزم المسلمون وقُتِل منهم وأسر جمع كثير . وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فآخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيّره الى الملك مسعود بن قتيب ارسلان صاحب قونية واقصراً وقال له : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم منه . فلما علم نور الدين الحال عظم عليه واعمل الخيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثاره .

وأحضر جماعة من الامراء التركان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجيوسلين وسلوه اليه . لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركان عليه العيون فخرج متصبداً فظفر به ملائكة منهم ومحموه الى نور الدين اسيراً . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فلكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من أعماله . وفي سنة ٥٥٨ هـ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجزية . وكان صاحبها مجير الدين آثر واهي القوى مستضعف القوة فغشي نور الدين عليها من الفرنج . فكتب أهل دمشق واستألفهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة . فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان توفي وأما نور الدين فزحف الى بعلبك واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فحمل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كعبه الفرنج وهو نازل في البقيعة تحت حصن الاركاد . فلم يشعر نور الدين وعسكره الا وقد انطأت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . ففسرعة ذلك ركب نور الدين فرسه وفي رجله السيف فقتل انسان كردي قطعها فنبأ نور الدين وقتل الكردي فاحسن نور الدين الى مختصيه ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى تجديده حصص ولحق به المنهزمون فتوافقت اليه الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جري بين الفريقين وانتصر فيه نور الدين ودار رحى الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة بانياس لقلعة حاميتها فحاصرها وضيق عليها ففتحها وشعن قلعتها بالمقاتلة والسلاح . وفي سنة ٥٥٩ هـ (١١٥٩ م) توفي بقدوين صاحب القدس في مدينة انطاكية (لبنان الاثني)

ملك أموري (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٢١٠ فقام بعده بالأمر اماليك اخوه . وفي سنة ٥٥٦ هـ تولى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويين بالديار المصرية . وكانت دولة العلويين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استبداد وزرائها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازحه في الوزارة الى الشام ملتبساً الى نور الدين ومستجيماً بهم . وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون له تلك دخل البلاد . فتقدم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين شيركوه فجهز وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بليس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين وليمهم فانهم خرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع على شاور وأعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فقدر به شاور وعاد عما كان وعده نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوته ونصرتهم فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بليس وجعلها ظهراً يتحصن به . فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يفادهم القتال ويراهم فلم يلبثوا منه غرضاً . فراسله الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

أعادهُ نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ هـ فاغار اسد الدين عليها ودوّخ بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيه مكانه . وفي ولايته مات العاضد ومحا الله دعوة العلويين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان جماً عاملاً لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعه فسار اليه صلاح الدين . ثم كرّ راجعاً الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر انهم معتمرون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين طرده في ذلك واعتزم على عزله عن مصر . فاستشار صلاح الدين اياه نجم الدين وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة ذا حزم ورأي فاشار عليه بملاطفة نور الدين ومراعاته ففعل واظهر الطاعة . وكان نور الدين يستغل ملكه مع الايام فدخل بلاد الفرنج وبعث جماً تخافوا عن لقاءه فاكسح بلادهم وحرب ما مر به من القلاع . ثم شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فاتاه أمر الله الذي لامر دله سنة ٥٥٩ هـ . وكان نور الدين اسمر طويل القامة ليس له لحية إلا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جداً وخطب له في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولده سنة ٥١١ هـ وطبّق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله . وكان في الزهد والعبادة على قدمٍ عظيم وكان يصلي كثيراً من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

وهو الذي حصّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدحها لما تحدّثت بالزلازل . ولما توفي اجتمع الامراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح اسماعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعه الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخطب له هناك وضرب السكة باسمه ثم استغل ملكه وعظمت دولة بني أيوب من بعده الى ان انقرضوا . ولما مات نور الدين سار ابن اخيه سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيرية . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتحدّوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مالي يعثونه اليهم فتقررت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين ففكره واستعظمه وكتب الى الصالح يقبح مرتكب أهل دمشق ويعدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ هـ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروضتين)

بقديون الرابع (١١٧٥ م) فتوحات صلاح الدين

٢١١ فعقبه في الملك ابنه بقديون الرابع وكان مجذوماً . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استغل وكون ولد نور الدين طفلاً لا ينهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم . فخرج اليه أهل الدولة بمقدّمهم وسلموا اليه المدينة فاستخلف عليها اخاه سيف الاسلام طغر بك ابن أيوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصراً لها وجما الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقتلوا

صلاح الدين وصدوه عن حلب . وأرسل كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيليه اموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فاردل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقات سيف الدين فصدق عليه الحملة . فانهزم سيف الدين وغنم سواده وعظفه واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذ الخطبة للملك الصالح وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة . ورجل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيليه فذهب بدمه وخربه وأحرقه . ثم أتم مسيره الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلمة التي على جبل المقطم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعية . ولما دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لنزول الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكسح اعمالها ولم ير للفرنج خبرا فانساح في البلاد وانتقل الى الرملة . فمأراه الا الفرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق اصحاب صلاح الدين في السرايا فتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فحضر من مصر الى مصر على البرية في قلة قليلة ولحقهم الجند والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى . فكان ههنا عظيما جبره الله بوقعة حطين (١١٦٩ م) . فقطع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته فجهجوا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة وله من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح التساب تام القامة ايض اللون عاقلا عادلا عفيفا من اموال الرعية مع شح كان فيه . ثم توفي بعده الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيه . ثم أثار على بيروت وسواحل الشام وانتقل الى الجزيرة وملك الرها والقة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منيقا . ثم علم ان حصارها يطول فاقبل عنها واحتل مدينة حلب واقطعها اخاه الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق تحتها فجمعت الفرنج فارسلها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونصب ما بتلك الواحي وقتل وأسر وسي ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانيا الى حصار الموصل فلم ينل منها بغيته واستقر الصلح بينه وبين صاحب الموصل بان يسلم صاحب الموصل الى السلطان شهر زور وأعمالها وان ينحط له ويضرب اسمه على الدراهم . فانحرف عن الموصل وأقام بجران مريضا واستند به المرض حتى أيسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق (لاني الغداء وابن خلدون)

بقدوين الخامس (١١٨٥ م)

٢١٢ وكان بقدوين الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥ م) وأوصى بالملك لابن اخيه صغيرا فكفله أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير الملك وكان من أعظم الفرنج

مكرًا وأشدّهم ضررًا وطعم ان تكون مكفالتة ذريعة إلى الملك . ثم مات الصغير (بقدوين الخامس) فتزوجت الملكة ابن غم (غي دي لوسيان) من الفرنج القادمين من المغرب وتوجّهت . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية والبارونة واشهدتهم خروجها له عن الملك . فأبى أرناط وغضب وجاهر بالشقاق لهم . وراسل صلاح الدين فساد بفرقة من عسكره إلى الكرك لمحاصرها . وأمر ابنه الأفضل بإرسال بعت إلى عكا ليكتسحوا نواحيها . فصحبوا صفورية وجماع من الفداوية والاستبارية فبرزوا إليهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقتل مقدمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف . وكانت طبرية للقومص (أرناط) وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته . فارسلت الفرنج إلى القومص المذكور القسوس والبطرك يبهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فسادهم واجتمع الفرنج للقتل (السلطان

ذكر وقعة حطين (١١٨٩ م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقهم وساعتهم وقصدوا طبرية للدفع عنها . فاخبرت الطلائع الاسلامية الامراء بمحركة الفرنج فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية قرب تل يقال له تل حطين فلما كان القتال خرج القومص محرضًا الناس يقول لهم : لا قعود بعد اليوم . ولا بد لنا من رقب القوم . واذا أخذت طبرية أخذت البلاد . وذهبت الطراف والتلال . فما بقي لنا صبر . ولا بعد هذا الكسر جبر . فالسج لنا والصليب معنا والمعمودية عمدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا . قراحنا . وعافنا . صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء ومع اودائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البيارات . وسيف الاستبار بئارتبار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . وقد عثم بحرنا الساحل . وشدد بابة المعاهد والمعاقل . وهذه الارض تسعنا نيقا وتسعين سنة . وسلطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسلمونا . ويذلوا لنا القطائع ويقاطعوننا . وطلما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادوننا . وفي جمعنا تفرقهم . وفي فيئتنا تعريقهم ثم ماجت خضارهم . وهاجت ضراغهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغم . وسدت الآفاق غمامهم . وهم كالجبال السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتجة وافواجها مزدحمة . وفجاجها محتدمة واعلاجهام صلبة . وقد جوي الجو . وضوي الضوء . ودوى الدق . وحوافر الحوافر للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . فرتب السلطان في مقابلتهم اطلاءه . وقصر على مقاتلتهم آراؤه . وحجز بينهم وبين الماء . ولليوم قيظ . وللقوم غيظ . ففر الغفير وتصادم العسكران واتحم القتال فايقن القوم بالويل والثبور . وأحسست نفوسهم اخم في غد زوار القبور . كلّمًا خرجوا جريحوا . وبرح جيم من الحرب فاجرحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفريند ماء . فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصسبت عليهم

قلوب القسي القاسية وأصمتهم . وأجبروا وادعوا . وأخرجوا وأخرجوا . وكلما حملوا رُدُّوا وأردُّوا . وكلما ساروا وشدوا أُسروا فاضطرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . فأووا الى جبل حطين يصصهم من طوفان الدمار ، فحاطت بحطين بوابق البوار . فرشقهم الحساي . وقشروهم المنايا . وصاروا للردي درايا . ومن بقي منهم فحردوا العزيمه . واحتلوا في العزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدم الفداوية . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوقعة . ثم استخضر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل . ثم سلَّ النجاء . وضربه جا . وقتل أسرى الفداوية والاستبارية اجمعين ثم استخضر الملك وأمنه وطيب قلبه (الفتح القدسي لعماد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩ م)

٢١٤ ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنازلها واعتصم الفرنج الذين جا بالأسوار واتاروا بالاستثمان فأمنهم . ثم ملك قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم تسرعن ساق الجذ والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزوله عليه في رجب سنة ٥٨٣ هـ فقتل بالجانب الغربي . وكان مشحوناً بالمقاتلة والحيلة والرجالة . ثم انتقل للصليبية رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليه المناجيق وضايقة بالحرف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ القب في السور مما يلي وادي جهنم . فلما رأى العدو ما ترل جم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد اتقى في قلوبهم مما جرت على ابطاهم ورجاهم في السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علوا انهم الى ما صاروا اليه صاثرون . وبالسيف الذي قُتل به اخوانهم مقتولون . واستكاثوا واخذوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا افضل بكم الا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة ٥٨١ هـ من القتل والسبي . فقال له باليان : اياها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بد منه لنقتل اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تنعمون مناً ديناراً ولا درهماً . ولا تسبون وتأسرون رجلاً وامراًة . فاذا فرغنا من ذلك أخرجنا الصخرة والمخيد الأقصى ثم تقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه . ثم خرجنا كلنا وحيث لا يُقتل الرجل منا حتى يقتل أمثاله وغوت اعراء ونظفركماء . فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يُدرى عاقبة الأمر فيه عن اي شيء . فاجاب صلاح الدين حيثذ الى بذلك الأمان للفرنج واستقران يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير وتزن المرأة خمسة دنانير ويوزن الطفل من الذكور والامات دينارين . فن أدى ذلك الى أرعين يوماً فقد نجوا والا صار مملوكاً . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين الف ديناراً فأجيب الى ذلك . وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع

والمشرين من رجب فقتل أخاه الملك العادل بالقدس يقرر قواعدها . وتحرر عزمه على قصد صور لها صرحا فامتنت عنه . فعدل الى فتح قلعة جبلة ودخل اللاذقية واستولى على قلعة صهيون . ثم سار الى مدينة صور وقد خرج اليها الرئيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة . فقسم صلاح الدين القتال على المسكر كل جمع لهم وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث تشمل القتال على أهل البلد . على ان الموضع الذي يقاتلون فيه قريب المسافة تكفيه الحجة السيرة من أهل البلد تحفظه . وعليه الحنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها . لان المدينة كالقف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر في جاني الساعد والقتال اغا هو في الساعد فلذلك لم يتمكن منها صلاح الدين ورحل عنها (لاي الفرج المظفي)

زحقة الفرنج الثالثة الى المشرق (١١٩٠ م)

٣١٥ فلما تم الخطب على الفرنج سفتح القدس بشوا الرهبان والاقسة الى بلادهم بنجر بيت المقدس واستنصار النصرانية لها . فقام ملك الفرنسيس (فيليب) وملك انكلطرة (ريكارد) وملك الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد . فسار فيليب وملك الانكلطرا بحرا وقصد ملك الألمان قسطنطينية فجز ملك الروم (ايساكوس انكلوس) عن منعه وكان تاهد صلاح الدين بذلك . فكتب الى السلطان يعلنه من ايساكوس انكلوس ضابط الروم الى التسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبة والمودة : قد وصل خط نبتك الذي نفذت الى ملكي فما اذن ان نبتك تسمع اخبارا ودية وانه قد سار في بلادى الألمان . ولا غرو فان الاعداء رجفون باشياء كذب على قدر اغراضهم . ولو تشبهي ان تسمع الحق فافهم قد تأذوا وتعبوا كثيرا وقد خسروا كثيرا من المال والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا . وبالشدّة قد تخلصوا من ايدي اجناد بلادى وقد ضعفوا . وبجيت انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافا بعد شدة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرون نبتك (تم) . ثم هبر ملك الألمان خليج القسطنطينية ومروا بملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحقون بهم ويتحفظون منهم وكان الفصل شتاء فملك اكثرهم من البرد والجوع . ولما وصلوا الى بلاد طرسوس اقاموا على نهر (السيدنوس) ليمبروه فعن ملكهم ان يسبح فيه فهلك غرقا . فلك بعده ابنه واتقوا المسير الى الشام فلبثوا طرابلس وقد افنهم الموت ولم يبق منهم الا ستة آلاف رجل . وهلك ابن ملك الألمان في عكا وخرن الفرنج عليه حزنا عظيما . ثم وصل ملك الفرنسيس بحرا . وكان عظيما عندهم مقدما محترما من كبار ملوكهم تتقاد اليه العساكر باسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع وقدم في ستّس تحمله وميرته وما يحتاج اليه من الخيل وخواص اجناده . ثم وصل بعده ملك الانكلطرا وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمة له وقعات عظيمة وله جسارة على الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمترلة لكنه اكثر ما لانه وأشهر في

الحرب والشجاعة. وكان من خبره أنه وصل إلى جزيرة قبرص ولم ير أن ينجأ وزها إلا وأن تكون له وفي حكمه. فاستولى عليها ثم ذهب إلى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شاذي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحقة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٣١٦ فأتفق الفرنج جميعاً على الرحيل إلى عكا ومحاصرتها فقتلوا عليها وأحاطوا بها من البحر إلى البحر فليس للمسلمين إليها طريق. فقتل صلاح الدين قبايلهم وبعث إلى الأطراف يستنفر الناس. فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يبادون القتال ويرأحونه أشهراً. فتأبعت أعداد الفرنج من وراء البحر لاختصاصهم المحاصرين لعلها حتى جهد المسلمين بمكاً المحصار وضعت نفوس أهل البلد ووهوا. فبعثوا إلى الفرنج في تسليمها على أن تصلحهم على الأمان فيعطوهم ما بقي ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب الصليبوت فاجابوا إلى ذلك. فدخل الفرنج عكاً واستراحوا مساً كانوا فيه. ثم تخلف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحمّلوا عليهم فأنكسروا عن موقعهم. فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى. فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل إلى ناحية عسقلان وأخرجها. ثم هم بترميم ما تلثم من أسوار القدس وسد فروجه وأمر بحفر خندق خارج الفصل. فنقلت الحجارة للبيان وكان صلاح الدين يركب إلى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبته فيقتدي به العسكر. ثم سار ملك الانكشار في ساقية الفرنج فحملهم وأضرموا إلى يافا. فاقاموا بها والمسلمون قبايلهم ثم ساروا إلى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا إلى ارسوف فسبقهم المسلمون إليها فحملوا على المسلمين وهزمهم. ثم ساروا إلى داروم ثم إلى القدس فانتهوا إلى بيت قوجة على فرسخين من القدس. فاستعد صلاح الدين للحصار فوفد عليه رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم. وكان سبب ذلك أن ملك الانكشار قد طال مغيبة عن بلاده وطالب عليه البيكار. فكتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان فاجاب السلطان إلى ذلك وأتفق عليه رأي الامراء لما حدث عند المسكر من الضجر وتقاد النفقات. فمخالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكشار بل أخذوا يده وعاهدوه. واعتذر بأن الملوك لا يخلطون وقنع السلطان بذلك. وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وجيفا وعكاً مع اعمالها وان تكون عسقلان خراباً وأذن للفرنج في زيارة القدس. وكان يوماً مشهوداً غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يسله إلا الله. وارتحل ملك انكلطرة في البحر عائداً إلى بلده. وأقام الكند هنري صاحب صور بعد المركيس ملكاً على الفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت غلظت قلبه. وكر صلاح الدين راجعاً إلى دمشق وكانت وفاته فيها سنة ٥٨٩ هـ وعمره سبع وخمسون سنة. وكان صلاح الدين حليماً كريماً حسن الاخلاق متواضعاً صبوراً كبير التغافل عن ذنوب اصحابه.

وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وهدل وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاته لم يصيب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمه الا الله . فبقيت الناس ان يكونوا غداة من يعز عليهم . واستقر بعده الملك لابن العزيز عثمان في مصر ولولده الملك الأفضل بدمشق . ولما توفي صلاح الدين وملك اولاده بعده جدد العزيز المدينة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوه معه . وكان أمير بيروت يبعث التواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستجدونهم فامدوهم بالساكن واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا واتهم النجدة من مصر والجزيرة . فملكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فاصروها وفجوها عنوة واستباحوها . فجاء الفرنج من عكا لصريح اخوانهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعترموا ونازلوا بتنين سنة ٥٩٤ هـ فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسه واجتمع بعمه على بتنين فرجل الفرنج على اعقابهم الى صور خابئين . ثم اختاروا لهم ملكا صاحب قبرس اموري الثاني خليفة غيد و نجاءهم وزوجوه بملكهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج فقال ثم ترأسوا مع الملك العادل في الصلح واتفق بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وصار الفرنج الى بلادهم

رحلة الفرنج الخامسة واستيلائهم على القسطنطينية (١١٩٨-١٢٠٤م)

٢١٧ كان هولا الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل . وظهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية من الروم . وكيفية الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصبروا الى ملوك الفرنج وتزوجوا منهم بنتا ملك الروم فولدت ابنا . ثم وثب على الملك اخوه فانزع الملك من يده وجسه . فلقى الولد ملك الفرنج مستصرحا به فوصل اليهم وقد تجهز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيه وكان شيخا أعشى لا يركب ولا يمشي الا بقائد ومقدم الفرنسي ويسمى المريكش والثالث يسمى كند فلندر وهو أكثرهم عددا . فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بظاهريته على ملك القسطنطينية ولما وصلوا اليها خرج عم الصبي وقتلهم . وأصرم شيعة الصبي التارفي نواحي البلد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة وادخلوا الفرنج وخرج عمه هاربا . ونصب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اياه من السجن واستبدوا بالحكم . فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فاقفصوها وانفخوا في النهب ونجا كثير من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة ايا صوفيا فلم تغن عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

على الملك بما وتعارعوا فخرجت القرعة على الكند فلندر فلنكها على ان يكون لدموس البنادقة الحزائر البحرية اقرطش ورووس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقية وفيلادلف ولم تدم له فاتها تلعب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري . ولم تزل القسطنطينية بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج

ولما ملك الفرنج القسطنطينية من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وارسوا بمكا عازمين على ارجاع القدس من المسلمين . ثم ساروا في نواحي الاردن فاكتمبوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر . وسار فتراب بالطور قريبا من عكا لمداقتهم وهم قبائله وساروا الى كفر كنا فاستباحوه . ثم تراسلوا في المهادنة على ان يتزل لهم العادل عن كثير من مناصب الرملة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولما استقرت الهدنة اعطى العساكر دستورا وسار الى مصر واقام في دار الوزارة . فقصد الفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين قهزموه . وفي سنة ٦٠٣ هـ اكثرت الفرنج الغارات بالشام بعد ثنائ ما ملكوا القسطنطينية فجز المسلمون عن دفاعهم . واغار اهل قبرس في البحر على اسطول مصر فظفروا منه بعدة قطع واسروا من وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكا بفتح عليه بالصلح فاعتذر بان اهل قبرس في طاعة الفرنج القسطنطينية وانه لا حكم له عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق اسرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاثت المسكر في بلادها وقطع قناتها ثم ماد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحقة الفرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦م) الزحقة السابعة (١٢٢٨م)

٢١٨ كان صاحب رومية اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومي وكانوا كاهم يدينون بطاعته . فبلغه اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهز اليهم العساكر فامتلوا امره من اياته . وتقدم الى ملوك الفرنج ان يسيروا بانفسهم وتوافقت الامداد الى عكا سنة ٦١٤ هـ . فسار الملك العادل من مصر الى نائلس فبرز الفرنج ليصدوه وكان في خيف من المساكر فقام عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا بانياس ورجعوا الى عكا واستلأت ايدهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو الذي اختطفه الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخرجا لثلايملكها افرنج وخراب اسوار القدس حذرا عليه منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والبل بينهم وبينها . وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر الملح ان تصعد في النيل الى مصر . فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنه الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبائلهم ففعل . وألح الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

اشهر حتى ملكوه. فعمروا الى البر المتصل بدمياط واشتد في قتالها وهي في قلعة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بفتسة. ولما جهدهم الحصار وتعدر عليهم القوت استأنوا الى الفرنج فلكحروا سنة ٦١٦ هـ وقاموا في عمارتها وتمصينها وأقام الكامل قريبا منهم لحاية البلاد وبني المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط. وكان الكامل قد خلف اباه السلطان العادل بالملك في مصر وكان العادل قد توفي سنة ٦١٥ هـ وكان له من العمر خمس وسبعون سنة. وكان العادل حازما مثقنا غزير العقل شديد الآراء ذا مكر وخديعة آتته السعادة واتسع ملكه. وفي سنة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماريدين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج ورز دمياط منهم. فحاطوا بهم وضيقوا السبل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بأيديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بأيدي المسلمين من أسراهم وقرر الصلح الدكاك نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجية ومقدمو الفداوية والاستبارية. وتسلم الكامل دمياط يوم الاربعاء التاسع عشر رجب وكانت مدة مقام الفرنج بها سنة كاملة وأحد عشر شهرا. وفي سنة ٦٢١ هـ قدم الامبراطور الألمان الى عكا مع جموعه والامبراطور معناه ملك الامراء. وانغاسم الامبراطور المذكور فرديك (فريدريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محبا للحكمة والمنطق والطب مانلا الى المسلمين. وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين يستدعيه الى قصد الشام بسبب اخيه المعظم. فوصل الامبراطور وقد مات المعظم فنشب به الملك الكامل. ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب. فمصر الفرنج سورها واحتلوا فيها ثم ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور. ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدئا من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تسمى اسوارها خرابا ولا يعمرها الفرنج. ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرسايق الى والي المسلمين. ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالف عليه. وتسلم الامبراطور القدس ورجع الى عكا وركب البحر الى بلده. وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة ٦٣٥ هـ. فاستولى على مصر ابنه العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عثمروا قلعتها فحاصروها ونهبوها وضرب القلعة وخرَّب برج داود (لاي الفداء)

زخفة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ - ١٢٥٢ م)

٢١٩ كان ملك افرنسة (هو لويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمونه ريد افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله ملوكهم. فخرج قاصدا الديار المصرية فجمع عساكره فارسها وراجلها وركب البحر باموال جزيلة وأهبة جميلة فاجاز الى

فبرس وشي جاً . ثم عبر سنة ٦٤٧ هـ الى دمياط وجاء بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل جاً حامياً . فلما رأوا ما لا قبل لهم به اجفلوا عنها . فملكها ري افرس بندير تمب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بمحصر فكر راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابه بالطريق ورك . فامر بصلب الامراء المنهزمين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميراً فاشتد عليه فتوفي . وكان ملكه في الديار المصرية تسع سنين وكان سياسياً حلي الصمة عتيقاً طاهر اللسان والذليل وكان جمع من المماليك الترك ما لم يجمع لغيره . وكنم أهل الدولة موته حذراً من الفرنج وقامت زوجته شجرة الدر بالأمر وكانت تركية داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوت جاشم واستمقتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظم تورانشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشبه الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانتكفئ المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدم العسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلاً طائلاً لانهم حصلوا مضايق أزقتها . وكانت العلعة يقاتلونه بالمجاعة والأجبر والارباب وخيولهم الضخمة لم تسكن من الجولان بين الدروب . ثم عي ريد افرس جيوشه وسار جم طالباً ارض مصر فصدر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسمى اشمون فوجهوا نحوهم والتقى العسكران واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وانجلى الخروب عن كسرة الفرنج برأ وبجراً . فضغفت حالهم لذلك فارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفيت أزوادهم واقطع عنهم المدد من دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكنافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وقتل منهم اكثر من ثلاثين الفا . واعتقل الملك ريد افرس ومعه جماعة من خواصه واكابره . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظم قتله المالك لشهرين من ملكه وقدموا عليهم اميراً منهم بلقب يعز الدين التركماني . ونهضوا الى ريد افرس وجددوا معه اليمين وافندى منهم بالالف دينار وتسليم دمياط فاطلقوه . فاقبل مع اصحابه الى عكا سنة ٦٤٨ هـ واتم عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لما حصل للمسلمين عليها من الشدة مرة بعد أخرى . ثم استقر الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارته مدة وعزل لخمس سنين من ولايته واقترض به ملك بني أيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبدوا بالملك . وكان اول ملكهم العزيزي التركماني ثم خلفه ابنه المصور خلعه قطز العزيزي فاستبد بالملك وارتبع الشام من التتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ هـ . ثم قتل المظفر قطز واستقل الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ هـ ثم جهز العساكر فسار الى مقاتلة التتر فاجفلوا وولوا هاربين . وقصد قيسارية وهي للفرنج فافتحم عليها وفتحها وشن على اعمالها الغارة . وسرح عساكره الى حيفا وأرسوف وملكها

عنوة ثم كثر راجعاً الى طرابلس وجا بوموند الفرنجي فلم يدرك منها وطرة . فسار الى صفد
وفتحها واستسلم الفرنج الذين جا والحقش في قتلهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر
واقامة الخطبة به . ثم خرج الى دمشق واكتسح لسايط عكا واحتل مدينة يافا وصيدا وسار الى
انطاكية ثانية وفتحها على الامان فغرب قلعتها واضربها نارا فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٧٠ سنة
زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١١٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعتمر ريدفرنس
لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل
الى البابا خليفة المسيح يزعمهم فاعوز الى ملوك النصرانية لمظاهرتهم . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج
لغزو بلاد المسلمين فشاع خبر استعداد النصارى للغزو . وهم المسلمون يترجم الثغور وامر
المستنصر بسائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار
واختزان الأحباب . ووافد السلطان على ملك افرنسيس رسله ومشارطته على ان يكف غربة
فلم يرض وجمع الطاغية حشده وركب اساطيله الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فاجتمعوا بسرديانية
وادی السلطان بالانذار بالعدو والاستعداد له والغير الى اقرب المرافئ وبعث الثواني
لاستطلاع الخبر . فتوالت بعد مدة الاساطيل بحرسى قرطاجنة فتركوا بالساحل وكانوا زهاء
سنة آلاف فارس وثلاثين الفا من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين صغار وكبار وكانوا
سبعة يعاسب فيهم الفرنسيين واخوه صاحب صقلية واللمجة وزوج الطاغية وتسمى الرينة .
وانزلوا عسكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائلة الجدران فوصلوا ما فصله الخراب
من أسوارها بالواح الخشب وقصدوا شرافاتها وأداروا على السور خندقاً بعيد المهوى . وتحصنوا
وأقاموا متحرسين تونس ستة اشهر والمدد يأتيه في اساطيله من البحر من صقلية والعدوة
بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في مالكيه حشداً فوافته الامداد من كل ناحية
من المغرب والاندلس وقبائل العرب فانصلت الحرب ومات من الفريقين خلق . وفي خلال
ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابه مرض الوباء ولا توفي اجتمع النصارى على ابنه فبايعوه .
ثم بعث مشيخة المقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بما لا اغرقه لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى
عصرتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنصر المسلمون من مصر الى
حصار طرابلس فنصب عليها الجمانق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفه في الملك ابنه الأشرف
خيل فكان اول اعماله حصار عكا متعماً عزم ابيه . فتناوشوا القتال مع الفرنج وهدم الخليل
كثيراً من ابراجها وتخذها بالمقاتلة واستلموها من كان فيها واكثرها القتل والسبي في الفرنج
واستوعبهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفلوا عنها وتركوها
خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

ذكر التترب فتوحات جنكيز خان (١١٦٣ - ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتفق اهل التاريخ ان التترب امم لا يصفها احصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم . واكثر دوابهم الخيل واوقاتهم الأرز وألبان الخيل ولحومها . وتعرف ملوكهم بالخان وهي سمتهم الخاصة . وكانوا مبشرين في دشت قبجان في حدود ملك الخطا والصين في سهول واطار يتهارجون فيها كالحيوانات السائمة لاحاكم يردعهم ولا دين يحصمهم حتى نغ فيهم هذا الطاغية جنكيز خان . وكان ظهوره في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذ المستولي على قبائل الترك المشاركة أو تلك خان . وهو المسمى الملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بالصرانية . وكان رجل مؤيد من غير هذه القبيلة يقال له تموحين ملازماً لخدمة أو تلك خان من سن الطفولة الى ان بلغ حد الرجولة . وكان ذا بأس في قهر الأعداء فحسده الاقربان وسعوا به الى أو تلك خان . ولا زالوا يشتابونه عنده حتى اتهمه بتغيير النية وهم باعتقاله والقبض عليه . فاطلع تموحين على السكيدة ففكر مع خدمه على أو تلك خان فقتله وابطاله فسبى جنكيز خان . ثم علا شأنه وارسل الرسل الى جميع الترك فمن اطاعه وتبعه سعد ومن حالفه خذل . فسار أولاً يقصد سلطان الخطا والصين والتون خان فاباده . واستصنى ولايته وبلاده (٥٦٠)

وكان جنكيز خان رجلاً امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم ويرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكيز خان هو لنفسه في الملك قواعد ملك فيها . ولما لم يكن للتترب كتاب ولا خط فأمر عقلاء مملكته واذكيا قبيلته ان يضعوا خطاً وقلساً فوضعوا له قلم المغل ودرنوا له كتاباً لسمه الباسق الكبير . وكان كرسي مملكته قراقرم . وكان سبب مسيرهم الى ممالك الاسلام انه ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلاً جديداً يسأله الموافقة والاذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم فاستنكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفية . ففشا الخبر الى جنكيز خان فسار في العساكر واستولى على اترار وبخارى وسمرقند واضرعوا في محالها النار وجمال عائلها وامراءها نكالا لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسحوا كل ما مروا عليه . ففر من وجهه خوارزم شاه فسر جنكيز خان العساكر في اثره نحواً من عشرين عاماً فاجفלוه الى خراسان والى طبرستان فحاض بجرها ووصل الى بعض الجزار فطرقة المرض بها فمات (تاريخ القرمانى وبني الفرج الملقب)

٢٢٢ فسار التترب بعد هلاك خوارزم شاه الى خراسان فتحققوا كلات من احصن القلاع الى جانب جيحون ووسعوها خبياً وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٥٦٠) . ثم ساروا الى مرو وهراة وهما من اضع البلاد فحاصروهما عشرين عاماً وصدقوا عليها الحملة فملكوها

واحرقوها ونصبوا نواحيها . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد له ابوه قبل موته وكان جلال الدين هذا اسظهر على التتر وكبسهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرياً عظيماً لعظمها لانها عسكري الملك وموضع المساكن . فسارت عساكر التتر اليها مع ابنيها جنطاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنت . فاستمدوا عليها جنكزخان فامدّم بالسراير متلاحقة . فرحفوا اليها وملكوا جانباً منها ومازالوا يملكونها ناحية ناحية الى ان استوعبوها ثم اتخوا السد الذي يمنع ماء جيون عنها فسار اليها جيون ففرقها . وانقسم اهلها بين السيف والعرق . ثم جدوا في غيب جلال الدين وهم ينقمون عليه فادركوه وهو نازل مع عسكره على خر السند . ولما لم ير وسيلة للخلاص اتقم النهر بفرسه وفرّ ناجياً بنفسه وتخلص من عسكره ثلاثمائة فارس واربعه آلاف رجل وبعض امرائه . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى محمدان وقزوين وأذربيجان وهم يضعون السيف في من قلوبهم ويؤمنون من سالمهم ويفتحون عنوة المدن المحتلة عنهم ويستيجونها . ثم انضاف الى التتر جموع من التركان والاكراد وساروا الى الكرج واتخذوا فيهم . واتخذوا قصبهم تبريز (لابن خلدون وابن الاثير)

٢٢٣ ثم ساروا الى يلقان فحاصروها . وبشوا الى اهل البلد رجلاً من اكابرهم يقرّر معهم في المصانعة والصلح فقتلوه . فاقام التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوة (٦٠٨ هـ) . واستلموا اهلها وانفخوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلاً وغياً وتخريباً . ثم ساروا الى قاعدة اران وهي كعبة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدربندر (الدبير) وخرجوا الى الارض الفسيحة وجاءهم القفقاق واللان واللكن وطوائف من الترك . فاقوموا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البساط . وقاتلهم جموع من القفقاق واللان ودافعهم ولم يطبق التتر مغالبتهم . ثم طادوا الى محاربة قفقاق وانتوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نطش المتصل بخليج القسطنطينية فملكوها . واقترق اهلها واعتصم بعضهم بالجبال والفيض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ هـ) الى بلاد الروس المجاورة للقفقاق وهي بلاد فسيحة واهلها يدبنون بالصرانة فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كروا عليهم واكتسحوا بلادهم واتخذوا فيهم قتلاً وسياً وغياً . ثم قصدوا بلعار وهدموا واحرقوا ونصبوا وارفقوا . وفي سنة (٦١٤ هـ) قتل جكرخان من الممالك الغربية الى منازل القديمة الترقية فعرض له مرض في طريقه . ولما قوي مرضه استدعى اولاده جنطاي واوكطاي وتولي خان واورخان واوصام بوصايا وطرائق في سياسة الملك وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك واوصى بالثقت لاوكطاي

ظهور تيمورلنك وقتوحاته (٧٣٦ - ٨٠٣ هـ) (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذكر تيمورنس يصل بجكرخان من جهة النساء . وكان رجلاً ذا قامة شاهقة

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكتاف مستكمل البنية جدير
 الصوت وبه قَزَل . فلما بلغ أشده جعل يطوف في الصحاري والغابات يربص القرصة
 لاستنقاذ بلده فانضم الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر به . ثم
 حاول على الامير حسين ونقض عهده وانتزع منه مدينة بلخ فاخرجهما وقتل الحسين شرق قلعة .
 ثم هرب حبيرون وحاصر السلطان غياث الدين في هراة وكبس المدينة وقتل بنيات الدين ثم
 عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان وافنام من بكرة ابيهم . ثم خرب المدينة ولم
 يبق لها من أثر . وفي سنة (٧٨٨ هـ) زحف الى بلاد فارس وعراق الحزم فاستولى عليها . ولما
 بلغه موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الحريزة واستخلف عليها رجلاً
 من اصحابه . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فخام عن لقاء
 تيمور وفرّ ناجياً بنفسه . ثم اجتمع على فتح الشام فضم اليه اطرافه لقتال ملكها فرج برقوق من
 الملوك السراكسة فالتقى بانيه عند حلب فهزمه ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعث
 على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربته فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة
 برقوق وقيصره فافتتح تيمور دمشق عنوة وقتل وسفك الدماء وطأ فيها واضرم النار في
 جامعها الأموي . وفي سنة (٧٩٥ هـ) كثر بمساركه على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من
 وكلد هولاكو وتغلبها بعد ان اوسع اهلها قتلاً وسبياً . ثم صمم العزم على الاغارة على مالک
 الاتراك فسار الى قرااغ وكان لا يدخل في مسيره قرية الا افسدها ولا يتزل على مدينة
 الا ويحاصها ويددها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوهُ الى طاعته فتوجه
 الى ملاقاته واجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقره . فاشتعلت الحرب بين الفئتين
 من الضمى الى العصر حتى ترك السلطان طائفة من عسكره وذهبوا الى تيمور فكان ذلك
 سبباً لكسرتيه ووقوعه في مغالب تيمور فكبّله في قفص من حديد فقضى فيه نفيه . ثم اندرأ
 تيمور راجعاً الى سمرقند مظفراً فاقتى ان وافته المنون وكشف الله عن العالم كربه
 (٨٠٧ هـ) فلك بعده ابنه شاخ رخ ثم انتقل الملك الى اعقابيه الى ان تلاش واضمحل (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ - ١٣٠٣ هـ) (١٢٩٩ - ١٨٨٤ م)

٢٢٥ قال القرمانى : وم من اعظم السلاطين اجمه وجلالة واشدهم قوة واكثاراً . واول من
 ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م) واصله من التراكمة الرحالة التتالة من
 طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعاً مقداماً افتتح بلاداً كثيرة من يد
 السليوقيين فاستقل عليها . ثم ولي بعده ابنه اورخان (٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) افتتح برّوسا وجعلها
 مقر سلطته واستولى على كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بيننا وبين قسطنطينية ستة
 ومثانون ميلاً . ثم ملك بعده ولده مراد الاول الغازي (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) افتتح آدرنة سنة

(٥٧٩١) وهو اول من اتخذ المالک وسامه ينشرية يعني العسكر الجديد والبسم اللباد
الايض المتني . ثم ملك بعده ولده السلطان يلدرم بايزيد خان (١٣٨٩ ٥٧٩٢ م) وله
فتوحات صكيرة منها نيقة عاصمة بلاد الكرمان وتوقات وصامسون . وحاصر الاستانة
ولم يفتحها واتهم صاحبها بالخراج . ثم استظهر تيمورلنك على بايزيد كما مر (١٤٠٢ م) . ثم
خلفه ابنه محمد الاول بعد ان قتل اخوته (١٤١٤ ٨١٦ م) وقتل بلاد القرمات . ثم
خلفه ابنه مراد الثاني (١٤٢٣ ٨٨٢ م) الذي غزا بلاد ارنود وفتح مورة وسالونيك وضرب
السكة باسمه وانتصر عليه ملك المجر . ثم ولي الامر بعده ابنه محمد الثاني (١٤٥١ ٨٨٥ م)
وهو الذي فتح القسطنطينية (١٤٥٣ م) وغزا بوسنة وغلبه القرال (حاكم هوناد) في بلاد
بلغراد ودفعه الاستبارية عن رودس . ثم ملك بعده ابنه بايزيد الثاني (١٤٨١ ٨٨٦ م)
قاتل اخاه جيم وغلبه ثم استنزل عن الملك لابنه سليم الاول (١٥١٣ ٨٩١ م) . ففتح سليم
مصر والشام واستولى على بلاد العرب وقارس واباد ملك المجر اكسة فيها . ثم خلفه ابنه سليمان
خان (١٥٢٠ ٨٩٦ م) استولى على رودس وكوفوس وعراق الجيم وردة التصاري من
فيناء ومالطة (وكان يحبسها لاقالت) . ثم ملك بعده سليم الثاني ابنه (١٥٦٧ ٨٩٦ م) فتح
تونس وقبرس واليمن وغلبه الفرنج في خليج (لينت) . ثم تولى بعده السلطان مراد الثالث
(١٥٧٣ ٨٩٨ م) قوبر الكرج وفتح تفليس . ثم ملك ابنه محمد الثالث (١٥٩٥ ١٠٠٣ م)
غزا المجر وغلبهم . ثم عقبه ابنه احمد الاول (١٦٠٣ ١٠١٢ م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعده
السلطان اخوه مصطفى الاول وخلعه ينشرية لثلاثة اشهر من ملكه . ثم ملك عثمان الثاني
ابن احمد الاول (١٦١٨ ١٠٢٧ م) قتله ينشرية وارجعوا مصطفى ثانية (١٠٣١ هـ) .
ثم خلفه مراد الرابع (١٦٢٣ ١٠٣٢ م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعده ابنه
ابراهيم (١٦٤٠ ١٠٤٩ م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٦٤٧ ١٠٥٨ م) غلبه
المجر في - نغودار وكسر عسكره سوبيسلي في فينا ثم ملك بعده سليمان خان الثاني (١٠٩٩ هـ)
(١٦٨٨ م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعده احمد الثاني (١٦٩١ ١١٠٢ م) اتصر عليه
اللان . ثم ملك مصطفى الثاني (١٦٩٥ ١١٠٦ م) . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥ هـ)
(١٧٠٤ م) . ثم الغازي محمود الاول (١٧٣٢ ١١٤٢ م) . ثم عثمان الثالث (١١٦٨ هـ)
(١٧٥٧ م) . ثم مصطفى الثالث (١٧٦٩ ١١٧١ م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧ هـ)
(١٧٧٥ م) . ثم سليم خان الثالث (١٧٩٠ ١٢٠٣ م) . ثم مصطفى الرابع (١٢٢٢ ١٨١٠ م) .
ثم الغازي محمود الثاني (١٨١٠ ١٢٢٣ م) . ثم الغازي عبد الحميد خان (١٢٥٥ هـ)
(١٨٤١ م) . ثم عبد العزيز خان (١٨٦٣ ١٢٧٧ م) ثم مراد خان الخامس ففتح (١٢٩٣ هـ)
(١٨٧٦ م) . ثم السلطان الغازي عبد الحميد خان (١٢٩٣ ١٨٧٦ م) ايداه الله بالعرز والتوفيق

فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب

| وج | وج |
|-----|-----|
| ١٠٦ | ٣ |
| ١٠٩ | ٣ |
| ١٠٩ | ١١ |
| ١١٣ | ١٤ |
| ١١٣ | ٢٢ |
| ١١٤ | ٢٤ |
| ١١٦ | ٣٤ |
| ١١٩ | ٣٤ |
| ١١٩ | ٣٨ |
| ١٢٣ | ٤٣ |
| ١٢٨ | ٤٧ |
| ١٣١ | ٤٧ |
| ١٣٥ | ٤٧ |
| ١٣٨ | ٤٨ |
| ١٤٢ | ٥٠ |
| ١٤٢ | ٥٢ |
| ١٤٤ | ٥٦ |
| ١٤٧ | ٥٧ |
| ١٥١ | ٦٢ |
| ١٥٥ | ٦٢ |
| ١٥٦ | ٦٦ |
| ١٥٧ | ٧٩ |
| ١٥٩ | ٨٥ |
| ١٦٢ | ١٠٦ |
| ١٦٣ | ١٠٦ |
| ١٦٤ | |

الباب الأول في الخطب

من كتاب اطواق الذهب للزمخشري

خطبة لبديع الزمان الصمذاني

نخبة من خطب الحريري

موعظة لابن الجوزي

نخبة من مواظ لسان الدين بن الخطيب

من كتاب الاعياد السيدية لابي الخليل

لعيد الميلاد الجسدي المقدس

لصباح احد القيامة المبارك

لعيد الصليب

الباب الثاني في الخطب الحامية

تحريض خالد على القتال في اجنادين

خطبة أمراء المسلمين في وقعة البرموك

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

خطبة ابن حمزة بالمدينة

تقلد السلطان للمستنصر

خطبة ابي اذينة لابن المنذر

قصيدة الحلي يحرز بها الصالح من المغول

الباب الثالث في المناظرات

مناظرة بين بلاد الاندلس

مفارقة بين السيف والقلم لجمال الدين

رسالة ابن الوردي في السيف والقلم

مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

الباب الرابع في المقامات

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

نخبة من مقامات شهاب الدين الحفاجي

مقامة الغربية

نخبة من مقامات بديع الزمان الصمذاني

المقامة الاهوازية

المقامة القزوينية

المقامة الناجية

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعدية

المقامة الاسكندرية

المقامة البغدادية

المقامة الكرجية

المقامة التفليسية

المقامة المروية

الباب الخامس في اللطائف

ابن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

اجازة عبيد الابرس وامرئ القيس

علي بن ظافر عند الملك العادل

للبياني يرثي ضربه بعد قلعه

للمعري على لسان درع يحاطب سيفاً

وله على لسان رجل يطالب درع ابيه

للفارضي في التغزل بالكلمات الالهية

نخبة الفارضي وشرحها للبوري

الباب السادس في الوصف

وصف المطر والسحابة

لابن لاثير في وصف الخيل

وجه

٢١٠ **الباب الثامن في المراثي**

٢١٠ كعب بن سعد القنوي في أخيه

٢١٢ لذريد بن الصمة في مقتل أخيه

٢١٣ للهلل في رثاء أخيه

٢١٤ لملك التميمي في رثاء نفسه

٢١٦ لشمس بن نورية اليربوعي يرثي أخاه

٢١٧ لشبل بن معبد الجيلي يرثي بنه

٢١٨ للهذلي في رثاء بنه السبعة

٢١٩ عتبة علي بن جبلة في حميد الطوسي

٢٢١ لابي محمد الليثي في يزيد بن مزيد

٢٢٢ لصفي الدين الحلبي يرثي الملك ناصر الدين

٢٢٤ لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري

٢٢٥ ولجيب يرثي القاسم بن طوق

٢٢٦ لابي العلاء المعري في جعفر بن المهذب

٢٢٩ وله في فقيه حنفي

٢٣١ لابي الطيب المتني يرثي ابا شعاع فاتك

٢٣٤ وله يرثي والدة سيف الدولة

٢٣٦ وله أيضا في رثاء جدته

٢٣٨ **الباب التاسع في الفخر**

٢٣٨ قصيدة طرفة في الفخر

٢٣٩ لعبد بن الابرص الاسدي

٢٤٠ لعروة بن الورد العبسي

٢٤١ لحسان بن ثابت لشمر بن ابي حازم

٢٤٢ للفرزدق التميمي في الفخر

٢٤٤ للاديب ابي عبد الله بن البخار المالقي

٢٤٥ للطغرائي في الفخر

٢٤٦ لابي تمام يفتخر بقومه

وجه

١٦٦ في وصف سفر البحر

١٦٧ وصف دولة بني حمدان

١٧١ لبشر بن ابي عوانة يصف قتاله الاسد

١٧٢ صفة النفس لابن سيناء الرئيس

١٧٣ لعلي بن محمد الايادي يصف أسطولا

لاي قواس الحمداني يصف قتال سيف

الدولة لاهل قنسرين

١٧٥ لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

١٧٦ للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب

للحلي في وصف قدوم الكراكي

١٧٨ وله في صفة الشمع

١٧٩ وصف الغيل لابن حسن الجوهري

١٨٠ وصف الكرمه للطغرائي

١٨١ زهرية الفقيه ابي الحسن بن زباع

١٨٢ لابن حمديس يصف دارا بناها المنصور

١٨٤ **الباب السابع في الشعر القديم**

١٨٤ نخبة من معلقة امرئ القيس

١٨٥ نخبة من معلقة طرفة البكري

١٨٦ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلمى

١٨٩ نخبة من معلقة لبيد العامري

١٩١ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم

١٩٦ نخبة من معلقة الحارث بن حلزة البكري

١٩٩ نخبة من معلقة عنتر بن شداد العبسي

٢٠١ لامية العرب

٢٠٤ نخبة من لامية العجم للطغرائي

٢٠٦ قصيدة الباقية يعتزرجا الى النعمان

٢٠٨ نخبة من لامية اعشى قيس

| وجه | وجه |
|-----|--|
| ٢٩٢ | الشعراء المسلمون |
| ٣١٣ | الباب الثالث عشر في التاريخ |
| ٣١٣ | اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام |
| ٣١٣ | زحفة الفرنج الاولى الى المشرق |
| ٣١٤ | ملك غدفريد وبقدوين الاول |
| ٣١٥ | ملك بقدوين الثاني زنكي وفتوحاته |
| ٣١٦ | ملك بقدوين الثالث ووفاته زنكي |
| ٣١٧ | زحفة الفرنج الثانية الى المشرق |
| ٣١٧ | غزوات نور الدين |
| ٣١٨ | ملك أموري |
| ٣١٨ | وفاته نور الدين وظهور صلاح الدين |
| ٣١٩ | بقدوين الرابع فتوحات صلاح الدين |
| ٣٢٠ | بقدوين الخامس |
| ٣٢١ | ذكر وقعة حطين |
| ٣٢٢ | فتح القدس لصلاح الدين |
| ٣٢٣ | زحفة الفرنج الثالثة |
| ٣٢٤ | حصار عكا والصلح زحفة الفرنج |
| ٣٢٤ | الرابعة |
| ٣٢٥ | زحفة الفرنج الخامسة واستيلائهم على القسطنطينية |
| ٣٢٦ | زحفة الفرنج السادسة الى المشرق |
| ٣٢٦ | زحفة الفرنج السابعة |
| ٣٢٧ | زحفة الفرنج الثامنة الى المشرق |
| ٣٢٩ | زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس |
| ٣٢٩ | انقراض دولة الفرنج في المشرق |
| ٣٣٠ | ذكر التتر فتوحات جِكْرخان |
| ٣٣١ | ظهور تيمورلنك وفتوحاته |
| ٣٣٢ | ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها |
| ٢٤٢ | وجه |
| ٢٤٨ | الفلسفي |
| ٢٥٠ | ملقحة الفحل في مدح الخارث الوهاب |
| ٢٥٠ | للفرزدي في عمر بن الوليد بن عبد الملك |
| ٢٥٤ | وله في وصف الامام زين العابدين |
| ٢٥٦ | لاين خفاجة في مدح يحيى بن ابراهيم |
| ٢٥٧ | لاين الازرق الاندلسي في مدح بن عاصم |
| ٢٥٨ | لاي تمام في هارون الواثق بالله |
| ٢٥٩ | وله في المعتمد بالله عند فتح عمورية |
| ٢٦٣ | للتلمساني في مدح الملك المنصور |
| ٢٦٤ | لاي الطيب التني في الحسين التوخي |
| ٢٦٥ | وله يمدح ابا شجاع فاتكا |
| ٢٦٨ | وله يمدح سيف الدولة |
| ٢٧١ | الباب الحادي عشر في المراسلات |
| ٢٧١ | مراسلات بين الملوك والأعيان |
| ٢٧٤ | في الطلب والاشواق |
| ٢٧٦ | في العتاب والولم |
| ٢٧٧ | في المدح والتهنئة والشكر |
| ٢٧٨ | في التعزية |
| ٢٨٥ | في الوصاة |
| ٢٨٦ | الباب الثاني عشر في التراجم |
| ٢٨٦ | شعراء الجاهلية |
| ٢٩٤ | الشعراء المخضرمون |

| | |
|--------|---------|
| ۲۵ ۱۹ | داغلیغی |
| ۲۹ | فن |
| ۴/۱۱۰ع | کتاب |

کتابخانه مصنف سید کاظم علی حسینی آبادی مدنی

نمبر دواجله ۱۱۵۱

تاریخ دواجله

نام کتاب

نوع کتاب

نمبر کتابت نوع دیگر

~~S399L~~
~~S/A~~